صفة الصفوة

للإمام العالم

جمال الدين أبي الفرج

ابن الجوزي

٥١٠ - ٥٩٧ هجرية

طبعة مصححة ومنقحة ومزيدة
بفهارس للأحاديث وللأعلام المترجم لهم

حققه وعلق عليه
محمود فاخوري

خرّج أحاديثه
د. محمد رواس قلعه جي

الجزء الثاني

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع

مقدمة

كان الاعتماد فى تحقيق الجزء الثانى من « صفة الصفوة » على النسخ التالية :

١ — مخطوطة المكتبة الوقفية بحلب (٢٣٧ عثمانية) وقد كُتب الجزء الثانى منها سنة ٦٨١ هـ . ويقع فى ١٤٣ ورقة ، لكنه ينتهى بالترجمة رقم ٣٥٤ ليبدأ بعدها الجزء الثالث الذى استعنْتُ به فى تحقيق بقية الجزء الثانى من طبعتنا هذه .

وقد جعلنا رمز هذه النسخة الخطية (ق)

٢ — النسخة المطبوعة فى حيدر آباد سنة ١٣٥٥ — ١٣٥٦ هـ وقد اعتمد أصحابها على النسخ الخطية الآتية :

(ا) النسخة الإسلامبولية ، ورمزها (قط) .

(ب) النسخة الآصفية ، ورمزها (صف) . وينتهى القسم الموجود منها قبيل نهاية الترجمة رقم ٣٤٧ .

(ج) نسخة محفوظة « بدار حكومة الهند » فى لندن . ورمزها (ب) . وقد كانت المقابلة عليها من حيث انتهت النسخة الآصفية ، قابلها المستشرق كرنكو ، وذيَّل حواشيه برمز (ك) .

وقد حافظنا على رموز هذه النسخ عند الإشارة إلى الاختلاف فيما بينها ، واكتفينا برمز (ط) إلى ما اتفقت عليه النسخ الثلاث التى اعتمد عليها أصحاب طبعة حيدر آباد ، ووضعنا بين قوسين ما انفردت به هذه الطبعة .

٣ — مختصر كتاب صفوة الصفوة : وهو مطبوع بمصر سنة ١٣٣٩ هـ فى مطبعة المنار ، عن نسخة خطية من العمارة (العراق) ، وهذا الكتاب مجهول المؤلف، ويحتوى على ما يقارب مئة علمٍ اختيرت من الجزأين الأول والثانى من « صفة الصفوة » ، مراعياً الاختصار فى كتابه .

واستظهر صاحب مطبعة المنار أن مؤلف الكتاب هو عبدالوهاب الشعرانى لأنه ذكر فيه شيخيه زكريا الأنصارى وعلياً الخوّاص .

وأسأل الله أن يعين على إتمام الكتاب على وجهٍ يرضى القارىء . وهو الموفق .

حلب فى ١٩٧٠/٦/٣

محمود فاخورى

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر المصطفيات من طبقات الصحابيات رضى الله عنهن

١٢٥ – خديجة بنت خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصى رضى الله عنها

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لها فى تجارة فرأت عند[١] قدومه غمامةً تظلّه فتزوجته. وقد كانت عرفتْ قبله زوجين، وكانت يوم تزوجها بنت أربعين سنة. وجاءت النبوة فأسلمت فهى أول امرأة آمنت به ولم ينكح امرأة غيرها حتى ماتت. وجميع أولاده منها سوى إبراهيم

عن على رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة عليها السلام «أخرجاه فى الصحيحين[٢]».

عن أبى هريرة قال: أتى جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنّي، وبشّرها ببيت

---

(١) ط: فى.

(٢) البخارى ومسلم فى (مناقب خديجة). والترمذى فى فضائلها برقم ٣٨٨٧ والإمام أحمد وابن حبان والحاكم وأبو يعلى بلفظ فيه بعض الاختلاف.

فى الجنة من قصبٍ لا صخب فيه ولا نصب . « أخرجاه فى الصحيحين[1] » .

وعن عائشة قالت : ما غِرْتُ على أحد من نساء النبى صلى الله عليه وسلم ما غِرتُ على خديجة ، وما رأيتها ، ولكن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر ذكرها وربما ذبح الشاة يقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خديجة ، فربما قلت له : كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة . فيقول : « إنها كانت وكان لى منها ولد » — « أخرجاه فى الصحيحين[2] » .

وعنها قالت : كان رسول الله صلى عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن عليها الثناء فذكرها يوماً من الأيام فأدركتنى الغيرة فقلت : هل كانت إلا عجوزاً قد أخلف الله لك خيراً منها ؟ قالت : فغضب حتى اهتزّ مقدم شعره من الغضب . ثم قال : لا والله ما أخلف الله لى خيراً منها ، لقد آمنتْ إذْ كفر الناس ، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وواستْنى بما لها إذ حرَمنى الناس ، ورزقنى الله عزوجل أولادها إذ حرَمنى أولاد النساء . قالت : فقلت ، بينى وبين نفسى : لا أذكرها بسوءٍ أبداً ـ[3] .

---

(١) البخارى ومسلم فى (فضائل خديجة) والترمذى فى فضائلها ، برقم ٣٨٨٦ وأخرجه الطبرانى فى الأوسط وفيه زيادة يسيرة والنسائى حديث أنس .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم فى فضائل خديجة .

(٣) الحديث أخرجه أحمد فى مسنده .

توفيت خديجة رضى الله عنها بعد أن مضى من النبوة عشر سنين، وهى بنت خمس وستين سنة . قال حكيم بن حزام : دفناها بالحَجون ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرتها ولم يكن يومئذ سنة الجنازة الصلاة عليها رضى الله عنها .

١٢٦ - فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

أمها خديجة بنت خويلد ولدتها وقريش تبنى البيت قبل النبوة بخمس سنين، وهى أصغر بناته تزوجها على عليه السلام فى السنة الثانية من الهجرة فى رمضان وبنى بها فى ذى الحجة . وقيل تزوجها فى رجب وقيل فى صفر على بدن من حديد، فولدت له الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم . فتزوج زينبَ عبدُ الله بن جعفر، فولدت له عبد الله وعوناً وماتت عنده . وتزوج أمَّ كلثوم عمرُ بن الخطاب فولدت له زيداً . ثم خلف عليها بعد عمر عَوْن بن عبد الله بن جعفر فلم تلد له شيئاً . ثم مات وخلف عليها محمد بن جعفر فولدت له جارية ثم خلف عليها بعده عبد الله بن جعفر فلم تلد له وماتت عنده .

وزاد ابن إسحاق فى أولاد فاطمة من على : محسناً . قال : ومات صغيراً . وزاد الليث ابن سعد : رقيّة ـ قال : وماتت ولم تبلغ .

عن عامر الشعبي قال : قال علي عليه السلام[١] : لقد تزوجت فاطمة ومالي ولها فراش ، غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح[٢] بالنّهار ومالي ولها خادم غيرها .

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوّجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورحيَيْن[٣] وسقاء وجرّتين . فقال علي لفاطمة ذات يوم : والله سنوت[٤] حتى اشتكيت صدري وقد جاء الله أباك بسبْيٍ فاذهبي فاستخدميه . فقالت : وأنا والله لقد طحنت حتى مَجلت[٥] يداي . فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما جاءبكِ وماحاجتك أيْ بنية ؟ قالت : جئت لأسلّم عليك، واستحييت أن تسأله فرجعت . فقال : ما فعلتِ ؟ قالت : استحييت أن أسأله . فأتياه جميعاً فقال علي : يا رسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري . وقالت فاطمة : لقد طحنت حتى مَجلت يداي وقد جاءك الله عز وجل بسبْيٍ وسعةٍ فأخدِمنا[٦] . فقال : والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفّة تُطوى بطونهم لا أجدِ ما أنفق عليهم ، ولكني أبيعهم وأنفق

---

(١) ق : علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) الناضح : البعير يستقى عليه ، ثم استعمل في كل بعير .

(٣) ق : ورحائين .

(٤) سنا يسنو : استقى الماء من البئر .

(٥) نفطت من العمل فرنت .

(٦) أخدمه : وهب له خادماً .

عليهم أثمانهم . فرجعا وأتاهما النبي صلى الله عليه وسلم وقد دخلا فى قطيفتهما إذا غطّيا رؤوسهما تكشفت أقدامهما وإذا غطّيا أقدامهما تكشّفت رؤوسهما فثارا فقال : مكانكما . ثم قال : ألا أخبركما بخيرٍ مما سألتمانى ؟ قالا بلى . قال : كلمات علّمنيهن جبريل ، تسبّحان فى دبر كلّ صلاة عشراً وتحمدان عشراً وتكبّران عشراً ، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين . وكبّرا أربعا وثلاثين . قال فوالله ما تركتهن منذ علّمنيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فقال له ابن الكواء : ولا ليلة صفّين ؟ قال : قاتلكم الله يا أهل العراق نعم ولا ليلة صفّين[1] .

وعن أبى ليلى قال : حدثنى على عليه السلام أن فاطمة عليها السلام أتت النبى صلى الله عليه وسلم تشكو إليه ما تلقَى من يدها فى الرحى[2] . وبلغها أنه جاءه رقيق فلم تصادفه فذكرت ذلك لعائشة فاما جاء أخبرته عائشة . قال : فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال ، على : مكانكما . فجاء فقعد بينى وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطنى فقال : ألا أدلكما على خيرٍ مما سألتمانى ؟ إذا أخذتما مضاجعكما[3] أوأويتما إلى

---

(١) الحديث صحيح أخرجه الإمام أحمد فى مسنده برقم ٨٣٨ وفيه عطاء بن السائب وقدسمع منه حماد بن سلمة قبل اختلاطه ، وبقية رجاله ثقات . وفى الصحيحين بعضه ، كما سيأتى فى الحديث الذى بعده .

(٢) ط : ما تلقى فى يديها من الرحى .

(٣) ط : مضجعكما .

فراشكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبّرا أربعاً وثلاثين ، فهو خير لكما من خادم (أخرجاه فى الصحيحين)[١] .

وعن عائشة قالت : أقبلت فاطمة عليها السلام كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مرحباً بابنتي . ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله . ثم إنه أسرّ إليها حديثاً فبكتْ. فقلتُ لها إختصّك رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديثه ثم تبكين ؟ ثم إنه أسرّ إليها حديثاً فضحكت . فقلت : مارأيت كاليوم فرحاً أقربَ من حزن فسألتها عما قال ، فقالت : ما كنت لأفشي سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قُبض صلى الله عليه وسلم سألتُها فقالت : إنه أسرّ إلي فقال : « إن جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل عام مرة وإنه عارضنى به العام مرتين ولا أراه إلا قد حضر أجلى وإنكِ أول أهلِ بيتي لُحوقاً بى ونعْم السلف أنا لكِ » . فبكيتُ لذلك. ثم قال : ألا ترضَيْن أن تكونى سيدة [نساء] هذه الأمة أو [سيدة] نساء المؤمنين ؟ قالت: فضحكتُ لذلك (أخرجاه فى الصحيحين) وليس لفاطمة عليها السلام فى الصحيحين غير هذا الحديث[٢] .

---

(١) الحديث صحيح أخرجه البخارى فى مناقب على أبى طالب وفى الدعوات ، وفى الخمس ، وأخرجه مسلم فى كتاب الذكر .

(٢) أخرجه البخارى فى علامات النبوة ومسلم فى مناقب فاطمة ، والترمذى فى مناقبها برقم ٣٨٧٢ طبعة حمص .

وعن المسّور بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « [إنّ] فاطمة بضعة منى فمن أغضبها فقد أغضبنى ، أخرجه مسلم أيضاً فى صحيحه[١] . وعنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر: إن بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن يُنكحوا ابنتهم بعلى بن أبى طالب فلا آذَنُ ثم لا آذَنُ إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فإنها بضعة مني يُريبني ماأرابها ويؤذيني ما آذاها (أخرجاه فى الصحيحين)[٢] .

وهذه المرأة المذكورة فى هذا الحديث جويرية بنت أبى جهل بن هشام ابن المغيرة كان على عليه السلام قد خطبها فجاء بنو هشام يستأمرون[٣] رسول الله صلى عليه وسلم فى ذلك فلم يأذن لهم أن يزوّجوه . وأسامت جويرية وبايعت وتزوجها عتّاب ابن أسيد . ثم تزوجها أبان بن سعيد بن العاصي .

وعن ابن أعبد قال : قال على عليه السلام : يا ابن أعبد ألا أخبرك عنى عن فاطمة ؟ كانت ابنةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكرَم

(١) الحديث اخرجه البخاري ومسلم والترمذي في فضائل فاطمة .

(٢) الحديث اخرجه البخاري وابو داود وابن ماجة في النكاح ، ومسلم والترمذي في فضائل فاطمة ، وسبب عدم موافقة النبي على هذا النكاح هو ما صرح به في بعض الروايات « لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد » .

(٣) ط : يستأذنون .

أهله عليه ، وكانت زوجتي فجرّت بالرحى حتى أثّرت الرحى بيدها ، واستقت بالقربة حتى أثّرت القربة بنحرها [وقمّت [1] البيت حتى اغبرّت ثيابها] وأو قدت تحت القدر حتى دنِست ثيابها وأصابها من ذلك ضرّ .

وعن عطاء بن أبي رباح قال : إن كانت فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لَتعجُنُ وإن قصتها ـ لتضرب الأرض والجفنة [2] .

توفيت فاطمة الزهراء عليها السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة أشهر في ليلة الثلاثاء لثلاثٍ خلوْن من رمضان سنة إحدى عشرة وهي بنت ثمان وعشرين سنة ونصف ، وغسلها عليٌّ عليها السلام وصلى عليها . وقالت عمرة : صلى عليها العباس بن عبد المطلب ودُفنت ليلاً .

وعن عائشة قالت : عاشت فاطمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، [رضي الله عنها] .

عن أبي جعفر قال : ماتت بعد رسول الله صلى الله عيله وسلم بستة أشهر . قيل لسفيان : عمرو عن أبي جعفر ؟ قال : نعم .

---

(١) أي كنستْ .

(٢) ط : تكاد تضرب الجفنة . والقصة (بضم القاف) : شعر الناصية أو كل خصلة من الشعر .

عن عمرو بن دينار قال : توفيت فاطمة عليها السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر [١] .

عن الزهرى : ماتت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر ، يعنى فاطمة عليها السلام .

عن عائشة قالت : كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين فاطمة شهران .

عن أبى الزبير قال : لم تمكث بعده إلا شهرين . والأول أصح .

١٢٧ – عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها

كانت مسمّاة لجبيْر بن مُطِعم فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضى الله عنه : دعنى حتى أسُلّها من جُبَيْر سلاًّ رفيقاً . فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فى شوال قبل الهجرة بسنتين ، وقيل بثلاث ، وهى بنت ست سنين، وبنى بها بالمدينة وهى بنت تسع سنين . وبقيت عنده تسع سنين ولم يتزوج بِكْراً غيرها .

وعن عبّاد بن حمزة عن عائشة أنها قالت : يا رسول الله ألا تكْنيني؟ قال : تكَّنىْ بابنك ، يعنى عبد الله بن الزبير . فكانت تكنى أم عبد الله .

---

(١) ط : « بقيت فاطمة ... ثلاثة اشهر » .
(٢) اخرجه ابو داود في الادب ٧٠ .

وعن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُريتُك في المنام مرتين ورجل يحملك في سَرَقة[١] من حرير فيقول : هذه امرأتك . فأقول : إن كان هذا من عند الله عز وجل يُمْضِهِ (أخرجاه في الصحيحين[٢]) .

وعنها قالت: تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين. فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج فوعِكْتُ فتمزق شعري فوفى جميمه فأتتني (أمي) أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي فصرخت بي فأتيتها ماأدري ماتريد مني ؟ فأخذتْ بيدي حتى أوقفتْني على باب الدار وإني لأنْهَج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئًا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن : على الخير والبركة وعلى خير طائر . فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني فلم يرعني إلا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ضحى فأسلمْنني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين (أخرجاه في الصحيحين)

وعن عمرو بن العاص أنه أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: أيّ الناس أحب إليك يارسول الله ؟ قال: عائشة . قال من الرجال ؟ قال: أبوها . قال ثمّ من ؟ قال : ثم عمر (أخرجاه في الصحيحين[٣]) .

---

(١) شقّة من الحرير الجيد . ج سَرَق (بفتحتين) .

(٢) البخاري في الاسراء وفي النكاح وفي التعبير . ومسلم في فضل عائشة ، والترمذي في فضلها برقم ٣٨٧٥

(٣) البخاري ومسلم في فضائل أبي بكر ، والترمذي في فضائله برقم ٣٨٨٠ .

وعن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كملَ من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنة عمران وآسية امرأة فرعون : وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » (أخرجاه فى الصحيحين)[١] .

عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن جبريل عليه السلام يقرأ عليكِ السلام » قلتُ : وعليه السلام ورحمة الله (أخرجاه فى الصحيحين)[٢] .

وعن أبى سلمة عن عائشة قالت : قلت يارسول الله أرأيت إذ نزلت وادياً فيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرةً لم يؤكل منها: فى أيهما كنت ترتع بعيرك ؟ قال : فى التي لم يؤكل منها . تعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكْراً غيرها (انفرد بإخراجه البخارى)[٣] .

وعن الزهرى قال : أخبرنى محمد بن عبد الرحمن بن هشام أن

---

(١) كلاهما فى (فضل عائشة) ، وأبو داود ، وابن ماجة فى (الأدب) ، والنسائى فى (عشرة النساء) ، والترمذى فى فضائل عائشة برقم ٣٨٧٦ .

(٢) البخارى ومسلم فى فضائل عائشة ، وأبو داود ،وابن ماجةفى(الأدب)، والنسائى فى (عشرة النساء) ، والترمذى فى فضائل عائشة برقم ٣٨٧٧ .

(٣) اخرجه البخاري في الباب التاسع من (كتاب النكاح) باب نكاح الابكار .

عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم قالت : أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنتْ والنبي صلى الله عليه وسلم مع عائشة في مرضها فَأَذِنَ لها فدخلتْ عليه فقالت : يارسول الله إن أزواجك أرسلْنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أيْ بنّية ألستِ تحبّين ماأحب؟ فقالت : بلى . قال : فأحبّي هذه ، لعائشة . قالت : فقامت فاطمة عليها السلام فخرجتْ فجاءت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فحدثتْهن بما قالت وبما قال لها فقلن : ماأغنيتِ عنّا من شيء فارجعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فقالت فاطمة عليها السلام : والله لا أكلمه فيها أبداً . فأرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش فاستأذنتْ فأذنَ لها فدخلت فقالت :يارسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألْنك العدل في ابنة أبي قحافة . قالت عائشة ووقعتْ فيّ زينب . قالت عائشة : فطفقت أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم متى يأذن لي فيها . فلم أزل حتى عرفت أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكره أن أنتصر . قالت : فوقعتُ بزينب فلم أنشِبها أن أفحمتُها . فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : إنها ابنة أبي بكر[1] .

---

(١) الحديث صحيح أخرجه مسلم في فضائل عائشة بهذا اللفظ ، وأبو يعلى والبزار مختصراً بغير هذه القصة .

وعن عروة عن عائشة أن: رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسأل في مرضه الذي مات فيه: أين أنا غداً؟ أين أنا غداً يريد يوم عائشة. فأذِنَ له أزواجه أن يكون حيث شاء فكان في بيت عائشة حتى مات عندها.

قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور فيه نوبتي[١] فقبضه الله عز وجل وإن رأسه بين نحري وسَحْري[٢] وخالَط ريقه ريقي (أخرجاه في الصحيحين)[٣].

وعنه قال: كان الناس يتحرّون بهداياهم يوم عائشة. قالت: فاجتمع صواحبي إلى بيت أم سلمة فقالوا[٤] ياأم سلمة إن الناس يتحرّون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريد عائشة فمري رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان. قالت: فذكرتْ ذلك أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم. قالت: فأعرض عني. فلما كان في الثالثة ذكرتُ له ذلك فقال: ياأم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل عليّ الوحيُ وأنا في لحاف امرأةٍ منكن غيرَها[٥].

---

(١) ط: يدور على فيه.

(٢) السحر (بفتح فسكون): الرئة.

(٣) في فضائل عائشة.

(٤) كذا في جميع النسخ.

(٥) الحديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم في فضائل عائشة والنسائي في عشرة النساء والترمذي في فضل عائشة برقم ٣٨٧٤.

وعنه عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسَل فجاءه جبريل عليه السلام فقال : أوَ قد وضعتم السلاح ؟ ما وضعنا أسلحتنا بعدُ ، انهدْ إلى بنى قريظة . فقالت عائشة : كأنى أنظر إلى جبريل عليه السلام مِن خلَل الباب قد عصَب رأسَه الغبارُ .

وعن أبى سلمة قال : قالت عائشة : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم واضعاً يديه على مَعْرَفة[1] فرس دحية الكلبى وهو يكلمه قالت : فقلت : يا رسول الله رأيتك واضعاً يدك على معرفة فرس دحية الكلبى وأنت تكلمه . قال : أوَ رأيتِهِ ؟ قلت نعم . قال : ذاك جبريل وهو يُقرئُك السلام . قالت : وعليه السلام جزاه الله من صاحبٍ ودخيلٍ خيراً فنعْم الصاحب ونعم الدّخيل .

قال سفيان : الدخيل : الضيف .

وعن القاسم عن عائشة قالت : وثب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبةً شديدة فنظرتُ فإذا رجل معه واقف على برذَوْن وعليه عِمامة بيضاء طرَفها بين كتفيه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضعٌ يده على معرفة برذونه . فقلت : يا رسول الله لقدْ راعتنى وثبتك ، من

---

(١) موضع العرف من الفرس ، وهو شعر العنق .

هذا ؟قال : أرأيتهِ؟ قلت نعم .قال : ومَن رأيتِ؟ قلت: دحْية بن خليفة الـكلبي قال : ذلك جبريل عليه السلام .

حديث الافك

عن الزهرى قال : أخبرنى سعيد بن المسيّب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ، حين قال : [لها] الإفك ما قالوا فبرّأها الله عز وجل . وكلُّهم حدثني بطائفة من حديثها وبعضُهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثْبتَ اقتصاصاً[1] . وقد وعيتُ عن كل واحد منهم الحديث الذى حدثنى وبعض حديثهم يصدّق بعضاً .

ذكروا ان عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أراد أن يخرج سفرا[2] أقرع بين نسائه فأيّتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه .

قالت عائشة : فأقرع بيننا فى غزاةٍ غزاها فخرج فيها سهمى ، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعد ما أنزل الحجاب. فأنا أحمل فى هودجى وأنزل فيه مسيرَنا . حتى إذا فرغ رسول الله

---

(١) أى تتبعاً للقصة .

(٢) وتقدير ذلك « الى سفر » ، اي انه منصوب بنزع الخافض .

صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنَوْنا من المدينة أَذِّن ليلةً بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرَّحْل فلمست صدرى فإذا عقْد من جَزْع ظَفارٍ[1] قد انقطع فرجعت فالتمست عِقدى فحبسنى ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بهودجى فحملوا هودجى فرحَلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون أني فيه .

قالت : وكانت النساء إذ ذاك خِفافاً لم يُهبَّلن[2] ولم يَغْشَهُنَّ اللحمُ، إنما يأكلن العُلْقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل[3] الهودج حين رحلوه فرفعوه . وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عِقدى بعد ما استمر الجيش . فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب. فتيممت منزلى الذى كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونى فيرجعون إلى . فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطَّل السُلَمى ثم الذكوانى قد عرّس من وراء الجيش (وأدلج فأصبح عند منزلى) فرأى سواد إنسان نائم فأتانى فعرفني

(١) الجزع : الخرز . وظفار على زنة قطام : مدينة لحمير باليمن : ويروى : اظفار والصحيح الاول . وجزع ظفار خرز معروف في سواده بياض كالعروق .

(١) لم يصبن بالسمنة .

(٢) كذا فى جميع الأصول . وفى صحيح البخارى : خفة .

حين رآني وقد كان يراني قبل أن يُضرب الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي . والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ،حتى أناخ راحلته فوطىء على يديها فركبتُها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلَك من هلَك في شأني.

وكان الذي تولى كِبْرَه عبد الله بن أبيّ بن سَلول . فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمتها شهراً والناس يُفيضون في قول أهل الافك ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي أني لاأعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول : كيف تِيكم؟ فذلك يريبني ولا أشعر بالشر ، حتى خرجت بعد ما نقهت وخرجتْ معي أم مسطح قِبَلَ المناصع وهو متبَّرزنا ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن تتخذ الكُنُف قريباً من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه . وكنا نتأذى بالكُنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقتُ أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهْم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب .

فأقبلتُ أنا وبنت أبي رهم قِبَل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرتْ أم مسطح في مرطها فقالت : تعِس مسطح . فقلت لها : بئس ماقلت ،

تسبّين رجلاً قد شهد بدراً ؟ فقالت : أيْ هَنَتاه[١] أو لم تسمعي ماقال؟ قلت : وما ذاك ؟ قالت : فأخبرتْني بقول أهل الافك . فازددت مرضاً إلى مرضى فاما رجعت إلى بيتى دَخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلّم ثم قال : كيف تيكم؟ قلت: أتأذن لى أن آتى أبوىّ؟

قالت : وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قِبلهما . فأذِن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبوىّ فقلت لأمى: ياأمتّاه ما يتحدث الناس؟ فقالت : أىْ بُنيّة هوّنى عليك ، فوالله لقلَّما كانت امرأة قط حظية عند زوجها[٢] ولها ضرائر إلا أكثرْنَ عليها القول. قالت : قلت: أىْ سبحان الله ، وَقَدْ تحدّث الناس بهذا ؟

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا ترقأ لى دمعة، ولا أكتحل بنوم . ثم أصبحت أبكى .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي[٣] يستشيرهما في فراق أهله قالت : فأما أسامة ابن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى يعلم من براءة

---

(١) كلمة تقال فى خطاب الأنثى . وفيها لغات أخرى . والهن : كناية عن كل اسم جنس ، ومعناه شىء (أقرب الموارد) .

(٢) ط : وضيئة عند رجل .

(٣) أبطأ .

أهله وبالذي يعلم فى نفسه لهم من الودّ . فقال ؟ يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أهلك ولا أعلم إلا خيراً . وأما على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال : لن يضيّق الله عليك والنساء سِواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصْدُقك .

قالت : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بَرِيرة فقال : أىْ بَرِيرة ، هل رأيتِ من شيء يَريبك من عائشة ؟ قالت له بريرة : والذى بعثك بالحق نبياً إن رأيت[1] عليها أمراً قط أغمصه عليها[2] أكثر من أنها جارية حديثه السن تنام عن عجين أهلها فيأتى الداجن فيأكله .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر من عبد الله بن أُبىّ بن سلول فقال وهو على المنبر : يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهل بيتى ؟ فو الله ما علمت على أهلى إلا خيراً . ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلى إلا معى .

فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال : أنا أعذرك منه يا رسول الله ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا فقبلنا أمرك . قالت : فقام سعد بن عُبادة وهو سيد الخزرج وكان

---

(١) أى : ما رأيت .

(٢) أى أعيبه عليها .

رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمّية فقال لسعد بن معاذ : لعمرك لا تقتله ولا تقدر على قتله .

فقام أُسيد بن حُضير وهو ابن عم سعد بن عبادة : كذبت ، والله لنقتلنه . فإنك منافق تجادل عن المنافقين . فثار الحيّان الأوسُ والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا (وسكتَ) .

قالت عائشة رضي الله عنها وبكَيتُ يومي ذلك لا ترْقأُ لي دمعة ولا أكتحل بنوم . ثم بكيت ليلتي المقبلة لا ترْ قأُ لي دمعة ولا أكتحل بنوم ، وأبواي يظنان أن البكاء فالقٌ كبدي . قالت : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكى استأذنتْ على امرأة من الأنصار ، فأذنتُ لها فجلست تبكى معي . فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلم ثم جلس عندي . قالت ولم يجلس عندي منذ قيل لي فيّ ما قيل ، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه فى شأنى شيء . قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال : أما بعد ياعائشة فإنه (قد) بلغنى عنك كذا وكذا فإن كنتِ بريئة فسيبرّئك الله عز وجل ، وإن كنت هممتِ أو لممتِ بذنبٍ فاستغفري الله عزوجل وتوبى إليه فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه .

قالت : فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلُص دمعى حتى ما أُحِسّ منه قطرة . فقلت لأبى : أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ .فقلت لأمى : أجيبي عنى رسول الله فقلت : والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ ؟ فقالت عائشة : وأناجارية حديثة السن لاأقرأ كثيراًمن القرآن بلى إنى والله قد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر فى أنفسكم وصدقتمْ بِهِ ولئن قلت لكم إنى بريئة والله عز وجل يعلم انى بريئة لا تصدقونى وإن اعترفت لكم بأمرٍ واللهُ يعلم أنى منه بريئة تصدّقونى وإنى والله لا أجدلى ولكم مَثلا إلا كما قال أبو يوسف « فَصبرٌ جميلٌ واللهُ المستَعانُ على ما تَصِفون »(١).

قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشي . قالت:وأنا والله حينئذ أعلم أنى بريئة وأن الله عز وجل مبرئى ببراءتى ، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل فى شأنى وحى يُتلى ولَشأنى كان أحقر فى نفسى من أنْ يتكلم الله عز وجل فىَّ بأمرٍ يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله عز وجل بها . قالت : فوالله مارام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه ، فأخذه ما كان (يأخذه)

---

(١) يوسف ١٨ .

من البُرَحاء عند الوحى حتى إنه كان ليتحدر منه مثل الجُمان من العَرق فى اليوم الشاتى من ثقل القول الذى أنزل عليه . قالت : فلما سُرّى عنه يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشرى ياعائشة اما إن الله تعالى قد برأك . فقالت لى أمى : قومى إليه فقلت : والله لاأقوم إليه ولا أحمد إلا الله تعالى وهو الذى أنزل براءتى فانزل الله تعالى (إن الذين جاؤا بالافك عصبة منكم[1] العشر الآيات[2] ... **فأنزل الله تعالى هذه الآيات براءتي .**

فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره فقال والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً إن شاء الله تعالى بعد الذى قال فى عائشة ماقال . فأنزل الله تعالى : « ولا يأتَل أُولوا الفضْلِ منكم والسّعةِ أن يؤتوا أولى القربى» إلى قوله « ألا تحبّون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » . فقال أبو بكر الصديق إنى لأ حبُّ أن يغفر الله عز وجل لي . فرجَع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال لاأنزعها منه أبداً .

قالت عائشة : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمرى ماعلمت أو مارأيتِ أوما بلغكِ ؟ قالت : يارسول الله صلى الله عليك أحمى سمعى وبصرى ، والله ماعلمت إلا خيراً .

---

(١) النور ١١ .

(٢) في الاصل سبع عشرة آية ، وما ذكرناه موافق لما في صحيحي البخاري ومسلم .

قالت عائشة :وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله تعالى عني بالورع وطفقت أختها حَمْنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك .

قال ابن شهاب : فهذا ماانتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط . (أخرجاه في الصحيحين)[١] .

ذكر نبذة من كرمها وزهدها رضي الله عنها

عن عطاء قال: بعث معاوية إلى عائشة بطوق من ذهب فيه جوهر قوّم مائة ألف فقسمته بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن أم ذرة وكانت تغشى عائشة قالت بعث إليها ابن الزبير بمال في غِرارتين[٢] قالت : أراه ثمانين ومائة ألف ، فدعَت بطبق وهي يومئذ صائمة فجلست تقسمه بين الناس فأمست وما عندها من ذلك درهم . فلما أمست قالت : ياجارية هلمّي[٣] فِطْري . فجاءتها بخبز وزيت ، فقالت لها أم ذرة أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم

---

(١) الحديث صحيح اخرجه البخاري في تفسير سورة النور ، ومسلم في التوبة باب حديث الافك ، والترمذي في تفسير سورة النور برقم ٣١٧٩ .

(٢) الغرارة : ما يشبه الجوالق .

(٣) احضري وهاتي .

لمَّا نفطر عليه ؟ فقالت (لها) لا تعنّفيني لو (كنت) ذكرتني لفعلت.

وعن عروة قال : لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفاً وهي ترقع درعها .

ذكر نبذة من خوفها من الله تعالى

عن مالك بن الطفيل أن عائشة رضي الله عنها حدثت أن عبد الله ابن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة : والله لتنتهينّ أو لأحجرنّ عليها . فقالت : أهو قال هذا ؟ قالوا : نعم قالت هو لله على نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً . فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة فقالت : والله لا أشفع فيه أبداً ولا أتحنث إلى نذرى أبداً فلما طال ذلك على ابن الزبير كلّم المسور بن مخرمة وعبد الله[1] بن الاسود بن عبد يغوث وهما من بني زُهرة بن كلاب وقال لهما أنشدكما الله إلاما أدخلتماني على عائشة فإنها لا يحلّ أن تنذر قطيعتي .

فأقبل به المسور بن مخرمة وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة رضي الله عنها فقالا : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أندخل ؟ قالت عائشة : ادخلو . قالوا : كلنا ؟ قالت عائشة : نعم ادخلوا كلكم،ولا تعلم أن معهما ابن الزبير فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة وطفق يقبل رأسها[2] ويبكى . وطفق المسور

---

(١) ط : عبد الرحمن .

(٢) ط : يناشدها .

وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبلت منه ، ويقولان لها : إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عما قد علمت من الهجرة فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام أو ليال. فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكى وتقول لهما إنى نذرت والنذر شديد فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت فى نذرها ذلك أربعين رقبة وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل بدموعها خمارها . (انفرد بإخراجه البخارى)[1].

ذكر تعبدها واجتهادها رضى الله عنها

عن عروة عن أبيه أن عائشة رضى الله عنها كانت تسرد الصوم .

وعن القاسم أن عائشة كانت تصوم الدهر ولا تفطر إلا يوم أضحى أو (يوم) فطر .

وعنه قال : كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها . فغدوت يوماً فإذا هى قائمة تسبح وتقرأ : «فمنّ اللهُ علينا ووقانا عذابَ السَّموم»[2] وتدعو وتبكى وتردّدها . فقمت حتى مللت القيام فذهبت إلى السوق لحاجتى ثم رجعت فإذا هى قائمة كما هى ، تصلى وتبكى .

---

(١) الحديث اخرجه البخاري في الادب باب الهجرة وقول النبي : لا يحل لمسلم .

(٢) الطور ٢٧ .

ذكر طرف من مواعظها وكلامها

عن عامر قال : كتبت عائشة إلى معاوية : أما بعد فإن العبد إذا عمل بمعصية الله عز وجل عاد حامده من الناس ذاماً .

وعن إبراهيم عن عائشة رضى الله عنها قالت : إنكم لن تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب فمن سرّه أن يسبق الدائب المجتهد فليكفّ نفسه عن (كثرة) الذنوب .

ذكر غزارة علمها رضى الله عنها

عن أبى موسى الأشعرى قال : ما أشكل علينا أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علماً .

وعن مسروق قال : نحلف بالله لقد رأينا الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عائشة عن الفرائض .

وعن عروة عن أبيه قال : ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة رضى الله عنها .

وعن هشام بن عروة قال : كان عروة يقول لعائشة : يا أمتّا لا أعجب من فقهك ، أقول زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبى بكر ،

ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام العرب . أقول ابنة أبي بكر ، وكان أعلم الناس أو من أعلم الناس ، لكن أعجب من علمك بالطب . قال : فضربت على منكبه وقالت : أي عروة إن رسول الله ﷺ كان بسقم عند آخر عمره أو في آخر عمره ، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات فكنت أعالجها فمن ثَمّ .

وعن سفيان بن عيينه قال : قال الزهرى : لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وجميع النساء كان علم عائشة رضي الله عنها أكثر .

ذكر فصاحتها رضي الله عنها

عن هشام بن عروة ، لا أدرى ذكره عن أبيه أم لا (الشك من أبي يعقوب) قال : بلغ عائشة رضي الله عنها أن أقواماً يتناولون من أبي بكر رضي الله عنه فأرسلت إلى أزْفَلَة منهم . فلما حضروا سَدلت أستارها ثم دَنت فحمدت الله تعالى وصلّت على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعذلتْ وقرعت . ثم قالت :

أبي وما أَبِيَهْ ؟ أبي والله لا تَعطُوه الأيدى ، ذاك طَوْدٌ مُنيف وفَرْع مديد ، هيهات كذبت الظنون أنجحَ إذْ أكدَيتمُ وسبقَ إذْ ونَيْتمُ سَبْقَ الجوادِ إذا استولى على الأمد . فتى قريش ناشئاً وكهفُها كهلاً ، يفكّ عانيها ويريش مُمْلِقَها ويرأب شَعْبها حتى حَلِيَتْه قلوبها ، ثم استشرى

فى الله تعالى فما برحت شكيمته فى ذات الله تعالى حتى اتخذ بفنائه مسجداً يحيي فيه ما أمات المبطلون . وكان رحمه الله غزير الدمعة وقيذَ الجوارح شجيّ النشيج فانقصفَتْ[1] إليه نسوان مكة وولدانها يَسخَرون منه ويستهزئون به «اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُم فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ[2]» فأكبرت ذلك رجالات قريش فحَنَتْ له قسيها، وفوّقتْ له سهامها وانْتَثَلُوه غَرَضاً فما فلّوا له صَفاةً ولا قصَفوا له قناةً ومرّ على سِيسائه حتى إذا ضرَب الدين بجرانه ألقى بَرْكَه ورسَتْ أوتادُه، ودخل الناس فيه أفواجاً، ومن كل فرقة أرسالاً وأشتاتاً . اختار الله (عز وجل) لنبيه ﷺ ما عنده ، فلما قُبض ﷺ نصب الشيطان رواقه ومدّ طُنُبه ونصَب حبائله وظنّ رجال أن قد تحققت أطماعهم، ولات حين مناص ، وأنى الصدّيق بين أظهرُهم ، فقام حاسراً مشمّراً، فجمع حاشيته ورفع قطريه فردّ نشر الاسلام على غَربه، ولمّ شعثه بطيّه وأقام أوده بثِقافه ، فانْدفَر النفاق بوطأته[3] وانتاش الدّين فنعَشه ، فلما أراح الحق إلى أهله وقرّر[4] الرؤوس على كواهلها وحقن الدماء فى أُهَبها، أتته منيته فسد ثلمته بنظيره فى المرحمة وشقيقه في السيرة والمعدلة. ذاك عمر بن الخطاب، لله أمّ حمَلت به ودرّت عليه لقد أوحدت به ففنَخَ الكفرة ودّيخها ، وشرّد الشِرْكَ

---

(١) اندفعت وتتابعت . وفى الغائق : « فانصفقت » أى فأقبلت وفى ط : « فانقضت » تحريف .

(٢) البقرة ١٥ .

(٣) ق : فاندق قون النفاق بمطائه . (٤) ط : وأقر .

شَذَرَ مذَرَ وبعج الأرض وبخعها فقاءت أكلها ولفظت خبيئها ترأمه ويصدف عنها ، وتصدَّى له ويأباها (ثم) ورع فيها وودعها كما صحبها فأرونى ما تريبون وأى يوم تنقمون ؟ أيوم إقامته إذْ عدل فيكم أم يوم ظعنه فقد نظر لكم ؟ أستغفر الله العظيم لى ولكم - وقد روى هذا الحديث جعفر بن عون عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها .

تفسير كلمات غريبة فيه

الأزْفَلة : الجماعة ، وتعطوه : تناوله ، والطَّوْد : الجبل ، والمنيف : المشرف ، وأكديتم : خبتم ويئس من خيركم — ووَنيتم : فترتم ، والأمد : الغاية ، والمملق : الفقير — ويرأب : يجمع ، والشعب : المتفرق ، واستشرى : احتدّ ، والشكيمة : الأنفة والحميّة ، والوقيذ : العليل ، والجوارح : معروفة وفى رواية :الجوانح .وهي الضلوع القصار التى تقرب من الفؤاد ، والشجىّ الحزين ، والنشيج صوت البكاء ، وانتثلوه : مأخوذ من النّثالة وهى الجَعْبة[1] وفلّوا : كسروا ، والصَّفاة الصخرة الملساء ، وقولها : على سيسائه : أى على شده ، والجران : الصّدر وهو البَرْك ، ومعنى فرفع حاشيته وجمع قطريه[2] تحزّم للأمر

(١) الجعبة (بفتح الجيم) : كنانة النشاب .

(٢) كذا فى جميع النسخ والذى تقدم : « فجمع حاشية ورفع »

وتأهب . والقُطر : الناحية ، فرد نشرَ الإسلام على غربه[١] كذا وقع في الرواية والصواب على غَرِّه أي على طيّه[٢] والأوَد العِوج، والثِقاف تقويم الرماح وغيرها ، واندفر تفرّق ، وانتاش الدّين أى أزال عنه ما يُخاف عليه ، ونَعَشَهُ رفعه ، فَنَخَ الكفرةَ أي أذّلها ، ودَيَّخها: أى دوّخها — وفي رواية : ذنّخها ، بالنون ، أى صغّرها ، شذَرَ (مذَر) أى تفريقاً ، وبعج الأرض أى شقّها ، و كذلك بَخعها ، وترْأَمُهُ ، أى تعطف عليه ، وتصدّى له : تعرّض .

* * *

وعن الأحنف بن قيس قال : سمعت خطبة أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ، فما سمعت الكلام مِن فى مخلوق أحسن ولا أفخم من فى عائشةَ رحمة الله عليهم اجمعين[٣] .

وعن سفيان قال : سأل معاوية زياداً : أيّ الناس أبلغ ؟ قال : أنت ياأمير المؤمنين . قال : أعزم عليك . قال : إذا عزمتَ على فعائشة . فقال معاوية : مافتحت باباً قط تريد أن تغلقه إلا أغلقته ولا أغلقت باباً قط تريد أن تفتحه إلاّ فتحته .

---

(١) ق : شرق الإسلام على غرب .

(٢) الغرّ (بفتح الغين) : كل كسر مُتثنٍ فى ثوب أو جلد ، يقال: طويت الثوب على غرّه ، أى كسره الأول . فى غُرور .

(٣) ط : رضى الله عنها .

ذكر وفاة عائشة رضى الله عنها

عن ذكوان حاجب عائشة أنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة فجئت وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن فقلت: هذا ابن عباس يستأذن. فأكب عليها ابن أخيها عبد الله فقال: هذا ابن عباس. فقالت: دعنى من ابن عباس. فقال لها: ياأماه إن ابن عباس من صالحى بنيك يسلم عليك ويودعك. فقالت: ائذن له إن شئت. فادخلتهُ (فلما دخل)[١] قال أبشرى فما بينك وبين أن تلقَىْ محمداً صلى الله عليه وسلم والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد. كنتِ أحبَّ نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن رسول الله ﷺ يحبّ إلا طيبّاً وسقطتْ قلادتك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله ﷺ حتى تصبح فى المنزل وأصبح الناس ليس معهم ماء فأنزل الله عز وجل: «فتيمّموا صعيداً[٢]» فكان هذا من سببك[٣] وما أنزل الله عز وجل لهذه الأمة من الرخصة، وأنزل الله عز وجل براءتك من فوق سبع سموات جاء به الروح الأمين فأصبح ليس مسجدٌ من مساجد الله عز وجل يُذكر فيه الله إلا تُتلى فيه آناء الليل وآناء النهار.

---

(١) قط: جلس.

(٢) النساء ٤٣ والمائدة ٦.

(٣) قط: فكان ذلك فى سبيلك.

فقالت : دعني منك يا ابن عبـاس ، فو الذى نفسى بيده لوددت أنى كنت نسياً منسيّاً .

قال الواقدى : توفيت عائشة رضى الله عنها ليلة الثلاثاء لسبع عشرة من رمضان سنة ثمانٍ وخمسين وهى ابنة ستٍ وستين سنة .

وقال غيره : توفّيت سنة سبع وخمسين وأوصت أن تُدفَن بالبقيع مع صواحباتها ، وصلّى عليها أبو هريرة ، وكان خليفةَ مروان بالمدينة .

وعن هشام بن عـروة قال : مات أبو هريرة وعائشة سنـة سبعٍ وخمسين .

٢٨ — حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما

كانت عند خُنيس بن حُذافة السهمى ، وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها بعد الهجرة مقْدَمَ النبى ﷺ من بدر . فخلف عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

وعن ابن عمر ، عن عمر بن الخطاب قال : تأيَّمتْ حفصة بنت عمر من خنيس بن حذيفة أو حذافة (شكّ عبد الرزاق) وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدراً فتوفى بالمدينة .

قال عمر : فلقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقلت : إن

شئت أنكحتُك حفصة . فقال : سأنظر في ذلك . فلبثتُ ليالى ، فلقينى فقال : ما أريد أن أتزوج يومى هذا . قال عمر فلقيتُ أبا بكر فقلت إن شئت أنكحتُك حفصة . فلم يرجع إلى شيئاً فكنت أوجَد عليه منى على عثمان . فلبثت ليالىَ فخطبها إلى رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه فلقينى أبو بكر فقال : لعلك وجدت على حين عرضتَ علىّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً ؟ قال : قلت نعم . قال : فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك شيئاً حين عرضتَها على إلا أنى سمعت رسول الله ﷺ يذكرها ولم أكن لأفشى سرّ رسول الله ﷺ ولو تركَها لنكحتُها (انفرد باخراجه البخارى)[1].

وعن قيس بن زيد أن النبي ﷺ طلّق حفصة بنت عمر فدخل عليها خالاها قُدامة وعثمان ابنا مظعون ، فبكتْ وقالت : والله ماطلّقنى عن شِبَع ، وجاء النبي ﷺ فتجلْببت . قال : فقال لى جبرئيل عليه السلام : راجع حفصة فإنها صوّامة قوّامة وإنها زوجتك فى الجنة[2].

عن عمار بن ياسر قال : أراد رسول الله ﷺ أن يطلّق حفصة فجاء جبريل عليه السلام فقال : لا تطلّقها فإنها صوّامة قوّامة وإنها زوجتك في الجنة[3].

(١) اخرجه البخاري في النكاح باب عرض الانسان ابنته او اخته على اهل الخير ، والنسائي ٨٣/٦ .

(٢) الحديث صحيح اخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، مجمع الزوائد ٢٤٥/٩ .

(٣) الحديث ضعيف ، اخرجه البزار والطبراني . وفي اسناده الحسن بن ابي جعفر وهو ضعيف ، كما في مجمع الزوائد ٢٤٤/٩ .

قال الواقدى : توفيت حفصة فى شعبان سنة خمس وأربعين فى خلافة معاوية وهى ابنة ستين سنة . وقيل : ماتت فى خلافة عثمان بالمدينة .

١٢٩ — أم سلمة واسمها هند بنت أبى أمية ، واسمه سهيل

ويقال له زاد الرّكب بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانت عند أبى سلمة بن عبد الأسد فهاجر بها إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً . ومات أبو سلمة سنة أربع من الهجرة فتزوجها رسول الله ﷺ .

عن ابن أم سلمة أن أبا سلمة جاء إلى أم سلمة فقال : لقد سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً أحبّ إلى من كذا وكذا لا أدرى ما عدل به . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يصيب أحداً مصيبة فيسترجع عند ذلك ويقول اللهم عندك أحتسب مصيبتى هذه ، اللهم اخلفنى فيها خيراً منها ، إلا أعطاه الله عز وجل.»[١]

قالت أم سلمة : فلما أُصِبت بأبى سلمة قلت : اللهم عندك أحتسب مصيبتى هذه . ولم تطب نفسى أن أقول : اللهم اخلفنى فيها بخير منها . ثم قالت مَن خير من أبى سلمة أليس أليس[٢] ؟ ثم قالت ذلك .

فلما انقضت عِدّتها أرسل إليها أبو بكر يخطبها فأبت . ثم أرسل

---

(١) اخرجه ابو داود وابن ماجة في الجنائز ، والترمذي في الدعوات برقم ٣٥٠٦ والامام احمد ٢٧/٤ و ٣١٣/٦ .

(٢) ق : اليسر اليسر .

إليها عمر يخطبها فأبت. ثم أرسل إليها رسول الله ﷺ يخطبها فقالت: مرحباً برسول الله ﷺ ، إن فيّ خِلالاً ثلاثاً : امرأة شديدة الغيرة ، وأنا امرأة مُصْبية[1] وأنا امرأة ليس لي ها هنا أحد من أوليائي فيزوجني .

فغضب عمر لرسول الله ﷺ أشد مما غضب لنفسه حين ردّته . فأتاها عمر فقال : أنت التي تردّين رسول الله ﷺ : بما تردّينه ؟ فقالت : يابْنَ الخطاب لي[2] كذا وكذا .

فأتاها رسول الله ﷺ فقال : « أمّا ما ذكرت من غَيرتك فأني أدعو الله عز وجل أن يُذهبها عنك : وأما ما ذكرت من صِبْيَتك فان الله عز وجل سيكفيكهم . وأما ما ذكرتِ من أنه ليس من أوليائك أحد شاهد فليس من أوليائك أحد شاهد ولا غائب يكرهني »[3] . وقال لأبنها : زوّج رسول الله ﷺ فزوّجه . فقال رسول الله ﷺ : أما إني لم أنقصكِ مما أعطيت فلانة .

قال ثابت : قلت لابن أم سلمة : ماأعطى فلانة ؟ قال : أعطاها جرّتين تضع فيهما حاجتها ، ورحىً ووسادة من أدم حشْوها ليف .

ثم انصرف رسول الله ﷺ . ثم أقبل رسول الله ﷺ بابْنِها[4] .

---

(١) ذات صبيان .
(٢) ط : بي .
(٣) اخرجه النسائي في النكاح ٦/٨١ واحمد ٦/٤٣ .
(٤) ط : « يأتيها » تحريف .

فلما رأته وضعت زينب أصغر ولدها فى حُجرها فلما رآها انصرف وأقبل رسول الله ﷺ بابنتها[1] . فوضعتها فى حُجرها وأقبل عمار مسرعاً بين يدى رسول الله ﷺ فانتزعها من حُجرها وقال : هاتى هذه المشقوحة[2] التي قد منعت رسول الله ﷺ حاجته . فجاء رسول الله ﷺ فلما لم يرها فى حُجرها قال : أين زناب قالت : أخذها عمار . فدخل رسول الله ﷺ على أهله .

قال : وكانت فى النساء كأنها ليست فيهن لاتجد مايجدْن من الغيرة .

توفيت أم سلمة فى سنة تسع وخمسين ، وقيل سنة اثنتين وستين. وقُبرت بالبقيع وهي ابنة أربع وثمانين سنة رضى الله عنها.

١٣٠ — أم حبيبة واسمها رملة

بنت أبى سفيان بن حرب . كانت عند عبيدالله بن جحش وهاجر بها إلى الحبشة فى الهجرة الثانية ثم ارتدّ عن الاسلام وتنصر ومات هنالك . وثبتت أم حبيبة على دينها فبعث رسول الله ﷺ عمرو ابن أمية الضمرى إلى النجاشي ملك الحبشة ليخطبها عليه فزوّجها إياه وأصدق عنه النجاشي أربعمائة دينار وبعث بها مع شُرَحبيل بن حسنة .

---

(١) ط : « يأتيها » تحريف .

(٢) يعنى ابنتها زينب . والمشقوح : المكسور أو المبعد .

وقيل وكّلت خالد بن سعيد بن العاص فزوجها وذلك فى سنة سبع من الهجرة .

سعيد بن العاص قال : قالت أم حبيبة : رأيت فى النوم كأن عبيدالله ابن جحش زوجى بأسوإ صورةٍ وأشْوَهِه . ففزعتُ فقلت : تغيّرتْ واللهِ حالُه . فاذا هو يقول حين أصبح : يا أم حبيبة إنى نظرت فى الدّين فلم أرَ دِيناً خيراً من النصرانية ، وكنت قد دِنْتُ بها ثم دخلتُ فى دين محمد ، ثم رجعت فى النصرانية .

فقلت : والله ما خيرٌ لكَ . وأخبرتُه بالرؤيا التى رأيتها فلم يحفل بها وأكبّ على الخمر حتى مات : فأَرىٰ فى النوم كأن آتياً[1] يقول : يا أم المؤمنين ففزعت فأوّلتها أن رسول الله ﷺ يتزوجنى .

قالت : فما هو إلا أن قد انقضت عِدّتى فما شعرت إلا برسول النجاشى على بابى يستأذن . فاذا جارية له يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فدخلت على فقالت : إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إلى أن أزوّجه فقالت بشَّرك الله بخير . قالت : يقول لك الملك وكّلى من يزوّجك .

فأرسلتْ إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكّلتْه وأعطتْ أبرهة

---

(١) صف : « قائلا » بدل « آتياً » .

سوارين من فضة وخَدَمتَيْن(١) كانتا فى رجليها وخواتيم فضة كانت فى أصابع رجليها سروراً بما بشّرتها .

فلما كان العَشِيّ أمر النجاشى جعفر بن أبى طالب ومَن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشى فقال :

الحمد لله الملكِ القُدّوسِ السّلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنه الذى بشّر به عيسى ابن مريم صلى الله عليهما وسلم .

أما بعد فإن رسول الله ﷺ كتب إلىّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقدَ أصدقْتها أربعمائة دينار .

ثم سكب الدنانير بين يدى القوم فتكلم خالد بن سعيد فقال :

الحمد لله أحمد وأستعينه وأستنصره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون — أما بعد أجبتُ إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوّجتُه أم حبيبة بنت أبى سفيان فبارك الله لرسول الله ﷺ .

ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها . ثم أرادوا أن

(١) الخدمة : الخلخال .

يقوموا فقال : اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعامٌ على التزويج . فدعا بطعام وأكلوا ثم تفرقوا .

قالت أم حبيبة . فلما وصل إلىَّ المال أرسلت إلى ابرهة التى بشّرتْنى فقلت لها : إنى كنت أعطيتك ما أعطيتكِ يومئذ ولا مال بيدى فهذه خمسون مثقالاً فخُذيها فاستعينى بها . فأبتْ وأخرجت حُقّاً فه كل ما كنتُ أعطيتها فردّته على وقالت : عزم على الملك أن لا أرزأك شيئاً وأنا التى أقوم على ثيابه ودهنه وقد اتبعت دين محمد رسول الله ﷺ وأسلمت لله عز وجل وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر .

قالت : فلما كان الغد جاءتنى بعود ووَرْس وعنبر وزَبادٍ كثير(١) فقدمتُ بذلك كله على رسول الله ﷺ فكان يراه على وعندى فلا يُنكره . ثم قالت أبرهة : فحاجتي إليكِ أن تَقرئى على رسول الله ﷺ منى السلام وتُعلميه أنى قد اتبّعت دينه . قالت : ثم لطفت بى وكانت التى جهّزتنى، وكانت كلما دخلتْ على تقول لا تنسَىْ حاجتي إليك .

قالت : فلما قدمت علي رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت بى أبرهة فتبسم وأقرأتهُ منها السلام فقال : وعليها السلام ورحمة الله وبركاته .

---

(١) الزَّباد (بفتح الزاي وتخفيف الباء) : مادة عطرة تخرج في جيبٍ تحت ذيل حيوان الزباد بين الدبر والمبال ، وحيوان الزباد من فصيلة السنور وبحجمه .

قال الزهرى : لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ ، وهو يريد غزْوَ مكة ، فكلّمه أن يزيد فى هدنة الحديبية فلم يُقبل عليه رسول الله ﷺ فقام ودخل على ابنته أم حبيبة فما ذهب ليجلس على فراش النبى ﷺ طوَتْه دونه فقال : يابنيّة أرغبتِ بهذا الفراش عنى أم بى عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجَسٌ مشْرك . فقال : يا بُنيّة لقد أصابك بعدى شرّ .

قالت عائشة رضى الله عنها : دعتْنى أم حبيبة عند موتها فقالت : قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فغفر الله لى ولك ما كان من ذلك . فقلت: غفر الله لك ذلك كلّه وتجاوز وحلّك من ذلك كله. فقالت : سررْتِنى سرّك الله . وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك .

وتوفيت سنة أربع وأربعين فى خلافة معاوية .

١٣١ — زينب بنت جحش بن رئاب

أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله ﷺ زوجها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فلما طلقها زيد بن حارثة تزوجها رسول الله ﷺ فى سنة خمس من الهجرة وكانت من المهاجرات .

عن أنس قال: لما انقضت عِدّة زينب بنت جحش قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة : اذهب فأذكرنى لها . فلما قال ذلك عظمتْ فى نفسى فذهبت إليها فجعلت ظهرى إلى الباب فقلت : يازينب بعثنى إليك

رسول الله ﷺ يذكرك . فقالت ما كنت لأحدث شيئاً حتى أوامر ربى عز وجل . فقامت إلى مسجد لها فأنزل الله عز وجل هذه الآية « فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوّجناكها [1] » فجاء رسول الله ﷺ فدخل بغير إذن (أخرجه مسلم [2]) .

وقد أخرج البخارى من حديث أنس أن زينب كانت تفخر على أزواج النبى ﷺ وتقول : زوجكُن أهاليكنّ وزوّجنى الله عز وجل من فوق سبع سموات [3] .

وعنه قال : كانت زينب بنت جحش تفخر على نساء النبى ﷺ ، تقول إن الله عز وجل أنكحنى من السماء — وأطعم النبى ﷺ يومئذ عليها خبزاً ولحماً — قال ، وكان القوم جلوساً فى البيت فخرج النبى ﷺ فلبث هُنَيَّةً [4] ، فرجع والقوم جلوس فشق ذلك عليه وعرفتُ ذلك وجهه فنزلت آية الحجاب .

قلت نزول آية الحجاب فى قصة زينب فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك الأنصارى . وفيهما من حديثه أيضاً قال : ما أولم رسول

---

(١) الأحزاب ٣٧ .

(٢) الحديث صحيح أخرجه مسلم فى كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش.

(٣) الحديث صحيح أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد باب (وكان عرشه على الماء) .

(٤) هنية : أى قليلا من الزمان وهو . تصغير هنة. ويقال : (هنيهة أيضاً) .

الله ﷺ على امرأة من نسائه أكثر وأفضل مما أولم على زينب فقال له ثابت[١] بما أوْلم ؟ قال : أطعمهم خبزاً ولحماً حتى تركوه[٢] .

وعن عائشة قالت : كانت زينب بنت جحش هي التي كانت تُساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله عز وجل بالورع ولم أر امرأة أكثر خيراً وأكثر صدقة وأوصل للرحم وأبذل لنفسها في كل شيء يُتقرب به إلى الله عز وجل من زينب (ماعدا سَوْرَةً من حِدّةٍ كانت فيها ، يوشِك منها الفِيئة)[٣] .

وعن برزةَ بنْتِ رافع قالت : لما جاء العطاء بعث عمر إلى زينب بنت جحش بالذى لها . فلما دخل عليها قالت : غفر الله لِعمر ، لغَيري من أخواتي كان أقوى على قَسْم هذا مني . قالوا : هذا كله لك . قالت : سبحان الله . واسترتْ دونه بثوب وقالت : صبّوه واطرحوا عليه ثوباً . فصبّوه وطرحوا عليه ثوباً . فقالت لى : أدخلى يدك فاقبضى منه قبضةً فاذهبي إلى آل فلان وآل فلان من أيتامها وذوى رحمها فقسّمته حتى بقيت منه بقية فقالت لها برزة : غفر الله لك ، والله

---

(١) كذا في النسخ ، والصواب : « بم » بلا ألف .

(٢) قصة الحجاب والوليمة اخرجها البخاري في النكاح باب الوليمة ، ومسلم في النكاح باب زواج زينب ، وابو داود في الاطعمة باب زواج استحباب الوليمة برقم ٣٧٤٣ .

(٣) ما بين قوسين ليس في ق . ولفظ النهاية (فيأ) : « سورة من حد تسرع منها الفيئة » قال : والفيئة : الحالة من الرجوع عن الشيء الذي يكون قد لابسه الانسان وباشره .

لقد كان لنا فى هذا حظ . قالت : فلكُم ما تحت الثوب . قالت : فرفعنا الثوب فوجدنا خمسةً وثمانين درهماً . ثم رفعت يديها فقالت : اللهم لايدركنى عطاءٌ لعمر بعد عامي هذا . قال : فماتت .

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ لأزواجه :أوّلـكنّ يتبعنى أطولـكن يداً . قالت عائشة : فـكنا إذا اجتمعنا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينافى الحائط نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش ، وكانت امرأةً قصيرة ولم تـكن أطولنا يداً . فعرفت أن النبي ﷺ أراد بطول اليد الصدَقة . وكانت امرأة صناعاً ، وكانت تعمل بيدها وتتصدق به فى سبيل الله عز وجل(١) .

توفيت زينب بنت جحش فى سنة عشرين وهى بنت ثلاث وخمسين سنة — رحمها الله —

جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار رضى الله عنها

قالت عائشة : أصاب رسولُ الله ﷺ نساء بنى المصطلق ، فوقعتْ جُوَيرية فى سهم ثابت بن قيس فـكاتَبها على تسع أواقٍ وكانت امرأة حلوةً لايـكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه . فبينا رسول الله ﷺ

(١) الحديث صحيح أخرجه البخارى فى الباب ٢٣ من كتاب الزكاة ومسلم فى فضائل زينب بنت جحش .

عندى إذ دخلتْ عليه جويرية تسأله فى كتابتها . فوالله ماهو إلا أن رأيتها فكرهتُ دخولها على النبي ﷺ عرفت أنه سيرى منها مثل الذى رأيت فقالت: يارسول الله أنا جُوَيْرِيَة بنت الحارث سيّدِ قومِهِ، وقد أصابنى من الأمر ما قد علمت ، فوقعتُ فى سهم ثابت بن قيس فكاتَبني على تسع أواقٍ فأعنّي فى كتابتى . فقال : أو خَيرٌ من ذلك ؟ فقالت: ماهو ؟ فقال : اؤدى عنك كتابتَك واتزوّجك . قالت : نعم يارسول الله . فقال : قد فعلتُ . فخرج الخبر[1] إلى الناس فقالوا : أصهارُ رسول الله ﷺ يُسترقّون : فأعتَقوا ما كان فى ايديهم من نساء بنى المصطلق فبلغ عتقهم مائةَ بيتٍ بتزويجه إياها ، فلا اعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها .

قال ابن عباس . كان اسمها بَرّة فحوّله رسول الله ﷺ فسماها جُوَيْرية ، كرِهَ أن يقال خرج من عندِ برّة .

وعن ابن عباس، عن جويرية انطلق[2] على رسول الله ﷺ غُدوةَ وأنا أسبّح . ثم انطلق لحاجته ثم رجع قريباً من نصف النهار فقال : أما زلتِ قاعدة ؟ قلتُ نعم . قال : ألا أعلّمك كلماتٍ لو عُدلن بهن لعدَلْنهنّ ولَو وُزِنّ بهن وزَنهنّ ، يعنى جميع ماسبّحت : « سبحان الله

---

(١) الخبر صحيح ، أخرجه ابن إسحق فى السيرة فى غزوة بنى المصطلق ، وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ، في ترجمة جويرية ، والنسائي في العتق باب بيع المكاتب .

(٢) ط : أتى .

عددَ خَلْقه ، ثلاث مرّات ، سبحان الله زِنَةَ عرشه ثلاث مرات ، سبحان الله رضا نفسه ثلاث مرات ، سبحان الله مدادَ كلماته ثلاث مرات » (انفرد باخراجه مسلم[1]) .

تزوج رسول الله ﷺ جويرية وهى بنت عشرين سنة ، وتوفيت سنة خمسين ، وفى رواية ست وخمسين ، وهى بنت خمس وستين رحمها الله .

١٣٣ — صفية بنت حيي بن أخطب رضى الله عنها

من سِبْط هارون بن عِمْران . سباها النبي ﷺ يوم خَيبر فاصطفاها لنفسه فأسلمت وأعتقها . وجعل عتْقَها صِداقَها . وقيل : وقعت فى سهم دِحْية الكلبي فاشتراها رسول الله ﷺ بسعبة أرْؤس .

عن جابر أن رسول الله ﷺ أتى بصَفِيّة يوم خيبر وإنه قتل أخاها وزوْجها . وقال لبلال : خُذْ بيد صفيّة فأخذ بيدها فمرّبها بين القتلى فكره ذلك رسول الله ﷺ حتي رؤى فى وجهه .

ثم قام رسول الله ﷺ فدخل عليها فنزعت شيئاً كانت عليه جالسة فألقتْه لرسول الله ﷺ ثم خيّرها بين أن يعتقها فترجع إلى مَن بقى من

---

(١) الحديث صحيح أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الذكر .

أهلها أو تُسلم فيتّخذها لنفسه . فقالت : أختارُ الله ورسوله . فلما كان عند رواحه احتقَب[1] بعيره ثم خرجت معه تمشى حتى ثنى لها ركبته على فخذه . فأجلَّتْ رسول الله ﷺ أن تضع قدمها على فخذه فوضعت ركبتها على فخذه فركبت. ثم ركب النبى ﷺ فألقى عليها كساء، ثم سارا. فقال المسلمون حجَبها رسول الله ﷺ حتى إذا كان على ستة أميال من خيبر مال يريد أن يُعْرِس بها فأبتْ صفية . فوجد النبى ﷺ عليها فى نفسه .

فلما كان بالصهباء مالَ إلى دُوْمةٍ هناك فطاوعتْه فقال لها : ماحملك على إبائك حين أردتُ المنزل الأول ؟ قالت : يارسول الله خشيت عليك قُرب يهود . فأعرس بها رسول الله ﷺ بالصهباء وبات أبو أيوب ليلته يحرس رسول الله ﷺ ، يدور حول خباء رسول الله ﷺ . فلما سمع رسول الله ﷺ الوطْء قال : من هذا ؟ قال : أنا خالد بن زيد . فقال : مالك ؟ قال : ما نمت هذه الليلة مخافة هذه الجارية عليك . فأمره رسول الله ﷺ فرجَع .

توفيت صفية سنة خمسين ، وقيل اثنتين وخمسين ، وقيل ست وثلاثين ، ودفنت بالبَقيـع .

---

(١) ق : قط : أحقب . وكلاهما بمعنى . يقال : احتقب فلاناً على ناقته : أردفه خلفه على حقيبة الرحل ، كذلك كل ما حمل من شىء من خلف .

أم شريك رضى الله عنها

واسمها غُزَيَّة بنت جابر بن حكيم الدَّوْسيّة ـ قال الأكثرون هى التى وهبت نفسها للنبى ﷺ فلم يقْبلها ، فلم تتزوّج حتى ماتت .

عن ابن عباس قال : وقع فى قلب أم شَرِيك الاسلام فأسلمتْ وهى بمكة وكانت تحت أبى العسكر الدَوْسى . ثم جعلت تدَخل على نساء قريش سرّاً فتدعوهن وترغّبهن فى الاسلام ، حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا لولا : قومكِ لفعلْنا بكِ وفَعلْنا ، لكنا سنردّك [1] إليهم .

قالت : فحملونى على بعير ليس تحى شيء ثم تركونى ثلاثاً لا يُطعمونى ولا يَسقونى ، وكانوا إذا نزلوا منزلا أو ثقونى فى الشمس واستظلّوا هم منها ، وحبسونى عن الطعام والشراب .فبيناهم قد نزلوا منزلاً وأوثقونى فى الشمس إذا أنا ببَرْدِ شىء على صدرى فتناولتُه فإذا هو دلو من ماء فشربتُ منه قليلاً ثم نُزِع منى فرُفع . . ثم عاد فتناولته فشربتُ منه ثم رُفع . ثم عاد فتناولته ثم رُفع مراراً ، ثم تُركت فشربت حتى رَويت ثم أفضتُ سائرَه على جسدى وثيابى : فاما استيقظوا إذا هم بأثر الماء ورأونى حسنة الهيئة فقالوا لى : انحللت فأخذتِ سقاءنا فشربت منه ؟ قلت : لا والله ولكنه كان من الأمر كذا وكذا . قالوا : لئن كنت

---

(١) ط : ولكنا نسيرك .

صادقةً لَدِينُك خيرٌ من ديننا . فلما نظروا إلى أسْقِيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك . وأقبلتْ إلى النبي ﷺ فوهبتْ نفسها له بغير مَهرٍ ، فقبِلها ودخل عليها .

١٣٥ — فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد المناف

أم علي بن أبي طالب عليه السلام . أسلمت وكانت صالحة . وكان رسول الله ﷺ يَزورها ويَقِيل في بيتها . ولما ماتت نزَع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه .(١)

وقال علي بن أبي طالب : قلت لأمي فاطمة بنت أسد : اكْفِي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقايةَ الماء والذهابَ في الحاجة ، وتكفيك خدمة الدّاخل والطَّحْن والعَجين .

١٣٦ — أم أيمن ، واسمها بركة

مولاة رسول الله ﷺ وحاضِنتهُ ، ورثها من أبيه فأعتقَها حين تزوّج خديجة فتزوج عُبيد بن زيد من بني الحارث فولدت له أيمن . ثم تزوّجها زيد بن حارثة بعد النبوة ، فولدت له أسامة رضي الله عنه .

عن عثمان بن القاسم قال : خرجتْ أم أيمن مهاجِرةً إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وهي ماشية ليس معها زاد، وهي صائمة في يومٍ

(١) قال في مجمع الزوائد ٢٥٧/١٠ اخرجه الطبراني في الاوسط وفيه سعدان ابن الوليد ، ولم اعرفه وبقية رجاله ثقات .

شديد الحر ، فأصابها عطَش شديد حتى كادت تموت من شدة العطش. قال : وهى بالرَوْحاء أو قريباً منها . قالت : فلما غابت الشمس إذا أنا بحفيف شيء فوق رأسى، فرفعتُ رأسى فإذا أنا بدلو من السماء مُدَلّىً برِشاءٍ أبيض.قالت : فدنامنى حتى إذا كان بحيث أستمكن منه تناولته فشربتُ منه حتى رَويت . قالت : فلقد كنت بعد ذلك فى اليوم الحارّ أطوف فى الشمس كى أعطش فما عطشتُ بعدها .

وعن أنس قال : ذهبتُ مع النبي ﷺ إلى أم أيمن نَزورها فقرّبتْ له طعاماً أو شراباً فإما كان صائماً وإما لم[1] يُرِدْه فجعلت تخاصمه أى كُلْ . فلما توفى النبي ﷺ قال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما : مُرّ بنا إلى أم أيمن نَزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها . فلما رأتهما بكتْ ، فقالا لها : ما يبكيك ؟ فقالت : ما أبكى إنى لأعلم[2] أن رسول الله ﷺ قد صار إلى خيرٍ مما كان فيه ولكن أبكى لخبر السماء انقطع عنا . فهيَّجتْهما على البكاء فجعلا يبكيان معها .

قال الواقدى : حضرت أم أيمن أُحداً وكانت تسقى الماء وتداوى الجرحى ، وشهدت خيبر . وتوفيت فى آخر خلافة عثمان رضى الله عنه .

١٣٧ — أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط

أسلمت بمكة وبايعت قبل الهجرة وهى أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وهاجرت فى هدنة الحديبية .

---

(١) قط ـ أو لم .   (٢) فى صحيح مسلم : ما أبكى أنى لا أعلم الخ .

عن ربيعة بن عثمان و قُدامة قالا : لا نعلم قُرشيّةً خرجت من بين أبويها مسْلمةً مهاجرة إلا أمَّ كلثوم . قالت : كنت أخرج إلى باديةٍ لنا فيها أهلي فأقيم بها الثلاث والأربع ، وهي ناحية التنعيم ، ثم أرجع إلى أهلي فلا ينكرون ذهابي البادية[1] . حتى أجمعت المسير فخرجت يوماً من مكة كأني أريد البادية . فلما رجع مَن تبعني إذا رجل من خزاعة قال : أين تريدين ؟ قلت مامسألتك ؟ ومن أنت ؟ قال : رجل من خزاعة . فلما ذكر خزاعة اطمأننتُ إليه لدخول خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وعقده . فقلت: إني امرأة من قريش وإني أريد اللحوق برسول الله ﷺ ولا علْم لي بالطريق. فقال : أنا صاحبكِ حتى أوردِك المدينة . ثم جاءني ببعير فركبته فكان يقودني البعير ، ولا والله مايكلّمني بكلمة . حتى إذا أناخ البعير تنحّى عني فإذا نزلتُ جاء إلى البعير فقيّده بالشجرة وتنحى إلى فَيْء شجرة ، حتى إذا كان الرّواح حَدَجَ[2] البعير فقرّبه وولّى عني فإذا اركبت أخذ برأسه فلم يلتفت وراءه حتى أنزل فلم يزل كذلك حتى قدمنا المدينة فجزاه الله من صاحب خيراً . فدخلتُ على أم سلمة وأنا متنقّبة فما عرفتْني حتى انتسبت وكشفتُ النقاب ، فالتزمتْني وقالت هاجرتِ إلى الله عز وجل وإلى رسول الله ﷺ؟ قلت نعم وأنا أخاف أن يردّني كما ردّ أبا جندلٍ وأبا بصير ، وحالُ الرجال ليس كحال النساء ، والقومُ مُصّبِحيَّ ، قد طالت غيبتي اليوم عنهم خمسة

(١) كذا في النسخ ، ولعلها : إلى البادية .

(٢) شد عليه الحمل أو الهودج

أيام منذ فارقتهم ، وهم يتحيّنون قد رما كنت أغيب، ثم يطلبوني ، فان لم يجدونى رحلوا .

فدخل رسول الله ﷺ على أم سامة فأخبرته خبر أم كلثوم فرحّب بها وسهّل . فقلت . إني فررت إليك بديني فامنعني ولا تردّني إليهم يفتنوني ويعذّبوني ، ولا صبر لى على العذاب ، إنما أنا امرأة وضَعْفُ النساء إلى ماتعرِف ، وقد رأيتك رددتَ رجلين حتى امتنع أحداهما فقال : إن الله عز وجل قد نقَض العهد فى النساء وحكم فى ذلك بحكم رضوه كلّهم[1] ، وكان يرد النساء ، فقدم أخواها الوليد وعمارة من الغد فقالا : أوْفِ لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه فقال: قد نقض الله الغد ، فانصرفا .

قلت — واعلم أن نقض العهد فى النساء معناه نزول الامتحان فى حقوقهن فامتحنَها رسول الله ﷺ وامتحن النساءَ بعدها ، وذلك أنه كان يقول لهن والله ما أخرجكنّ إلاحبُّ الله ورسولِه والاسلام وما خرجتُنّ لزوج ولا مال . فاذا قلْن ذلك تركهنّ ولم يُرْدَدْنَ إلى أهليهن وكانت أم كلثوم عاتقا[2] حينئذ فتزوجها زيد بن حارثة . فاما

(١) نقض الله تعالى العهد فى النساء فى سورة الممتحنة (الآية ١٠) . وقد أخرج الطبرانى بسند فيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف ، أن هذه الآية نزلت فى أم كلثوم . وذكر القصة .

(٢) العاتق : الجارية أو ، أدركت ، وكذا الجارية التى لم تتزوج . وقيل : التى بين الإدراك والتعنين .

قتل عنها تزوجها الزبير فولدت له زينب. ثم تزوجها عبدالرحمن بن عوف فولدت له إبراهيم وحميداً . تزوجها عمرو بن العاص فماتت عنده رحمها الله .

١٣٨ — الحولاء بنت تويت بن حبيب ابن أسد بن عبد العزى

أسلمت وبايعتْ رضى الله عنها .

عن عائشةَ رضى الله عنها أن الحَوْلاء مرّت بها وعندها رسول الله ﷺ فقالت : هذه الحولاء ، وزعموا أنها لاتنام الليل . فقال: لاتنام الليل؟ خذوا من العمل ماتُطيقون فوالله لايسأم الله حتى تسأموا(١) .

١٣٩ — أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها

أسلمت بمكة قديماً ، وبايعت وشقّت نِطاقها ليلةَ خرج رسول الله ﷺ إلى الغار فجعلت واحداً لسُفْرة رسول الله ﷺ والآخر عِصاماً لقِرْبَته فسُمّيت ذات النطاقين . تزوجها الزبير . وكانت صالحة كانت تَمْرض المَرْضة فتُعتِق كلَّ مملوكٍ لها .

عن عبدالله بن الزبير قال : مارأيت امرأتين قطُّ أجودَ من عائشة

(١) الحديث صحيح ، أخرجه البخارى فى الباب الثانى والخمسين من كتاب الصوم ، ومسلم فى الصلاة .وأخرجه الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة بسند ضعيف.

وأسماء ، وجُودهُما مختلف : أما عائشة فكانت تجمع الشيء حتى إذا اجتمع عندها قَسّمت . وأما أسماء فكانت لا تُمسك شيئاً لغد . (رواه البخارى) .

وروى أيضاً من حديث عروة قال : دخلت أنا وعبدالله بن الزبير على أسماء قبل قتل عبدالله بعشر ليالٍ ، وأسماء وَجِعة ، فقال لها عبدالله : كيف تجدينك ؟ قالت : وَجِعةً قال : إن فى الموت لَراحةً : قالت : لعلك تشتهى موتى فلذلك تمنّاه، فلا تفعل فوالله ما أشتهى أن أموت حتى آتى على أحد طرفيك : إما أن تقتل فأحتسبك وإما أن تظفر فتقرَّ عينى ، فإيَّاكَ أن تُعرَض عليك خصلةٌ[1] لا توافِقك فتقبلَها كراهيةَ الموت .

وإنما عنى ابن الزبير أن يُقتل فيحزنها ذلك .

توفيت أسماء بعد قتل ابنها عبدالله ، رضى الله عنه ، بليالٍ .

١٤٠ — سمية بنت خباط رضي الله عنها

مولاة أبى حذيفة بن المغيرة ، وهي أم عمار بن ياسر . أسلمت بمكة قديماً وكانت ممن يعذَّب فى الله عز وجل لترجع عن دينها فلم تفعل .

---

(١) قطة — خطة —

فمرّ بها يوماً أبوجهل فطعنها فى قبُلها فماتت ، وكانت عجوزاً كبيرة فهى أول شهيدة فى الإسلام (رحمها الله) .

عن مجاهد قال : أول شهيد كان فى الإسلام استشهد : أمّ عمار ، أبوجهل بحربة فى قبُلها والسلام .

١٤١ – فاطمة بنت الخطاب رضى الله عنها

أخت عمر . أسلمت قبل عمر هي وزوجها سعيد بن عمرو بن نُفيل، فلما علم عمر بإسلامها دخل عليها فشجّها فبكت وقالت : ياابن الخطاب، ما كنت صانعاً فاصنعه فقد أسلمتُ .

وقد ذكرنا هذا فى قصة إسلام عمر رحمها الله.

١٤٢ – أم رومان بنت عامر

أسلمت بمكة قديماً وبايعت وتزوجها أبو بكر الصديق رضى الله عنه فولدت له عبد الرحمن وعائشة ، وهاجرت إلى المدينة .

وقد ذكر محمد بن سعد وإبراهيم الحربى أنها توفيت على عهد رسول الله ﷺ وقال آخرون بل عاشت بعده دهراً طويلاً رحمها الله .

١٤٣ — أم الفضل

وهى لبابة الكبرى ابنة الحارث بن حَزْن وهى أول امرأة أسلمت بعد خديجة تزوجها العباس فولدت له الفضل وعبد الله وعبيد الله ومعبداً وقُثَم[(١)] وعبد الرحمن وأم حبيب وفيها يقول عبدالله بن يزيد الهلالى :

ماوَلدت نجيبةٌ من فَحْلِ   كستَّةٍ من بطنِ أمّ الفضْلِ

أكرِمْ بها من كَهْلة وكَهل

وهاجرت إلى المدينة بعد إسلام العباس وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيل فى بيتها وكانت تصوم الاثنين والخميس .

١٤٤ — أسماء بنت عميس

أسلمت بمكة قديما وبايعت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبى طالب ثم قتل عنها فتزوجها أبو بكر رضى الله عنه ومات عنها وأوصى أن تغسله ثم تزوجها على بن أبى طالب .

عن أبى موسى قال : بلغنا مخرج رسول الله ﷺ ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لى أنا أصغرهم ، أحدهم أبو بردة والآخر أبو رهْم إما قال بضْع وإما قال ثلاثة وخمسون وإما اثنان وخمسون رجلا من قومى فركبنا سفينة فألقتْنا سفينتُنا إلى النجاشى

---

(١) فى النسخ : «قثماً» وإنما هو ممنوع من الصرف ، فلا نيون لأنه معدول عن قاثم .

فوافْقنا جعفرَ بن أبى طالب وأصحابه عنده ، فقال جعفر : إن رسول الله ﷺ بعثنا هاهنا وأمرنا بالاقامة فأقيموا معنا . قال: فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً .

قال : فوافقنّا النبيَّ ﷺ حين افتتح خيبر فأسهم لنا ، أو قال أعطانا منها ، وما قَسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهد معه إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه ، فقسم لهم معهم . قال : فكان ناس من الناس يقولون لنا يعنى لأصحاب السفينة: سبقناكم بالهجرة.

قال : فدخلت أسماء بنت عُميس ـ وهى ممنّ قدم معنا ـ على حفصة زوج النبى ﷺ زائرةً وقد كانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجر إليه فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال عمر حين رأى أسماء : من هذه ؟ فقالت أسماء [1] بنت عُميس : فقال عمر: الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ فقالت : أسماء نعم . فقال عمر: سبقناكم بالهجرة فنحن أحقّ برسول الله ﷺ منكم . فغضبت وقالت : كلا يا عمر ، كلا واللهِ كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعِظ هالككم [2] وكنا فى دار ـ أو فى أرض ـ البعد بالحبشة ، وذلك فى (ذات) الله عزوجل ، وفى رسول الله ﷺ وايْمُ اللهِ لاأطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ماقلتَ لرسول الله ﷺ وأسأله ، والله لا أكذب ولا أزيد على ذلك .

---

(١) ط : « حين رأى حفصة من هذه ، فقالت حفصة » .

(٢) قط : جاهلكم .

فلما جاء النبي ﷺ قالت يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ فما قلتِ له ؟ قالت: قلت له كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: ليس بأحقّ بى منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم يا أهل السفينة هجرتان ، قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونى أرسالاً ليسألونى عن هذا الحديث ما من [1] الدنيا شىء هُمْ أفرح به ولا أعظم فى أنفسهم مما قال رسول الله ﷺ لهم - (أخرجاه فى الصحيحين) — [2] .

١٤٥ – أم عُمارة واسمها نَسِيبة

بفتح النون وكسر السين

بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية أسلمت وبايعت وشهدت أُحداً والحديبية وخَيبر وحُنيناً وعُمرة القضيّة ويوم اليمامة .

وروى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ماالتفتُّ يوم أحد يميناً ولا شمالاً إلا وأراها تقاتل دونى [3] .

قال الواقدى : قاتلتْ يوم أُحد وجُرحت اثنتى عشرة جراحة وداوت جرحاً في عنقها سنة ثم نادى منادى رسول الله ﷺ إلى حمراء

(١) قط : مافى .

(٢) الحديث صحيح أخرجه البخارى فى الباب ٤٠ من المغازى . ومسلم فى فضائل جعفر بن أبى طالب وأسماء بنت حميس — انظر مختصر صحيح مسلم ، والحديث فيه برقم ١٦٨٧ .

(٣) لم أجده فى كتب الحديث : وذكره ابن حجر فى الإصابة ٨ / ٢٦٢ وهو مذكور فى أكثر كتب السيرة .

الأَسَد[١] فشدّت عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم .

وعن محمد بن إسحاق قال : وحضرتْ البيعة بالعقبة امرأتان قدْ بايعتا : إحداهما نَسِيبة بنت كعب ، وكانت تشهد الحرب مع رسول الله ﷺ ، شهدت معه أحداً وخرجت مع المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر في الردة ، فباشرت الحرب بنفسها حتى قَتل الله مسيلمة ورجعت وبها عشر جراحات من طعنة وضربة .

قال ابن اسحاق : حدثني بهذا الحديث عنها محمد بن يحيي بن حبّان ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة (والسلام) .

١٤٦ — أم سُلَيط الأنصارية

أسلمت وبايعت وشهدت أحداً وخيبر وحُنيناً . قال ثعلبة بن أبي مالك : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مُروطاً بين نساء أهل المدينة فبقي منها مرْط جيّد ، فقال له بعض من حضر عنده : يا أمير المؤمنين أعطِ هذا ابنةَ ابنةِ رسول الله ﷺ والتي عندك ، يريدون أم كلثوم ، فقال : أم سَلِيط أحقّ به ، فإنها ممن بايع رسول الله ﷺ وكانت تَزْفِرُ لنا القُرَب[٢] يوم أُحد (انفرد باخراجه البخاري[٣]) .

---

(١) قرب المدينة . إليها انتهى الرسول (ص) وفي اليوم الثاني من يوم أحد .

(٢) أي تحملها وتنقلها .

(٣) القصة صحيحة أخرجها البخاري في غزوة أحد ، باب (ذكر أم سليط) وأم سليط هذه هي والدة أبي سعيد الخدري .

١٤٧ — أم سُلَيم بنت ملحان بن خالد ابن زيد بن حرام

وهي الغُميصاء، وقيل الرُّمَيضاء. واختلفوا في اسمها فقيل سهلة، وقيل رُمَيلة، وقيل رُميثة وقيل أُنيفة. تزوّجها مالك بن النضر فولدت له أنس ابن مالك، ثم قتل فخطبها أبو طلحة.

عن أنس قال: خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يسلم فقالت: أما إني فيك لَراغبة وما مثلُك يُرَدّ ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة، فإن تُسلم فذلك مَهْري لا أسألك غيرَه فأسلم أبو طلحة وتزوجها.

وعنه أن أبا طلحة خطب أم سليم فقالت: يا أبا طلحة ألستَ تعلم أن إلٰهك الذي تعبده خشبة نبتت من الأرض نجرَها حبشيُّ بني فلان؟ قال: بلى. قالت: أفلا تستحيي أن تعبد خشبة من نبات الأرض نجرَها حبشي بني فلان؟ لئن أنت أسلمت لم أُرِد منك من الصداق(١) غيره. قال: حتى أنظر في أمري. فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. قالت: يا أنس زوّج أبا طلحة.

عن أنس بن مالك قال: خطب أبو طلحة أم سليم فقالت: ما مثلك يردّ ولكن لا يحل أن أتزوجك، أنا مسلمة وأنت كافر، فإن تُسلم فذاك مَهري لا أسألك غيره. فأسلم فتزوّجها.

---

(١) ط: صداقاً.

قال ثابت : فما سمعنا بمَهْرٍ قطُّ كان أكرم من مَهر أم سليم : الاسلام .

وعنه أن النبي ﷺ لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة غير بيت أم سليم إلا على أزواجه . فقيل له ، فقال : إنى أرحمها ، قُتل أخوها معى [١] .

وعنه قال : كان النبي ﷺ يدخل على أم سليم فتبسط له النِّطع فيَقيل عندها فتأخذ من عرَقة فتجعله فى طيبها .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « دخلتُ الجنة فسمعت خشَفةً بين يدى فإذا هى الغُميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك [٢] .

وعنه قال : جاء أبو طلحة يوم حُنين يُضحك رسول الله ﷺ من أم سليم فقال : يا رسول الله ألم تَرَ إلى أم سليم معها خنجر ؟ فقال لها رسول الله ﷺ : ما تصنعين به يا أم سليم ؟ قالت : أردت إن دنا أحد منهم منى طعنته .

وعنه قال : كان يوم أحد رأيتُ عائشة وأم سليم وإنهما لمشمّرِتان أرى خدَم سُوقِهما تنقلان القُرَب على مُتونهما ثم تُفرغانه فى أفواه القوم ثم ترجِعان فتملآنها ثم تجيئان فتُفرغانها فى أفواه القوم [٣] .

---

(١) الحديث صحيح أخرجه مسلم فى فضائل أم سليم .

(٢) الخشفة : الحركة والحس الخفى . والحديث صحيح أخرجه مسلم فى فضائل أم سليم ، والبخارى فى الباب ٣٨ من كتاب الجهاد ، وأخرجه النسائى ، وأحمد فى المسند .

(٣) القصة صحيحة أخرجها البخارى فى غزوة أحد .

وعنه قال : زار رسول الله ﷺ أم سليم فصلّى في بيتها تطوعاً وقال: يا أم سليم إذا صلّيتِ المكتوبة فقولى : سبحان الله عشراً ، والحمد لله عشراً ، والله أكبر عشراً ، ثم سَلى الله عز وجل ما شئتِ فإنه يقال لك : نعم نعم نعم[(١)] .

وعنه قال كان ابن لأبى طلحة يشتكى فخرج أبو طلحة فقُبض الصَّبى فلما رجع أبو طلحة قال : ما فعل ابنى ؟ قالت أم سليم : هو أسْكَنُ ما كان . فقرّبت إليه العَشاء فتعشّى ثم أصاب منها . فلما فرغ قالت : وارَوا الصبى . فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: أعرستم الليلة ؟ قال نعم . قال اللهم بارك لهما . فولدت له غلاماً . فقال لى أبو طلحة : احمله حتى تأتى به النبى ﷺ وبعث معه بتَمرات فقال : أمعك شىء ؟ قلت : نعم تَمرات . فأخذها النبى ﷺ فمضغها ثم أخذها مِن فيه فجعلها فى فِى الصبىّ ثم حنّكه وسماه عبدَ الله (أخرجاه فى الصحيحين[(٢)]) .

وعنه قال : مات ابنٌ لأبى طلحة من أم سليم ، فقالت لأهلها : لا تحدّثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه . قال : فجاء فقرّبت

---

(١) الحديث أخرجة البزار وأبو يعلى وفيه عبد الرحمن بن اسحق أبو شيبة الواسطى وهو ضعيف .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب العقيقة وفى الجنائز وفى الزكاة ، ومسلم فى كتاب الأدب .

له عَشاءً فأكل وشرب وقالَ . ثم تصنّعت له أحسن ما كانت تصنع له قبل ذلك ، فوقع بها . فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت : ياأبا طلحة أرأيت لوأن قوماً أعاروا عاريَّتهم أهلَ بيت فطلبوا عاريَّتهم أَلَهُمْ أن يمنعوهم ؟ قال : لا . قالت : فاحْتَسِبِ ابنك .

فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان فقال رسول الله ﷺ : بارك الله لكما فى لَيْلَتِكما قال : فحملت .

قال : وكان رسول الله ﷺ فى سفرٍ وهى معه ، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفَر لا يطرقها طروقاً فدنَوا من المدينة فضربهَا المخاض ، فاحتبس عليها أبو طلحة وانطلق رسول الله ﷺ . فقال أبو طلحة : إنك لتعلم ياربّ إنه ليُعجبنى أن أخرج مع رسول الله ﷺ إذا خرج وأدخل معه إذا دخل وقد احتبستُ بما ترى . قال : تقول له أم سليم : ياأبا طلحة ماأجد الذى كنت أجد . فانطلقنا .

قال : فضربها المخاض حين قدمنا فولدت غلاماً . فقالت لى أمى : ياأنس لا يُرضعنّه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ . قال : فلما أصبحتُ احتملْتُه فانطلقتُ به إلى رسول الله ﷺ فصادفْته ومعه مِيسم . فلما رآنى قال : لعل أم سليم ولدَت؟ قلت : نعم . فوضع المِيسم وجئتُ به فوضعته فى حُجره قال : ودعا رسول الله ﷺ بعَجْوةٍ من عجوة المدينة فلاكها فى فيه حتى ذابت ثم قذفها فى فى الصبىّ فجعل الصبىّ

يتلمظ . فقال رسول الله ﷺ : انظروا إلى حُبّ الأنصارِ التمرَ قال : فمسح وجهه وسمّاه عبد الله(١) .

وقد روى لنا من طريق آخر أن الولد الذى مات كان اسمه حفص وكان قد ترعرع .

وعن عباية بن رفاعة ، عن أم سليم قالت : توفى ابن لى وزوجى غائب فقمت فسجّيته فى ناحية من البيت. فقدِم زوجى فقمت فتطيّبت له فوقع على . ثم أتيته بطعام فجعل يأكل فقلت : ألا أعجّبك من جيراننا ؟ قال : ومالهم ؟ قلت : أُعِيروا عاريّةً فلما طُلبتْ منهم جزِعوا فقال : بئس ماصنَعوا . فقلت : هذا ابنك . فقال : لاجرم لاتغلبينى على الصبر الليلة . فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال : اللهم بارك لهم فى ليلتهم . فلقد رأيت لهم بعد ذلك فى المسجد سبعةً كلّهم قد قرأ القرآن .

١٤٨ — أم حرام بنت ملحان

أخت أم سليم أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ . وكان يَقيِل فى بيتها .

عن أنس بن مالك عن أم حرام أنها قالت : بينا رسول الله ﷺ قائل فى بيتى إذ استيقظ وهو يضحك ، فقلت : بأبى أنت وأمّى

---

(١) الحديث صحيح أخرجه مسلم فى فضائل أم سليم .

ما يضحكك ؟ قال : عُرِض علىّ ناس من أمّتى يركبون ظهر هذا البحر كالملوك على الأسرّة . فقلت : ادْعُ الله أن يجعلنى منهم . قال : اللهم اجعلها منهم . ثم نام أيضاً فاستيقظ وهو يضحك . فقلت : بأبى أنت وأمى ما يضحكك ؟ قال عُرِض علىّ ناس من أمتى يركبون ظهر هذا البحر كالملوك على الأسِرّة فقلت . أدْع الله أن يجعلنى منهم . فقال: أنتِ من الأوّلين . فغزَتْ مع عُبادة بن الصامت وكان زوجَها فوقصتْها بغلة لها شهباء فوقعت فماتتْ (أخرجاه فى الصحيحين[1]) .

وعن ثور بن يزيد عن خالد بن مَعْدان عن عُمير بن الأسود العَنْسى أنه حدّثه أنه أتى عَبادة بن الصامت وهو بساحل حمص فى بناءٍ له ومعه امرأته أم حرام .قال عمير فحدّثتْنا أم حَرام أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : أول جيش من أمّتى يَغزُون البحر قد أوجَبوا . قالت أم حرام : يارسول الله أنا منهم ؟ قال : أنت منهم[2] .

قال هشام . رأيت قبرها ووقفتُ عليه بالساحل بقاقيس[3] .

وعن هشام بن الغاز قال : قبر أم حرام بنت مِلْحان بقُبْرس وهم يقولون هذا قبر المرأة الصالحة —رحمها الله— .

---

(١) الحديث صحيح أخرجه البخارى فى الجهاد (باب ركوب البحر) ومسلم فى الجهاد أيضاً . وهو برقم (١٠٧٤) فى مختصر مسلم للمنذرى .

(٢) الحديث صحيح أخرجه البخارى فى الجهاد (باب ماقيل فى قتال الروم) وفيه : « أنا فيهم يارسول الله ؟ قاله : أنت فيهم » .

(٣) كذا فى ط : وفى ق : مقاقس .

١٤٩ — عفراء بنت عبيد بن ثعلبة

أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ ورزقها الله سبعة بنينَ كلّهم شهدوا بدراً مسلمين . وذلك أنها تزوجت الحارث بن رِفاعة فولدت له مُعاذاً ومعوّذاً . ثم طلّقها فقدِمت مكة فتزوّجت بكير بن عَبد ياليل،فولدت له خالداً وإياساً وعاقلاً وعامراً . ثم رجعتْ إلى المدينةفراجَعها الحارث ابن رفاعة فولدت له عوفاً . فشهدوا كلّهم بدراً مسلمين. فاستشهد معاذ ومعوّذ وعاقل ببدر،وخالد يوم الرّجيع ، وعامر يوم بئر معُونة ، وإياس يوم اليمامة . والبقية منهم لـ وف .

١٥٠ — الرُّبَيِّعُ بنت معوذ بن عفراء

أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ وحدثت عنه ، وكانت تخرج معه في الغزوات .

عن خالد بن ذكوان عن الرُّبيّع قالت : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فنخدم القوم ونسقيهم ونردّ الجرحى والقتلى إلى المدينة (والسلام) .

١٥١ — أم عطية الأنصارية

واسمها نُسيبة بنت كعب ـ أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ . وهذه بضم النون ، على خلاف اسم أم عمارة المتقدمة .

عن حفصة بنت سيرين ، عن أم عطية قالت : غزَوتُ مع رسول الله

ﷺ سبع غزَوات ، وكنت أخلفهم فى الرحال ، وأصنع لهم الطعام ، وأقوم على المرضى ، وأداوى الجرحى .

١٥٤ — أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث

أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ .

أخبرنا ابن الحصين بالإسناد عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصاريّة وكانتْ قد جمعتْ القرآن ، وكان النبى ﷺ قد أمرها أن تؤمّ أهل دارِها ، وكان لها مؤذّن ، وكانت تؤم أهلَ دارها[١] .

وعنه عن جدته عن أمها أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارى : وكان رسول الله ﷺ يزورها يسمّيها الشهيدة . وكانت قد جمعت القرآن وكان رسول الله ﷺ حين غزا بدراً قالت له : ائذن لى فأخرج معك فأداوى جرحاكم وأمرّض مَرضاكم ، لعل الله عز وجل يُهدى إلى الشهادة . قال : إن الله عز وجل مُهدِلكِ الشهادة ؛ وكان رسول الله ﷺ أمرها أن تؤمّ أهل دارها ، حتى غدا عليها جارية وغلام لها كانت قد دبّرتهما[٢] فقَتلاها فى إمارة عمر رضى الله عنه . فقيل : إن أم ورقة قد

---

(١) الحديث صحيح أخرجه أبو داود فى سننه (كتاب الصلاة) باب (إمامة النساء) . والحاكم فى المستدرك ، وقال : لا أعرف فى الباب حديثاً مسنداً غير هذا — وفى سنده : الوليد بن جميع . وقد احتج مسلم بالوليد بن جميع ، قلت : وذكره ابن حبان فى الثقات . وصحح الحديث أيضاً ابن خزيمة .

(٢) اعتنت بهما .

قتلها غلامها وجاريتها. فقال عمر: صدق رسول الله ﷺ، كان يقول: انطلقوا بنا نزور الشهيدة[١] (رحمها الله).

١٥٣ — امرأة من المهاجرات لم يذكر اسمها

عن أنس قال: دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض ثقيل، فلم نبرح حتى قَضى. فبسطْنا عليه ثوبه، وأمٌّ له عجوز كبيرة عند رأسه. فالتفتَ إليها بعضُنا فقال: يا هذه احتسبي مصيبَتك عند الله عز وجل. قالت: وما ذاك؟ أمات ابني؟ قلنا: نعم. قالت: أحقٌّ ما تقولون؟ قلنا نعم. قالت: أحقٌّ ما تقولون؟ قلنا: نعم، فمدّت يدها إلى الله فقالت: اللهم إنك تعلم أنى أسلمتُ وهاجرتُ إلى رسولك ﷺ رجاءَ أن تُعينني عند كل شدّة ورخاء، فلا تحمّلني هذه المصيبةَ اليوم. قال فكشفَ عن وجهه فما برحنا حتى طعمنا معه[٢].

١٥٤ — امرأة أخرى من المهاجرات

عن ابن سيرين أن أبا بكر أُتى بمال فقسمه بين الناس، فبعث منه إلى امرأة من المهاجرات. فلما أُتيتْ به قالت: ما هذا؟ قالوا: أبو بكر

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى الصلاة (باب إمامة النساء) بلفظ قريب مما ذكره المصنف. وفيه زيادة أن عمر صلب القاتلين فكانا أول مصلوب فى المدينة.

(٢) لعل هذه كرامة لتلك المرأة. ولعله لم يمت ولكن أصابته سكتة قلبية فظن من حوله أنه قد مات.

جاءه مال فقسمه فى الناس ، فقسم منه فى نُظرائك . قالت : أتخافونى أن أدَع الإسلام ؟ قالوا : لا قالت : أفتَرشُونى على دينى؟ قالوا : لا . قالت ، فلا حاجة لى فيه .

١٥٥ - اليمنية

عن أبى هريرة قال : جاءت امرأة من اليمن إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ادْع الله عز وجل أن يشفينى . قال : إن شئتِ دعوتُ الله لك فشفاكَ ، وإن شئتِ فاصبرى ولا حسابَ عليك . قالت : بل أصبر ولا حسابَ علىّ - رحمها الله[1] - .

١٥٦ - امرأة من الأنصار

عن أنس قال : لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حَيْصة وقالوا : قُتل محمد . حتى كثرت الصَّوارخ فى نواحى المدينة ، فخرجت امرأة من الأنصار فاستُقبلت بأخيها وأبيها وزوجها وابنها ، لا أدرى بأيّهم استُقبلت أوّلاً . فلما مرَّت على آخرهم قالت . مَن هذا ؟ قالوا : أخوكِ وأبوكِ وزوجُكِ وابنُك . قالت : فما فَعل النبي ﷺ ؟ قالوا : أمامَك. فذهبتْ إلى رسولَ الله ﷺ فأخذتْ بناحية ثوبه ثم جعلت تقول : بأبى أنت وأمي يا رسول الله ﷺ ، لا أبالى إذا سَلِمْتَ من عطَب .

---

(١) الحديث صحيح أخرجه البخارى فى كتاب المرضى (باب فضل من يصرع من الريح) .

١٥٧ - أمة لبعض العرب

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أسلمتْ أَمَةٌ سَوْداءُ لبعض العرب فكان لها حفش فى المسجد . قالت : فكانت تأتينا فتحدّث عندنا، فإذا فرغت من حديثها قالت :

ويومُ الوشاحِ من تَعاجيب ربّنا ألا إنه من بلدة الكفر نجّانى[١]

فلما أكثرتْ قلتُ لها: وَما يومُ الوشاح؟ قالت خرجتْ جُوَيْرِيةٌ لبعض أهلى وعليها وشاح من أدم فسقط منها فانحطّت عليه الحِدَأة[٢] وهى تحسبه لحماً فأخذتْه فاتَّهمونى به فعذبونى حتى بلغ من أمرى أنهم طلبوه[٣] فى قُبلى . فبيناهم حولى وأنا فى كَرْبى إذ أقبلتْ الحديا حتى وازت رؤوسنا ثم ألقتْه فأخذُوه . فقلت لهم : هذا الذى اتّهمتمونى به وأنا منه بريئة .

* * *

انتهى ذكر المصطفيات من عالمات الصحابيات ومتعبّداتهن

---

(١) ط : أنجانى .

(٢) فى النسخ : « الحديا » تحريف . والحدأة : طائر يصيد الجرذان وتسميه العامة : الشوحة .

(٤) صف : اتهموه .

ذكر المصطفين من التابعين ومن بعدهم على طبقاتهم فى بلدانهم

عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « خير الناس قَرْنى ، ثم الذين يَلُونهم ، ثم الذين يَلُونهم. ثم يأتى بعد ذلك قوم تسبِق شهاداتُهم إيمانَهم ، وإيمانُهم شهادتَهم (أخرجاه فى الصحيحين[1]).

عمران بن حصين يقول: رسول الله ﷺ: « خيركم قَرْنى ثم الذين يَلُونهم ، ثم الذين يلونهم » لا أدرى مرتين أو ثلاثًا (أخرجاه فى الصحيحين[2]).

(١) الحديث صحيح أخرجه البخارى فى الباب السابع من كتاب الرقاق ، وفى المناقب (باب فضل أصحاب النبي) وأخرجه مسلم فى الفضائل ، والترمذى ، وأحمد بن حنبل .

(٢) أخرجه البخارى فى الباب السابع من كتاب الرقاق ، وأخرجه مسلم **في فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم ، والترمذي، والنسائي وابو داود .**

ذكر المصطفين من طبقات أهل المدينة من التابعين ومن بعدهم

فمن الطبقة الأولى

١٥٨ — محمد بن علي بن أبي طالب

وهو ابن الحنفيّة ، ويكنى أبا القاسم ـ أمه الحنفية خولة بنت جعفر ابن قيس ويقال بل كانت أَمَةً من سبي اليمامة فصارت إلى علي .

قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها : رأيت أم محمد بن الحنفية سنديّة سوداء وكانت أمَة لبني حنيفة .

عن ابن الحنفية قال : قال علي : يا رسول الله أرأيت إن وُلدلي ولَد بعدك أسمّيه باسمك وأكنيه بكنيتك؟ قال : نعم . فكانت رخصةً من رسول الله ﷺ لعلي[1] .

وعن محمد بن الحنفية قال : ليس بحكيم مَن لم يعاشر بالمعروف مَن لم يجد من معاشرته بُدّاً حتى يجعل الله له فَرجاً ، أو قال مخرجاً .

قال محمد بن الحنفية : من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قَدْر .

وعنه قال : إن الله عز وجل جعل الجنة ثمناً لأنفسكم فلا تبيعوها بغيرها .

قال أبو بكر بن عبيد ، وثنا محمد بن عبد المجيد أنه سمع ابن عيينة يقول : قال محمد بن الحنفية : يامنذر . قلت : لبيك . قال : كل مالا يُبتغَى به وجهُ الله يضمحلّ .

---

(١) الحديث صحيح أخرجه الترمذي في الأدب برقم ٢٨٤٦ وأبو داود في الأدب برقم ٤٩٦٧ وابن حنبل في المسند ٩٥/١ برقم ٧٣٠ .

وعن على بن الحسين قال : كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتواعده[1] ويحلف له ليحملنّ إليه مائة ألف فى البرّ ومائة ألف فى البحر ، أو يؤدى إليه الجزية .فسقط فى ذَرْعه فكتب إلى الحجاج أن اكتبْ إلى ابن الحنفية فتهدّده وتواعده ثم أعلمنى ما يرد وتواعده عليك منه .

فكتب الحجاج إلى ابن الحنفية بكتاب شديد يتهدده ويتواعده بالقتل . قال فكتب إليه ابن الحنفية : إن لله عز وجل ثلثمائةٍ وستّين نظرة إلى خلقه وأنا أرجو أن ينظر الله عز وجل إلى نظرة يمنعنى بها منك .

قال: فبعث الحجاج بكتابه إلى عبدالملك بن مروان فكتب عبدالملك إلى ملك الروم نسخته . فقال ملك الروم : ماخرج هذا منك، ولا أنت كتبت به ، ولاخرج إلا من بيت نُبوّة .

أسند محمد بن الحنفية الحديثَ عن جماعة من الصحابة .وعامّةُ حديثه عن أبيه على بن أبى طالب عليهما السلام .

فمن حديثه عن أبيه على بن أبى طالب قال : كثر على مارية أم إبراهيم عليه السلام فى قبطى ابن عم لها كان يزورها ويختلف إليها . فقال لى رسول الله ﷺ: خذ هذا السيف فانطلق إليه فإن وجدته عندها

---

(١) كذا فى النسخ والصواب : يتوعد . وكذا ما يأتى بعد .

فاقتله فقلت يارسول الله أكون فى أمرك ، إذا أرسلْتنى ، كالسكّة المحماة لا يثنيني شيء ، حتى أمضي لما أرسلتني به ، أو الشاهد يرى مالا يرى الغائب ؟ قال : بل الشاهد يرى مالا يرى الغائب فأقبلت مُتوشحاً السيف فوجدته عندها فاخترطت السيف، فلما أقبلت نحوه عرف أنى أريده فأتى نخلة فَرقىَ فيها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه[1] فإذا هو أجبّ أمسح ماله ما للرجل ، لاقليل ولا كثير . فأغمدت السيف ، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: الحمد لله الذى يصرف عنا أهل البيت[2].

وعن محمد بن سعد قال : بعث ابن الزبير إلى محمد ابن الحنفية بايعْ لى . وبعث إليه عبد الملك . فقال : أنا رجل من المسلمين فإذا اجتمعوا على أحدٍ كما بايعت فلما قتل ابن الزبير بايع لعبد الملك ، ومات فى سنة إحدى وثمانين وله خمس وستون سنة ودفن بالبقيع رحمه الله .

١٥٩ — سعيد بن المسيب بن حزن

يكنى أبا محمد . ولد لسنتين خلَتا من خلافة عمر رضى الله عنه .

عن سعد بن إبراهيم عن سعيد بن المسيب قال : مابقى أحد أعلم بقضاءٍ قضاه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، منى .

وعن عبد الرحمن بن حرملة قال : ما كان إنسان يجترىء على سعيد ابن المسيب يسأله عن شيء حتي يستأذنه كما يُستأذن الأمير .

---

(١) رفعهما أو احداها .　　(٢) الحديث لم اجده الآن

انظر أحمد (٨٣/١) تاريخ البخاري الكبير ١/١/١٧٧ الحلية (٩٢/٧) وانظر مسلم رقم (٢٧٧١)

وعن مالك أن رجلا جاء إلى سعيد بن المسيب وهو مريض فسأله عن حديث وهو مضطجع ، فجلس فحدثه . فقال له ذلك الرجل : وددت أنك لم تتعنّ فقال إنى كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع .

وعن مالك قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ما كان عالم بالمدينة إلا يأتيني بعلمه وأوتى بما عند سعيد بن المسيب .

وعن أبي عيسى الخرساني عن سعيد بن المسيب قال : لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكارٍ من قلوبكم لكى لا تحبط أعمالكم الصالحة .

وعن يزيد بن حازم قال : كان سعيد بن المسيب يَسْرُد الصومَ .

وعن بُرد مولى ابن المسيّب قال ما نودى بالصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد فى المسْجد .

وعن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال : صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العَتَمة خمسين سنة .

وعن علي بن زيد عن سعيد بن المسيّب قال : مايئس الشيطان من شىء إلا أتاه من قِبَل النساء . وقال لنا سعيد وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبتْ إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى : ما من شىء أخوف عندى من النساء .

وعن عبد الله بن محمد ، قال : قال سعيد بن المسيب : ما أكرمت العبادُ أنفسها بمثل طاعة الله عز وجل ولا أهانتْ أنفُسها بمثل معصية الله ، وكفى بالمؤمن نصرةً من الله عز وجل أن يرى عدّوه يعمل بمعصية الله .

وعن سعيد بن المسيب قال : من استغنى بالله افتقر إليه الناس .

وعن سفيان بن عيينة قال : قال سعيد بن المسيب : إن الدنيا نذالة هى إلى كل نذلٍ أمْيل ، وأنذل منها من أخذها بغير حقّها ، وطلبَها بغير وجهها ووضَعها فى غير سبُلها . وعن مالك بن أنس قال : قال سعيد ابن المسيب : إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذى فضل إلا وفيه عيْبٌ ولكنْ مِن الناس مَن لا ينبغى أن تُذكَر عيوبه: مَن كان فضلُه أكثر من نقصِه وُهِب نقْصُه لفضله .

اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة من أخبار سعيد بن المسيب لأنا قد أفردنا لجميع أخباره كتاباً مبسوطاً فمن أراد الزيادة فى أخباره فلينظر فى ذلك .

وقد أسَند سعيدٌ عن عمر بن الخطاب ، وعثمان ، وعلي ، وسعد بن أبى وقاص ، وأبيّ بن كعب ، وعمّار بن ياسر ،ومعاذ بن جَبل،وابن عمر ، وأبى الدرداء ، وعقُبة بن عامر ، وصُهيب ، وجابر بن عبدالله ، وأبى سعيد الخدرى ، وسلمان ، وأنس بن مالك ، وأبى هريرة،وابن عباس وعمرو ابن أبى سلمةً ، وعائشة ، وأم سلمة فى آخرين .

ومات رضى الله عنه بالمدينة وهو ابن أربع وثمانين سنة على خلافٍ بينهم فى ذلك . رحمه الله .

١٦٠ — سليمان بن يسار

مولى ميمونة بنت الحارث زوج النبى ﷺ ويقال : كان مُكاتِباً لها يكنى أبا أيوب .

عن مصعب بن عثمان قال : كان سليمان بن يسار من أحسن الناس وجهاً . فدخلت عليه امرأة فسألته نفسَه فامتنع عليها . فقالت له : ادنُ فخرج هارباً عن منزله وتركها فيه . قال سليمان : فرأيت بعد ذلك يوسف عليه السلام فيما يرى النائم ، وكأنى أقول له : أنت يوسف ؟ قال : نعم أنا يوسف الذى هممتُ وأنت سليمان الذى لم تهمّ .

وقد رُويت لنا هذه القصة عن عطاء بن يسار أخى سليمان والله أعلم .

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : خرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حاجّين من المدينة ، ومعهما أصحاب لهم ، حتى إذا كانوا بالأبْواء نزلوا منزلاً . فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم وبقى عطاء بن يسار قائماً فى المنزل يصلى .

---

(١) بها من صف : « عطاء وسليمان ابنا يسار »

قال : فدخلتْ عليه امرأة من الأعراب جميلة فلما رآها عطاء ظن أن لها حاجةً فأوجزَ في صلاته ، ثم قال : ألك حاجة ؟ قالت : نعم . قال : ماهى ؟ قالت : قم فأصِبْ منى فإنى قد ودِقتُ[(١)] ولا بعل لى. فقال : إليكِ عنى لاتحرقينى و نفسَك بالنار .

ونظر إلى امرأة جميلة ، فجعلت تراوده عن نفسه ويأبى إلا ما يريد. قال : فجعل عطاء يبكي ويقول : ويحكِ إليك عنى . قال : اشتد بكاؤه فلما نظرت المرأة إليه وما داخلهمن البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه. قال : فجعل يبكى والمرأه بين يديه تبكى . فبينما هــو كذلك إذا جاء سليمان من حاجته فلما نظر إلىعطاء يبكي والمرأة بين يديه تبكىفى ناحية البيت بكى لبكائهما لا يدرى ما أبكاهما وجعل أصحابهما يأتون رجلاً رجلاً كلما أتى رجل فرآهم يبكون جلس يبكى لبكائهم لا يسألهم عن أمرهم حتى كثر البكاء وعلا الصوت . فلما رأت الأعرابية ذلك قامت فخرجت .

قال : فقام القومْ فدخلوا . فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالاً له وهيبة . قال : وكان أسنَّ منه .

قال ثم إنهما قَدِما مصر لبعض حاجتهما فلبثا بها ما شاء الله فبينا عطاء ذات ليلة نائم إذ استيقظ وهو يبكى . . فقال سليمان : ما يبكيك يا أخى ؟ قال : فاشتد بكاؤه . قال : ما يبكيك يا أخى ؟ قال : رؤيا

(١) ودقت : أى أرادت الفحل .

رأيتها الليلة . قال ، وما هى ؟ قال لاتخبر بها أحداً ما دمت حياً : رأيت يوسف النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم فجئت أنظر إليه فيمن ينظر إليه فلما رأيت حسنه بكيت فنظر إلىّ فى الناس فقال : ما يبكيك أيها الرجل ؟ فقلت : بأبى أنت وأمى يا نبى الله ، ذكرتك وامرأة العزيز وما ابتليتَ به من أمرها وما لقيتَ من السجن وفُرقة يعقوب ، فبكيت من ذلك وجعلت أتعجّب منه . قال : فهلا تعجّبت من صاحب المرأة البدوية بالأبواء ؟ فعرفت الذى أراد فبكيت واستيقظت باكياً .

قال سليمان : أىْ أخى وما كان من حال تلك المرأة ؟ فقصّ عليه عطاء القصة فما أخبر بها سليمان أحداً حتى مات عطاء فحدث بها بعده امرأة من أهله قال : وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلا بعد موت سليمان ابن يسار رضى الله عنهما .

وعن ابن أبى الزناد عن أبيه قال : كان سليمان بن يسار يصوم الدهر وكان عطاء بن يسار يصوم يوماً ويفطر يوما .

أسند سليمان عن أبى هريرة وابن عمرو ، وابن عباس فى خلق كثير من الصحابة .

وتوفى سنة سبع ومائة . وقيل سنة ثلاث ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة

وأسندَ عطاء عن أُبىّ بن كعب وابن مسعود وأبى أيوب الأنصارى فى خلق كثير من الصحابة . توفى سنة ثلاث ومائة وقيل سنة أربع وتسعين وكان يكنى أبا محمد وهو مولى ميمونة أيضاً رضى الله عنهما .

ومن الطبقة الثانية من أهل المدينة

١٦١ — عروة بن الزبير بن العوام

أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما .

عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال : يا بنى سَلُونى فلقد تُرِكت حتى كدت أنسَى وأني لأسأل عن الحديث فيفتح لى حديث يومى .

وعن أبى الزناد . قال : اجتمع فى الحِجْر[1] قوم فقالوا : تمنَّوا . فقال عروة : أنا أتمنى أن يؤخذ عنى العِلْم .

وعن الزُهْرى قال : كان عروة يتألّف الناس على حديثه .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : قال عروة بن الزبير : رُبَّ كلمة ذُلٍّ احتملتها أورثتنى عزّاً طويلا .

وعنه عن أبيه قال إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخوات ، وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده أخوات ، فان الحسنة تدل على أختها ، وإن السيئة تدل على أختها .

وعنه قال : قال عروة لبنيه : يا بَنِيَّ تعلموا فإنكم إن تكونوا صغار قوم عسى أن تكونوا كبارهم واسوأتاه ماذا أقبح من شيخ جاهل .

وعن ابن شوذب قال : كان عروة بن الزبير إذا كان أيام الرُّطَب ثلم

---

(١) الحجر (بكسر الحاء) : اسم لمستدير جانب الكعبة الغربى

حائطه فيدخل الناس فيأكلون ويحملون . وكان إذا دخله ردّد هذه الآية فيه حتى يخرج منه «ولولا إذْ دخلتَ جَنَّتَكَ قلتَ ماشاء اللهُ لاقُوّةَ إلاّبالله » ، [1] حتى يخرج .

وكان عروه يقرأ رُبعَ القرآن كلّ يوم نظراً فى المصحف ، ويقوم به الليل ، فماتركه إلاليلةَ قُطعت رجْلُه ثم عاود من الليلة المقْبلة .

وعن هشام بن عروة قال : خرج أَبى إلى الوليد بن عبد الملك فوقعت فى رجله الأَكِلة [2] فقال له الوليد : ياأبا عبدالله أرى لك قطْعها . قال : فقُطعتْ وإنه لصائم فما تضوَّر [3] وجهه . قال : ودخل ابنٌ له أكبرُ ولَده اصطبلَه فرفستْه دآبة فقتلته فما سُمع من أبى فى ذلك شىء ، حتى قدم المدينة فقال : اللهم إنه (كان لى بنون أربعة فأخذتَ واحداً وأبقيت لى ثلاثة فلك الحمد ،) وكان لى أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيتَ لى ثلاثة فلك الحمد، وايْمُ اللهِ لئن أخذت فلقدأ بقيتَ ولئن ابتلَيْت طالما عافَيْتَ .

وعن مسلمة بن محارب قال وقعت فى رجل عروة الأكلة ، وقطعت ولم يدَعْ تلك الليلةَ وِرْدَه وقُطعت ولم يمْسِكه أحد.

---

(١) الكهف ٣٩ .
(٢) الأكلة : بفتح الهمزة وكسر الكاف : داء فى العضو يأتكل منه .
(٣) تضور الرجل : تأوى من وجع الضرب أو الجوع . ط : تغير .

العباس بن مزيد قال أخبرنى أبى قال : قال أبو عمرو الأوزاعى خرجتْ فى بطن قدمه يَعنى عروةَ بثرة[١] فترامى به ذلك إلى أن نُشرت ساقُه فقال لما نُشرت : اللهم إنك تعلم أنى لم أمش بها إلى حرامٍ قطّ أو إلى سُوءٍ قطّ .

وعن نافع بن ذؤيب قال لما قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك فخرج برجله الاكلة فبعث إليه يعنى الوليد بالأطباء فأجمع رأيهم على أن لم ينشروها قتلته فقال شأنكم بها قالوا نسقيك شيئاً لئلا تحس بما نصنع بك قال لا ، شأنكم بها قال فنشروها بالمنشار فما حرك عضواً عن عضو وصبر فلما رأى القدم بأيديهم دعا بها فقلبها فى يده ثم قال أما والذى حملنى عليك أنه ليعلم أنى ما مشيت بك إلى حرام قط أو قال معصية . وعن هشام بن عروة أن أباه كان يسرد الصوم .

وعن مالك بن أنس قال رأى عروة رجلا يصلى فخفف فدعاه وقال أما كانت لك إلى ربك سبحانه وتعالى حاجة أنى لأسأل الله تبارك وتعالى فى صلاتى حتى اسأله الملح .

وعن هشام عن ابيه قال إذا جعل أحدكم لله عز وجل شيئاً فلا يجعل له ما يستحى أن يجعله لكريمه فإن الله تبارك وتعالى أكرم الكرماء وأحق من اختير له .

---

(١) البثرة : خراج صغير .

هشام قال كان أبي لا يفطر ولقد مات يوم مات وهو صائم .

أسند عروة عن علي بن أبي طالب عليه السلام والزبير وعبد الرحمن ابن عوف وسعيد بن زيد وزيدبن ثابت وعبد الله بن عمرو وأبي أيوب الأنصاري وأسامة وأبي هريرة وابن عباس ومعاوية والمسور بن مخرمة والنعمان بن بشير وعبد الله بن الارقم وعائشة في خلق يطول احصاؤهم .
توفي سنة أربع وتسعين في ناحية الفرع ودفن هنالك رحمه الله .

١٦٢ – القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رحمهم الله تعالى

وأمه أم ولد ، يكنى أبا محمد

عن يحي بن سعيد قال : ما أدركنا أحداً بالمدينة نفضّله على القاسم بن محمد .

وعن أيوب قال : رأيت على القاسم رداء قد صبغ بشيء من زعفران ويدَعُ مائة ألفٍ لم يتلجلج في نفسه شيء منها .

وعنه قال : ما رأيت رجلا أفضل من القاسم ولقد ترك مائة ألفٍ وهي له حلال .

وعن مالك أن عمر بن عبد العزيز قال : لو كان لي من الأمر شيء لوليت القاسم بن محمد الخلافة .

وعن أبى الزناد قال: ما رأيت أحداً أعلم بالسنّة من القاسم بن محمد، وكان الرجل لا يُعدّ رجلاً حتى يعرف السنّة .

وعن أيوب قال : سمعت القاسم يُسأل بمنى فيقول لا أدرى ، لا أعلم . فلما أكثروا عليه قال : والله لا نعلم كلّ ما تسألونا عنه، ولو علمنا ما كتمنا (كم) ولا حَلَّ لنا أن نكتمكم وعن يحي بن سعيد قال سمعت القاسم يقول : ما نعلم كلّ ما نُسأل عنه ولَأن يعيش الرجلُ جاهلاً بعد أن يعَرف حق الله تعالى عليه خير له من أن يقول ما لا يعلم .

وعن محمد بن إسحاق قال : جاء أعرابى إلى القاسم بن محمد فقال : أنت أعلم أم سالم؟ قال : ذاك منزلُ سالم : يزِدْه عليها، حتى قام الأعرابى .

قال محمد بن إسحاق : كره أن يقول هو أعلم منى فيكذب ، أو يقول أنا أعلم منه فيزكى نفسه .

وعن أبى الزناد عن أبيه قال: ما كان القاسم يجيب إلا فى الشيء الظاهر .

وعن سفيان قال : اجتمَعوا إلى القاسم بن محمد فى صدقة قسّمها ، قال وهو يصلى : فجعلوا يتكلمون فقال ابنه : إنكم اجتمعتم إلى رجل والله ما نال منها درهماً ولا دانِقاً . قال : فأوجز القاسم ثم قال : يابُنىّ قل فيما علمت . قال سفيان : صدق ابنه ولكنه أراد تأديبه فى المنطق وحفظه .

أسند القاسمُ عن أبى هريرة وابن عباس وعائشة وأسلم مولى عُمر ،

وصالح بن خوّات فى آخرين . وتوفى سنة ثمانٍ ومائة : وقيل سنة تسع، وهو ابن سبعين أو اثنتين وسبعين سنة ، وكان قد ذهب بصره .

عن رجاء بن أبى سلَمة قال : مات القاسم بن محمد بين مكة والمدينة حاجّاً أو معتمِراً فقال لابنه : سُنَّ علىّ التراب سَنّاً وسَوِّ علىّ قبرى والحق بأهلك وإياك أن تقول : كان وكان ـ رحمه الله ـ

١٦٣ – سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رحمهم الله تعالى

أمه أم ولد ، يكنى أبا عمر . وكان أشبه أولاد أبيه به ، وكان أبوه يحبه حباً شديداً فإذا قيل له فى ذلك أنشد :

يلومونني فى سالمٍ وألومهم   وجلْدة بين العين والأنف سالمُ(١)

عن حنظلة قال : رأيت سالم بن عبد الله بن عمر يخرج إلى السوق فيشترى حوائج نفسه .

وعن هوذة بن عبد العزيز قال: رحم سالمَ بنَ عبد الله بن عمر رجلٌ فقال سالم : بعض هذا رحمك الله فقال له الرجل : ما أراك إلا رجلَ سُوء . فقال سالم: ما أحسبك أبعدْتَ .

---

(١) أى صبه صباً سهلا .

(٢) البيت لعبد الله بن عمر فى ابنه سالم . ورواية اللسان (سلم) : « يديروننى عن سالم وأريغه » .

عن مالك قال لم يكن أحد فى زمن سالم بن عبد الله أشبهَ بمن مضى من الصالحين فى الزهد والقصد والعيش منه : كان يلبس الثوب بدرهمين قال له سليمان بن عبد الملك ورآه حسن السَّحْنة : أىَّ شىء تأكل؟ قال : الخبز والزيت ، وإذا وجدتُ اللحم أكلته . فقال له أوَ تشتهيه ؟ قال : إذا لم أشتَهِهِ تركتُه حتى أشتهيَه .

وعن محمد بن أبى سارة قال: رأيت سالم بن عبد الله قدم علينا حاجاً فصلّى العشاء ثم قام إلى ناحية مما يلى باب بنى سهم فى الصلاة ، فلم يزَل يميل يميناً وشمالاً حتى طلع الفجر ، ثم جلس فاحْتَبى بثوبه .

وعن سفيان بن عُيينة قال : دخل هشام بن عبد الملك الكعبة ، فإذا هو بسالم بن عبد الله فقال له : ياسالم سَلْنى حاجةً - فقال له : إنى لأستحْيي من الله أن أسأل فى بيت الله غير الله .

فلما خرج خرج فى أثره فقال له : الآن قد خرجتُ فسلني حاجةً فقال له سالم : حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ فقال : بل من حوائج الدنيا . فقال له سالم : ما سألتُ مَن يملكها فكيف أسأل مَن لا يملكها .

أسند سالم عن أبيه وأبى أيوب وأبى هريرة وغيرهم من الصحابة . وتوفى فى آخر ذى الحجة سنة ستٍ ومائة . وقيل سنة ثمانٍ . رحمه الله تعالى .

١٦٤ - أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة

ليس له اسم ، كنيته اسمه — ولد فى خلافة عمر[1] رضى الله عنه . محمد بن إسحاق الثقفى قال : رأيت فى كتاب أبى بكر بن حسان أن أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وكان يقال له راهب قريش لكثرة صلاته — وقال الزبير بن بكار : كان أبو بكر بن عبدالرحمن يقال له راهب المدينة .

أسند أبو بكر بن عبد الرحمن عن أبى مسعود الأنصارى ، وأبى هريرة ، وعائشه ، وأم سلمة وغيرهم : وكان حارساً لعرضه حتى إنه أُودِع مالاً فأُصيب ، فقال له عروة : لاضمانَ عليك . قال : قد علمت ، ولكن لا تتحدث قريش أن أمانتي خرِبتْ . فباع مالاً له فقضاه . وقد كان قد ذهب بصره ودخل يوماً إلى مغتَسله فمات فيه فُجاءة ، وذلك فى سنة أربع وتسعين ، وهي سنة الفقهاء .

---

(١) كذا فى ق وقط والتهذيب وفى ط : عثمان .

١٦٥ – على[1] بن الحسين بن على بن أبي طالب عليهم السلام

أمه أم ولد اسمها غَزالة ، وهو على الأصغر . وأما الأكبر فإنه قُتل مع الحسين عليهما السلام . وكان على هذا معَ أبيه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة إلا أنه كان مريضاً نائماً على فراش فلم يُقتل : وكان يكنى أبا الحسين ، وقيل أبا محمد .

عن عبد الرحمن بن حفص[2] القرشي قال : كان على بن الحسين إذا توضأ يصفرّ فيقول له أهله : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : تدرون بين يدي من أريد أن أقوم .

وعن عبد الله بن أبي سليم[3] قال : كان على بن الحسين إذا مشى لا تجاوز يدُه فخذَه ، ولا يخطر بيده ، وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته رِعْدة ، فقيل له : مالك ؟ فقال : ما تدرون بين يدى مَن أقوم ومَن أناجى . ؟

وعن أبي نوح الأنصاري قال : وقع حريق في بيتٍ فيه على بن الحسين ، وهو ساجد ، فجعلوا يقولون له : يابن رسول الله النارَ ،

---

(١) وهو الملقب بزين العابدين (فتح الباري ١٤/٤١٢) . وفي هامش صف: « هذا هو السجاد . كان يصلى في اليوم والليلة ألف ركعة .

(٢) ط : جعفر .　　　　(٣) ط : سليمان .

يا ابن رسول الله النارَ . فما رفع رأسه حتى أُطفِئت. فقيل له : ما الذى ألهاك عنها ؟ قال : ألهْتنى عنها النارُ الأخرى .

وعن سفيان قال: جاء رجل إلى على بن الحسين رضى الله عنه فقال له: إن فلاناً قد آذاك ووقع فيك . قال : فانطلق بنا إليه فانطلق معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه فلما أتاه قال : يا هذا إن كان ما قلتَ فىّ حقاً فغفر الله لى ، وإن كان ما قلتَ فىَّ باطلاً فغفَر الله لك .

وعن أبى يعقوب المدَنى قال : كان بين حسَن بن حسَن وبين على بن الحسين بعضُ الأمر ، فجاء حسَن بن حسَن إلى على بن الحسين وهو مع أصحابه فى المسجد ، فما ترك شيئاً إلا قاله له . قال : وعلىٌّ ساكت . فانصرف حسَن فلما كان فى الليل أتاه فى منزله فقرَع عليه بابه فخرج إليه فقال له على : يا أخى إن كنت صادقاً فيما قلتَ لى فغفر الله لى ، وإن كنتَ كاذباً فغفَر الله لك ، السلام عليكم . وولّى. قال : فاتّبعه حسن فالتزمه مِن خلفه وبكى حتى رثى له ثم قال : لاجَرم لاعُدت فى أمرٍ تكرهه . فقال على : وأنت فى حِلٍّ مما قلتَ لى .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال على بن الحسين : فقدُ الأحبّة غُربة . وكان يقول : اللهم إنى أعوذ بك أن تحسُن فى لوامع العيون علانيتى وتقبح سريرتى ، اللهم كما أسأتُ وأحسنتَ إلى فإذا عدتُ فعُدْ على .

وكان يقول : إن قوماً عبَدوا الله عز وجل رهبةً فتلك عبادةُ العبيد ، وآخرين عبدوه رغبةً فتلك عبادة التجّار ، وقوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار .

وعنه ، عن أبيه أن على بن الحسين كان لا يحب أن يُعنيه أحدٌ على طَهوره وكان يستقى الماء لطَهوره ويخمره قبل أن ينام . فإذا قام من الليل بدأ بالسّواك ثم يتوضأ ثم يأخذ فى صلاته وكان يقضى ما فاته من صلاة النهار بالليل ثم يقول : يا بَنىّ ليس هذا عليكم بواجبٍ ولكن أحب لمن عوّد نفسه منكم عادةً من الخير أن يدوم عليها .

وكان لا يَدعُ صلاة الليل فى الحَضر والسفَر . وكان يقول : عجبت للمتكبّر الفَخور الذى كان بالأمس نُطفةً ثم هو غدا جيفةً ، وعجبت كلّ العجب لمن شكّ فى الله وهو يرى خلقَة ، وعجبت كلّ العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى ، وعجبت كلَّ العجَب لمن عمل لدارِ الفناء وترك دار البقاء .

وكان إذا أتاه السائل رحّب به وقال مرحباً بمن يحمل زادى إلى الآخرة ، وكلّمه رجل فافترى عليه فقال : إن كنّا كما قلتَ فنستغفر الله ، وإن لم نكن كما قلتَ فغفر الله لك . فقام إليه الرجل فقبل رأسه وقال: جُعلت فِداك ، ليس كما قلتُ أنا فاغفِر لى : قال : غفر الله لك . فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالته .

وعن شَيبة بن نَعامة قال : كان على بن الحسين يبخَل فلما مات وجدوه يَقُوت مائة أهل بيت بالمدينة .

وعن محمد بن إسحاق قال: كان ناس من أهل المدينة يعَيشون لا يدرون من أين كان مَعاشهم . فلما مات على بن الحسين فقَدوا ما كانوا يُؤتَوْن به بالليل .

وعن أبى حمزة الثُّمالى قال : كان على بن الحسين يحمل جرابَ الخبز (١) على ظهره بالليل فيتصدّق به، ويقول : إن صدقة السرّ تطفىء غضَب الربّ عز وجل .

وعن عَمرو بن ثابت قال : لما مات على بن الحسين فغسَلوه جعلوا ينظرون إلى آثارِ سُود فى ظَهره ، فقالوا : ما هذا ؟ فقالوا : كان يحمل جُرُبَ الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة .

وعن ابن عائشة قال : قال أبى : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقَدْنا صدقة السرّ حتى مات على بن الحسين .

وعن سفيان قال : أراد على بن الحسين الخروج فى حجٍّ أو عمرة فاتخذت له سُكَيْنة بنتُ الحسين سُفْرةً أنفقتْ عليها ألف درهم أو نحوَ ذلك ، وأرسلت بها إليه فلما كان بظهر الحَرّة أمر بها فقُسّمت على المساكين .

---

(١) الجراب : وعاء من حلبه . ج جرب (بضمتين) .

وعن سعيد بن مرجانة أنه قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مؤمنةً أعتق الله بكل إرْب[1] منها إرْباً منه من النار، حتى إنه يعتق باليد اليد، وبالرِجْل الرِجْل، وبالفَرْج الفَرْج».

فقال على بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبى هريرة ؟ قال سعيد: نعم فقال لغلام له أفْرهَ غلمانه : ادْعُ مطرفاً. فلما قام بين يديه قال : اذهب فأنت حرّ لوجه الله عز وجل (أخرجاه فى الصحيحين[2]) .

وكان عبد الله بن جعفر قد أعطى علىَّ بن الحسين بهذا الغلام الذى أعتقه ألف دينار .

وعن محمد بن حاطب، عن على بن الحسين أنه أتاه نفر من أهل العراق فقالوا فى أبى بكر وعُمر وعثمان رضى الله عنهم . فلما فرغوا فقال[3] : ألا تخبرونى: أنتم المهاجرون الأوّلون «الذين أُخرِجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورِضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم

---

(١) الإرب : العضو .

(٢) الحديث صحيح أخرجه البخارى فى كتاب العتق وفى الكفارات . وأخرجه مسلم فى كتاب العتق والترمذى فى كتاب النذور برقم ١٤٥١ كلهم بلفظ يقارب ماذكره المؤلف . وأخرجه الامام أحمد فى المسند باللفظ الذى ذكره المصنف. وغلام فاره : نشيط خفيف .

(١) كذا فى النسخ ، والأحسن : «قال» إذا لم نقدر معطوفاً عليه محذوفاً .

الصادقون[١])؟ قالوا: لا. قال فأنتم « الذين تبوأُوا الدارَ والإيمانَ من قَبلهم يحبّون مَن هاجر إليهم ولا يجِدون فى صُدورهم حاجة مما أُوتوا يؤْثرِون على أنفسهم ولو كان بهم خَصاصة[٢] »؟ قالوا. لا قال: أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا مِن أحد هذين الفريقين. ثم قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله (عز وجل) « والذين جاؤا مِن بعدهم يقولون: رَّبنا اغفرْ لنا ولإخواننا الذينَ سَبقونا بالإيمان ولا تجعلْ فى قُلوبنا غِلاًّ للذينَ آمنوا[٣] » اخرُجوا فعَلَ الله بكم .

وقال نافع بن جبير لعلى بن الحسين: أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه؟ يعنى زيد بن أسلم. فقال: إنه ينبغى للعلم أن يُتَّبع حيثما كان.

وعن ابن عائشة، عن أبيه قال: حجّ هشام بن عبد الملك قبل أن يلى الخلافةَ فاجتهد أن يستلم الحجَر فلم يمكنه. قال: وجاء على بن الحسين فوقف له الناس وتنحَّوْا حتى استلم. فقال الناس لهشام: مَن هذا؟ قال: لا أعرفه.

---

(١) الحشر: ٨.

(٢) الحشر: ٩.

(٣) الحشر: ١٠.

فقال الفرزدق : لكنى أعرفه ، هذا على بن الحسين[1] .

هذا ابنُ خَير عبادِ الله كلّهم هذا التقىُّ النقىُّ الطاهرُ العلَمُ
هذا الذى تَعرفُ البطحاءُ وطأتَه والبيتُ يعرِفهوالحِلُّ والحرَمُ
يكاد يُمسكه عِرفانَ راحتِه رُكْنُ الحطيم إذا ما جاء يَستلِم
إذا رأته قريشٌ قال قائلها إلى مكارمهذا ينتهى الكرَم
إن عُدّ أهل التقَى كانوا أئمتَهم أوقيلمَن خيرأهلالأرض؟قيل:همُ
هذا ابنُ فاطمةٍإن كنتَ جاهلَه بجدّه أنبياءُ اللهِ قد خُتِموا
وليس قولُك : مَن هـذا ؟ بضائره
العُرْبُ تَعرف مَن أنكرت والعجَم
يُغضى حياءً ويُغضى مِن مهَابته ولا يكلَّم إلاّ حينَ يَبتسم

وعن صالح بن حسان قال : قال رجل لسعيد بن المسيّب : ما رأيتُ أحداً أوْرعَ من فلان . قال : هل رأيت على بن الحسين ؟ قال : لا . قال : ما رأيت أحداً أوْرع منه .

وقال الزُّهرى : لم أرَ هاشمياً أفضل من على بن الحسين ، وما رأيت أحداً كان أفقهَ منه .

---

(١) الأبيات التالية ليست فى ديوان الفرزدق الذى نشره الصاوى . وبعضها فى الأغانى(١٥/٢٦١ ثقافة) . ونسبها أبو تمام فى حماسته (٤ ١٦٧ش. التبريزى) إلى الحزين الليثى . والحق أن الأبيات ـ أو بعضها ـ تنسب إلى عدة شعراء (انظر الأغانى ١٥/٢٥٩ ـ ٢٦٣ وحاشية الشعر والشعراء ١/٦٤) .

وعن طاوس قال : رأيت عليّ بن الحسين ساجداً في الحِجْر فقلت : رجل صالح من أهل بيت طيّب ، لأسمَعنّ ما يقول. فأصغيتُ إليه فسمعته يقول : عُبَيْدُكَ بفنائك ، مسكينك بفنائك ، سائِلُك بفنائك ، فقيرُكَ بفنائك ، فو الله ما دعوتُ اللهَ بها في كَرْب إلا كشَفَ اللهُ عنّي.

وعن أبي جعفر قال : كان علي بن الحسين رحمه الله يصلي في كل يوم وليلةٍ ألف ركعةٍ و تَهيج الريح فيسقط مغشيّاً عليه .

وعن عبد الغفّار بن القاسم قال : كان علي بن الحسين خارجاً من المسجد فلقيه رجل فسبّه فثارت إليه العبيد والموالى فقال علي بن الحسين : مهلاً عن الرجل . ثم أقبل على الرجل فقال : ما سُتِر عنك من أمرنا أكثر . ألكَ حاجة نُعنيك عليها ؟ فاستحْيا الرجل . فألقى عليه خَمِيصة(١) كانت عليه وأمر له بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول : أشهد أنك من أولاد الرسول .

وعن رجل من ولَد عمّار بن ياسر قال : كان عند علي بن الحسين قومٌ فاستعجل خادماً له بشِواء كان له في التّنور. فأقبل به الخادم مسرعاً وسقط السّفود من يده على بُنَيٍّ لعلي أسفلَ الدّرجة فأصاب رأسه فقتله فقال علي للغلام : أنت حرٌّ ، لم تعمده(٢) وأخذ في جهاز ابنه .

---

(١) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .

(٢) عمده : ضربه بالعمود . أو ضرب عمود بطنه .

وعن عمرو بن دينار قال : دخل على بن الحسين على محمد بن أسامة ابن زيد فى مرضه فجعل محمد يبكى فقال على: ما شأنك ؟ قال: علىَّ دين . قال : كم هو ؟ قال خمسة عشر ألف دينار . قال : فهو علي .

وعن أبى جعفر محمد بن على قال : أوصانى أبى قال : لا تصحبنّ خمسةً ولا تحادِثهم ولا ترافقهم فى طريق . قال : قلت : جُعلت فداءك ياأبتِ منَ هؤلاء الخمسة ؟ قال : لاتصحبنّ فاسقاً فإنه يبيعك بأكلةٍ فما دُونها . قال : قلت : ياأبة وما دُونها ؟ يطمع فيها ثم لا ينا لها .

قال : قلت : يا أبة ومَن الثانى ؟ قال: قال : لا تصحَبنّ البخيل فإنه يقطَع بك فى ماله أحْوج ما كنتَ إليه .

قال : قلت : ياأبة ومَن الثالث ؟ قال : لا تصحبّن كذّاباً فإنه بمنزلة السَّراب يُبعد منك القريب ويُقرّب منك البعيد .

قال : قلت : يا أبة ومَن الرابع؟ قال : لا تصحبنّ أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرَّك .

قال : قلت:يا أبةومَن الخامس؟قال: لاتصحبنّ قاطعَ رحمٍ فإنى وجدته ملعونًا فى كتاب الله فى ثلاثة مواضع (١) .

---

(١) هى : فى سورة الرعد (الآية ٢٥) وفى سورة محمد (الآيتان ٢٢-٢٣) وفى سورة البقرة (الآية ٢٧)ولكنه فى الأخيرة وصف قاطعى الرحم بأنهم خاسرون ولم يصرح بلفظ اللعن فى الآية .

أسند علي بن الحسين عن أبيه وابن عباس وجابر بن عبد الله وصَفيّة وأم سلمة وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ ، وعن خلق كثيرٍ من التابعين .

وتوفى بالمدينة سنة أربع وتسعين، وقيل ثنتين وتسعين، ودفن بالبَقيع وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة . رضي الله عنه .

١٦٦ — عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود

يكنى أبا عبد الله وكان بحراً من البحور في العلم .

عن الزهرى قال : أدركت أربعة بحورٍ من قريش: سعيد بن المسيّب وأبا سلمة بن عبد الرحمن ، وعبيدَ الله بنَ عبد الله ، وعروةَ بنَ الزّبير .

وعن المغيرة ، قال عمر بن عبد العزيز : لو أدركني عُبيدالله بنُ عبدِ الله بنِ عُتبةَ إذْ وقعتُ فيما وقعتُ فيه لهانَ عليّ ما أنا فيه .

وعن ابن أبي الزناد، عن أبيه قال، ربما كنتُ أرى عمر بن عبد العزيز في إمارته يأتي عُبيدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ عُتبة فربما حجَبه وربما أذِن له .

أسنَد عبيدُ الله عن أبي طلحة وأبي سعيد الخدْريّ وأبي هريرة ، وابن عباس ، وسهل ابن حنيف، وزيد بن خالد الجُهَني وعائشة في آخرين وذهَب بصره .

وتوفى بالمدينة فى سنة ثمانٍ وتسعين ، ويقال سبع وتسعين ، رحمه الله تعالى .

١٦٧ — بسر بن سعيد مولى الحضرميين

روى عن سعد بن أبى وقاص وزيد بن ثابت وأبى هريرة وأبى سعيد ، وكان من العبّاد المنقطعين وأهل الزهد فى الدنيا .

عن مالك قال : مات بُسر ولم يدَع كفناً .

وعن مالك بن أنس قال : مات رجل من بنى أمية من مُتْرفيهم ومات يومئذ بُسر ابن سعيد ، فقال عمر بن عبد العزيز : إن كان المدخلان واحداً فعيش فلان أحبّ إلينا . فقال مزاحم : إنك لا تزال تُوغر منأ خيك عليك . فقال: إذا رأيتُ الحقّ قلتُه .

١٦٨ — عكرمة مولى عبد الله بن عباس

يكنى أبا عبد الله . مات ابن عباس وهو عبد فاشتراه خالد بن يزيد ابن معاوية من على بن عبد الله بن عباس بأربعة آلاف دينار . فبلغ ذلك عكرمة فأتى علياً فقال بعت علْم أبيك بأربعة آلاف دينار ؟ فراح على إلى خالد فاستقاله فأقاله فأعتقه .

وعن الزبير بن الخرّيت عن عكرمة قال : كان ابن عباس يجعل فى رجلى الكَبْل[1] ويعلّمنى القرآن والسنن .

---

(١) الكبل : القيد .

وعن جابر بن زيد قال : هذا عكرمة مولى ابن عباس ، هذا أعلم الناس .

وقال الشعبي : مابقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة .

وقال قَتادة : أعلَمهم بالتفسير عِكرِمة.

وعن إبراهيم بن الحكَم بن أبان قال : ثنا أبى قال . كنت جالساً مع عكرمة بالساحل فذكروا الذين يغرقون فى البحار فقال عكرمة : إن الذين يغرقون فى البحار تتقسّم لحومَهم الحِيتانُ فلا يبقى منهم شيء إلا العظام تَلُوح فتُلقيها الأمواج إلى البَرّ فتمكث العظامُ حيناً حتى[1] تصير نَخِرةً فتمرّ بها الإبل فتأكلها ثم تسير الإبل فتبعر ثم يجيء قوم فيأخذون ذلك البَعِر فيوقدِونه ثم تخمد تلك النار فتجيء ريح فتلقى ذلك الرّمادَ على الأرض فإذا جاءت النفخة خرج أولئك وأهل القبور سواءً .

قال إبراهيم وحدثنى أبى عن عكرمة قال : لكل شيء أساس ، وأساس الإسلام الُخلق الحسَن .

أسند عكرمة عن ابن عَمرو ،وابن عباس،وأبى سعيد،وأبى هُريرة والحسين[2] بن على وعائشة فى آخرين .

---

(١) ط : ثم .

(٢) قط : والحسن .

وعن خالدٍ السّختيانى عن عكرمة قال : أدركت مِئِينَ من أصحاب رسول الله ﷺ فى هذا المسجد .

ومات عكرمة فى سنة أربعٍ ومائة ، وقيل سنة خمسٍ ، وقيل سنة ستٍّ ، وقيل سنة سبعٍ وهو ابن ثمانين سنة .

ومات هو وكثيرّ عزة فى يوم واحدٍ فقال الناس : مات أفقه الناس وأشعر الناس .

١٦٩ — زياد بن أبى زياد ، مولى عبد الله ابن عياش بن أبى ربيعة القرشى

واسم أبى زياد مَيسرة . وكان زياد عبداً . وكان عمر بن عبد العزيز يستَزيره ويكرمه . وبعَث إلى مولاه ليبيعه إياه فأبى وأعتقه .

وقد روى زياد عن أنس بن مالك وقال مالك بن أنس : كان زياد عابداً معتزلاً لا يزال يذكر الله تعالى ، ويلبس الصوف ولا يأكل اللحم .

وقال محمد بن المنكدر: إننى خلّفت زياد بن أبى زياد وهو يخاطب نفسه فى المسجد ، يقول : اجلسى ، أين تُريدين أن تذهبى ؟ أتخرجين إلى أحسنَ من هذا المسجد ؟ انظرى إلى مافيه ، تريدين أن تبصرى

دار فلان ودارَ فلان ، ودارَ فلان ؟ قال . وكان يقول لنفسه : مالَكِ من الطعام يانفسُ إلا هذا الخبز والزيت ، ومالَكِ من الثياب إلاّ هذان الثوبان ، ومالكِ من النساء إلا هذه العجوز ، أفتحبّين أن تموتى ؟ فقالت : أنا أصبر على هذا العيش .





ومن الطبقة الثالثة من أهل المدينة

١٧٠ — علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب

أمُّه زُرعة بنت مشرح . ولد ليلة قتل علي بن أبي طالب عليه السلام في رمضان سنة أربعين فسمي باسمه ، وكني بكنيته . فقال له عبد الملك ابن مروان : لا أحتمل لك الاسم والكُنية : فغيّر كنيته فصيّرها أبا محمد وكان أجمل قُرَشيّ على وجه الأرض وأكثرَه صلاة . وكان يقال له السَّجاد .

وعن على بن أبى جملة والأوزاعى قالا : كان على بن عبد الله بن عباس يسجد كل يوم ألف سجدة .

وعن هشام بن سليمان المخزومى أن على بن عبد الله بن عباس كان إذا قدم بمكة حاجًّا أو معتمِراً عطّلت قريش مَجالسَها في المسجد الحرام وهَجرت مواضع حلقها ولزمت مجلس على بن عبد الله إعظاماً وإجلالاً وتبجيلاً فإن قعَد قعدوا ، وإن نَهَض نهضوا وإن مشى مشَوْا جميعاً حوله . وكان لا يَرى لقرشي في المسجد الحرام مجلسَ ذكر يُجتمع إليه فيه حتى يخرج على بن عبد الله من الحرَم .

عامّة مسانيد على بن عبد الله عن أبيه . وتوفى بالشام سنة سبعَ عشرة ومائة . ويقال ثماني عشرة رضي الله عنه .

١٧١ – أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهما السلام

أمه أم عبد الله بنت الحسن بن على بن أبى طالب : واسم ولَده : جعفر وعبد الله . وأمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وإبراهيم وعلى وزينب وأم سلمة .

وعن زياد بن خيثمة عن أبى جعفر قال : الصواعق تُصيب المؤمن وغير المؤمن ولا تُصيب الذاكر .

وعن منصور قال : سمعت محمد بن على يقول : الغِنىَ والعزّ يجولان فى قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان التوكّل أو طِناهُ .

وعن عمر مولى غَفرة عن محمد بن على أنه قال: ما دخل قلبَ امرىء شىء من الـكِبْر إلا نقَص من عقله مثلُ ما دخله من ذلك ، قلّ أو كثُر .

وعن جابر ، يعنى الجُعْفي ، قال : قال لى محمد بن على : يا جابر إنى لَمحزون وإنى لمشتغل القلب . قلت وما حزنُك وما شغل قلبك ؟ قال : يا جابر إنه من دخل قلبَه صافى خالصِ دين الله شَغله عما سواه . يا جابر ما الدنيا ما عسى أن تكون ؟ هل هو إلا مركب ركبتَه أو ثوبٌ لبستَه أَو امرأة أصبتَها ؟ ياجابر إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاءٍ فيها ولم يأمنوا قُدومَ الآخرة عليهم ولم يُصِمَّهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة ، ولم يُعْمهم عن نور الله ما رأَوْ بأعينهم من الزينة ففازوا

بثواب الأبرار ، إن أهل التقوى أيسرُ أهل الدنيا مؤونةً وأكثرهم لك معونةً ، إن نسيت ذكروك وان ذكَرت أعانوك ، قوّالين بحق الله ، قوّامين بأمر الله فأنزلِ الدنيا كمنزلٍ نزلتَ به وارتحلتَ منه أو كمالٍ أصبتَه فى منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء ، واحفظِ الله تعالى ما استرعاك مِن دينه وحكْمتهِ .

وعن حُسين بن حَسن قال : كان محمد بن على يقول : سلاح اللئام قَبيح الكلام - وعنه قال : والله لموتُ عالمٍ أحبُّ إلى إبليس من موت سبعين عابداً .

وعن خالد بن أبى الهيثم ، عن محمد بن على بن الحسين قال ما اغرَوْرقتْ عينٌ بمائها إلا حرّم الله وجهَ صاحبها على النار فإن سالتْ على الخدّين لم يُرهِق وجهه قترٌ ولا ذلّة ، وما من شيء إلاّ له جزاء ، إلا الدمْعة فإن الله يكفّربها بُحور الخطايا ، ولو أنّ باكياً بكى فى أمّة لحرّم الله تلك الأمّةَ على النار .

وعن الأصمعى قال : قال محمد بن على لابنه . يابُنيّ إياك والكسلَ والضجَر فإنهما مفتاح كل شرٍّ إنك إن كسلت لم تؤدّ حقاً وإن ضجرتَ لم تصبر على حق .

عن عروة بن عبد الله قال سألت أبا جعفر محمد بن على عن حلية السيوف فقال لا بأس به ، قد حلّى أبو بكر الصديق سيفَه قال قلت :

وتقول : الصدّيق ؟ قال : فوثب وثبةً واستقبل القبلة ثم قال : نعم الصدّيق ، نعم الصدّيق ، نَعم الصدّيق . فمن لم يقُل له الصدّيق فلا صدّق اللهُ له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة .

وعن عمرو بن شَمِر عن جابر قال : قال لى محمد بن على : يا جابر بلغنى أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبونا وينالون أبا بكر وعمر ، ويزعمون أنى أمرتهم بذلك فأبلِغْهم أني إلى الله منهم برىء ، والذى نفسُ محمد بيده لو وليتُ لتقربت إلى الله عز وجل بدمائهم ، لا نالتْني شفاعةُ محمد إن لم أكن أستغفر لهما وأترحّم عليهما إن أعداء الله لغافلون عنهما .

وعن أفلح ، مولى محمد بن على ، قال : خرجت مع محمد بن على حاجّا فلما دخل المسجد نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته فقلتُ بأبى أنت وأمى إن الناس ينظرون إليك فلو رفقت بصوتك قليلاً قال : ويحك يا أفلح ، ولِمَ لا أبكى ؟ لعل الله ينظر إلىّ منه برحمة فأفوزَ بها عنده غداً قال : ثم طاف بالبيت ثم جاء حتى ركع عند المقام فرفع رأسه من سجوده فإذا موضع سجوده مبتلّ من دموع عينيه .

وعن خالد بن دينار عن أبى جعفر أنه كان إذا ضحك قال : اللهم لا تَمقُتْني .

وعن عبد الله بن عطاء قال : ما رأيت العلماء عند أحدٍ أصغرَ منهم علماً عند أبى جعفر (محمد بن على) لقد رأيت الحكم عنده كأنه متعلّم .

وعن أحمد بن يحيى قال : قال محمد بن على : كان لى أخ فى عينى عظيم ، وكان الذى عظّمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه .

وعن موسى بن عمير ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه أنه كان يقول فى جوف الليل . أمرْتَنِي فلم آتمر ، وزجرتني فلم أزدجر ، هذا عبدك بين يديك ، ولا أعتذر .

(محمد بن مسعر قال : قال جعفر بن محمد فقد أبى بغلةً له فقال : لئن ردّها الله عز وجل لأحمدنّه محامدَ يرضاها . فما لبث أن أُتِيَ بها بسرجها ولجامها . فركبها . فلما استوى عليها وضمّ عليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء وقال الحمد لله . لم يزد عليها . فقيل له فى ذلك فقال : وهل تركتُ أو أبقيت شيئا ؟ جلعتُ الحمد كلّه لله عز وجل .

وعن أبى حمزةَ عن أبى جعفر محمد بن على قال : ما من عبادةٍ أفضل من عفّة بطن أو فرْجٍ ، وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يُسأل ، وما يدفع القضاء إلاّ الدعاء . وإن أسرعَ الخير ثوابًا البِرُّ وأسرع الشرّ عقوبةً البغْيُ ، وكفى بالمرء عيبًا أن يبصر من الناس ما يعمَى عليه من نفسه ، وأن يأمر الناسَ بما لا يستطيع التحوّل عنه ، وأن يؤذى جليسَه بما لا يَعنيه .

وعن عبد الله بن الوليد قال : قال لنا أبو جعفر محمد بن على : يُدخل

أحدُكم يَده كيسَ صاحبه فيأخذ مايريد ؟ قال قلنا : لا . قال : فلستم إخوانًا كما تزعمون .

وعن سلمى مولاة أبى جعفر قالت : كان يدخل إليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمَهم الطعام الطيّب ويكسوَهم الثياب الحسنة ويهبَ لهم الدراهم . قالت : فأقول له بعض ما تصنع . فيقول : ياسلمى مايؤمَّل فى الدنيا بعدالمعارف والاخوان؟ وعن سليمان بن قرم قال: كان محمد بن على يجيز بالخمسمائة والستمائة إلى الألف ، وكان (لا) يمل من مجالسة إخوانه (غنيّاً) .

وعن الأسود بن كثير قال : شكوت إلى محمد بن على الحاجة وجفاء الاخوان فقال : بئس الأخ أخٌ يرعاك غنياً ويقطعك فقيراً . ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعُ مائةِ درهم فقال : استنفِق هذه فإذا نفدتْ فأعلمنى .

وعن أبى جعفر قال : اعرِف المودة لك فى قلب أخيك بما لَه في قلبك.

أسند أبو جعفر عن جابر بن عبدالله، وأبى سعيد الخدْرى، وأبى هريرة وابن عباس وأنس والحسن والحسين . وروى عن سعيد بن المسيب وغيره من التابعين . ومات فى سنة سبع عشرة ومائة ، وقيل ثمانى عشرة وقيل أربعَ عشرة، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، وقيل ثمانٍ وخمسين. وأوصى أن يكفَّن فى قميصه الذى كان يصلى فيه (رضى الله عنه وأرضاه) .

١٧٣ - عمر بن عبد العزيز بن مروان

يكنى أبا حفص . أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .

محمد بن سعد قال : قال ابن شوذب : لما أراد عبد العزيز بن مروان أن يتزوج أم عمر بن عبد العزيز قال لقيّمِه : اجمع لى أربعَ مائةِ دينار من طيّب مالى فإنى أريد أن أتزوج إلى أهل بيتٍ لهم صلاح. فتزوج أم عمر ابن عبد العزيز .

قال سفيان الثورى : الخلفاء خمسة : أبو بكر وعمر و عثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنهم .

حميد بن زنجويه قال : قال أحمد بن حنبل : يروي فى الحديث أن الله تبارك وتعالى يبعث على رأس كل مائة عام مَن يصحّح لهذه الأمة دينها . فنظرنا فى المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز ، ونظرنا فى المائة الثانية فإذا هو الشافعى .

وعن الضحاك بن عثمان قال : لما انصرف عمر بن عبد العزيز عن قبر سليمان بن عبد الملك صُفَّت له مراكب سليمان فقال .

ولولا التّقى ثم النُّهى خشية الردى لعاصيت فى حُبِّ الصِّبا كلَّ زاجرِ
قضَى ما قضى، فيما مضى ، ثم لا يرىَ له صبوة أخرى الليالى الغوابر

ثم قال : إن شاء الله لا قوة إلا بالله ، قدموا إلى بغلتى .

وعن سهل بن يحيى محمد المروزى قال : أخبرنى أبى عن عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز قال : لما دفن عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك وخرج من قبره سمع للأرض هدّه أورجّة فقال : ما هذه ؟ فقيل : هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين قُرّبت إليك لتركبها . فقال : مالى ولها؟ نحُّوها عنى، قرّبوا إلىّ بغلتى. فقُرّبت إليه بغلته فركبها فجاءه صاحب الشُرَط يسير بين يديه بالحربة فقال : تنحَّ عنّي مالى ولك؟ إنما أنا رجل من المسلمين .

فسار وسار معه الناس حتى دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع الناس إليه فقال : يا أيها الناس إنى قد ابتُليت بهذا الأمر من غير رأى كان منى فيه ولا طَلِبةٍ له ولا مشورة من المسلمين ، وإنى قد خلعتُ ما فى أعناقكم من بيعتى فاختاروا لأنفسكم .

فصاح المسلمون صيحة واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فلِ(١) أمرَنا باليُمن والبركة . فلما رأى الأصوات قد هدأت ورضى به الناس جميعاً حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقال:

أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله خلَفٌ من كل شيء ، ليس من تقوى الله عز وجل خلَفٌ فاعملوا لآخرتكم فإنه من عملَ لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمرَ دنياه ، وأصلِحوا سرائركم يُصلحِ الله الكريم علانيتكم وأكثروا ذكْر الموت وأحسنوا الاستعدادَ قبل أن ينزل

---

(١) ل : فعل أمر من ولى يلى .

بكم فانه هادمُ اللذاتِ ، وإن مَن لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدمَ عليه السلام أبًا حيًّا لمعْرِق فى الموت ، وإن هذه الأمة لم تختلف فى ربها عز وجل ولا فى نبيها ولا فى كتابها ، إنما اختلفوا فى الدينار والدرهم وإني والله لا أعطى أحداً باطلاً ولا أمنع أحداً حقاً .

ثم رفَع صوته حتى أسمع الناس فقال :

ياأيها الناس من أطاع الله فقد وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعونى ما أطعتُ الله فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم .

ثم نزل فدخل فأمَر بالسُتور فُهتكت والثيابِ التي كانت تبسط للخلفاء فحُملتْ وأمر ببيْعها وإدخال أثمانها فى بيت مال المسلمين . ثم ذهب يتبوَّأ مَقيلاً فأتاه ابنه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تَصنع ؟ قال : أىْ بنىّ أَقيل . قال: تَقيل ولا تردّ المظالم ؟ قال: أىْ بنى إنى قد سهرت البارحة فى أمر عمّك سليمان فاذا صلّيتُ الظهر رددتُ المظالم . قال: ياأمير المؤمنين مَن لك أن تعيش إلى الظهر ؟ قال : ادنُ منى أى بنى فدنا منه فالتزمه وقبل بين عينيه وقال : الحمد الله الذى أخرج من صُلبي من يُعيننى على دينى . فخرج ولم يقل وأمر مناديه أن ينادى : ألاَ من كانت له مظلمة فليرفعها . فقام إليه رجل ذِمّي من أهل حمص أبيض الرأس واللحية فقال : ياأمير المؤمنين أسألك كتابَ الله . قال وما ذاك ؟ قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبنى أرضى ،

والعباس جالس ، فقال له : ياعباس ما تقول ؟ قال : أقطعنيها أميرُ المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لى بها سجلاّ . فقال عمر: ما تقول ياذمي ؟ قال : ياأمير المؤمنين أسألك كتابَ الله عز وجل . فقال عمر : كتابُ الله أحق أن يُتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك . قم فارْدُد عليه ياعباس ضيعته . فرد عليه فجعل لا يدَع شيئاً مما كان فى يده وفى يد أهل بيته من المظالم إلاّ ردّها مَظْلمةً مَظْلمَةً . فلما بلغت الخوارجَ سيرةُ عمر وما ردّ من المظالم اجتمعوا فقالوا : ماينبغى لنا أن نقاتل هذا الرجل . فبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك فكتب إليه : إنك قد أزْريتَ على من كان قبلك من الخلفاء وعبْتَ عليهم وسرْتَ بغير سيرتهم بغضاً لهم وشَنْئاً لمن بعدَهم مِن أولادهم، قطعتَ ما أمر الله به أن يُوصل إذ عمدتَ إلى أموال قريش ومَواريثهم فأدخلتَها فى بيت المال جوراً وعدواناً ، ولن تُترك على هذا .

فلما قرأ كتابه كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم — من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد . السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . أما بعد فإنه بلغنى كتابك وسأجيبك بنحوٍ منه : أما أول شأنك ابنَ الوليد كما زعم[1] فأمك « بَنانةُ » أمَة السَّكون كانت تطوف فى سوق حمص

---

(١) قط — تزعم .

وتدخل وتدور فى حوانيتها ثم الله أعلم بها إشتراها ذبيان من فىء المسلمين فأهداها لأبيك فحملت بك فبئس المحمول وبئس المولود. ثم نشأتَ فكنت جبّاراً عنيدا تزعم أنى من الظالمين، لِمَ حرمتك[١] وأهلَ بيتك فَىْءَ الله عز وجل الذى فيه حقُّ القرابة والمساكين والأرامل، وإن أظْلَم منى وأتْرَكَ لعهد الله مَن استعملك صبيّاً سفيهاً على جند المسلمين تحكُم فيهم برأيك ولم تكن له فى ذلك نيّة إلا حُبّ الوالد لولَده، فويل لك وويلٌ لأبيك ما أكثر خُصَماءَ كُما يوم القيامة، وكيف ينجو أبوكَ من خُصَمائه؟ وإن أظْلَم منى وأتْرَكَ لعهد الله من استعمل الحجاجَ بن يوسف يسفك الدَّمَ الحرام ويأخذ مالَ الحرام، وإنّ أظْلم منى وأتْرَكَ لعهد الله من استعمل قُرّة بن شريك أعرابياً جافياً على مِصْر أذِن له فى المعازِف واللهو والشُرب، وإنّ أظْلم منى وأتْرَكَ لعهد الله من جعل لعاليةَ البربرية سهماً فى خمس العرب. فرويداً يا بْنَ بَنانة فلو التقى حلَقتا البِطان ورُدَّ الفْىء إلى أهله لتفرّغتُ لك ولأهل بيتك فوضعتُهم على المَحجَّة البيضاء، فطالما تركتم الحق وأخذتم فى بنيّات الطريق، ومن وراء هذا ما أرجو أن أكون رأيته بيْع رقبتك وقَسْم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل، فانّ لكلٍّ فيك حقاً والسلام علينا ولا ينالُ سلامُ الله الظالمين.

---

(١) كذا فى النسخ ولعلها: لما.

عن عمر بن ذر قال: قال مولىً لعمر بن عبد العزيز حين رجَع من جنازة سليمان : مالى أراك مُغتمّا ؟ قال : لمِثْلِ ما أنا فيه يُغتَمّ إنه ليس من أمة محمد ﷺ أحد فى شرق الأرض وغربها إلا وأنا أريد أن أؤدى إليه حقّه غيرَ كاتبٍ إلىّ فيه ولا طالبِهِ منّي .

وعن بعض خاصة عمر بن عبدالعزيز أنه حين أفضت إليه الخلافة سمعوا فى منزله بكاء عالياً. فسُئل عن البكاء فقيل: إن عمر بن عبدالعزيز خيرَّ جوارِيَه فقال : إنه قد نزل لى أمر قد شغلنى عنكن فمن أحب أن أعتِقه أعتقتُه ومن أراد أن أُمسِكه أمسكْته ولم يكن منى إليها شىء فبكين يأساً منه .

وعن مالك بن دينار قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز قالت رِعاء الشاء في رؤس الجبال : من هذا الخليفة الصالح الذى قد قام على الناس ؟ قال : فقيل لهم : وماعلمكم بذلك ؟ قالوا: إنه إذا قام خليفة صالح كفّت الذئاب والاسد عن شائِنا .

وعن مسلم قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده كاتب يكتب وشمعةٌ تزهر[1] وهو ينظر فى أمـــور المسلمين قال : فخرج الرجل فأطفِئت الشمعة وجىء بسراج إلى عمر فدنوت منه فرأيت عليه قميصاً فيه رقعة قد طبّقَ مابين كتفيه . قال :فنظَر فى أمرى .

---

(١) تضىء وتتلألأ . وفعله ثلاثى .

وعن الثقة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم : أما بعد فإنك كتبتَ إلى سليمان كتباً لم ينظر فيها حتى قُبض رحمه الله، وقد بليت بجوابك . كتبتَ إلى سليمانَ تذْكر أنه يقطع لعمال المدينة من بيت مال المسلمين ثمنَ شمْع كانوا يستضيئون به حين يخرجون إلى صلاة العشاء وصلاة الفجر ، وتذْكر أنه قد نفد الذى كان يستضاء به وتسأل أن يُقطع لك من ثمنه بمثل ما كان للعمال، وقد عهدتك وأنت تخرج من بيتك فى الليلة المظلمة الماطرة الوَحِلة بغير سراج ، ولعمرى لأنت يومئذ خير منك اليوم والسلام .

وعن رجاء بن حَيْوَة قال: كان عمر بن عبد العزيز من أعطر الناس وأُخْيلهم فى مشيته فلما استُخلف قوّموا ثيابه اثنى عشر درهماً : كُمّته[1] وعمامتَه وقميصَه وقَباءه وقُرْطَقه[2] ورداءه وخفّيه .

وعن يونس بن أبى شبيب قال : شهدت عمر بن عبد العزيز وهو يطوف بالبيت وإن حُجْزةَ إزاره لغَائبةٌ فى عُكَنه[3] . ثم رأيته بعد ما استُخلف ولو شئت أن أعُدَّ أضلاعه من غير أن أمّسها لفعلت .

---

(١) الكمة : القلنسوه المدورة لأنها تغطى الرأس .

(٢) القرطق (بضم القاف وفتح الطاء) : قباء ذو طاق واحد . معرب .

(٣) كناية عن السمنة والعكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً . ج عُكن .

وعن مسلمة بن عبد الملك قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده فى مرضه فاذا عليه قميص وسِخ فقلت لفاطمة بنت عبد الملك يا فاطمة اغسلى قميص أمير المؤمنين قالت : نفعل إن شاء الله ثم عُدتُ فاذا القميص على حاله فقلت : يافاطمة أَلَمْ آمرُكم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين فان الناس يَعودونه ؟ قالت : والله ماله قميصٌ غيره .

وعن الفهرى عن أبيه قال : كان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاح الَفْيء فتناول ابنٌ له صغيرٌ تفاحة فانتزعها مِن فِيه فأوجعه فسعى إلى أمه مستعْبِراً فأرسلت إلى السوق فاشترت له تفاحاً فلما رجع عمر وجد ريح التفاح فقال : يافاطمة هل أتيتِ شيئاً من هـذا الفْيء ؟ قالت لا . وقصّت عليه القصة فقال : والله لقد انتزعتها من ابنى لكأنما نزعتها عن قلبي ولكن كرهتُ أن أضُيع نصيبى من الله عز وجل بتفاحةٍ من فىء المسلمين .

وعن شيخ من أهل الشام قال : لما مات عمر بن عبد العزيز كان استودَع مولىً له سفَطاً يكون[1] عنده فجاؤه فقالوا السفَط الذى كان استودعك عمر ؟ قال : مالكم فيه خيّر فأَبَوْا حتى رفعوا ذلك إلى يزيد بن عبد الملك فدعا بالسفَط ودعا بنى أمية وقال : خيركم هذا فقد

---

(١) السفط : وعاء كالقفة أو الجوالق .

وجدنا له سفَطاً وديعة قد استودعها : ففتحوه فاذا فيه مقطَّعات من مُسوح كان يلبسها بالليل .

وعن عبد السلام مولى مسلمة بن عبد الملك قال : بكى عمر بن عبد العزيز فبكت فاطمة ، فبكى أهل الدار لايدرى هؤلاء ما أبكى هؤلاء فلما تجلّت عنهم العَبْرة قالت له فاطمة : بأبي أنت ياأمير المؤمنين ممَّ بكيت ؟ قال ذكرت منصرَف القوم مِن بين يدى الله عز وجل، فريقٌ فى الجنة وفريقٌ فى السعير ثم صرخَ وغَشِيَ عليه .

وعن زياد بن أبى زياد المدينى قال : أرسلنى ابن عامر[1] بن أبى ربيعة إلى عمر بن عبد العزيز فى حوائج له فدخلت عليه وعنده كاتب يكتب فقلت : السلام عليكم . فقال : وعليك السلام . ثم انتبهت فقلت : السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال : يابن أبى زياد إننا لسنا ننكر الأولى التى قلتَ . والكاتب يقرأ عليه مظالم جاءت من البصرة . فقال لى : اجلس . فجلست على أُسْكُفَّة الباب[2] وهو يقرأ وعمر يتنفس صَعَداً[3] .فلما فرغ أخرج مَن كان فى البيت حتى وصيفاً كان فيه ثم قام يمشي إلىّ حتى جلس بين يدىّ ووضع يديه على ركبتى

---

(١) قط : ابن عياش .

(٢) خشبة الباب التى يوطأ عليها .

(٣) صعداً : شديداً . وفى ط : « صعداء » وحينئذ ينبغى تعريفها باللام فيقال تنفس الصعداء .

ثم قال: ياابنْ أبى زياد استدفأتُ فى مِدْرعتك[١] هذهقال وعلىّ مِدْرعة من صوف واسترحت مما نحن فيه . ثم سألنى عن صُلَحاء أهل المدينة رجالِهم ونسائهم فما ترك منهم أحداً إلا سألنىعنه وسألنى عن أمورٍ كان أمر َبها بالمدينة فأخبرته ، ثم قال لى يا بْن أبى زياد ألا ترى ما وقعت فيه ؟ قال : قلت : أبشر يا أمير المؤمنين ، إنى أرجو لك خيراً . قال : هيهات هيهات . قال : ثم بكى حتى جعلَتُ أرثى له فقلت : يا أمير المؤمنين بعضَ ما تصنع ، فإنى أرجو لك خيراً . قال : هيهات هيهات أَشْتِمُ ولا أشتَمَ وأضرِب ولا أضرَب وأوذى ولا أوذَىٰ . ثم بكى حتى جعلت أرثى له . فأقمت حتى قضى حوائجى ثم أخرَج من تحت فراشه عشرين ديناراً فقال استعنْ بهذه فإنه لو كان لك فى الفىْء حقّ أعطيناك حقك إنما أنت عبدٌ . فأبيت أن آخذها فقال : إنما هى مِن نفقتى فلم يزل بى حتى أخذتها وكتب إلى مولاى يسأله أن يبيعنى منه فأبى وأعتقنى .

وعن عمرو بن مهاجر قال : قال لى عمر بن عبد العزيز : إذا رأيتنىَ قـد ملتُ عن الحق فضع يدك فى تلبابى ثم ُهزَّنى ثم قل : يا عمر ما تصنع ؟

وعن عبيد الله بن محمد التيمى قال : سمعت أبى وغيره يحدث أن عمر ابن عبد العزيز لما ولى منع قرابته ما كان يجرى عليهم وأخذمنهم القطائع

---

(١) جبة من صوف وشقوقة المقدم .

التى كانت فى أيديهم . فشكوا إلى عمته أم عمر فدخلت فقالت : إن قرابتك يشكونك ويزعمون أنك أخذت منه خيرَ غيرِك . قال منعتهم حقاً ولا أخذت منهم حقاً . فقالت : إنى رأيتهم يتكلمون وإنى أخاف أن يَهجوا عليك يوماً عصيباً . فقال : كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقانى الله شره . قال ودعا بدينار وخَبَث[1] ومجمره فألقى الدينار فى النار وجعل ينفخ على الدينار حتى إذا احمرّ تناوله بشى فألقاه على الخَبَث فنشّ[2] فقال : أى عمة أما تأوين[3] لابن أخيك من مثل هذا؟ فقامت فخرجت على قرَابته فقالت: تزوّجون إلى آل عمر فإذا نزَعوا الشَّبَهَ جزعتم ؟ اصبِروا له .

وعن أبى سليم الهُذَلى قال:وخطب عمر بن عبد العزيز فقال :

أما بعد فان الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ولم يدع[4] شيئاً من أمركم سُدًى ، وإن لكم مَعاداً فخاب وخسِر من خرج من رحمة الله وحُرم الجنة التى عرضها السموات والأرض واشترى قليلاً بكثير وفانياً بباق وخوفاً بأمن ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين وسيخلُفها بعدكم

---

(١) خبث الحديد وغيره : ما نفاه الكير ، وكل مالا خير فيه . ط : جفب

(٢) نش : صوّت.

(٣) أوى له : رحمه ورقّ له .

(٤) قط : يترك .

الباقون ؟ كذلك حتى تُردّ إلى خير الوارثين، فى كل يوم وليلة تشيّعون غاديًا ورائحًا إلى الله عز وجل قد قضى نحبَه وانقضى أجلُه حتى تغيّبوه فى صَدْع من الأرض فى بطن صَدْع ثم تدَعونه غيرَ ممهَّد ولا موسَّد قد خلَع الأسبابَ وفارق الأحباب وسكن التراب وواجه الحساب مرتَهنًا بعمله فقيراً إلى ما قدّم ، غنيًّا عما ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت وايْمُ الله إنى لأقولُ لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب ما أعلم عندى وما يبلغنى عن أحد منكم ما يسَعه ما عندى إلا ودِدْتُ أنه يمكنني تغييره حتى يستوى عيشُنا وعيشه وايْم الله لو أردت غير ذلك من النضارة والعيش لكان اللسان مني به ذَلولا عالما بأسبابه ، ولكن سبَق من الله عز وجل كتابٌ ناطق وسُنّة عادلة دل فيها على طاعته ونَهى فيها عن معصيته .

ثم وضع طرف ردائه على وجهه فبكى وشهقَ وبكى الناس ، وكانت آخرَ خطبةٍ خطبها .

سعيد بن محمد الثقفى قال : سمعت القاسم بن غزوان قال : كان عمر ابن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات :

أيقظانُ أنت اليومَ أم أنت نائم وكيف يُطيق النومَ حيرانُ هائمُ

فلو كنتَ يقظانَ الغداةَ لحَرَّقتْ مدامعَ عينيك الدموعُ السّواجم

بَلَ أصبحت فى النوم الطويل وقد دنت إليك أمورٌ مُفظِعات عَظائم
نهارُك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ وليلُك نومٌ والردَى لك لازِم
يغرُّك ما يفني وتُشغَل بالمنى كما غُرَّ باللذات فى النوم حالم
وتُشغَل فيما سوف تكره غِبَّه[1] كذلك فى الدنيا تَعيش البهائم

وعن القاسم بن غزوان قال كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات — وعن هاشم[2] قال لما : كانت الصَّرْعة التي هلك فيها عمر دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين إنك أفقرت أفواه ولدِك من هذا المال وتركتهم عَيْلةً[3] لاشيء لهم فلو وصّيت بهم إلىّ وإلى نُظَرائى من أهل بيتك .

قال:فقال: أسنِدونى ثم قال : أما قولك إنى أفقرتُ أفواه ولدى من هذا المال فوالله إنى مامنعتُهم حقاً هو لهم ولم أعطهم ماليس لهم وأما قولك لو أوصيتُ بهم فان وصّيي ووليّي فيهم الله الذى نزَّل الكتاب وهو يتولى الصالحين. بَنيَّ أحدُ الرجلين[4] إما رجل يتقى الله فسيجعل

(١) كذا فى ط وغب الشيء : عاقبته وفى ق : عيبه . ولعلها : غيبه ، أو عينه . وعين الشيء : ذاته ونفسه . والعين أيضاً : العيب .

(٢) صف : هشام .

(٣) كذا ، والعيلة : الفقر . لكن يقال : أمسى أخا عيلة : اي فقيراً .

(٤) قط . صف : رجلين .

الله له مخرجاً وإما رجل مُكِبّ على المعاصى فانى لم أكن أقوِّيه على معاصى الله .

ثم بعث إليهم وهم بضعةَ عشر ذكراً قال : فنظر إليهم فذرفت عيناه ثم قال : بنفسى الفتيةُ الذين تركتهم عَيْلةً لاشىء لهم ، فإنى بحمد الله قد تركتهم بخير أى بنىَّ إن أباكم مَثَلَ بين أمرين : بين أن تَستْغنوا ويدخل أبوكم النار أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة ، فكان أن تفتقروا ويدخلَ الجنة أحبّ إليه من أن تستغنوا ويدخل النار . قوموا عصمكم الله .

وعن ليث بن أبى رُقَيّة عن عمر أنه لما كان مرضُه الذى قُبض فيه قال : أجلِسونى فأجلَسوه . ثم قال : أنا الذى أمرتَنى فقصّرتُ ونهيتَنى فعصيتُ ولكن لا إله إلا الله . ثم رفع رأسه وأحدَّ النظرَ . فقالوا له : إنك لتنظر نظراً شديداً . فقال : إنى لأرى حضرةً ماهُم بأنسٍ ولاجانٍ ثم قُبض رضى الله عنه .

أسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وعمر بن أبى سلمة ، والسائب بن يزيد ، ويوسف بن عبد الله بن سلام .

وقد أرسل الحديثَ عن القدماء منهم : عبادة بن الصامت والمغيرة ابن شعبة وتميم الدارى وعائشة وأم هانىء .

وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وعبد الله بن إبراهيم بن قارظ وسالم وأبى سلمة وعروة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وخارجة بن زيد وعامر بن سعد بن أبى وقاص وأبى بُردة بن أبى موسى والربيع بن سَبْرة وعِراك بن مالك وأبى حازم والزُهرى والقُرَظى ، فى خلق كثير يطول ذكرهم وقد ذكرنا مُسنداتِه عنهم فى كتابٍ أفردناه لأخباره وفضائله . ولهذا اقتصرنا على هذه النبذة من أخباره هاهنا .

وتوفى رضى الله عنه لعشر ليالٍ بقين من رجب سنة إحدى ومائة وهو ابن تسع وثلاثين سنةً وأشهرٍ وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ومات بدْير سمعان وقُبر هناك . وكان له رضى الله عنه أولاد إلا أنه كان عَينهم[1] .

١٧٣ — عبد الملك[2] (بن عمر بن عبد العزيز)

ونحن نذكرها هنا طرفًا من أخباره ، وإن كان دون طبقة أبيه لكنا ألحقناه به لأنه مات فى حياة أبيه .

وعن بعض مشْيخة أهـــل الشام قال : كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما أدخله في العبادة مارآى من ابنه عبد الملك .

---

(١) كذا فى ط والعين : خيار الشىء ، وشريف القوم . وفى ق : عيبهم : ولعلها : غبهم . وغب الشىء عاقبته .

(٢) ترجمته فى ق متصله مع ترجمة أبيه . وقد آثرنا فصلها كما فى المطبوع .

وعن اسمعيل بن أبى حكيم قال غضب عمر بن عبد العزيز يوماً. فاشتد غضبه وكان فيه حدّة وعبد الملك حاضر ، فلما سكن غضبه قال: يا أمير المؤمنين أنت فى قدْر نعمة الله عليك وموضعك الذى وضعك الله به وما ولاك من أمر عباده يبلغ بك الغضب ما أرى ؟ قال : كيف قلت ؟ فأعاد عليه كلامه فقال : أما تغضب يا عبد الملك ؟ فقال ماتغُنى سَعةُ جوفى إن لم اردّد فيه الغضب حتى لا يظهر منه شىء أكرَهه .

دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على عمر فقال : يا أمير المؤمنين إن لى إليك حاجة فأخْلني ، وعنده مسلمة بن عبد الملك .فقال عمر : أسِرٌّ دون عمّك ؟ قال : نعم . فقال مسلمة وخرج وجلس بين يديه فقال : يا أمير المؤمنين ما أنت قائل لربك غداً إذا سألك فقال : رأيتَ بدعةً ُتمِتْها أو سنّةً فلمْ ُتحْيِها ؟ فقال له : يا بنى أشىء حمّلك[1] الرغبة إلىّ أم رأى رأيته من قِبل نفسك ؟ قال : لا والله ولـكنْ رأىٌ رأيُته من قِبل نفسى ، عرفت أنك مسئول ، فما أنت قائل ؟ فقال له أبوه : رحمك الله وجزاك من ولدَ خيراً فو الله إني لأرجو أن تـكون من الأعوان على الخير . يابني إن قومك قد شدّوا هذا الأمر ُعقْدةً عقدةً وعُروةً عروة ومتى ما أريد مكابرتهم على انتزاع مافى أيديهم لم آمَن أنَ يفتقوا على فتْقاً تـكثر فيه الدماء ، والله لزوال الدنيا أهون على من أن ُيهرَاق فى سببى محجَةٌ من دم ، أو

---

(١) كذا فى ط . وفى ق : حملته . قط : حملـكه .

مَا ترضى أن لا يأتى على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يُميت فيه بدعة ويُحيي فيه سنّة ؟ حتى يحكم الله بيننا بالحق وهو خير الحاكمين .

وعن اسمعيل بن أبى حكيم قال : دخل عبدالملك علي أبيه عمر فقال: أين وقع لك رأيك فيما ذَكر لك مُزاحم من ردّ المظالم ؟ فقال : عليّ إنفاذه فرفع عمر يده ثم قال : الحمد لله الذى جعل لى من ذريتى من يعينني على أمر ديني: نعم يابنىّ أصلّى الظُّهر إن شاء الله ثم أصعد المنبر فأردّها على رؤوس الناس فقال عبد الملك يا أمير المؤمنين مَن لك بالظُّهر ؟ ومَن لك إن بقيت أن تسلم لك نيّتك ؟ فقال عمر : فقد تفرّق الناس للقائلة . فقال عبد الملك تأمر مناديك فينادى: الصلاةَ جامعةً ثم يجتمع الناس فأمرَ منادَيه فنادى .

وعن ابن أبى عَبلهقال : جلس عمر يوماًللناس فلما انتصف النهار ضجر وملّ فقال للناس مكانَكم حتى أنصرف إليكم .ودخل ليستريح ساعة فجاء إليه ابنه عبد الملك فسأل عنه فقالوا !:دخل فاستأذن عليه فأذن له فلما دخل قال : يا أمير المؤمنين ما أدخَلك ؟ قال أردت أن أستريح ساعة قال أو أمنتَ الموتَ أن يأتيك ورعيَّتُك على بابك ينتظرونك وأنت محتجب عنهم ؟ فقام عمر فخرج إلى الناس .

وعن زياد بن أبى حسان أنه شهد عمرَ بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك استوى قائما وأحاط به الناس فقال : والله يا بنى لقد

كنتَ بَرّاً بأبيك، والله ما زلت منذ وهبك الله لى مسروراً بك ولا والله ما كنتُ قط أشدّ سروراً ولا أرجى لحظى من الله فيك منذ وضعُتك فى المنزل الذى صيّرك الله إليه، فرحمك الله وغفر لك ذنبك وجزاك بأحسنِ عملك، ورحم كلَّ شافع يشفع لك بخيرٍ مِن شاهدٍ وغائب، رضينا بقضاء الله وسلّمنا لأمره، الحمد لله رب العالمين. ثم انصرف.

اقتصرْنا على هذا القدْر من أخبار عبد الملك لأنا قد أدرجْنا أخباره فى الكتاب الذى جمعنا فيه أخبار أبيه، والله الموفق، رحمه الله ورحِم أباه.

١٧٤ — عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام

عن مالك بن أنس قال: كان عامر بن عبد الله بن الزبير يقف عند موضع الجنائز يدعو وعليه قَطيفة (١)، فربّما سقطت عنه القَطيفة وما يشعر بها.

وعنه قال: ربما خرج عامر بن عبد الله بن الزبير منصرفاً من العَتمة من مسجد رسول الله ﷺ فيعرض له الدعاء قبل أن يصل إلى منزله فيرفع يديه، فما يزال كذلك حتى ينادَى بالصبح فيرجع إلى المسجد فيصلى الصبح بوضوء العَتمة. قال معن: وسمعت أن عامر بن عبد الله

(١) القطيفة: دثار مخمل يلقيه الرجل على نفسه.

ربما أخرج البَدْرة [١] فيها عشرةُ آلاف درهم فيقسمها فما يصلي العَتمة ومعه منها درهم .

وعن سفيان بن عَيينة قال : اشترى عامر بن عبد الله بن الزبير نفسه من الله عز وجل بتسع دِياتٍ .

وعن أبي مودود قال : كان عامر بن عبد الله بن الزبير يتحيّن العُبّاد وهم سجودٌ : أبا حازم وصفوان بن سليم وسليمان بن شحم ، وأشباهَهم فيأتيهم بالصّرة فيها الدنانير والدراهم فيضعها عند نعالهم بحيث يحسّون بها ولا يشعرون بمكانه. فيقال له :ما يمنعك أن ترسل بها إليهم ؟ فيقول أكره أن يتمعّر [٢] وجهُ أحدِهم إذا نظر إلى رسولِي وإذا لقيني .

وعن عياش بن المغيرة قال : كان عامر بن عبد الله بن الزبير إذا شهد جنازة وقف على القبر فقال : ألا أراك ضَيقا ؟ ألا أراك دَقِعا [٣] ؟ ألا أراك مظْلماً ؟ إن سلمتُ لأتأهبَّن لك أُهبتَك . فأول شيء تراه عيناه من ماله يتقرّب به إلى ربه وإنْ كان رقيقه لَيتعرّضون له عند انصرافِه من الجنائز لِيُعْتقهم .

وعن مصعب بن عبد الله قال سمع عامرُ بن عبد الله المؤذّن ، وهو

---

(١) كيس يوضع فيه عشرة آلاف درهم .

(٢) تمعر : تغير . (٣) كئيباً .

يجود بنفسه ، ومنزِلُه قريب من المسجد فقال : خذوا بيدى فقيل له : إنك عليل فقال : أسمع داعى الله فلا أجيبه ؟ فأخذوا بيده فدخل فى صلاة المغرب فركع مع الامام ركعةً ثم مات .

أسند عامر عن أبيه وغيره من الصحابة وحدث عن خلق كثيرٍ من التابعين .

قال محمد بن سعد توفى عامر قبل هشام بن عبد الملك أو بعده بقليل ومات سنة أربع وعشرين ومائة .

١٧٥ — أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم

كان على قضاء المدينة فلما ولى عمر بن عبد العزيز ولاّه إِمْرَة المدينة عطاف بن خالد عن أمه عن امرأة أبى بكر محمد بن عمرو بن حزم أنها قالت ما اضطجع أبو بكر على فراشه منذ أربعين سنةً بالليل .

توفى أبو بكر فى سنة عشرين ومائة ، وهو ابن أربع وثمانين سنة. رحمه الله .

١٧٦ — محمد بن كعب القرظى يكنى أبا حمزة

عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القُرَظى قال : إذا أراد الله بعبدٍ خيراً جعل فيه ثلاثَ خصالٍ ، فقْهاً فِى الدين ، وزهادةً فى الدنيا، وبَصراً بعيوبه .

عن يزيد بن عبد الملك بن المغيرة ، عن محمد بن كعب قال : من قرأ القرآن مُتّع بعقله وإن بلَغ مائتى سنة .

(أبو كثير النّصرى قال : قالت أم محمد بن كعب القُرَظى لمحمد : يابنى لولا أنى أعرفك صغيراً طيباً وكبيراً طيباً لظننت أنك أحدثت ذنبا موبقاً لما أراك تصنع بنفسك فى الليل والنهار . قال : يا أماه وما يؤمننى أن يكون الله قد اطلع علىّ وأنافى بعض ذنوبى فمقتنى فقال اذهب لا أغفِر لك ؟ مع أن عجائب القرآن تَرِدبى على أمور حتى إنه لينقضى الليل ولم أفرغ من حاجتى .

وقال محمد بن كعب لَأن أقرأ فى ليلتى حتى أصبح « إذا زُلزلَت الأرضُ زِلزَالْها » [1] « والقارعة » [2] لا أزيد عليهما ، وأتفكّر فيهما وأتردّد أحَبُّ إلى من أنَ أُهذّ القرآن [3] هذّاً . أو قال : أنثره نثراً .

وعن عيسى بن يونس قال : كنا عند محمد بن كعب القُرَظى فأتاه رجل فقال : ياعبد الله ماتقول فى التوبة ؟ قال:ما أحسنها.قال :أفرأيت إن أعطيتُ الله عهداً أن لاأعصيه أبداً ؟ فقال له محمد فمَن حينئذٍ أعظمُ جُرْماً منك ؟ تتألىّ على الله أن لايُنفِذفيك أمره .

---

(١) سورة الزلزلة : ١ .

(٢) سورة القارعة .

(٣) هذّ القرآن : سرده وقطعه سريعاً .

أسند محمد بن كعب عن زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأبى هريرة وأنس وابن عباس وعبد الله بن يزيد الخطمى فى آخرين من الصحابة رضى الله عنهم .

قال الواقدى : مات سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة ومائة. وقال غيره: سنة تسع وعشرين . وقيل : كان يقصّ على أصحابه فسقط المسجد عليه وعليهم فقتلهم. رحمه الله .

١٧٧ - أبو عمرو بن حماس[١]

وقد اختُلف علينا فى اسمه . فقيل : يوسف بن يونس ، وقيل يونس ابن يوسف .

قال محمد بن طلحة : كان أبو عَمرو متعبداً مجتهداً يصلّى الليل ،وكان شديد النظر إلى النساء فدعا الله أن يَذهب بصُره فذَهب بصره ، فلم يحتمِل العَمى فدعا الله أن يردّ عليه بصره ، فبينا هو فى المسجد إذ رفع رأسَه فنظر إلى القِنديل فدعا غلامه فقال : ماهذا ؟ قال : القنديل . قال وذاك ، وذاك ، يعدّ قناديل المسجد ، وخرّ ساجداً ، شكر اللهَ إذ ردّ عليه بصَره ، فكان بعد ذلك إذا رأى المرأة طأطأَ رأسهَ وكان يصوم الدهر .

وعن مالك بن أنس قال كان يونس بن يوسف من العبّاد أو من خيار الناس .

---

(١) ق : حماش

- شكّ عبد الرحمن - فأقبل ذات يوم وهو رائح من المسجد فلقيته امرأة فوقع فى نفسه منها فقال : اللهم إنك جعلت لى بصرى نعمة وقد خشيت أن يكون على نقمة فاقبضه إليك : قال فعَمِى . وكان يروح إلى المسجد يقوده ابن أخٍ له فاذا استقبل به الأسطوانة اشتغل . الصبى يلعب مع الصبيان فان نابتْه حاجة حصَبه . فأقبل إليه فبينا هو ذات يوم ضحوةً فى المسجد إذْ أحّس فى بطنه بشىء فحصَبَ الصبىَّ فشُغل الصبى مع الصبيان حتى خاف الشيخ على نفسه فقال : اللهم إنك كنت جعلتَ لى بصرى نعمة وخشيت أن يكون نقْمةً فسألتك فقبضتَه إليك وقد خشيتُ الفضيحةَ فرُدَّه إلىّ فانصرَف إلى منزله صحيحاً يمشى قال مالك : فرأيته أعمى ورأيته صحيحاً .

ومن الطبقة الرابعة من أهل المدينة

١٧٨ – محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى يكنى أبا بكر

عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: ما أرى أحداً جَمَع بعد رسول الله ﷺ ما جمع ابن شهاب.

وقال مالك بن أنس ما أدركت فقيهاً محدّثاً غير واحد. فقلت من هو؟ فقال ابن شهاب الزُهرى.

وعنه أنه قال إن هذا الحديث دِينٌ فانظروا عمّن تأخذون دِينكم والله لقد أدركت ها هنا، وأشار إلى مسجد رسول الله ﷺ سبعين رجلاً كلّهم يقول، قال فلان، قال رسول الله ﷺ، فلم آخذ عن أحد منهم حَرْفاً لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، ولقد قدم علينا محمد بن شهاب الزهرى وهو شاب فازدحمنا على بابه لأنه كان من أهل هذا الشأن.

وقال أيوب: ما رأيت أحداً أعلم من الزهرى فقال صخر بن جوَيرية: ولا الحسَن؟ قال: ما رأيت أحداً أعلم من الزهرى.

وعن جعفر بن ربيعة قال: قلت لعِراك بن مالك: مَن أفقه أهل

المدينة ؟ قال : أما أعلمهم بقضايا رسول الله ﷺ وقضايا أبي بكر وعمر وعثمان وأفقههم فقهاً وأعلمهم بما مضى من أمر الناس فسعيد بن المسيب: وأما أغزرهم حديثاً فعروة بن الزبير ولا تشاء أن تفجِّر من عبيد الله بن عبد الله بحراً إلا َّفجرته . قال عراك ، فأعلمهم عندى جميعاً ابنُ شهاب فإنه جَمع علمهم جميعاً إلى علمه .

وعن مَعْمر : قال رجل من قريش : قال لنا عمر بن عبد العزيز : أتأتون الزهرى ؟ قلنا نعم . قال : فائتوه فإنه لم يبق أحد أعلم بسنّة ماضية منه — قال : والحسن ونُظراؤه يومئذ أحياء .

وقال سفيان: مات الزهرى يومَ مات وليس أحد أعلم بالسنّة منه .

وعن ابن شهاب أنه كان يقول: ما استَوْدعت قلبي شيئاً قط فنسيتُهُ .

وعن الليث قال : مارأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علماً منه ، ولو سمعتَ ابن شهاب يحدّث فى الترغيب لقلتَ لا يُحسن إلا هذا وإن حدّث عن الأنبياء وأهل الكتاب لقلتَ لا يُحسن إلا هذا. وإن حدّث عن الأعراب والأنساب لقلتَ : لا يُحسن إلا هذا . وإن حدّث عن القرآن والسنة كان حديثه جامعاً .

وعن مالك بن أنس قال : أول من دوّن العلم ابن شهاب .

وعن الزهرى قال : ما استعدتُ حديثاً قطّ ولا شككتُ فى حديثٍ قط إلا حديثاً واحداً فسألت صاحبي فإذا هو كما حفظت .

وعن يونس بن يزيد قال : سمعت الزهرى يقول إن هذا العلم إن أخذتَه بالمكابرة غلبكَ ، ولم تظفر منه بشيء ، ولكن خُذْه مع الأيام والليالى أخذاً رفيقاً تظفر به .

وعن سفيان قال : سمعت الزهرى يقول العلْم ذكَر لا يحبّه إلا الذكور من الرجال .

وعن معمر ، عن الزهرى قال : ما عُبد الله بشيء أفضلَ من العلم .

وعن عمرو بن دينار قال : ما رأيت أحداً أهْونَ عليه الدينار والدرهم من ابن شهاب ، وما كانت عنده إلا مثل البَعر .

وعن عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب أنه كان يكون معه فى السفر . قال : فكان يعطى من جاءه وسأله حتى إذا لم يبق معه شيء تَسلَّفَ[1] من أصحابه فلا يزالون يُسلِفونه حتى لا يبقىَ معهم شيء ، فيحلفون أنه لم يبقَ معهم شيء فيستسلف[2] من عبيده فيقول : أى فلان أسْلِفْنى وأُضعف لك كما تعلم فيُسلِفونه ولا يرَى بذلك بأساً فربّما جاءه السائل فيقول أبشِر فسيأتى الله بخير . فيقيّض الله لابن شهاب أحدَ رجلين إما رجل

---

(١) ط : يستلف .
(٢) ط : فيستلف .

يهدى له مايسمهم وإما رجل يبيعه ويُنْظِرَه قال : وكان يطعمهم الثريد ويسقيهم العسل .

أسند ابنُ شهاب عن ابن عمر وأنس بن مالك وسهل بن سعد والسائب بن يزيد وعبد الله بن ثعلبة وأبى أمامة بن سهل بن حنيف وعبد الله بن عامر بن ربيعة وعبد الرحمن بن أزهر ومحمود بن الربيع ومحمود بن لبيد ومسعود بن الحكم وكثيرٌ ابن العبّاس وسُنَيْنٍ أبى جميلة وأبى مويهبة وأبى الطفيل فى آخرين من الصحابة ويَذكُر أنه رأى ابن الزبير والحسن والحسين وسمع منهم .

قال الواقدى : ولد الزهرى فى سنة ثمان وخمسين فى آخر خلافة معاوية ، وهى السنة التى ماتت فيها عائشة ومرض وأوصى أن يُدفن على قارعة الطريق ، ومات لسبعَ عشرةَ خلتْ من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة وهو ابن خمس وسبعين سنة .

قال الحسن بن المتوكل رأيت قبره بِأَدامى ، وهى أول عمل فلسطين وآخرُ عمل الحجاز. رحمه الله .

١٧٩ - محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير[1] بن محرز بن عبد العزّى

ابن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة . يكنى أبا عبد الله أمه أم ولد .

عن الزبير بن بكار قال : جاء المنكدر بن عبد الله إلى عائشة أم المؤمنين فشكا إليها الحاجة فقالت : أول شيء يأتيني أبعث به إليك فجاءتها عشرة آلاف درهم فقالت : سَرُعَ ما امتُحنتِ به يا عائشة . وبعثت بها إليه فاتخذ منها جارية فولدت له بَنِيه . محمداً وأبا بكر وعمر . وكلّهم يُذكر بالصلاح والعبادة ، ويحمل عنه الحديثَ .

وعن أبي معشر قال : دخل المنكدر على عائشة فقالت : لك ولد ؟ قال : لا . فقالت: لو كان عندي عشرة آلاف درهم لوهبتُها لك . قال: فما أمست إلا بعث إليها معاوية بمال فقالت ما أسرعَ ما ابُتليت ، وبعَثت إلى المنكدر بعشرة آلاف فاشترى منها جارية فهي أمُّ محمدٍ وعُمر وأبي بكر .

قال الشيخ رحمه الله : وإنما شكا المنكدر إلى عائشة للقرابة التي

---

(١) ق : الهديرى .

بينهما فإنه من ولد حارثة بن سعد بن تيم ، وأبو بكر رضى الله عنه من ولد كعب بن سعد بن تيم .

وعن الحارث بن الصواف قال : قال محمد بن المنكدر : كابدتُ نفسى أربعين سنة حتى استقامت .

وعن سفيان قال : كان محمد بن المنكدر ربما قام من الليل يصلّى ويقول : كم من عينٍ الآن ساهرةٌ فى رزقي .

وكان له جار مبتلًى فكان يرفع صوته من الليل يَصيح وكان محمد يرفع صوته بالحمد. فقيل له فى ذلك فقال: يرفع صوتَه بالبلاء وأرفع صوتى بالنعمة .

يحي بن الفضل الأيسى قال : سمعت بعضَ مَن يَذكر عن محمد بن المنكدر أنه بينا هو ذات ليلة قائم يصلّى إذ استبكى فكثر بكاؤه حتى فزع له أهله فسألوه : ما الذى أبكاك ؟ فاستعجَمَ عليهم ، فتمادى فى البكاء فأرسلوا إلى أبى حازم وأخبروه بأمره ، فجاء أبو حازم إليه فإذا هو يبكى فقال : ياأخى ما الذى أبكاك قدرُعتَ أهلك ؟ فقال له إنى مرّت بى آية من كتاب الله عز وجل . قال : ماهى ؟ قال : قول الله عز وجل « وبدَالهم من اللهِ مالم يكونُوا يَحتسِبون »(١) قال : فبكى

---

(١) الزمر : ٤٧

أبو حازم معه واشتدّ بكاؤهما . قال : فقال بعض أهله لأبى حازم : جئنابك لتفرّج عنه فزدْتَه . قال : فاخبرَهم ما الذى أبكاهما .

وعن عمر بن محمد المنكدر قال : كنت أُمسك على أبى المصحف . قال: فمرّت مولاُة له فكلمها فضحك إليها . ثم أقبل يقول : إنّا لله إنا لله حتى ظننت أنه قد حدث شىء . فقلت: مالَك ؟ فقال : أما كان لى فى القرآن شُغْل حتى مرّت هذه فكلّمتها .

وعن محمد بن سوقة ، عن محمد بن المنكدر قال:إن الله تعالى يحفظ المؤمن فى ولدَه وولدَ ولَدِه ، ويحفظه فى دُوَيرتهِ[1] وفى دُوَيْراتٍ حوله ، فما يزالون فى حفظ[2] وعافية ما كان بين أظُهرهم .

وعن سفيان قال : صلى ابن المنكدر على رجلٍ فقيل له تصلى على فلان ؟ فقال : إنى أستحى من الله عزوجل أن يعلمَ منى أنّ رحمته تعجز عن أحدٍ من خلقه.

وعن أبى معشر قال : بعث محمد بن المنكدر إلى صفوان بن سليم بأربعين ديناراً ثم قال لبنيه : يابنى ماظنكم برجل فرّغَ صفوانَ لعبادة ربه عزوجل.

---

(١) الدويرة : تصغير الدارة . وهى مايحيط به .

(٢) قط: خفض.

وعن عبدالله بن المبارك قال : قال محمد بن المنكدر : بات عمر ، يعنى أخاه ، يصلى وبتّ أغمز رجْل أمى(١) وماأحبّ أنّ ليلتى بليلته .

وعن جعفر بن سليمان، عن محمد بن المنكدر أنه كان يضع خدّه بالأرض ثم يقول لأمّه قومى ضعى قدَمك على خدى .

وعن محمد بن سوقة قال : سمعت محمد بن المنكدر يقول : نعْم العون على تقوى الله عز وجل الغِنى .

قال سفيان بن عيينة : قيل لمحمد بن المنكدر : أىّ العمل أحب إليك ؟ قال : إدخال السرّور على المؤمن . قيل : فما بقى من لذّتك ؟ قال؟ الإفضال على الإخوان .

وعن عبد العزيز بن يعقوب الماجشون ، أخى يوسف ، قال: قال أبى إن رؤية محمد بن المنكدر تنفعنى فى دينى .

وعن سفيان بن عيينة قال : قال محمد بن المنكدر ، الفقيه يدخل بين الله عز وجل وبين عِباده ، فلينظر كيف يدخل .

أسندَ محمدبن المنكدر عن ابن عمر وأبى قتادة وجابر وأبى هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وأميمة بنت رقيقة .

وروى عن كبار التابعين كالحسن وعروة وسعيد بن جبير

(١) أى يحبسها ويكبسها بيده .

والزهرى وأبى حازم ويحيى بن سعيد وأيوب ويونس بن عبيد ، فى خلقٍ يطول ذكرهم .

ذكر وفاته رضى الله عنه

عن عكرمة عن محمد بن المنكدر أنه جزع عند الموت فقيل له: لم تجزع ؟ قال أخشى آيةً من كتاب الله عز وجل ، قال الله عز وجل : (وبَدالهم من الله ما لم يكونوا يحتِسبون) فإنى أخشى أن يبدو لى من الله ما لم أكن أحتسب .

وعن ابن زيد قال : أتى صفوان بن سليم إلى محمد بن المنكدر وهو فى الموت فقال : يا أبا عبد الله كأنى أراك قد شقّ عليك الموت. قال : فما زال يهوّن عليه الأمر وينجلى عن محمد حتى لكأن فى وجهه المصابيح . ثم قال له محمد : لو ترى ما أنا فيه لقرّت عينك . ثم قضى رحمه الله .

توفى محمد بن المنكدر بالمدينة سنة ثلاثين أو إحـــدى وثلاثين ومائة .

١٨٠ – عمر بن المنكدر

عن نافع بن عمر قال: قالت أم عمر بن المنكدر لعُمر: إنى أشتهى أن أراك نائماً. فقال يا أماه والله إن الليل ليرد على فيهولنى فينقضى عنى وما قضيت منه أربى.

وعن سالم أبى بسطام قال: كان عمر بن المنكدر لا ينام الليلُ يُكثر البكاء على نفسه فشقّ ذلك على أُمه فقالت لأخيه محمد بن المنكدر إن الذى يصنع عمر يشقّ علىّ فلو كلّمتَه فى ذلك. فاستعان عليه بأبى حازم فقالا له: إن الذى تصنع يشق على أمك. قال: فكيف أصنع؟ إن الليل إذا دخل علىّ هالنى فأستفتح القرآن وما تنقضى نهمتى فيه. قالا: فالبكاء؟ قال: آية من كتاب الله أبكتنى. قالا: وما هى؟ قال: قوله عز وجل (وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ).

وعن عبد الرحمن بن حفص القرشى قال بعث بعض الأمراء إلى عمر ابن المنكدر بمال فجاء به الرسول فوضعه بين يديه فجعل عمر ينظر إليه ويبكى ثم جاء أبو بكر فلما رأى عمر يبكى جلس يبكى لبكائه ثم جاء محمد فجلس يبكى لبكائهما. فاشتد بكاؤهم جميعاً. فبكى الرسول أيضاً لبكائهم. ثم أرسل إلى صاحبه فأخبره بذلك فأرسل ربيعة بن أبى عبد الرحمن ليستعلم علم ذلك البكاء، فجاء ربيعة فذكر ذلك لمحمد فقال محمد:

سله فهو أعلم ببكائه فاستأذن عليه ربيعة فقال : يا أخى ما الذى أبكاك من صلة الأمير ؟ قال والله إنى خشيت أن تَغْلب الدنيا على قلبي فلا يكون للآخرة فيه نصيب فذلك الذى أبكانى قال : وأمر بالمال فتصدق به على فقراء أهل المدينة قال فجاء ربيعة فأخبر الأمير بذلك فبكى وقال : هكذا يكون والله أهلُ الخير رحمه الله .

١٨١ — سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف

(يكنى أبا اسحاق ولى قضاء المدينة)

عن شعبة قال : كان سعد يصوم الدهر ويقرأ القرآن فى كل يوم وليلة .

وعن عبيد الله(١) بن سعد الزهرى قال : قال عمّى عن أبيه ، قال : سرَدَ أبى سعدُ بن ابراهيم الصوم أربعين سنة .

وعن مِسْعر عن سعد بن إبراهيم قال : قيل له من أفقه أهل المدينة قال : أتقاهم لربه .

وعن ابن سعد بن إبراهيم قال : كان أبى يحتبي فما يحلّ حبْوَته حتى يقرأ القرآن .

---

(١) ق : عبد الله .

وعنه قال : كان أبى سعد بن إبراهيم إذا كانت ليلة إحدى وعشرين وثلاث وعشرين ، وخمس وعشرين ، وسبع وعشرين ، وتسع وعشرين لم يُفطر حتى يختم(١) القرآن وكان يفطر فيما بين المغرب والعشاء الآخرة . وكان كثيراً إذا أفطر يرسلنى إلى مساكين فيأكلون معه رحمه الله .

أسند سعد بن ابراهيم عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وأنس ابن مالك ومحمد بن حاطب وسهل بن حنيف ، ورأى ابن عمر .

وروى عن أبيه وأبى سلمة وابن المسيب فى خلق كثير من كبار التابعين .

وروى عنه من التابعين : أيوب ويحيى ابن سعيد .

وتوفى بالمدينة سنة سبع وعشرين ومائة ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . رحمه الله .

---

(١) صف : يقرأ

١٨٢ – عبد الرحمن بن أبان بن عثمان ابن عفان رحمهم الله

روى عن أبيه .

عن مصعب بن عثمان قال : كان عبد الرحمن بن أبان يشترى أهل البيت ثم يأمر بهم فيُكْسَون ويُدْهَنون ثم يعُرضون عليه فيقول أنتم أحرار لوجه الله أستعين بكم على غمَرات الموت . قال : فمات وهو قائم فى مسجده يصلّى السُّبحة، يعنى الضحى[1] .

١٨٣ – ربيعة بن أبى عبد الرحمن

واسم أبى عبد الرحمن فروخ مولى آل المنكدر ، ويكنى ربيعة أبا عثمان . ويقال أبا عبد الرحمن .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز بالإسناد[2] عن مشيخة أهل المدينة أن فرّوخاً أبا عبد الرحمن أبا ربيعة خرج فى البعوث إلى خراسان أيام بنى أمية غازياً وربيعة حِمْل فى بطن أمه وخلف عند زوجته أمّ ربيعة ثلاثين ألف دينار . فَقَدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو

---

(١) ط : « فى مسجده يعنى السبحة» تحريف ونقص والسبحة(بضم السين) صلاة التطوع ، أى النافلة لأنها مسبح فيها .

(٢) قط : « عبد الوهاب بن عطاء الخفاف قال : حدثنى عن .. »

راكب فرساً وفى يده رمح فنزل عن فرسه ثم دفع الباب برمحه نخرج رَبيعة فقال له : يا عدو الله أتهجم على منزلى ؟ فقال : لا وقال فروخ : ياعدو الله أنت رجل دخلتَ على حرَمى فتواثبا وتلبّب كل واحدٍ منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران فبلغ مالك بن أنس والمشيخة فأتوا يعينون ربيعة فجعل ربيعة يقول والله لافارقتك إلا عند السلطان وجعل فرّوخ يقول : والله لافارقتك إلا عند السلطان وأنت مع امرأتى .

وكثُر الضجيج فلما بصروا بمالك سكت الناسُ كلُّهم . فقال مالك : أيها الشيخ لك سعة فى غير هذه الدار . فقال الشيخ : هى دارى وأنا فروخ مولى بنى فلان . فسمعت امرأتُه كلامه فخرجت فقالت : هذا زوجى ، وهذا ابنه الذى خلّفه وأنا حامل به فاعتَنَقا جميعاً وبكيا فدخل فروخ المنزل فقال : هذا ابنى ؟ قالت : نعم قال فأخرجى المال الذى عندك وهذه معى أربعة آلاف دينار. فقالت : المال قددفنتُه وأنا أخرجه بعد أيام .

فخرج ربيعة إلى المسجد وجلس فى حلْقته وأتاه مالك بن أنس والحسن بن زيد وابن أبى علي اللهْبي والمساحقى وأشراف المدينة وأحدق الناس به فقالت امرأته : اخرج فصلّ في مسجد رسول الله ﷺ فخرج فنظر إلى حلْقةٍ وافرة ، فأتاه فوقف عليه

ففرّجوا له قليلاً ونكس ربيعة رأسهُ يُوهمه أنه لم يره[١] فقال : من هذا الرجل ؟ فقالوا هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن فقال أبو عبد الرحمن: لقد رفع الله ابني . فرجع إلى منزله فقال لوالدته : لقد رأيت ولدك في حالةٍ ما رأيت أحداً من أهل الفقه والعلْم عليها . فقالت أمه فأيّما أحبّ إليك : ثلاثون ألف دينار أو هذا الذى هو فيه من الجاه ؟ قال لا والله إلاّ هذا . قالت : فإنى أنفقت المال كله عليه قال : فوالله ماضيَّعتِه .

وعن ابن زيد قال : مكث ربيعة دهراً طويلاً عابداً يصلى الليل والنهار ، فجالسَ القاسم فنطق بلبٍّ وعقل . فكان القاسم إذا سئل عن شيء قال : سلُوا هذا لربيعة .

وعن يحيي بن سعيد قال : مارأيت أحداً أفطن من ربيعة .

قال الليث : وقال لى عُبيد الله بن عمر فى ربيعة : هو صاحب معضلاتنا وأعلمنا[٢] وأفضلنا .

وعن يحيي بن سعيد أنه قال : مارأيت أحداً أسدَّ عقلاً من ربيعة .

وعن سوّار بن عبد الله قال : مارأيت أحداً أعلم من ربيعةِ الرأى قلت : ولا الحسن وابن سيرين ؟ قال : ولا الحسنَ وابن سِيرين .

---

(١) قط : يعرفه .

(٢) ق : معضِلاتها وعالمنا .

وعن يونس بن يزيد قال : رأيت أبا حنيفة عند ربيعة وكان مجهودُ أبى حنيفة أن يفهم مايقول ربيعة .

وعن بكر بن عبد الله الشّرود الصنعانى قال : أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأى فكنا نستزيده من حديث ربيعة . فقال لنا ذات يوم: ماتصنعون بربيعة ؟ هو نائم فى ذاك الطاق(١) . فأتينا ربيعة فأنبهناه فقلنا له : أنت ربيعة الذى يحدّث عنك مالكٌ ؟ قال : نعم . فقلنا له : كيف حظى بك مالكٌ ولم تحظ أنت بنفسك ؟ قال : أما علمتم أن مثقالاً من دولةٍ خير من حمْل علمٍ .

قال الشيخ رحمه الله : وكان السفّاح قد أقدم عليه ربيعةَ الأنبارَ ليوليّه القضاء فلم يفعل ، وعرض عليه العطاء فلم يقبل .

وعن مالك قال : قال لى ربيعة حين أراد الخروج إلى العراق : إن سمعت أنى حدثتهم شيئاً أو أفتيتهم فلا تعدّنى شيئاً . فكان كما قال: لمّا قدمها لزم بيته فلم يخرج إليهم ولم يحدّثهم بشىء حتى رجع قال مالك : لما قدم على أمير المؤمنين أبى العباس أمر له بجائزة فأبى أن يقبلها فأعطاه خمسة آلاف درهم ليشترى بها جارية فأبى أن يقبلها .

---

(١) الطاق : ما عطف من الأبنية ، أى جعل كالقوس من قنطرة ونافذة وما أشبه ذلك .

وعن سفيان قال : كان ربيعة بن أبى عبد الرحمن يوماً جالساً فغطى رأسه ثم اضطجع فبكى فقيل له : مايبكيك ؟ فقال رِئاء ظاهر وشهْوة خفيّة :

وعن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال : لقد رأيت مشْيخةَ المدينة وإن لهم لغَدائرَ وعليهم الممصَّر والمورَّد فى أيديهم مَخاصر[1] ، وفى أيديهم آثار الحِنّاء فى هيئة الفتيان ودِين أحدهم أبعْد من الثّريا إذا أُريدَ على دِينه .

(قال الشيخ) : قد سمع ربيعة من أنس بن مالك والسائب بن يزيد وعامة التابعين من أهل المدينة .

وروى عنه : مالك والثورى وشعبة والليث بن سعد .

وقال أحمد بن حنبل : ربيعة بن أبى عبد الرحمن ثِقة . وتوفى بالأنبار : وقيل بل رجع إلى المدينة فمات بها . وذلك فى سنة ست وثلاثين ومائة.

وعن مالك بن أنس قال ذهبتْ حلاوةُ الفقه منذ مات ربيعةُ بن أبى عبد الرحمن .

---

(١) الممصر الثوب المصبوغ بالمصر . وهو ترا ب أحمر .والمورد : المصبوغ بلون:الورد والمخاصر : ج مخصرة . وهى ؛ مايتوكأ عليه كالعصا .

١٨٤ – صفوان بن سُليم الزهرى

مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف يكنى أباعبدالله .

عن عبد العزيز بن أبى حازم قال : عادَلنى[١] صفوان بن سليم إلى مكة فما وضَع جنبه فى المحمل[٢] حتى رجَع .

وعن سليمان بن سالم قال : كان صفوان بن سليم في الصيف يصلّى بالليل فى البيت ، فإذا كان الشتاء صلّى فى السطح لئلا ينام .

عن أبى ضمرة أنس بن عياض[٣] قال : رأيت صفوان بن سليم ولو قيل له غداً القيامة ، ما كان عنده مَزيد على ما هو عليه من العبادة .

وعن أبى علقمة المدينى قال : كان صفوان بن سليم لايكاد يخرج من مسجد النبىّ ﷺ فإذا أراد أن يخرج بكى وقال : أخشى أن لا أعود إليه .

وعن محمد بن أبى منصور قال: قال صفوان بن سليم أعطى اللهَ عهداً أن

---

(١) أى ركب معه .

(٢) مايحمل فيه .

(٣) قط . « أنس بن عياض قال . حدثنى ربيعة » . صف . « وعن أبى نضرة عن أنس بن عياض » .

لا أضع جنبي على فراشٍ حتى ألحق بربى قال : فبلغنى أن صفوان عاش بعد ذلك أربعين سنة لم يضع جنبه فلما نزل به الموت قيل له : رحمك الله ألا تضطجع ؟ قال ماوفيتُ لله بالعهد إذاً .

قال : فأُسنِد فمازال كذلك حتى خرجت نفسه . قال : ويقول أهل المدينة ، إنه ثَفِنتْ جبهته[1] من أثر السجود .

وعن أبى مروان مولى بنى تميم قال : انصرفت مع صفوان بن سليم من العيد إلى منزله فجاء بخبز يابس فجاء سائل فوقف على الباب وسأل فقام صفوان إلى كوّة فى البيت فأخذ منها شيئاً فاعطاه فاتّبعت ذلك السائل لأنظر ما أعطاه . فإذا هو يقول : أعطاه الله أفضل ما أعطى أحداً من خلْقه فقلت ماأعطاك ؟ قال : أعطانى ديناراً .

وعن سفيان قال:جاء رجل من أهل الشام فقال دلّونى على صفوان ابن سليم ، فإنى رأيته دخل الجنة فقلت : بأى شيء ؟ قال بقميص كساه إنساناً .

قال بعض إخوان صفوان : سألت صفوان عن قصة القميص قال : خرجت من المسجد (فى) ليلة باردة فإذا رجل عُريان ، فنزعتُ قميصى فكسوته .

---

(١) يقال : ثفنت اليد ، إذا غلظت من العمل .

عن سعيد بن كثير بن يحيى[1] قال : قدم سليمان بن عبد الملك المدينة وعمر بن عبد العزيز عامله عليها . قال : فصلى بالناس الظُهر ثم فتح باب المقصورة واستند إلى المحراب واستقبل الناس بوجهه ،فنظر إلى صفوان بن سليم عن غير معرِفة فقال يا عمر مَن هـذا الرجل ما رأيت سَمْتاً أحسن منه ؟ قال : ياأمير المؤمنين هذا صفوان بن سليم . قال : ياغلام كيس فيه خمسُ مائةِ دينار . فأُتي بكيس فيه خمسُ مائةِ دينارٍ فقال لخادمه ترى هذا الرجل القائم يصلى فوصفه للغلام حتى أثبتَه فخرج الغلام بالكيس حتى جلس إلى صفوان .

فلما نظر إليه صفوان ركع وسجد ثم سلم وأقبل عليه فقال : ماحاجتك؟ قال: أمرنى أمير المؤمنين، وهو ذا ينظر إليك وإلىّ ، أن أدفع هذا الكيس وفيه خمسُ مائةِ دينارٍ إليك وهو يقول : استعِنْ بهذا على زمانك وعلى عيالك . فقال صفوان للغلام : ليس أنا بالذى أرسِلت إليه . فقال له الغلام : ألست صفوان بن سليم ؟ قال : بلى أنا صفوان بن سليم . قال: فاليك أرسِلت . قال اذهب فاستثبت فاذا أثبتَّ فهلم . فقال الغلام : فأمسك الكيس معك وأذهبُ . قال : لا، إذا امسكتُ كنتُ قد أخذتُ ، ولكن اذهب فاستثبتْ فأنا هاهنا جالس . فولّى الغلام فأخذ صفوان نعليْه وخرج فلم يُرَ بها حتى خرج سليمان من المدينة .

---

(١) قط : وعن كثير بن يحيى — صف : وعن أبى كثير بن يحيى .

أبو مصعب قال لى ابن أبى حازم : دخلت أنا وأبى نسأل عنه، يعنى صفوان بن سليم وهو فى مصلاّه فما زال به أبى حتى ردّه إلى فراشه فأخبرَتنى مولاته أنْ ساعةَ خرجتم ماتَ .

أسند صفوان بن سليم عن ابن عمرو جابر بن عبد الله وعبد الله بن جعفر وسهل بن حنيف فى آخرين . وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وأبى سلمة وعروة وسالم وعكرمة وطاوس فى خلقٍ كثير .

عن أبى بكر بن صدقة قال : ذُكر لأحمد بن حنبل صفوان بن سليم وقلّةُ حديثه وأشياء خولف فيها . فقال : هذا رجل إنما كان يُستشفَى بحديثه ويُستنزَل القَطْرُ بذكْره — توفى صفوان بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ومائة — .

١٨٥ — أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج

مولى لقومٍ من بنى ليث بن بكر

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : ما رأيت أحداً الحكمةُ إلى فِيهِ أقربُ من أبى حازم .

وعن سفيان قال : قيل لأبى حازم ما مالُك ؟ قال : ثقتى بالله عز وجل ويأسى مما فى أيدى الناس .

وعن ثَوابة بن رافع قال: قال أبو حازم : ما مضى من الدنيا فحُلْم وما بقى فأمانىّ .

وعن محمد مطرف قال : ثنا أبو حازم قال : لا يُحْسِن عبد فيما بينه وبين الله إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد ، ولا يُعْوِر فيما بينه وبين الله عز وجل إلا أعْوَرَ[1] فيما بينه وبين العباد، ولَمصانَعةُ وجهٍ واحدٍ أيسرُ من مصانعة الوجوه كلّها ، إنك إذا صانعت هذا الوجه مالت الوجوه كلها إليك ، وإذا افسدتَ ما بينك وبينه شَنِفتْك الوجوه[2] كلّها .

وعن عمر بن سعيد بن حسين عن أبى حازم قال: إذا رأيت الله عز وجل يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذرْه .

محمد بن عبيد قال : أنا بعض أهل الحجاز قال: قال أبو حازم: كلّ نعمة لا تقرّب من الله عز وجل فهى بليّة .

وعن أبى معشر قال : رأيت أباحازم لم يقصّ فى المسجد ويبكى ويمسح بدموعه وجهه . فقلت : يا أبا حازم لم تفعل هذا ؟ قال : بلغنى أن النار لا تصيب موضعاً أصابتْه الدموع من خشية الله تعالى .

وعن سفيان قال : قال أبو حازم : ينبغى للمؤمن أن يكون أشدّ حفْظاً للسانه منه لموضع قدميه .

---

(١) أعور : بدت عورته . ق : « عور الله » . يقال : عور الراعى الغنم ، عرضها للضياع والتلف .

(٢) أبغضتك ونظرت إليك كالمعترضة .

وعن سعيد بن عامر قال : قال أبو حازم نعمةَ الله فيما زوَى[1] عنى من الدنيا أفضل من نعمته فيما أعطانى منها .

وقال أبو حازم : إنْ وُقينا شرَّ ما أُعطينا لم نبالِ مافاتَنا .

وقال ابن عُيينة : قال أبو حازم: إن كان يُغنيك من الدنيا ما يَكفيك فأدنى عيشٍ من الدنيا يكفيك ، وإن كان لا يُغنيك ما يكفيك فليس شيٌ يكفيك .

وعن عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبى حازم قال: حدثنى أبى قال : بعث سليمان بن عبد الملك إلى أبى حازم فجاءه فقال : يا أبا حازم مالنا نكره الموت؟ قال : لأنكم أخربتم آخرتكم وعمَرتُم دنياكم فأنتم تكرهون أن تنتقِلوا من العمران إلى الخراب قال : صدقت ، فكيف القدوم على الله عز وجل ؟ قال : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه . فبكى سليمان وقال : ليت شعرى مالنا عند الله يا أبا حازم ؟ قال : اعرض نفسك على كتاب الله عز وجل فإنك تعلم مالك عند الله قال : يا أبا حازم وأنَّى أصيب ذلك؟ قال : عند قوله «إنَّ الأبرار لَفى نَعيم وإنَّ الفُجّار لفى جحيم »[2] فقال

(١) زوى الشيء : أبعده وطواه ونحاه

(٢) الانفطار ١٤ .

سليمان فأين رحمة الله ؟ قال « قريبٌ من المحسنين[١] » قال : ماتقول فيما نحن فيه ؟ قال . أعفني عن[٢] هذا . قال سليمان : نصيحةٌ تلقيها . قال أبو حازم إن أناساً أخذوا هذا الأمر عنوةً من غير مشاورة من المسلمين ولا اجتماعٍ من رأيهم فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا ثم ارتحلوا عنها فليت شعرى ما قالوا وما قيل لهم ؟ فقال بعض جلسائه : بئس ماقلتَ ياشيخ . قال أبو حازم : كذبتَ ، إن الله تعالى أخذ على العلماء لَيبيُنُنَّه للناس ولا يكتُمونه . قال سليمان اصحَبْنا يا أبا حازم تُصِبْ منّا ونُصِبْ منك قال : أعوذبالله من ذلك . قال : ولم ؟ قال أخاف أن أركَن إليكم شيئاً قليلاً فيذيقَنى ضِعْفَ الحياة وضِعْفَ الممات . قال : فأشِرْ على . قال : اتّق الله أن يراك حيث نهاك ، وأن يفقدَك حيث أمرك . قال : يا أبا حازم ادعُ لنا بخير . قال : اللهم إنْ كان سليمان وليَّك فَيسّرْه للخير ، وإن كان عدوّك فخذ إلى الخير بنا صيته . فقال : ياغلام هات مائةَ دينار . ثم قال : خذها يا أبا حازم . فقال لاحاجة لى فيها إنى أخاف أن يكون لِما سمعتَ من كلامى .

---

(١) الأعراف ٥٦

(٢) كذا فى النسخ والصواب تعدية الفعل بمن .

فكأن سليمان أعجب بأبى حازم . فقال الزهرى : إنه لجارى منذ ثلاثين سنة ما كلمته قط . قال أبو حازم : إنك نسيت الله فنسيتنى ولو أحببتَ الله لأحببْتنى . قال الزهرى أتشتمنى ؟ قال سليمان: بل أنت شتمت نفسك . أما علمت أنّ للجار على جاره حقاً ؟ قال أبو حازم : إن بنى اسرائيل لمّا كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء وكانت العلماء تفرّ بدينها من الأمراء ، فلما رأى ذلك قوم من أذلة الناس تعلموا ذلك العلْم وأتوا به إلى الأمراء فاستغنت به عن العلماء واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وانتكسوا ولو كان علماؤنا يصونون علمهم لم تزل الأمراء تهابهم. قال الزهرى كأنك إياى تريد وبى تعرّض قال : هو ماتسمع .

وعن الذيال بن عبّاد قال : كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهرى : عافانا الله وإياك أبا بكر[1] من الفتن فقد أصبحتَ بحالٍ ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك :أصبحت شيخاً كبيراً وقد أثقلْتك نِعَمُ الله عليك فيما أصحّ من بدنك وأطال من عمرك وعلمت حُجَج الله تعالى مما علّمك من كتابه ، وفقّهك فيه من دينه ، وفهّمك من سنة نبيه ﷺ فرمى بك فى كل نعمة أنعمها عليك وكلّ حُجَّة يُحتَجّ بها عليك الغرض الأقصى ابتلى[2] فى ذلك شكرك وابدا فيه[3] فضله عليك وقد قال عز وجل :

---

(١) هى كنية ابن شهاب الزهرى. وفى ق : « إنا نفر » تحريف . والعبارة فى الأسطر التالية مضطربة فى ق وأصابها تحريف كثير . فآثرنا عبارة المطبوع

(٢) قط ليبتلى .

(٣) قط منه .

﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾[1] فانظر أيّ رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله عز وجل فسألك عن نِعَمه عليك كيف رعيتها ، وعن حججه عليك كيف قضيتها فلا تحسبنّ الله عز وجل راضياً منك بالتعذير ، ولا قابلاً منك التقصير هيهات ليس ذاك أخذ على العلماء فى كتابه إذ قال « لَتُبَيِّنُنَّه للناس ولا تكتمونه »[2] إنك تقول إنك جَدِلٌ ماهر عالم قد جادلت الناسَ فجدلتهم وخاصمتهم فخصمتهم إدلالاً منك بفهمك واقتداراً منك برأيك فأين تذهب عن قول الله عز وجل : « ها أنتم هؤلاءِ جادَلْتُم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادلُ الله عنهم يومَ القيامة »[3] اعلم أن أدنى ما ارتكبت وأعظم ما احتقبت أن آنستَ الظالم وسهّلت له طريق الغي بدنوك حين أُدنيت وإجابتك حين دُعيت فما أخلقك أن ينوّه غداً باسمك مع الجَرَمة[4] ، وأن تُسأل عما أردت باغضائك عن ظُلم الظَّلَمة . إنك أخذت ماليس لمن أعطاك ، جعلوك قطباً تدور عليه رَحى باطِلهم وجسْراً يَعبُرون بك[5] إلى بلائهم وسلّماً إلى ضلالتهم

(١) إبراهيم .

(٢) آل عمران ١٨٧ .

(٣) النساء ١٠٩ .

(٤) الجرمة : ج جارم ، مثل كاتب وكتبة ، أى المذنبون .

(٥) قط : يعبرونك .

يدخلون بك الشكّ على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهّال إليهم ، فلم يبلغ أخصّ وزرائهم ولا أقوى أعوانهم لهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم فما أيسرَ ما عمَروا لكَ فى جنْب ماخرّبوا عليك ، وما أقلّ ما أعطوك فى قدْر ما أخذوا منك، فانظر لنفسك فإنه لاينظر لها غيرُك ، وحاسِبْها حساب رجل مسؤول وانظر كيف شكْرَك لمن غذّاك بنعمه صغيراً وكبيراً ، وانظر كيف إعظامُك أمْرَ من جعلك بدِينه فى الناس مبجَّلا ، وكيْف صيانتُك لـكِسْوةِ من جعلك بكسوته مستتراً ، وكيف قرْبك وبُعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً ، مالك لا تتنبَّه من نَعْستك وتستقيل من عثرتك فتقول والله ماقمت لله عز وجل مقاماً واحداً أحْيى له فيه ديناً ولا أميت له فيه باطلاً ؟أين شُكرك لمن استحملك كتابَه واستودعك علمه ؟ مايؤمنك أن تكون من الذين قال الله (عز وجل) « فَخَلَفَ من بَعْدهم خَلْفٌ ورثوا الـكتاب يأخذُون عَرَضَ هذا الأدنى[1] » الآية .

إنك لست فى دار مقام قد أَوذِنت بالرحيل فما بقاء المرء بعد أقرانه ؟ طوبى لمن كان فى الدنيا على وجَلٍ ما يؤمَن من أن يموت[2] وتبقى ذنوبه من بعده إنك لم تؤمَر بالنظر لوارثِك على نفسك ، ليس أحد أهلاً أن

---

(١) الأعراف ١٦٩ .

(٢) ق ، قط : يابؤس من يموت .

ترد[١] له على ظهرك . ذهبت اللذة وبقيت التّبعة ، ما أشقى مَن سَعِد بكسبه غيرُه . احذَر فقد أُتيت وتخلّصْ فقد وَهِلت[٢] . إنك تعامل مَن لا يجهل والذى يحفظ عليك لا يغفل . تجهز فقد دنا منك سفَر بعيد وداوِ دينَك فقد دخَله سقمٌ شديد ، ولا تحسبنّ أنى أردت توبيخك وتعْييرك وتعنيفك ، ولكنى أردت أن تَنعَش[٣] مافات من رأيك ، وتردّ عليك ماعزَب عنك من حلمك ، وذكرتُ قوله تعالى : « وذكّرْ فإنّ الذكرى تنفَعُ المؤمنين »[٤] أغفلتَ ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك وبقيت بعدهم كقَرْن أعْضَب فانظر هل ابتُلوا بمثل ما اُبتليت به أو دَخلوا فى مثل مادخلت فيه ؟ وهل تَراه دخَر لك خيراً مُنعوه أو علمّك شيئاً جهلوه ؟ فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا فى كِبرَ سنك ورسوخ علمك وحضور أجلك فمن يلوم الحدَث فى سنّه ، الجاهلَ فى علمه ، المأفونَ فى رأيه ، المدخولَ فى عقله ؟ ونحمد الذى عافانا مما ابتلاك به . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وعن محمد بن إسحاق الموصلى قال : قال أبو حازم : إن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثِروا منها فى أوانِ كَسادها فإنه لو جاء يومُ نَفاقها لم تصل منها إلى قليل ولا إلى كثير .

---

(١) ق ، قط : تتزود .

(٢) وهل : ضعف .

(٣) نعشه : تداركه .

(٤) الذاريات ٥٥

قال ابن أبى الحوارى: وسمعت مروان بن محمد يقول:قال أبوحازم ويحك يا أعرجُ يدعى يوم القيامة بأهل خطيئةِ كذا وكذا فتقوم معهم، ثم يُدعى بأهل خطيئة .

وعن عبد الرحمن بن جرير قال : سمعت أبا حازم يقول : عند تصحيح الضمائر تُغفر الكبائر ، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أتته الفتوح .

وعن محمد بن مطرف قال : قال أبو حازم : مافى الدنيا شيء يسرّك إلا وقد ألزق به شيء يسوءك .

وعن سعيد بن عبد الرحمن عن أبى حازم قال : إن العبد ليعمل الحسنةَ تسرُّه حين يعملها وماخلق الله من سيئة هى عليه أضرُّ منها ، وإن العبد ليعمل السيئة ثم تَسوءه حين يعملها ، وماخلق الله عز وجل من حسنة أنفع له منها ، وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة يتجبّر فيها ويرى أن له فضلاً على غيره ، ولعل الله عز وجل يُحبطها ويحبط معها عملاً كثيراً ، وإن العبد ليعمل السيئة تسوءه ولعل الله عز وجل يُحدث له فيها وجَلاً فيلقَى الله وإن خوفَها لفى جَوفه باقٍ .

وعن عون بن جرير قال : سمعت أبى يقول : كان أبو حازم يمرّ على الفاكهة فيقول : موعدُك الجنة .

وعن جُويرية بن أسماء قال . مر أبو حازم بجزّار فقال : ياأبا حازم خذ من هذا اللحم فانه سمين . قال : ليس معى درهم . قال أُنْظِرُكَ . قال : أنا أُنظِرُ نفسى .

وعن الفضل قال : قال حازم المَدينى : وجدت الدنيا شيئين : فشىء منها هو لى فلن أعجّله قبل أجَلِه ولو طلبته بقوة السموات والأرض ، وشىء منها هو لغيرى فلم أنله فيما مضى ، ولا أرجوه فيما بقى ، يُمنع الذى لى من غيرى كما يُمنع الذى لغيرى منى،ففى أى هذين أفنى عمرى؟ ووجدت ماأُعطيت من الدنيا شيئين فشىء يأتى أجله قبل أجلى فأغلَب عليه ، وشىء يأتى أجلى قبل أجله فأموت وأخلّفه لمن بعدى ، ففى أى هذين أعصى ربى عز وجل ؟ .

وعن حفص بن ميسرة قال : قال أبو حازم : عجباً لقوم يعملون لدارٍ يرحلون عنها كلَّ يوم مرحَلة ، ويَدعون أن يعملوا لدارٍ يرحلون إليها كلَّ يوم مرحلة ! .

وعن ابن عُيينة قال أبو حازم : إنى لأعِظ وما أرى له موضعاً وما أريد إلا نفسى . وقال لو أن أحدكم قيل له ضع ثوبك على هذا الهوف حتى يُرمى لقال : ما كنتُ لأخرق ثوبى ، وهو يخرق دينه . وحلف أبو حازم لجلسائه : لوددت أنّ أحدكم يُبقي على دينه كما يُبقى على نَعله .

وعن فُضَيل بن عياض قال : قال أبو حازم : اضْمنُوا لى اثنين أضمنْ لكم الجنة : عملاً بما تكرهون إذا أحبّه الله تعالى ، وترْكِ ما تحبّون إذا كرِهَه اللهُ عزوجل .

وعن يعقوب بن عبد الرحمن قال : سمعت أبا حازم يقول : يسيرُ الدنيا يشغَلُ عن كثير من الآخرة . وقال : ما أحببتَ أن يكون معك فى الآخرة فقدّمه اليومَ ، وما كرهتَ أن يكون معك فى الآخرة فاترْكه اليوم.

وقال : كل عمل تكره الموتَ من أجله فاترْكه ثم لا يضرّك متى متّ . وقال : إنك لتجد الرجل يعمل بالمعاصى فإذا قيل له : أتحبّ أن تموت ؟ قال : يقول : وكيف ؟ وعندى ما عندى . فيقال له : أفلا تترك ما تعمل من المعاصى؟فيقول:ماأريد ترْكَه وما أحبّ أن أموت حتى أتركه .

وقال شيئان إذا عملت بهما أصبتَ بهما خير الدنيا والآخرة:لاأطوّل عليك . قيل : وما هما أبا حازم ؟ قال : تحمّل(١) ماتكره إذا أحبّه الله ، وتترك ماتحبّ إذا كرهه الله .

---

(١) كذا فى النسخ . ولعلها : تعمل .

وعن محمد بن يحيى المازنى قال : قال أبو حازم : رضِيَ الناسُ من العمَل بالعلم ومن الفعل بالقول .

وعن سليمان بن سليمان العُمَرى قال : رأيت أبا جعفر القارى ، يعنى فى المنام ، على الكعبة فقلت له يا أبا جعفر . قال : نعم أقرِئْ إخوانى منى السلام وخبِّرهم أن الله عز وجل جعلنى من الشهداء الأحياء المرزوقين ، وأقرئ أبا حازم السلام وقل له : يقول لك أبو جعفر : الكَيْسَ الكَيْسَ فإن الله وملائكته يتراءوْن مجلسَك بالعشيّات .

أسند أبو حازم عن ابن عمر وسهل بن سعد وأنس بن مالك . وقيل إنه رأى أبا هريرة ، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وأبى سلمة وعروة وغيرهم .

وتوفى فى بعد[1] سنة أربعين ومائة فى خلافة المنصور .

---

(١) صف : فى .

ومن الطبقة الخامسة من أهل المدينة

١٨٦ - جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام

يكنى أبا عبدالله. أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق. كان مشغولا بالعبادة عن حبّ الرياسة .

وعن عمرو بن أبى المقدام قال : كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سُلالة النبيين .

وعن مالك بن أنس قال : قال جعفر بن محمد لسفيان الثورى : ياسفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببتَ بقاءها ودوامَها فأكثرْ من الحمد والشكر عليها فان الله عز وجل قال فى كتابه « لئن شكَرتُم لأزيدَنّكم[1] » ، وإذا استبطأتَ الرزق فأكثِرْ من الاستغفار فإن الله تعالى قال فى كتابه « استغفِروا ربّكم إنه كان غفّاراً يُرسل السماء عليكم مِدْراراً ويُمدِدْكم بأموالٍ وَبنين » يعنى فى الدنيا « ويَجعلْ لكم جنات[2] » فى الآخرة ياسفيان إذا حزَبك أمر من سلطان أو غيره فأكثِر من قول « لا حول ولا قوة إلا بالله » فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة .

---

(١) إبراهيم ٧ .
(٢) نوح ١٢ .

وعن ابن أبى حازم قال : كنت عند جعفر بن محمد إذ جاءه آذِنه فقال : سفيان الثورى بالباب. فقال : ائذن له . فدخل فقال جعفر : ياسفيان إنك رجل يطلبك السلطان وأنا أتقي السلطان، قم فاخرج غيرَ مطرود . فقال سفيان: حدثنى حتى أسمع وأقوم . فقال جعفر : حدثنى أبى عن جدى أن رسول الله ﷺ قال : «من أنعم الله عليه نعمة فليحمد الله ومَن استبطأ الرزقَ فليستغفر الله ، ومن حزَبه أمر فليقُل: لاحول ولا قوة إلا بالله»[1] . فلما قام سفيان قال جعفر : خذها ياسفيان ، ثلاث وأىّ ثلاث .

وعن الهياج بن بسطام قال : كان جعفر بن محمد يُطعِم حتى لا يبقَى لعياله شيء .

وعن يحيى بن الفرات قال : قال جعفر بن محمد لسفيان الثورى لا يتم المعروف إلا بثلاثة : بتعجيله وتصغيرهِ وسَترِه .

وسئل جعفر بن محمد لِمَ حرّم الله الربا ؟ قال : لئلا يتمانع الناسُ المعروف .

وعن بعض أصحاب جعفر الصادق قال : دخلتُ على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية فكان مما حفظت منها أنْ قال :

---

(١) الحديث حسن . أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان .

يا بنيّ اقْبل وصيّتى واحفظ مقالتى فإنك إن حفظتها تعِش سعيداً وتَمُتْ حميداً ، يابنى إنه مَن قنع بما قسم الله له استغنى ومن مدّ عينه إلى مافى يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله عز وجل له اتهم اللهَ تعالى فى قضائه ، ومن استصغر زلّة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه. يابنى من كشف حجاب غيره انكشفت عوزات بيته ومن سلّ سيف البغى قتل به ، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها ، ومن داخل[1] السفهاء حُقِّر ومن خالط العلماء وُقّر ، ومن دخل مَداخل السوء اتُهم. يابنى قل الحق لك وعليك ، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال، يابنى إذا طلبتَ الجود فعليك بمعادِنه .

وعن أحمد بن عمرو بن المقدام الرازى قال: وقع الذباب على المنصور فذّبه عنه ، فعاد فذّبه حتى أضجره . فدخل جعفر بن محمد فقال له المنصور: يا أبا عبدالله لِمَ خلق الله عز وجل الذباب؟ قال ليُذِلّ به الجبابرة.

وعن الحسن بن سعيد اللَخْمى عن جعفر بن محمد قال : من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة .

وعن الحرمازى قال : كان رجل من أهل السواد يلزم جعفر بن محمد ففقده فسأل عنه فقال له رجل: إنه نَبَطى. يريد أن يضع منه فقال جعفر:

---

(١) صف : خالط .

أصل الرجل عقله ، وحَسَبُه دِينه ، وكرمه تقواه ، والناس فى آدم مستوون .

وعن سفيان الثورى قال : سمعت جعفر بن محمد الصادق يقول : عزت السلامة حتى لقد خفيَ مطلبها ، فإن تكن فى شىء فيوشك أن تكون فى الخمول ، فإن طُلبت فى الخمول ولم توجد فيوشك أن تكون فى التخلّى ، وليس كالخمول ، فإن طُلبتْ فى التخلى ولم توجد فيوشك أن تكون فى الصمت وليس كالتخلى ، فإن طُلبت فى الصمت فلم توجد فيوشك أن تكون فى كلام السلف الصالح ، والسعيدُ من وجد فى نفسه خلوة يشتغل بها .

وعن عبد الله بن الفضل بن الربيع عن أبيه ولم يحفظ على الدعاء وبعضه عن غيره قال : حج أبو جعفر سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة وقال : ابعثْ إلى جعفر بن محمد من يأتينا به تعِباً[1] ، قتلنى الله إن لم أقتله . فتغافل عنه الربيع لينساه . ثم أعاد ذكره للربيع وقال : أرسل[2] إليه من يأتى به متعباً . فتشاغل[3] عنه . ثم أرسل إلى الربيع برسالة قبيحة فى جعفر وأمره أن يبعث إليه ففعل . فلما أتاه قال له :

---

(١) ق : لغباً . واللغوب : أشد التعب والإعياء .

(٢) ق : ابعث .

(٣) ق : فتغافل .

يا أبا عبد الله اذْكر الله فإنه قد أرسل إليك التى لا سِوى لها[١] قال جعفر لاحول ولا قوة إلا بالله . ثم أعلمَ أبا جعفر حضورَه . فلما دخل أوعده وقال : أىْ عدّو الله اتخذك أهل العراق إماماً يَجبون إليك زكاة أموالهم وتلحد فى سلطانى وتَبغيه الغوائل ؟ قتلنى الله إن لم أقتلك. فقال : يا أمير المؤمنين إن سليمان عليه السلام أُعطى فشكر ، وإن أيوب ابتُلى فصبر ، وإن يوسف ظُلِم فغَفر ، وأنت من ذلك السِّنْخ[٢] فقال له أبو جعفر : إلىّ وعندى ، أبا عبدالله ، البرىء الساحة ، السليم الناحية، القليل الغائلة ، جزاك الله من ذى رحِمٍ أفضلَ ما جَزى ذوى الأرحام عن أرحامهم .

ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه ثم قال : علىَّ بالمِنحَفة[٣] فأُتى بدُهن فيه غالية[٤] فغلفه بيده حتى خِلتُ لحيته قاطرة[٥] . ثم قال : فى حفظ الله وفى كَلاءته. ثم قال: ياربيع ألحِق أباعبد الله جائزَته وكسوَته، انصرفْ أبا عبد الله فى حفظ الله وفى كنفه . فانصرف ولحقتُه فقلت له:

---

(١) السوى : البديل . ط . « لـكنى لاسوى لها » تحريف .

(٢) السنخ : الأصل .

(٣) كذا ، والصواب : « المنجف » وهو الزبيل ، وقيل . القفة أو الجراب أو الوعاء الواسع الأسفل والجوف وفى المطبوع : « المتحفة » تحريف .

(٤) الغالية : أخلاط من الطيب .

(٥) قطر الدمع والماء وسال وسقط قطرة قطرة .

إنى قد رأيت قبل ذلك مالم تره ، ورأيت بعد ذلك ماقدر رأيت ، فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت ؟ قال : قلت اللهم احرُسْنى بعينك التى لاتنام ، واكنُفنى بركْنك الذى لايُرامّ واغفرلى بقُدْرَتك علىّ لاأهلك وأنت رجائى . اللهم إنك أكبر وأجلّ ممن أخاف وأحذر ، اللهم بك أدفع فى نحره وأستعيذ بك من شرّه .

وعن الليث بن سعد قال : حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فأتيت مكة فلما أن صليت العصر رقِيت أبا قُبيس[1] فإذا أنا برجل جالس وهو يدعو فقال:ياربّ ياربّ.حتى انقطع نَفسه. ثم قال: ياربّاه . حتى انقطع نَفسه . ثم قال : يارب . حتى انقطع نفَسه. ثم قال:ياألله ياألله حتى انقطع نفَسه . ثم قال : ياحىّ ياحىّ . حتى انقطع نفَسه . ثم قال : يارحيم . حتى انقطع نفسه ثم قال : ياأرحم الراحمين . حتى انقطع نفسه . سبع مرات . ثم قال:اللهم إنى أشتهى من هذا العنب فأطعِمْنيه . اللهم إن بُردىَّ قد أخلقا . قال الليث . فوالله مااستتمّ كلامه حتى نظرتُ إلى سلّة مملوءة عنباً وليس على الأرض يومئذ عنب، وبُردين موضوعين، فأراد أن يأكل فقلت : أنا شريكك . فقال لى : تقدَّم وكُل ولاتأخذ منه شيئاً . فتقدمتُ فأكلت شيئاً لم آكل مثله قطُّ وإذا عِنب لاعَجَم[2]

---

(١) أبو قبيس : جبل مشرف على مكة شرقاً .

(٢) العجم : النوى .

له فأكلت حتى شبعت، والسلّة بحالها[1]. ثم قال لى: خذ أحبّ البُردين اليك فقلت له: أما البُردان فأنا غنىّ عنهما. فقال لى: توارَ عنى حتى ألبسهما. فتواريت عنه فارتدى أحدهما واتزر الآخر[2]. ثم أخذ البرُدين اللذين كانا عليه فجعلهما على عاتقه فنزل فاتّبعته حتى إذا كان بالمسعىَ لقيه رجل فقال: اكسُنى كساك الله ياابْنَ رسول الله. فدفعهما إليه. فلحقتُ الرجل فقلت له مَن هذا؟ قال جعفر قال بن محمد. قال الليث: فطلبته لأسمع منه فلم أجده.

أسند جعفر بن محمد عن أبيه، وعن عطاء بن أبى رَباح، وعكرمة فى آخرين.

وروى عنه من التابعين جماعةٌ منهم: أيوب السختيانى، ومن الأئمة مالك والثورى وشُعبة فى آخرين.

وتوفى بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة. رحمه الله.

١٨٧ — محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ابن الحارث بن أبى ذئب

عن محمد بن عمر قال: كان محمد بن عبد الرحمن يكنى أبا الحارث. ولد

---

(١) قط: «والسلة لم تنقص شيئاً». ق: «... منها شيئاً».

(٢) قط ق: «فائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر».

فى سنة ثمانين عام الُجحَاف[1] وكان من أورع الناس وكانوا يرمونـه بالقدر وما كان قدرياً . وكان يصلى الليل أجمع .

وأخبرنى اخوه قال : كان يصوم يوماً ويفطر يوما فوقعت الرّجفة بالشام فقدم رجل من أهل الشام ِفحدّثه عن الرجفة وكان يوم إفطاره فقلت له : قم تغذى قال دعه اليوم فسرد الصومَ من ذلك اليوم إلى أن مات وكان يتمشى بالخبز والزيت وله طَيلسان[2] وقميص يشتُو فيه ويَصيف، ويحفظ حديثه كله .

ودخل على عبد الصمد بن على وهو والى المدينة فـكلمه فى شىء فقال له عبد الصمد : إنى لأراك مُرائيا فأخذ عوداً أوشيئاً من الأرض فقال : مَن أرائى ؟ فو الله للناسُ عندى أهْون من هذا .

وحج أبو جعفر فدعا ابنَ أبى ذئب فقال : نشدتُك بالله ألستُ أعمل بالحق ؟ أليس ترانى أعدل ؟ فقال ابن أبى ذئب : أما إذا نشدتَني بالله فأقول: اللهم لاما أراك تعدِل ، وانك لجائر وإنك لتستعمل الظَلَمة وتدَع أهل الخير .

قال محمد بن عمر فحدثنى محمد بن إبراهيم وإبراهيم بن يحيى وأُخبرت

---

(١) موت جحاف : شديد مستأصل . وجحف السيل بالشىء وأجحف به : ذهب به . وكان بالشام سنة (٨٠) ه طاعون شديد .

(٢) كساء مدور يلبسه الخواص من العلماء .

عن عيسى بن على ، قالوا فظننّا أن أبا جعفر سيعاجله فجعلنا نكفّ إلينا ثيابنا مَخافةَ أن يصيبنا من دمه . فجزع أبو جعفر واغتمّ وقال له : قم فاخرج .

ومات ابن أبى ذئب فدُفن بالكوفة سنة تسع وخمسين ومائة وهو ابن تسع وسبعين .

وعن أحمد بن على الحافظ قال: سمع ابن أبى ذئب من عكرمة ونافع وسعيد المقبرى وأبى الزناد ومحمد بن المنكدر والزُّهرى وغيرهم .

وكان فقيهاً صالحاً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، أقدمه المهدى بغداد فحدّث بها ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة .

وقال أحمد بن حنبل : كان ابن أبى ذئب يشبَّه بسعيد بن المسيب قيل لأحمد : خلّف مثلَه ببلاده ؟ قال : لا ولا بغيرها .

١٨٨ — مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير أبو عبد الله القرشى

عن الزبير بكار قال : كان مصعب بن ثابت من أعبد أهل زمانه. صام خمسين سنة .

قال الزبير : وحدثنى يحيى بن مسكين قال : ما رأيت أحداً قطّ أكثر ركوعاً وسجوداً من مصعب بن ثابت ، كان يصلّى فى كل يوم وليلة ألف ركعة ويصوم الدهر .

قال محمد بن سعد : توفى مصعب بن ثابت سنة سبع وخمسين ومائة . رحمه الله .

ومن الطبقة السادسة من أهل المدينة

١٨٩ - مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى

عن محمد بن عمر قال : سمعت مالك بن أنس يقول : قد يكون الحَمْل ثلاثَ سنين وقد حُمل ببعض الناس ثلاثَ سنين ، يعني نفسه . قال : وسمعت غير واحد يقول : حُمل بمالك ثلاث سنين.

وعن مطرف بن عبد الله قال : كان مالك بن أنس طويلاً عظيم الهامة أصلع أبيض الرأس واللحية ، شديد البياض إلى الشُقْرة . ولباسُه الثياب العدَنيّة الجياد ويكره حَلْق الشارب ويعيبه ويراه من المُثَل (١) .

وعن أبى مصعب قال : سمعت مالك بن أنس يقول : ما أفتيت حتى شهد لى سبعون أنى أهلٌ لذلك .

وعنه قال ماأجبت فى الفتيا حتى سألت من هو أعلم منى : هل يرانى موضعاً لذلك ؟ سألت ربيعة وسألت يحي بن سعيد فأمرانى بذلك فقلت : ياأبا عبد الله فلو نَهَوْكَ ؟ قال . كنتُ أنتهى ، لا ينبغى للرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه .

---

(١) تغيير الخلقة وتبديلها

وقال خلف : دخلت على مالك بن أنس فقال لى : انظر ماتحت مُصَلاىَ أوحَصيرى فنظرت فإذا بكتاب فقال : اقرأه فإذا فيه رؤيا رآها له بعضُ إخوانه. فقال : رأيت النبي ﷺ فى المنام فى مسجده وقد اجتمع الناس عليه فقال لهم : إنى قد خبأت لكم تحت منبرى طيباً أو علماً وأمرت مالكاً أن يفرّقه على الناس . فانصرف الناس وهم يقولون إذاً يُنفِذ مالك ما أمره به رسول الله ﷺ . ثم بكى فقمت عنه .

وعن ابن أبى أُوَيس قال : كان مالك إذا أراد أن يُحدِّث توضأ وجلس على صدر فراشة وسرّح لحيته وتمكن فى الجلوس بوقار وهيبة ثم حدّث. فقيل له فى ذلك ، فقال : أحّب أن أعظّم حديثَ النبي ﷺ ولا أحدّث به إلا على طهارة متمكناً . وكان يكره أن يحدّث فى الطريق وهو قائم أو مستعجِل . فقال : أحب أن يُفهَم(١) ما أحدّث به عن رسول الله ﷺ .

ابراهيم بن المنذر قال : سمعت معن بن عيسى يقول : كان مالك بن أنس إذا أراد أن يحدّث بحديث رسول الله ﷺ اغتسل وتبخّر وتطيّب ، وإذا رفع أحدٌ صوته عنده قال: اغضض من صوتك فإن الله عز وجل يقول : (ياأيّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصْواتَكُم فوقَ صَوتِ

---

(١) قط ، ق : أتفهم

النبيّ)[١] فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ .

وعن عبد الله بن وهب قال : سمعت مالك بن أنس يقول : ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نُور يضعه الله فى القلب .

وعنه : قيل لمالك بن أنس : ماتقول فى طلب العلم ؟ قال : حسَن جميل ، ولكن انظر إلى الذى يلزُمك مِن حينِ تُصبح إلى حين تمسى فالزمْه .

وعن ابن مهدى قال : سأل رجل مالكاً عن مسألة فقال : لا أحسِنها . فقال الرجل : إنى ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها . فقال له مالك : فإذا رجعتَ إلى مكانك وموضعك فأخبرْهم أنى قلتُ لك لا أحسِنها .

وعن حنبل بن اسحاق قال : سألت أباعبد الله عن مالِك فقال : مالِكٌ سيّدٌ من سادات أهل العلم ، وهو إمام فى العلم والفقه . ثم قال : ومَن مثْلُ مالكٍ متّبع لآثار من تقدم مع عقل وأدب ؟

مسانيد مالك أشهر من أن تذكر وهو النجم الثاقب فى أهل النقل .

وعن ابن أبى أَويس قال : اشتكى مالك بن أنس أياماً يسيرة فسألتُ

---

(١) الحجرات :

بعض أهلنا عما قال عند الموت فقال : تشهَّدَ ، ثم قال: لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ .

وتوفي صبيحة أربعَ عشرةَ من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة في خلافة هارون ودُفن بالبقيع وهو ابن خمس وثمانين سنة .
فذكرت ذلك لمصعبٍ الزبيري فقال : مات في صفر . رحمه الله .



ومن الطبقة السابعة من أهل المدينة

١٩٠ — عبد الله بن عبد العزيز العمرى ويكنى أبا عبد الرحمن

عن عبد الله بن خبيق قال : تعبّد عبد الله العمرى وسكن المقابر ، وكان لا يُرى إلا وفى يده كتاب يقرؤه ، وترك مُجالسة الناس فسُئل عن فعله فقال: لم أر أوْعظ من قبرٍ ، ولا آنسَ من كتاب ، ولا أسْلَمَ من الوحْدة . فقيل له : قد جاء فى الوحدة ماجاء . قال : لا تُفسد إلا جاهلاً .

وعن الفضل بن غسان عن أبيه قال : رأى العمرى رجلاً من آل على يمشى يخطر،فأسرع إليه فأخذ بيده فقال : ياهذا إنالذى أكرمك الله به لم تكن هذه مشيته . قال : فتركها الرجل بعدُ .

عن أبى المنذر اسمعيل بن عمر قال: سمعت أبا عبدالرحمن العمرى يقول : إن مِن غفلتك عن نفسك إعراضَك عن الله بأن ترَى ما يُسخطه فتجاوزه ، ولا تأمر ولا تنهَى خوفاً ممن لا يملك ضُرًّا ولا نفعاً .

وقال سمعته يقول : من ترك الأمر بالمعروف والنهىَ عن المنكر من مخافة المخلوقين نُزِعت منه هيبةُ الله تعالى فلو أمر بعض ولده أو بعض مواليه لاستخفّ به .

وعن أبي قُدامة السرخسي قال : قام العمري للخليفة على الطريق فقال له : فعلتَ وفعلتَ. فقال له : ماذا تريد؟ قال : تعمل بكذا وتعمل بكذا . فقال له هارونَ : نعم ياعَمّ ، نعم ياعمّ .

وعن سعيد بن سليمان قال : كنت بمكة في زقاق الشطوى وإلى جنبي عبد الله بن عبد العزيز العمري وقد حج هارون الرشيد فقال له إنسان: يا أبا عبد الرحمن هوذا أمير المؤمنين يسعى قد أُخلى له المسعى . قال العمري للرجل: لاجزاكـ الله عنى خيراً ، كلّفتنى أمراً كنتُ عنه غنياً. ثم تعلّق نعليه(١) وقام . فتبعتُه وأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا فصاح به : ياهارون ! فلما نظر إليه قال : لبيّك ياعَمّ . قال : ارْقَ الصّفا . فلما رَقِيَه قال : ارْم بطرفك إلى البيت. قال : قد فعلت . قال : كم هُم ؟ قال : ومن يُحصيهم ؟ قال : فكم فى الناس مثلهم ؟ قال : خلْق لا يُحصيهم إلا الله . قال : اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وأنت وحدك تسأل عنهم كلّهم فانظر كيف تكون؟قال: فبكى هارون وجلس وجعلوا يُعطونه مِنديلاً منديلاً للدموع .

قال العُمرى : وأخرى أقولها. قال:قل ياعم . قال : والله إن الرجل ليسرف فى ماله فيستحقّ الحَجْر عليـــه ، فكيف بمن يسرف فى مال المسلمين ؟ ثم مضى وهارون يبكى .

---

(١) يريد لبسهما . وهذا الاستعمال لم يرد فى المعاجم .

قال محمد بن خلف سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول : بلغني أن هارون الرشيد قال : إني لأحبّ أن أحجّ كل سنة ما يمنعني إلا رجل من وَلَدِ عمر ثم يُسمعني ما أكره .

وقد رُوي لنا من طريق آخر أنه لَقِيَهُ في المسعى فأخذ بلجام دابّته فأهْوت اليه الأجناد فكفّهم عنه الرشيد فكلمه فإذا دموع الرشيد تسيل على مَعَرفة دابّته . ثم انصرف . وأنه لقيه مرّةً فقال : ياهارون فعلْت وفعلْتَ . فجعل يسمع منه ويقول : مقبولٌ منك ياعَمّ ، على الرأس والعين . فقال : ياأمير المؤمنين مِن حال الناس كيتَ وكيتَ . فقال : عن غير عامي وأمري وخرج العمري إلى الرشيد مرّة ليعظَه فلما نزل الكوفة زحف العسكر حتى لوكان نزل بهم مائة ألف من العدوّ مازادوا على هيبته[١] . ثم رجع ولم يصِلْ إليه .

وعن أبي يحيى الزهري قال : قال عبد الله بن عبد العزيز العُمري عند موته : بنعمة ربي أحدّث أني لم أصبح أملك إلا سبعةَ دراهم من لحاء[٢] شجر فتلْتُه بيدي ، وبنعمة ربي أحدّث : لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي ما يمنعني أخذَها إلا أن أزيل قدمي عنها ؛ ما أزلتها .

(وعن أبي إسماعيل المؤدّب قال : جاء رجل إلى العمري فقال : عظْني

---

(١) ط : هيبة ، تحريف .
(٢) أي كسبها من لحاء شجر .

قال : فأخذ حصاة من الأرض فقال : زِنَةَ هذه من الورع يدخل قلبك خيْرٌ لك من صلاة أهل الأرض . قال : زدْنى قال : كما تحِبّ أن يكون الله عز وجل لك غداً فكن له اليوم)[١] .

أسند العمرى الحديثَ وأدرك من التابعين أبا طوالة . وروى عن أبيه وعن إبراهيم بن سعد .

وتوفى بالمدينة سنة أربع وثمانين ومائة وهو ابن ستٍ وستين سنة .

١٩١ — موسى بن جعفر بن محمد بن علي

ابن الحسين بن على أبو الحسن الهاشمى عليهم السلام .

كان يُدعى العبد الصالح لأجل عبادته واجتهاده وقيامه بالليل . وكان كريماً حليماً إذا بلغه عن رجل أنه يؤذيه بعث إليه بمال .

عن الفضل بن الربيع عن أبيه أنه لما حَبس المهدى موسى بن جعفر رأى المهدى فى النوم على بن أبى طالب عليه السلام وهو يقول : يا محمد (فهل عَسَيْتُمْ إن تولّيْتمْ أنْ تُفسدوا فى الأرض وتُقَطّعوا أرحامكم ؟)[٢] قال الربيع : فأرسل إلى ليلاً فراعنى ذلك فجئته فإذاهو يقرأ هذه الآية

---

(١) مابين القوسين ساقط من ق وقد أخذناه عن المطبوع .

(٢) محمد ٢٢ .

وكان أحسن الناس صوتاً فقال : علىَّ بموسى بن جعفر . فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال : ياأبا الحسن رأيت أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى النوم يقرأ على كذا فتؤمننى أن تخرج علىّ أوعلى أحدٍ من ولَدى ؟ فقال : والله لافعلتُ ذلك ولاهو من شأنى. قال : صدقت ، ياربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار وُردّه إلى أهله إلى المدينة .

قال الربيع : فأحكمت أمره ليلاً فما أصبح إلا وهو فى الطريق خوفَ العوائق .

وعن شقيق بن إبراهيم البَلْخى قال : خرجت حاجاً فى سنة تسع وأربعين ومائتين فنزلت القادسية فبينا أنا أنظر إلى الناس فى زينتهم وكثرتهم فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السّمرة يعلو فوق ثيابه ثوبٌ من صوف ، مشتمل بشملة ، فى رجليه نعلان وقد جلس منفرداً فقلت فى نفسى : هذا الفتى من الصّوفية يريدأن يكون كَلاً على الناس فى طريقهم ، والله لأمضينّ إليه ولأوَبخنّه . فدنوت منه فلما رآنى مُقبلا قال : ياشَقيق (اجْتنبِوا كثيراً من الظنّ إن بعضَ الظن إثْم) [(١)] ثم تركنى ومضى . فقلت فى نفسى : إن هذا لأمرٌ عظيم قد تكلم على مافى نفسى ونطق باسمى وماهذا إلا عبد صالح لألحقنّه ولأسألنه أن يحالّنى . فأسرعت فى أثره فلم ألحقه وغاب عن عينى فلما نزلنا واقِصة [(٢)]

---

(١) الحجرات ١٢ .

(٢) ماء لبنى كليب ، من عمل المدينة .

إذا به يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجرى فقلت ، هـذا صاحبي أمضي إليه وأستحله فصبرت حتى جلس وأقبلت نحوه . فلما رآني مقبلاً قال : ياشقيق اتلُ : (وإني لَغفارٌ لمن تابَ وآمنَ وعمِل صالحـــاً ثم اهتدى[١]) ثم تركني ومضى . فقلت : إن هذا الفتى لمن الأبدال [٢] وقد تكلم على سرى مرتين فلما نزلنا رمالاَ [٣] إذا بالفتى قائم على البئر وبيده ركْوة يريد أن يستقى ماء فسقطَت الركوة من يده فى البئر وأنا أنظر إليه فرأيت قدْ رمق السماء وسمعتُه يقول :

أنت ربّى إذا ظمِئتُ من الما ء وقُوتى إذا أردتُ الطّعاما

اللهم سيدى مالى سواها فلا تعدِمْنيها . قال شقيق : فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فمد يده فأخذ الركْوة وملأها ماءً وتوضأ وصلى أربع ركعات . ثم مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويحّركه ويشرب . فأقبلت إليه وسلمت عليه فردّ على السلام . فقلت: أطعِمْنى من فضل ما أنعم الله به عليك. فقال ياشقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرةً وباطنة فأحسِن ظنَك بربك . ثم ناوَلنى الركوة فشربت منها فإذا سَويق وسكّر فو الله ماشربت قطّ ألذّ منه

---

(١) طه ٨٢

(٢) الأبدال : قوم من الصالحين لاتخلو الدنيا منهم ، فإذا مات واحد أبدل الله مكانه آخر .

(٣) ق : رمالا .

ولا أطيب ريحاً منه . فشبعت ورَويت فأقمت أياماً لا أشتهى طعاماً ولا شراباً ، ثم لم أره حتى دخلنا مكة فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب فى نصف الليل يصلى بخشوع وأنين وبكاء ، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل . فلما رأى الفجر جلس فى مُصَلّاه يسبّح الله . ثم قام فصلّى الغداة وطاف بالبيت أسبوعاً(١) وخرج فتبعته فإذا له حاشية ومَوالٍ وهو على خلاف ما رأيته فى الطريق ودارَ به الناسُ من حوله يسلّمون عليه . فقلت لبعض مَن رأيته يقْرب منه . من هذا الفتىَ ؟ فقال : هذا موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام . فقلت : قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيّد .

وعن أحمد بن إسمعيل قال : بعث موسى بن جعفر إلى الرشيد من الحبس رسالة كانت : إنه لن ينقضى عنى يومٌ من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء حتى نُفضى جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء يخسَر فيه المُبْطلون .

ولد موسى بن جعفر عليه السلام بالمدينة فى سنة ثمان وعشرين ، وقيل تسع وعشرين ومائة وأقدمه المهدى بغداد ثم ردّه إلى المدينة فأقام بها إلى أيام الرشيد فقدم الرشيد المدينة فحمله معه وحبسه بغداد إلى أن توفى بها لخمسٍ بقين من رجب فى سنة ثلاث وثمانين ومائة .

آخر المصطفَيْن من المدنيين المعروفين .

---

(١) يقال : طاف بالبيت أسبوعا : أى سبع طوفات .

ذكر المصطفين من عباد المدينة الذين لم تعرف أسماؤهم

١٩٢ — عابد من رعاة المدينة

عبد العزيز قال : قال نافع : خرجت مع ابن عمر فى بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له فوضعوا سُفْرَةً فمرّ بهم راع فقال له عبد الله : هلم يا راعى فأصِبْ من هذه السُفْرة . فقال : إنى صائم . فقال له عبد الله : فى مثل هذا اليوم الشديدِ حرُّه وأنت فى هذه الشّعاب فى آثار هذه الغنم وبين الجبال ترعى هذه الغنم وأنت صائم ؟ فقال الراعى : أبادر أيامى الخالية . فعجب ابن عمر وقال : هل لك أن تبيعنا شاةً من غنمك نجْتزِرها ونطعمك[1] من لحمها ما تفطّر عليه وتعطيك ثمنها ؟ قال : إنها ليست لى ، إنها لمولاى . قال: فما عسَيتَ أن يقول لك مولاك إن قلتَ أكلها الذئب ؟ فمضى الراعى وهو رافع إصبعه إلى السماء وهو يقول فأين الله.؟

قال : فلم يزل ابن عمر يقول : قال الراعى : فأين الله فما عدا أن قدِم المدينة فبعث[2] إلى سيده فاشترى منه الراعى والغنَم فأعتق الراعى ووَهب له الغنم . رحمه الله .

---

(١) نجتزرها : نذبحها . صف : نعطيك .

(٢) ط : بعث تحريف .

١٩٣ - عابد آخر

ابن يزيد بن أسلم قال: قال محمد بن المنكدر إنى لليلةً مواجِهٌ هذا المنبر جوفَ الليل أدعو إذا أنا بإنسان عند أسطوانةٍ مقنّع رأسَه فأسمعُه يقولَ أىْ رَبّ إن القحط قد اشتدّ على عبادك وإنى مقسم عليك يا ربّ إلا سَقيتهم. قال: فما كان إلا ساعة إذا سحابة قد أقبلت ثم أرسلها الله عز وجل وكان عزيزاً على ابن المنكدر أن يخفَى عليه أحدٌ من أهل الخير. فقال: هذا بالمدينة ولا أعرفه؟ فلما سلّم الامام تقنّع وانصرف وأَتبَعه[1] ولم يجلس للقاص حتى أتى دار أنس فدخل موضعاً فأخرج مفتاحاً ففتح ثم دخل. قال: فرجعت فلما أصبحتُ أتيته فإذا أنا أسمع نجْراً فى بيته فسلّمت وقلت أَدخلُ؟ قال: أُدْخل، فإذا هو ينَجُر أقداحاً يعملها. فقلت: كيف أصبحتَ أصلحك الله؟ قال: فاستشهرها وأعظَمها منى فلما رأيت ذلك قلت: أخى سمعت أقسامك البارحة على الله عز وجل يا أُخى هل لك فى نفقة تُغنيك عن هذا وتفرّغك لما تريد من الآخرة؟ قال: لا ولكن غير ذلك، لا تذْكرنى لأحد ولا تذكر هذا لأحدٍ حتى أموت ولا تأتنى يا ابْن المنكدر فإنك إن تأتنى تُشهرنى للناس. فقلت: إنى أحب أن ألقاك. قال الْقَنى فى المسجد، وكان فارسياً. قال: فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحد حتى مات الرجل.

---

(١) أتبعه: تبعه، وذلك إذا كان سبقه فلحقه. وضمير الفاعل يعود إلى ابن المنكدر. وفى قط. فاتبعته.

قال ابن وهب : بلغنى أنه انتقل من تلك الدار فلم يُرَ ولم يُدْرَ أين ذهَب ؟ فقال أهل تلك الدار : الله بيننا وبين ابن المنكدر أخرَج عنا الرجلَ الصالح .

١٩٤ — عابد آخر

عن محمد بن المنكدر قال : كانت لى سارية فى مسجد رسول الله ﷺ أجلس[1] أصلّى إليها بالليل فقَحط أهل المدينة سنة فخرجوا يستسقون فلم يُسقَوْا فلما كان من الليل صلّيتُ عِشاء الآخرة فى مسجد رسول الله ﷺ ثم جئت فتساندت إلى ساريتى فجاء رجل أسْود تعلوه صفرة متزّر بكساءٍ وعلى رقبته كساء أصغر منه . فتقدم إلى السارية التى بين يدى وكنتُ خلفه ، فقام فصلى ركعتين ثم جلس فقال : أىْ رَبّ خرج أهل حَرم نبيك يستسقون فلم تَسقهم فأنا أقسم عليك لمّا سقَيتهم .

قال ابن المنكدر : فقلت: مجنون . قال : فما وضع يده حتى سمعتُ الرعد ثم جاءت السماء بشىءٍ من المطر أهمّنى الرجوعَ إلى أهلى فلما سمع المطر حمِد الله بمحامد لم أسمع بمثلها قطّ . قال: ثم قال: ومن أنا وما أنا حيث استجبتَ لى ، ولكن عُذْتُ بحمدك وعُذْتُ بطَوْلك . ثم قام فتوشّح بكسائه الذى كان متزّراً به وألقى الكساء الآخر الذى كان على

(١) صف : أصلى

ظهره فى رجليه، ثم قام فلم يزل قائماً يصلّى حتى إذا أحسن الصبح سجد وأوتر وصلى ركعتى الصبح ثم أقيمت صلاة الصبح فدخل فى الصلاة مع الناس ودخلتُ معه فلما سلّم الامام قام فخرج وخرجتَ خلفه حتى انتهى إلى باب المسجد فخرج يرفع ثوبه ويخوض الماء فخرجتُ خلفه رافعاً ثوبى أخوض الماء فلم أدرِ أين ذهب .

فلما كانت الليلة الثانية صلّيتُ العشاء في مسجد رسول الله ﷺ ثم جئت إلى ساريتى فتوسّدت إليها وجاء فقام فتوشّح بكسائه وألقى الكساء الآخر الذى كان على ظهره فى رجليه وقام يصلّى . فلم يزل قائما حتى إذا خشى الصّبح سجد ثم أوتر ثم صلّى ركعتى الفجر وأُقيمت الصلاة فدخل مع الناس فى الصلاة ودخلتُ معه . فلما سلّم الامام خرج من المسجد وخرجت خلفه فجعل يمشى وأتبعه حتى دخل داراً قد عرفتها من دُور المدينة ورجعتُ إلى المسجد .

فلما طلعت الشمس وصلّيت خرجت حتى أتيت الدار فإذا أنا به قاعد يَخْرز وإذا هو إسكاف . فلما رآنى عرفنى وقال : أبا عبد الله مرحباً ، ألكَ حاجة، تريد أن أعمل لك خُفاً ؟ فجلست فقلتَ : ألست صاحبى بارحة الأولى ؟ فاسودّ وجهه وصاح بى وقال : ابنَ المنكدر ما أنت وذاك؟ قال: وغضب . قال : ففَرِقْتُ واللهِ منه وقلت : أخرجُ من عنده الآن .

فلما كان فى الليلة الثالثة صلّيت العشاء الآخرة فى مسجد رسول الله ﷺ ثم أتيت ساريتى فتساندت إليها فلم يجىء . قال : قلت

إنا لله ماصنعتُ ؟ فلما أصبحتُ جلست فى المسجد حتى طلعت الشمس ثم خرجت حتى أتيت الدار التى كان فيها فإذا باب البيت مفتوح وإذا ليس فى البيت شيء : فقال لى أهل الدار ياأبا عبد الله ما كان بينك وبين هذا أمسِ؟ قلت : ما له ؟ قالوا لما خرجتَ من عنده أمس بسَط كساءه فى وسط البيت ثم لم يدَع فى بيته جِلْداً ولا قالَباً إلا وضَعه فى كسائه ثم حمله ثم خرج فلم ندْر أين ذهب ؟

قال محمد بن المنكدر فما تركت بالمدينة داراً أعلمها إلا طلبته فيها فلم أجده (رحمه الله) .

١٩٥ — عابد آخر

عن محمد بن المنكَدر قال : جئت إلى المسجد فاذا أنا برجل عند المنبر يدعو بالمطر فجاء المطر بصوتٍ ورعد فقال : يارب ليس هكذا . قال فمطرت قال فتبعتُه حتى دخل دار آل حزم أودار آل عمر فعرفت مكانه فجئته من الغد فعرضت عليه شيئا فأبى وقال لاحاجة لى بهذا فقلت : حُجّ معى . فقال : هذا شيء لك فيه أجْر فأكره أن أنفَس [1] عليك فأما شيْء آخذه فلاً .

---

(١) نفس على فلان بخير ينفسه : حسده .

١٦٩ - عابد آخر

عن محمد بن سُويد أن أهل المدينة قحِطوا وكان فيها[1] رجل صالح لازماً لمسجد النبي ﷺ. فبينما هم فى دعائهم إذ أنا برجل عليه طِمْران خَلقان[2] فصلّى ركعتين أوجزَ فيهما ثم بسط يديه إلى الله تعالى. فقال: يارب أقسمتُ عليك إلا أمطرت علينا الساعة. فلم يردَّ يده ولم يقطع دعاءه حتى تغشّت بالغيوم[3] ومطروا حتى صاح أهل المدينة: الغرَق. فقال: يارب إن كنت تعلم أنهم قد اكتفَوا فارفع عنهم. فسكن، وتبع الرجلَ صاحبَ المطر حتى عرف موضعه ثم بكّر عليه فنادى: يا أهل البيت! فخرج الرجل فقال: قد أتيتُك فى حاجة. قال: وما هى؟ قال: تخصّنى بدعوة. فقال: سبحان الله أنت أنت وتسألنى أن أخصّك بدعوةٍ؟ ما الذى بلغك ما رأيت عنى؟ فأخبره فقال: ورأيتنى؟ قال: نعم قال: أطعتُ الله فيما أمرنى ونهانى، وسألته فأعطانى.

١٩٧ — عابد علوى من أهل المدينة

عن أبى عامر الواعظ قال بينا أنا جالس فى مسجد رسول الله ﷺ إذ جاءنى غلام أسود برقعة فقرأتها فإذا فيها مكتوب.

---

(١) صف: فيها.

(٢) ثوبان باليان.

(٣) ق: بالغيم.

بسم الله الرحمن الرحيم، متّعك الله بمسامرة الفكْرة، ونعّمك بمؤانسة العبْرة : وأفردك بحب الخلْوة . يا أبا عامر أنا رجل من إخوانك بلغنى قدومك المدينة فسُررت بذلك وأحببت زيارتك وبى من الشوق إلى مجالستك والاستماع إلى محادثتك مالو كان فوقى لأظلّنى ، ولو كان تحتى لأقلّني فسألتك بالذى حَباك بالبلاغـة لما ألحقْتنى جنـاحَ التوصل بزيارتك والسلام .

قال أبو عامر فقمت مع الرسول حتى أتّى بى إلى قَباء فأدخلنى منزلاً رحباً خرباً فقال لى : قف هاهنا حتى استأْذن لك . فوقفت فخرج فقال لى : لِجْ . فدخلت عليه فإذا ببيت مفرد فى الخرْبة له باب من جَريد النخل وإذا بكهل قاعد مستقبل القبلة تخاله من الوَله مكروباً ومن الخشية محزوباً قد ظهرتْ فى وجهه أحزانه وذهبت من البكاء عيناه ومرضت أجفانه . فسلمت عليه فردّ على السلام ثم تحال فإذا هو أعمى أعرج مِسقام . فقال لى : يا أباعامر غسل الله من رانِ[1] الذنوب قلبك لم يزل قلبي إليك تواقاً وإلى استماع الموعظة منك مشتاقاً، وبى جرح نغِل[2] قد أعيا الواعظين دواؤه وأعجز المتطبين شفاؤه وقد وُصف لى :[3] نفع مراهمك للجراح

---

(١) يقال : «أعوذ بالله من الرين والران » ، وهما الطبع والدنس ، وماغطى على القلب وركبه من القسوة . للذنب بعد الذنب .

(٢) نغل (بكسر الغين) : فاسد .

(٣) ق ، قط : بلغنى .

والألم فلا تألمُ يرحمك الله فى ايقاع الترّياق وإن كان مّر المذاق فإنى ممن يصبر على ألم الدواء رجاَء الشفاء .

قال أبو عامر : فنظرت إلى منظر بهرنى وسمعت كلاماً قطعنى فأفكرت طويلاً ثم تأتّى لى من كلامى ما تأتّى وسهل من صعوبته ما منه رقّ لى فقلت : يا شيخ ارم ببصر قلبك فى ملكوت السماء وأجِلْ سمعَ معرفتك فى سكّان الأرجاء فتنقل بحقيقة إيمانك إلى جنة المأوى فترى ما أعدالله فيها للأولياء ، ثم تشرف على نار لظى فترى ما أعد الله للاشقياء ، فشتّان ما بين الدارين ، أليس الفريقان فى الأموات (١) سواء ؟

قال أبو عامر : فأنّ أنة وصاح صيحة وزفر والتوى وقال : الله يا أبا عامر وقع دواؤك علي دائى وأرجو أن يكون عندك شفائى ، زدْنى يرحمك الله قال : فقلت له يا شيخُ اللهُ عالم بسريرتك مطّلع علي حقيقتك شاهدك فى خلْوتك ، بعينهِ كنتَ (٢) عند استتارك من خلقه ومبارزته ، قال : فصاح صيحةً كصيحته الأولى ثم قال : مَن لفقرى ؟ مَن لِفاقتى ؟ مَن لذنبى ؟ مَن لخطيئتى ؟ أنتَ لى يا مولاى وإليك مُنقَلبى . ثم خرّ ميتاً رحمه الله .

قال أبو عامر : فأسقِط فى يدى وقلت : ماذا جنيتُ على نفسى ؟ إذ

---

(١) قط : الموت .

(٢) أى فى مراقبته وتحت نظره سبحانه .

خرجَتْ علّى جارية ٌ عليها مِدْرعة من صوف وخمار ٌ من صوف قد ذهب السجودُ بجبهتها وأنفها واصفرّ لطول القيام لونها وتورّمت قدماها . فقالت : أحسنت والله ياحادى قلوب العارفين ومُثير أشجان غليل المحزونين لانَسِيَ لك هذا المقامَ ربُّ العالمين ، يا أبا عامر هذا الشيخ والدى مُبتلًى بالسقم منذ عشر سنين[١] صلّى حتى أُقعِد وبكى حتى عمِت[٢] وكان يتمّناك على الله ويقول حضرت مجلس أبى عامر البنانى فأحيا مَوات فكرى وطرد وسَن نومى وإن سمعته ثانياً قتلنى فجزاك الله من واعظٍ ومتّعك من حكمتك بما أعطاك .

ثم اكبّت على أبيها تقبّل عينيه وتبكى وتقول : يا أبى يا أبتاه ، يا من أعماه البكاء على ذنْبه، يا أبى يا أبتاه يا من قتله ذكْر وعيد ربه ثم علا البكاء والنحيب والاستغفار والدعاء وجعلت تقول : ياأبى ياأبتاه ياحليف الحرقة والبكاء يا أبى يا أبتاه يا جليس الابتهال والدعاء ، يا أبى يا أبتاه يا صريع المذكّرين والخطباء، يا أبى يا أبتاء يا قتيل الوعّاظ والحكماء.

قال أبو عامر : فأجبتها وقلت : أيها الباكية الحيرىٰ النادبة الثكلى إن أباك نحْبَه قد قضى وورَد دار الجزاء وعاينَ كل ما عمل ، وعليه يُحصى فى كتاب عند ربى لا يضل ربى ولا ينسى، فمحسن فلَه الزُلفى ، أومسىء فواردٌ دار من أساء[٣] .

---

(١) قط عشرين سنة .

(٢) صف : عشي .

(٣) كذا فى ط .

فصاحت الجارية كصيحة أبيها وجعلت ترشح عرقاً وخرجتُ مبادراً إلى مسجد المصطفى محمد ﷺ وفزعتُ إلى الصلاة والدعاء والاستغفار والتضرّع والبكاء حتى كان عند العصر فجاءني الغلام الأسود فآذنني بجنازتهما فقلت[(١)] أحضر الصلاَة عليهما ودفنهما. فحضرت وسألت عنهما فقيل لى : من ولد الحسين بن على بن أبى طالب .

قال أبو عامر : فمازلت جزعاً مما جنَيت حتى رأيتهما فى المنام عليهما حلّتان خَضراوان، فقلت: مرْحباً بكما وأهلا، فما زلت حذِراً مما وعظتكما به ، فماذا صنع الله بكما ؟ فقال الشيخ .

أنت شريكى فى الذى نلتَه ... مستاهلاً ذاك أبا عامرْ
وكلّ من أيقَظ ذا غفلةٍ ... فنِصفُ ما يُعطاه للآمرْ
مَن ردّ عبداً آبقاً مذْنباً ... كان كمن قدْراقب القاهرْ
واجتمعا فى دار عَدْنٍ وفى ... جوارِ ربٍّ سيّدٍ غافرْ

١٩٨ - عابد آخر

عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير - وكان مصعب يصلّى فى اليوم والليلة ألف ركعة ويصوم الدهر - قال : بتّ ليلةً فى المسجد بعد ما خرج الناس منه ، فإذا برجل قد جاء إلى بيت النبى ﷺ فأسند[(٢)]

(١) ق ، قط فقال .
(٢) ق . قط ثم أسند

ظهره إلى الجدار فقال : اللهم إنك تعلم أنى كنت أمس صائماً ثم أمسيت فلم أفطر على شيء اللهم فإنى أمسيت أشتهى الثريد فأطعمنيه من عندك قال: فنظرتُ إلى وَصيف داخل من خَوخة[١] المنار ليس فى خِلْقة وُصفاء الناس ، ومعه قصعة فأهوى بها إلى الرجل فوضعها بين يديه وجعل[٢] الرجل يأكل ، وحصَبنى فقال : هلّم . فجئته وظننت أنها من الجنة فأحببت أن آكل منها فأكلت منها لقمة فأكلت طعاماً لا يشبه طعام أهل الدنيا ثم احتشمت فقمت فرجعت لمجلس فلما فرغ من أكله أخذ الوصفُ القصعة ثم أهوى راجعاً من حيث جاء وقام الرجل منصرفاً فتبعته لأعرفه فلا أدرى أين سلك ؟ فظننته الخَضِر عليه السلام .

---

(١) الخوخة : الكوة ، والباب الصغير فى الباب الكبير .

(٢) ق قط : وحبس .

ومن عقلاء المجانين بالمدينة

١٩٩ – أبو نصر المصاب

عن محمد بن إسمعيل بن أبى فديك قال : كان عندنا رجل مجنون يكني أبا نصر من جهينة ذاهب العقل فى غير ما الناس فيه ، لا يتكلم حتى يكلم وكان يجلس مع أهل الصّفّة فى آخر مسجد الرسول ﷺ ، وكان إذا سئل عن شيء أجاب فيه جواباً حسناً معجباً . فأتيته يوماً وهو فى آخر المسجد مع أهل الصفّة منكسا رأسه واضعاً جبهته بين ركبتيه فجلست إلى جنبه فحرّكته فانتبه فزعا فأعطيته شيئاً كان معى ، فأخذه وقال ، قد صادف منا حاجة . فقلت له : يا أبا نصر ما الشرف قال حملُ ما ناب العشيرةَ أدناها وأقصاها ، والقَبول من مُحسنها والتجاوز عن مُسيئها قلت له : فما المروءة ؟ قال إطعامُ الطعام ، وإفشاء السلام وتوقّى الأدناس . قلت له فما السخاء قال جهْدُ مُقلّ . قلت له فما البخل ؟ قال : أفّ وحوّل وجهه عنى فقلت تجيبنى قال : قد أجبتك .

قال وقدم علينا هارون فأخلى له المسجد فوقف على قبر رسول الله ﷺ وعلى منبره وفى موقف جبر عليه السلام واعتنق أسطوانة التوبة ثم قال : قفوا بى على أصحاب الصفة . فلما أتاهم حُرّك أبو نصر وقيل هذا أمير المؤمنين فرفع رأسه وقال أيها الرجل إنه ليس بين عباد

الله وأمة نبيه ﷺ ورعيتك وبين الله خلقٌ غيرك ، وإن الله سائلك عنهم فأعدّ للمسأله جواباً وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو ضاعت سخلة على شاطىء الفرات لخاف عمر أن يسأله الله عنها . فبكى هارون وقال : يا أبا نصر إنّ رعيتى ودهرى على غير رعية عمر ودهره فقال له : هذا والله غير مغن عنك فانظر لنفسك فإنك وعمر تسألان عما خوّلكما الله .

فدعا هارون بُصّرة فيها ثلاثُ مائة دينار وقال : ادفعوها إلى أبى نصر . فقال أبو نصر : ما أنا إلا رجل من أهل الصفّة فادفعوها إلى فلان يفرّقها عليهم ويجعلنى رجلا منهم .

وكان أبو نصر يخرج فى كل يوم جمعة ، صلاةَ الغداة ، فيدخل السوق مما يلى الثنية فلايزال يقف على مِربَعة مِربَعة[1] ويقول: أيها الناس (اتّقوا يوماً لاتَجزِى نفس عن نفس شيئاً ولا يُقبَل منها عَدْلٌ ولا تنفعها شفاعةٌ)[2] إن العبد إذا مات صحبه أهله وماله وعمله ، فإذا أوضع فى قبره رجع أهله وماله وبقى عمله ، فاختاروا لأنفسكم مايؤنسكم فى قبوركم رحمكم الله . ثم لايزال كذلك مربعة مربعة حتى يأتى مصلى رسول الله ﷺ ثم يمضى إلى الجمعة فلا يخرج من المسجد حتى يصلى العشاء الأخيرة رحمه الله .

---

(١) المربعة : خشبة يأخذ الرجلان بطرفيها ليرفعا الحمل على الدابة .

(٢) البقرة ١٢٣ .

ذكر المصطفيات من عابدات المدينة

٢٠٠ — فمن المعروفات (مليكة بنت المنكدر)

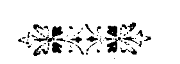
عن موسى بن عبد الملك أبو عبد الرحمن المروزى قال : قال مالك بن دينار : بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بامرأة جهيرة فى الحجر وهى تقول أتيتك من شقة بعيدة مؤملة لمعروفك فأنلنى معروفا من معروفك تغنينى به عن معروف من سواك ، يامعروفاً بالمعروف فعرّفت أيوب السختيانى ، فسألنا عن منزلها وقصدناها وسلمنا عليها فقال لها أيوب : قولى خيراً يرحمك الله قالت : وما أقول أشكو إلى الله قلبي وهواى فقد أضرّانى وشغلانى عن عبادة ربى ، قوما فإنى أبادر طىّ صحيفتى .

قال أيوب فما حدثت نفسى بامرأة قبلها فقلت لها لو تزوجت رجلا كان يعينك على ما أنت عليه : قالت : لو كان مالك بن دينار أو أيوب السختيانى ما أردته . فقلت أنا مالك ابن دينار وهذا أيوب السختيانى فقالت : أفٍ لقد ظننت أنه يشغلكما ذكر الله عن محادثة النساء وأقبلت على صلاتها فسألنا عنها فقالوا : هذه مليكة بنت المنكدر .

وعن أبى خالد البراد قال : كلمنا ابنة المنكدر فى تخفيف بعض العبادة فقالت : دعونى أبادر طى صحيفتى رحمها الله .

٢٠١ — فاطمة بنت محمد بن المنكدر

عن إبراهيم بن مسلم القرشي قال : كانت فاطمة بنت محمد بن المنكدر تكون نهارها صائمة فإذا جنها الليل تنادى بصوت حزين : هدأ الليل واختلط الظلام وأوى كل حبيب إلى حبيبه وخلوتى بك أيها المحبوب أن تعتقنى من النار . رحمها الله .



ومن المجهولات الأسماء

٢٠٢- إمرأة كانت فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه

عن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم - قال: بينا أنا مع عمر بن الخطاب وهو يعسّ المدينة(١) إذ أعيا واتكأ على جانب جدار فى جوف الليل وإذا امرأة تقول لابنتها : يا ابنتاه قومى إلى ذلك اللبن فامذُقيه(٢) بالماء فقالت لها : يا أمتاه وما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم ؟ قالت : وما كان من عزمته يا بنية قالت : إنه أمر منادياً فنادى ألا يشاب اللبن بالماء فقالت لها يا بنية قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادى عمر . فقالت الصبية لأمها يا أمتاه ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلاء .

وعمر يسمع كل ذلك فقال : يا أسلم علم الباب واعرف الموضع . ثم مضى فى عَسسِهِ حتى أصبح فلما أصبح قال يا أسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها ؟ وهل لهم من بعل ؟ فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيم لا بعل لها وإذا تيك أمها وإذ ليس لهم رجل .

---

(١) عس الرجل . طاف بالليل يحرس الناس ويكشف عن أهل الريبة . الفعل بهذا المعنى لازم ، وقد جعله ابن الحوزى متعديا .

(٢) اخلطيه .

فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته فدعا عمر ولده فجمعهم فقال : هل فيكم من يحتاج إلي امرأة أزوجه ، ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ماسبقه منكم أحد إلى هذه المرأة[1] فقال عبد الله لى زوجة . وقال عبد الرحمن: لى زوجة . وقال عاصم : يا أبتاه لا زوجة لى فزوّجنى . فبعث إلى الجارية فزوّجها من عاصم فولدت لعاصم بنتاً وولدت البنتُ بنتاً وولدت الابنةُ عمرَ بن عبد العزيز .

(قال الشيخ) : كذا[2] وقع فى رواية الآجرّى وهو غلط ولا أدرى من أى الرواة . وإنما الصواب : فولَدت لعاصم بنتاً وولَدت البنت عمر بن عبد العزيز كذلك نسبة العلماء .

٢٠٣ - عابدة أخرى

عن عبد الله بن المبارك أن امرأة قالت لعائشة اكشفى لى عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم فكشفت لها عنه فبكت حتى ماتت .

٢٠٤ ــ عابدة أخرى

عن ابراهيم بن عبدالله المدينى قال : حدّثنى أصحابنا أن امرأة كانت بالمدينة ترهق فدخلت المقابر ذات يوم فإذا هى بجمجمة قد بدت .

---

(١) ق ، قط : الجارية .

(٢) ق : قلت هكذا .

فوالله ما عاودتني تلك الوسوسة بعد تلك الليلة .

قال : فصرخت . ثم رجعت مُنيبة ، فدخل عليها نساؤها فقلن ما هذا ؟ فقلت .

بكى قلبي لذكر الموت لمّا   رأيتُ جما جما جَوْفَ القُبورِ

ثم قالت : اخرُجْنَ عني فلا تأتيني منكن امرأة ترغب في خدمة الله تعالى .

ثم أقبلت على العبادة حتى ماتت على ذلك .

٢٠٥- عابدة أخرى

عن أبي أيوب رجلٍ من قريش ، أن امرأة من أهله كانت تجتهد في العبادة وتديم الصيام وتطيل القيام فأتاها الملعون فقال : إلى كم تعذّبين هذا الجسم وهذه الروح ؟ لو افطرت وقصّرت عن الصيام والقيام كان أدْوم لك وأقوى قالت : فلم يزل يوسوس لي حتى هممت والله بالتقصير قالت : ثم دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم معتصمةً بقبره وذلك بين المغرب والعشاء فحمدت الله وصليت على رسوله ثم ذكرت ما نزل بي من وسواس الشيطان واستغفرت وجعلت أدعو الله أن يصرف عني كيده ووساوسه . قالت : فسمعت صوتاً من ناحية القبر يقول : (إنّ الشيطانَ لكم عدوّ فاتّخِذوهُ عدُوًّا إنما يدعو حِزْبه ليكونوا من أصْحابِ السَّعير)[1] قالت فرجعت مذعورة وجِلة القلب فوالله ماعاودتني تلك الوسوسة بعد تلك الليلة .

---

(١) فاطر . ٦ .

٢٠٦ - عابدتان مدنيتان

بلغنا عن عبد الله بن أخت مسلم بن سعد أنه قال : أردت الحج فدفع إلى خالى مسلم عشرة الآف درهم وقال لى : إذا قدمت المدينة فانظر أفقر أهل بيت بالمدينة فأعطهم إياها . فلما دخلت سألت عن أفقر أهل بيت بالمدينة فدُلت على أهل بيت فطرقت الباب فأجابتنى امرأة من أنت ؟ فقلت أنا رجل من أهل بغداد أودِعت عشرة الآف وأمِرت أن أسلمها إلى أفقر أهل بيت بالمدينة وقد وُصفهم لى فخذوها فقالت: يا عبد الله إنّ صاحبك اشترط أُفقر أهل بيت وهؤلاء الذين بازائنا أفقَر منا فتركتهم وأتيت أولئك فطرقت الباب فأجابتْنى امرأة فقلت لها مثل الذى قلت لتلك المرأة . فقالت : يا عبدالله نحن وجيراننا فى الفقر سواء فاقسمْها بيننا وبينهم .

انتهى ذكر أهل المدينة

ذكر المصطفين من طبقات أهل مكة من التابعين ومن بعدهم

فمن الطبقة الأولى

عبيد بن عمير بن قتادة الليثي

يكنى أبا عاصم

عن مجاهد قال : كنا نفتخر بفقيهنا وقاضينا[1] : فأما فقيهنا فابن عباس وأما قاضينا فعُبَيْد بن عُمير .

وعنه عن عبيد بن عمير قال : إنْ أعظمكم هذا الليل أن تكابدوه ، وبخلتم بالمال أن تُنفقوه ، جبُنتم عن العدو أن تقاتلوه فأكثروا من ذكر الله عز وجل .

وعنه عن عبيد بن عمير قال ما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيما مضى .

وعن قيس بن سعد عن عبيد بن عمير قال : إن أهل ليتلقّون الميت يُتلقى الراكب يسألونه فإذا سألوه ما فعل فلان ؟ فمن كان قد مات يقول : ألم يأتكم ؟ فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهب به إلى أمه الهاوية .

أسند عبيد بن عمير عن : أبي بن كعب وأبي ذر وأبي قتادة وعبدالله

---

(١) ق : كنا نفخر بفقيهنا وتفخر بقاضينا .

ابن عمر وعبد الله ابن عمرو وأبى هريرة وابن عباس وعائشة فى جماعة من الصحابة .

وروى عنه من كبار التابعين : مجاهد وعطاء وأبو حازم فى آخرين رحمه الله .

ومن الطبقة الثانية

٢٠٨ - مجاهد بن جبير يكنى أبا الحجاج

قال عبد الرحمن بن أبى حاتم هو مولى عبد الله بن السالب بن أبى السائب المخزومى ويقال مولى زيد[1] بن الحارث المخزومى .

عن الأعمش قال : كنت إذا رأيت مجاهداً ظننت أنه خَرْبَندج[2] ضلّ حمارُه فهو مهتمّ .

وعن ليث عن مجاهد قال : من أعز نفسه أذل دينه ومن أذل نفسه أعزّ دينه .

وعنه عن مجاهد قال : إن الله عز وجل ليصلح بصلاح العبد ولَده وولَد ولدِه .

---

(١) قط ، ق : قيس .

(٢) كلمة فارسية لم توردها المعاجم العربية ، ولفظها (خر بنده) ومعناها : مؤجر الحمار ، أو حارس الحمار .

وعنه عن مجاهد قال إن العبد إذا أقبل إلى الله عز وجل بقلبه أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه . ؟

وعنه عن مجاهد قال : لا تحدّ النظر إلى أخيك ولا تسأله من أين جئت وأين تذهب ؟

وعنه عن مجاهد قال : كانوا يكتفون من الكلام باليسير .

عن محمد بن إسحاق بن أبان بن صالح عن مجاهد قال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرَضات أقِفُه على كل آية أسأله كيف[1] أُنزلت وكيف كانت ؟

وعن خالد بن زيد عن مجاهد قال : إن القرآن يقول إنى معك ما اتبعتنى فإذا لم تعمل بى اتبعتك .

وعن مجاهد قال : إن لبنى آدم جلساء من الملائكة فإذا ذكر الرجل أخاه المسلم بخير قالت الملائكة : ولك بمثله ، وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة : ابن آدم المستورَ عورته ارْبَعْ على نفسك واحْمَدِ الله الذى سَتَر عورتك.

وعن عمر بن ذر قال : قال مجاهد : ما من مرض يمرضه العبد إلا ورسول ملك الموت عنده حتى إذا كان آخر مرض يمرضه العبد أتاه ملك الموت فقال : أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا .

---

(١) ق ، قط : فيم .

وعن مجاهد قال : يؤمر بالعبد إلى النار يوم القيامة فيقول ما كان هذا ظني فيقال[١] ما كان ظنك؟ فيقول أن تغفر لى. فيقول خلّوا سبيله .

وعن الأعمش عن مجاهد قال : كان بالمدينة أهل بيت ذوو حاجة عندهم رأس شاة فأصابوا شيئاً فقالوا : لو بعثنا هذا الرأس إلى من هو أحوج إليه منا . قال : فبعثوا به فلم يزل يدور بالمدينة حتى رجع إلى أصحابه الذين خرج من عندهم .

وعنه قال : كنا عند مجاهد فقال : القلب هكذا، وبسط كفه ، فإذا أذنب الرجل ذنباً قال : هكذا . وعقد واحداً . ثم أذنب وعقد اثنين ثم ثلاثاً ثم أربعاً ثم ردّ الإبهام على الأصابع في الذنب الخامس ثم يطبع[٢] على قلبه .

قال مجاهد : فأيكم يرى أنه لم يطبع على قلبه .

وعن عمر بن ذر عن مجاهد قال : إذا أراد أحدكم أن ينام فليستقبل القبلة ولينم على يمينه وليذكر الله وليكن آخر كلامه عند منامه : لا إله إلا الله، فإنها وفاء لا يدرى لعلها تكون منيّته ثم قرأ « وهو الذى يتوفّاكم بالليل »[٣].

---

(١) ق ، قط : فيقول

(٢) ق : يطبع ، قط : فطبع .

(٣) الأنعام ٦٠

أسند مجاهد عن ابن عباس وابن عمر وابن عمرو وجابر بن عبد الله وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة ورافع بن خديج فى آخرين وحدث عن عائشة إلا أن حديثه عنها مرسل لأنه لم يسمع منها .

وحدث عنه من أعلام التابعين : عطاء وطاوس وعكرمة ، فى خلق كثير .

ذكر وفاته

قال الفضل بن دُكَين : مات مجاهد سنة اثنتين ومائة يوم السبت وهو ساجد وقال يوسف بن سليمان توفى مجاهد بمكة سنة ثلاث ومائة وعن يحيى بن سعيد قال: مات مجاهد سنة أربع ومائة وقال ابن جريج بلغ مجاهد يوم مات ثلاثاً وثمانين سنة . رحمه الله تعالى .

٢٠٩ — عطاء بن أبِي رباح

واسم أبى رباح أسلم . وكان عطاء من مولّدى الجند نشأ بمكة وهو مولى آل أبِي ميسرة الفِهْرى . وكان عطاء يكنى أبا محمد .

عن أبى عبد الله يعنى أحمد بن حنبل قال العلم خزائن يقسم الله لمن أحب ، لو كان يُخصّ بالعلم أحدٌ لكان بيتُ النبى ﷺ أولى ، كان عطاء بن أبى رباح حبشياً وكان يزيد بن أبى حبيب نوبيا أسود وكان الحسن مولى للأنصار وكان ابن سيرين مولى للأنصار .

وقال ابراهيم بن إسحاق الحربى : كان عطاء بن أبى رباح عبداً أسود لامرأة من أهل مكة وكان أنفه كأنه باقلاة[1] قال : وجاء سليمان ابن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه فجلسوا إليه وهو يصلى فلما صلى انفتل إليهم[2] فمازالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حوّل قفاه إليهم . ثم قال سليمان لابنيه : قوما فقاما فقال : يا ابنىّ لاتنيا فى طلب العلم فإنى لا أنسى ذلنا بين يدى هذا العبد الأسود .

وعن أحمد بن محمد قال كانت الحلقة فى الفتيا بمكة فى المسجد الحرام لابن عباس وبعد ابن عباس لعطاء بن أبى رباح .

وعن سلمة بن كهيل قال : ما رأيت أحداً يريد بهذا العلم وجه الله عز وجل غير هؤلاء الثلاثة عطاء وطاوس ومجاهد .

وعن ابن جريج قال كان المسجد فراش عطاء بن أبى رباح عشرين سنة

وعن عمر بن ذر قال ما رأيت مثل عطاء قط وما رأيت على عطاء قميصاً قط ولا رأيت عليه ثوبا يساوى خمسة دراهم .

وعن اسمعيل بن أمية قال : كان عطاء يطيل الصمت فإذا تكلم يخيل إلينا أنه يؤيد ـ وعن عمرو بن سعيد عن أمه قالت : قدم ابن عمر مكة فسألوه فقال : أتجمعون لى يا أهل مكة المسائل وفيكم ابن أبى رباح .

---

(١) الباقلاة : واحدة الباقلاء والباقلى ، وهى الفول .

(٢) قط . عنهم .

وعن عبد الله بن إبراهيم بن عمرو بن كيسان قال أخبرنى أبى قال : أذكرهم فى زمان بنى أمية يأمرون فى الحاج صائحًا يصيح لا يفتى الناس إلا عطاء بن أبى رباح فإن لم يكن عطاء فعبد الله بن أبى نجيح . وعن الأوزاعى قال ما رأيت أحداً أخشع لله من عطاء ولا أطول حزناً من يحيي ابن أبى كثير .

وعن يعلى بن عبيد قال : دخلنا على محمد بن سوقة فقال : أحدثكم بحديث لعله أن ينفعكم فإنه قد نفعنى ثم قال : قال لنا عطاء بن أبى رباح يا بنى أخى إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدّون فضوله ما عدا كتاب الله عز وجل أن تقرأه وتأمر بمعروف أو تنهى عن منكر أو تنطق بحاجتك فى معيشتك التى لا بد لك منها . أتنكرون أن عليكم حافظين كراماً كاتبين ، عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ؟ أما يستحي أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته التى أملّ (١) صدرَ نهاره فإن أكثر مافيها ليس من أمر دينه ولا دنياه ـ

وعن ابن جريج قال كان عطاء بعد ما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتى آية من البقرة وهو قائم ما يزول منه شىء ولا يتحرك

وعن ابن عيينة قال : قلت لابن جريج ما رأيت مصلّيا مثلك . قال لو رأيت عطاء ـ

---

(١) أمل الصحيفة أملاها

وعن معاذ بن سعيد قال : كنا عند عطاء بن أبى رباح فتحدث رجل بحديث فاعترض له آخر فى حديثه فقال عطاء : سبحان الله ما هذه الأخلاق ماهذه الأخلاق ؟ إنى لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه به فأريه أنى لا أحسن منه شيئاً — وعن عثمان بن الأسود قال : قلت لعطاء : الرجل يمرّ بالقوم فيقذفه بعضهم ، أيخبره ؟ قال لا المجالس بالأمانة .

وعن ابن أبى ليلى قال : حجّ عطاء سبعين حجة وعاش مائة سنة — أسند عطاء عن ابن عمر و ابن عمرو وأبى سعيد وأبى هريرة وزيد بن خالد الجهنى وابن عباس وابن الزبير فى آخرين من الصحابة .

وروى عنه جماعة من التابعين : كعمرو بن دينار والزهرى وقتادة وأيوب فى آخرين .

ومات عطاء بمكة فى سنة خمس عشرة ومائة ، وقيل سنة أربع عشرة وهو ابن ثمان وثمانين سنة . رحمه الله .

٢١٠ — عبد الله بن عبيد بن عمير وكان من أفصح أهل مكة

عن هارون البربرى عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : الآيمان قائد والعمل سائق والنفس حَرون فإذا ونى قائدها لم تستقم لسائقها وإذا ونى

سائقها لم تستقم لقائدها ولا يصلح هذا إلا مع هذا حتى تقوم على الخير الإيمان بالله مع العمل لله والعمل لله مع الآيمان بالله .

وعن الوصافى عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : لا ينبغى لمن أخذ بالتقوى وزُنَ بالورع أن يذل لصاحب الدنيا .

وعن وهب بن جرير قال أنبأ أبى قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول : بعث سليمان بن داود إلى ماردٍ من مردة الجن فأتى به فلما كان على باب سليمان أخذ عوداً وذرَعه بذراعه ثم رمى به من وراء الحائط فوقع بين يدى سليمان فقال : ما هذا ؟ فأخبر بما صنع المارد فقال ، أتدرون ما أراد ؟ قالوا : لا . قال : يقول : اصنع ماشئت فإنك تصير إلى مثل هذا من الأرض — أسند عبد الله عن أبيه وغيره وتوفى سنة ثلاث عشرة ومائة بمكة . وكان صالحاً :

ومن الطبقة الثالثة من أهل مكة

٢١١- عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج مولى أمية بن خالد

يكنى أبا الوليد

عن عبد الرزاق قال كنت إذا رأيت ابن جريج علمت أنه يخشى الله وما رأيت مصلياً مثله قط .

وعنه (٢) قال : أهل مكة يقولون أخذ ابن جريج الصلاة من عطاء وأخذها عطاء من ابن الزبير وأخذها ابن الزبير من أبى بكر الصديق وأخذها أبو بكر من النبي ﷺ .

قال عبد الرزاق : وكان ابن جريج حسن الصلاة ـ وعن مالك بن أنس قال : كان ابن جريج صاحب ليل .

سمع ابن جريج من طاوس مسألة واحدة ومن مجاهد حرفين من القرآن وسمع الكثير من عطاء بن أبى رباح .

وكان عطاء يقول : هو سيد شباب أهل الحجاز ، وسمع من عمرو بن دينار وأبى الزبير وابن المنكدر ونافع والزهرى فى خلق كثير وقيل أنه أول من صنف الكتب .

وتوفى سنة خمسين ، وقيل إحدى وخمسين ومائة وقيل تسع وأربعين [رحمه الله تعالى] .

٢١٢ – محمد بن طارق المكي

روى عن طاوس ، وروى عنه الثوري .

عن محمد بن فضيل قال : رأيت ابن طارق في الطواف قد انفرج له أهل الطواف عليه نعلان مطرقتان لحزروا طوافه في ذلك الزمان فإذا هو يطوف في اليوم والليلة عشرة فراسخ .

وعنه قال : سمعت ابن شبرمة يقول .

لو شئت كنت ككرزٍ في تعبده
أو كابن طارقَ حول البيت والحرم
قد حاول دون لذيذ العيش خوفهما
وسارَعا في طلاب الفوز والكرم

قال : وكان محمد بن طارق يطوف في اليوم والليلة سبعين أسبوعاً (١) وكان كُرْز يختم القرآن في كل يوم وليلة ثلاث ختمات .

وعن ابن شبرمة قال لو اكتفى أحد بالتراب كفى ابن طارق كف من تراب رحمه الله .

---

(١) يقال : طاف بالبيت أسبوعاً : أي سبع مرات والأسبوع من الطواف . سبعة أطواف .

٢١٣ - عثمان بن أبى دهرش المكي

يروى عن رجل من آل الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم . روى عنه ابن عيينة - عن عبد الله بن المبارك عن عثمان بن أبى دهرش أنه كان إذا رأى الفجر قد أقبل عليه تنبّه وقال : أصير الآن مع الناس ولا أدرى ماأجنى على نفسى .

وقال عثمان بن أبي دهرش : ماصليت صلاة قط إلااستغفرت الله تعالى من تقصيرى فيها .

٢١٤ - وهيب بن الورد بن أبى الورد

مولى بنى مخزوم . يكنى أبا أمية . وقيل أبا عثمان . وكان اسمه عبد الوهاب فصغر فقيل وهيب .

عن سفيان بن عيينة عن وهيب بن الورد قال : بينا أنا واقف فى بطن الوادى إذا أنا برجل قد أخذ بمنكبي فقال : ياوهيب خف الله لقدرته عليك واستحْيِ منه لقربه منك . قال : فالتفتّ فلم أر أحداً .

وعن بشر بن الحارث قال : أربعة رفعهم الله بطيب المطعم وهيب بن الورد ، وإبراهيم بن أدهم ، ويوسف بن أسباط وسالم [1] الخواص .

وعن زهير بن عباد قال : كان فضيل بن عياض ووهيب بن الورد وعبد الله بن المبارك جلوساً فذكروا الرُّطَب فقال وهيب : أوَقد جاء

---

(١) ط : وسلم .

الرطب ؟ فقال عبد الله ابن المبارك : رحمك الله هذا آخره أو لم تأكله قال : لا . قال : ولم؟ قال وهيب : بلغنى أن عامة أجنّة مكة من الصوافى والقطائع فكرهتها . فقال عبد الله بن المبارك : يرحمك الله أوَليس قدرخص فى الشّرى من السوق إذا لم تُعرف الصوافى والقطائع منه وإلاضاق على الناس خُبزهم ؟ أوليس عامة مايأتى من قمح مصرإنما هو من الصّوافى والقطائع ؟ ولاأحسبك تستغنى عن القمح فسهل عليك . قال: فصعق .

قال فضيل لعبد الله : ماصنعت بالرجل فقال ابن المبارك ماعلمت أن كل هذا الخوف قد أعطيه فلما أفاق وهيب قال: ياابن المبارك دعنى من ترخيصك ، لاجَرم لا آكل من القمح إلا كما يأكل المضطر من الميتة .

فزعموا أنه نحل جسمه حتى مات هزلا .

أبو بكر المرْوزى قال : قال قادم الديلمى : قيل لوهيب بن الورد : ألا تشرب من زمزم ؟ قال بأىّ دلو .؟

قال شعيب بن حرب[1] مااحتملوا لأحدٍ ما احتملوا لوهيب ، كان يشرب بدلوه .

وعن أحمد بن عبيد بن ناصح قال : قال يوسف بن أسباط : عن

(١) ق : حرم ــ تحريف .

القعقاع بن عمارة ، عن وهيب المكى قال : يقول الله عزوجل :وعزّتى وجلالى وعظمتي مامن عبد آثرَ هوايَ على هواه إلا أقللت همومه ، وجمعت عليه ضيعته ، ونزعت الفقر من قلبه ، وجعلت الغنى بين عينيه واتّجرت له من وراء كل تاجرو عزّتى وعظمتى وجلالى مامن عبد آثرَ هواه على هوايَ إلا كثرت همومه ، وفرقت عليه ضيعته ، ونزعت الغنى من قلبه ، وجعلت الفقر بين عينيه ثم لم أبال فى أىّ أو ديتها هلك .

وقال عبد الرحمن العراقى : قال وهيب بن الورد خالطت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلا غفرلى ذنباً فيما بينى وبينه ، ولاوَصلني إذا قطعته ، ولاسترَ على عورة ، ولا أمِنته إذا غضب ، فالاشتغال بهؤلاء حمق كبير .

وكان سفيان الثورى إذا حدث الناس فى المسجد الحرام وفرغ قال قوموا إلى الطبيب ، يعنى وهيباً .

وعن ابن المبارك قال : ماجلست إلى أحد كان أنفع لى مجالسةً من وهيب كان لايأكل من الفواكه ،وكان إذا انقضت السنة وذهبت الفواكه يكشف عن بطنه وينظر إليه ويقول : ياوهيب ماأرى بك بأساً ، ماأرى تركك الفواكه ضرّك شيئاً .

وعن محمد بن مزاحم عن وهيب بن الورد قال : وجدت العزلة اللسان [1]

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قال وهيب بن الورد كان يقال الحكمة عشرة أجزاء ، فتسعة منها فى الصمت والعاشرة عزلة الناس قال : فعالجت نفسى على الصمت فلم أجدنى أضبط كل ما أريد منه ، فرأيت أن هذه الأجزاء العشرة عزلة الناس .

وعن ابن أبى رواد قال : انتهيت إلى رجل ساجد خلف المقام فى ليلة باردة مطيرة يدعو ويبكي فطفت أسبوعاً . ثم عدت فوجدته على حاله فقمت [2] قريباً منه الليل كله فلما أدبر الليل سمعت هاتفا يقول ياوهيب ابن الورد ارفع رأسك فقد غفر لك قال فلم أرشيئا فلما برق الصبح رفع رأسه ومضى فاتبعته فقلت أوماسمعت الصوت فقال وأى صوت فأخبرته فقال لاتخبر به أحدا فما حدثت به أحدا حتى مات وهيب .

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قال وهيب ، عجباً للعالم كيف تجيبه دواعى قلبه إلى ارتياح الضحك وقد علم أن له فى القيامة روعات ؟ ووقفات وفزعات ثم غشى عليه .

---

(١) كذا فى النسخ . ولعل العبارة : « وجدت العزلة عزلة اللسان .

(٢) ق قط . فقعدت .

وعنه قال: كانوا يرون الرؤيا لوهيب أنه من أهل الجنة فإذا أخبر بها اشتد بكاؤه وقال: قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان.

وعنه قال: حلف وهيب بن الورد ألا يراه الله ضاحكاً ولا أحد من خلقه حتى يعلم ما يأتى به رسل ربه. قال فسمعوه عند الموت يقول وفيتَ لى ولم أفِ لك.

وعن عبد الرزاق قال سمعت وهيب بن الورد يقول: من عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه.

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال: قال وهيب بن الورد لو أن علماءنا، عفا الله عنا وعنهم، نصحوا لله فى عباده فقالوا: ياعباد الله اسمعوا ما نخبركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم، وصالح سلفكم من الزهد فى الدنيا فاعملوا به ولا تنظروا إلى أعمالنا هذه الفَسْلَةَ [1] كانوا قد نصحوا لله فى عباده، ولكنهم يأبون إلا أن يجروا عباد الله إلى فتنتهم وماهم فيه.

وعن عبد الله بن المبارك قال: قيل لوهيب بن الورد أيجد طعم العبادة من يعصى الله؟ قال: لا ولا من يهم [2] بالمعصية.

---

(١) المسترذلة الرديئة.

(٢) صف: هم.

وعن جرير بن حازم عن وهيب قال بلغني أن موسى عليه السلام قال يارب أخبرني عن آية رضاك عن عبدك فأوحى الله تعالى إليه إذا رأيتني أهيء له طاعتي وأصرفه عن معصيتي فذاك آية رضاي عنه .

وعن محمد بن يزيد قال سمعت وهيبا يقول ضُرب لعلماء السوء مثل فقيل : إنما مثل عالم السوء كمثل الحجَر في الساقية فلا هو يشرب الماء ولا هو يخلّي الماء إلى الشجر فيحيا به .

وعنه عن وهيب قال بلغنا أن عيسى عليه السلام مرّ هو ورجل من حواريّيه بلص في قلعة له فلما رآهما اللص ألقى الله في قلبه التوبة . قال فقال في نفسه : هذا عيسى بن مريم عليه السلام روح الله وكلمته، وهذا فلان حواريُّه ، ومن أنت ياشقي ؟ لصّ بني اسرائيل ، قطعت الطريق وأخذت الأموال وسفكت الدماء . ثم هبط إليهما تائباً نادماً على ما كان منه .

فلما لحقهما قال لنفسه تريد أن تمشي معهما ؟ لست لذلك بأهل، امش خلفهما كما يمشي الخطّاء المذنب مثلك . قال فالتفت إليه الحواريّ فعرفه فقال في نفسه انظر إلى هذا الخبيث الشقيّ ومشيه وراءنا . قال : فاطّلع الله على مافي قلوبهما ، من ندامته وتوبته ومن ازدراء الحواريّ إياه وتفضيله نفسه عليه .

قال فأوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم أن مُرِ الحواريّ ولص

بنى إسرائيل أن يأتنفا العملَ جميعاً : أما اللص فقد غفرت له ما قد مضى لندامته وتوبته ، وأما الحوارى فقد حبِط عمله لعجبه بنفسه وازدرائه هذا التوّاب .

قال وهيب : وبلغنا أن الخبيث إبليس تبدّى ليحيى بن زكريا عليهما السلام فقال له : إنى أريد أن أنصحك . قال : كذبت أنت لا تنصحنى ولكن أخبرنى عن بنى آدم . قال : هم عندنا على ثلاثة أصناف : أما صنفٌ منهم فهم أشدّ الأصناف علينا ، نُقبل حتى نفتنه ونستمكن منه ثم يفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ، ثم نعود له فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا . فنحن من ذلك فى عناء .

وأما الصنف الآخر فهم بين أيدينا بمنزلة الكرة فى أيدى صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا . فقد كفَونا أنفسهم .

وأَما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شىءْ .

فقال له يحيى : على ذاك هل قدرت منى على شىء ؟ قال : لا إلا مرة واحدة فإنك قدّمتَ طعاماً تأكله فلم أزل أشهيه إليك[1] حتى أكلت أكثر مما تريد . فنمت تلك الليلة ولم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها .

---

(١) صف : لك

قال : فقال له يحيى لا جرم لاشبعتُ من طعام أبداً حتى أموت .

فقال له الخبيث : لا جرم لا نصحتُ آدمياً بعدك .

محمد بن يزيد قال : رأيت وهيب بن الورد صلّى ذات يوم العيد . فلما انصرف الناس جعلوا يمرّون به فنظر إليهم ثم زفر ثم قال : لئن كان هؤلاء القوم أصبحوا مستيقنين أنه قد تُقُبِّل منهم شهرهم هذا لكان ينبغى لهم أن يكونوا مشاغيلَ بأداء الشكر عمّا هم فيه ، وإن كانت الأخرى لقد كان ينبغى لهم أن يصبحوا أشغل وأشغل .

ثم قال : كثيراً ما يأتينى من يسألنى من إخوانى فيقول: يا أباأمية، ما بلغك عمّن طاف سبعاً بهذا البيت ما له من الأجر ؟ فأقول : يغفر الله لنا ولكم بل سلُوا عما أوجب الله تعالى من أداء الشكر فى طواف هذا السبع ورزقه إياه حين حرم غيره . قال : فيقولون إنا نرجو . فيقول وهيب : فلا والله مارجا عبدٌ قطّ حتى يخاف . ثم يقول كيف تجترىء أن ترجو رضا من لايخاف غضبه ؟ إنما كان الراجى خليل الرحمن إذ يخبرك الله عز وجل عنه قال « وإذْ يرفع إبراهيم القواعدَ من البيت واسمعيلُ ربّناتقبّلْ منّا[١] » ثم قال : «والذى أطمعُ أن يغفر لى خطيئتى يوم الدِّين[٢] » .

---

(١) البقرة : ١٢٧ .

(٢) الشعراء : ٨٢ .

وعن على بن أبى بكر قال : اشتهى وهيب لبناً فجاءته خالته به من شاةٍ لآل عيسى بن موسى . قال : فسألها عنه فأخبرته فأبى أن يأكله. فقالت له . كلْ . فأبى . فعاودته وقالت له : إنى أرجو إن أكلته أن يغفر الله لك أىْ باتباع شهوتى . فقال : ما أحب أنى أكلته وإن الله تعالى غفر لى . فقالت : لِمَ ؟ قال : إنى أكره أن أنال مغفرته بمعصيته .

عن عمرو بن محمد بن أبى رزين قال : وسمعت وهيباً يقول: إن العبد ليصمت فيجتمع له لبّه .

وسمعته يقول لايكن همّ أحدكم فى كثرة العمل ، ولكن ليكنْ همّه فى إحكامه وتحسينه ، فإن العبد قد يصلّى وهو يعصى الله فى صلاته ، وقد يصوم وهو يعصى الله فى صيامه .

وعن مؤمل قال : سمعت وهيباً يقول لو قمتَ قيام هذه السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك ؟ حلال أو حرام ـ ؟

وعن محمد بن يزيد عن وهيب قال : بلغنا ، والله أعلم ، أن موسى عليه السلام قال : يا ربّ أوصنى . قال : أوصيك بى . قالها ثلاثاً ، كلّ ذلك يقول : أوصيك بى . حتى قال فى الآخرة : أوصيك بى ألا يعرض لك أمر إلا آثرت فيه محبتى على ما سواها ، فمن لم يفعل ذلك لم أرحمه ولم أزكّه .

(١) وانما قال ذلك لانه يعتبر ما في يد عيسى من المال حراماً، وكان عيسى امير الكوفة .

وعن ابن المبارك ، عن وهيب قال اتّق أن تسُبّ إبليس فى العلانية وأنت صديقه فى السر .

وعن أبى صالح الجدى قال : صليت إلى جنب وهيب العصر . فلما صلى جعل يقول : اللهم إن كنتُ نقصتُ منها شيئاً أو قصّرتُ فيها فاغفرلى . قال : فكأنه قد أذنب ذنباً عظيماً يستغفر منه .

وعن بشر بن الحارث قال : كان وهيب بن الورد تَبِين خضرة البقل من بطنه من الُهزال .

وعنه قال: بلغنا أن وهيباً كان إذا أتى بقُرصته بكى حتى يبلّها[1] .

أدرك وهيب بن الورد جماعة من التابعين : كعطاء بن أبى رباح ومنصور بن زاذان وابان بن أبى عياش . وكان مشغولا عن الرواية بالتعبد . على أنه قد نقل عنه حديث حسن .

ومات فى سنة ثلاث وخمسين ومائة [رحمه الله] .

---

(١) القرصة : القرص . وهى قطعة من الخبز مبسوطة مستديرة و اح ق : (بقرصيه بكى حتى يبلهما) .

ومن الطبقة الرابعة

٢١٥ ــ عبد العزيز بن أبى رواد مولى المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة

عن شقيق البلخى قال: ذهب بَصر عبد العزيز بن أبى رواد عشرين سنة لم يعلم به أهله ولا ولده . فتأمله ابنه ذات يوم فقال له ياأبت ذهبت عينك ؟ قال : نعم يابنى ، الرضا عن الله تعالى أذهب عين أبيك منذ عشرين سنة .

وعن شعيب بن حرب قال جلست إلى عبد العزيز بن أبى رواد خمسمائة مجلس فما أحسب صاحب الشمال كتب شيئاً .

وعن يوسف بن اسباط قال : مكث عبد العزيز بن أبى رواد أربعين سنة لم يرفع طرفه إلى السماء . فبينما هو يطوف حول الكعبة إذ طَعَنه المنصور أبو جعفر فى خاصرته باصبعه ، فالتفتَ إليه فقال : قد علمت أنها طعنة جبّار .

وعن خلاد بن يحيى قال : حدثنا عبد العزيز بن أبى رواد قال : كان يقال : مِن رأس التواضع الرضا بالدون من شرف المجالس . وكان يقول : فى رأس كل انسان حكمة آخِذ بها مَلَك ، فان تواضَع لربه رَفعه .

وقال : انتعِشْ رحمــــك الله ، وإن تـكبرّ قمعه وقال : اخسأ خسأك الله .

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قال رجل لعبد العزيز بن أبى رواد : كيف أصبحت ؟ فبكى وقال : أصبحتُ والله فى غفلة عظيمة عن الموت مع ذنوب كثيرة قد أحاطت بى ، وأجلٍ يسرع كلّ يوم فى عمرى ، وموئل لست أدرى علام أهجم ؟ ثم بكى .

وعن سعيد بن سالم القداح قال : سمعت عبد العزيز بن أبى رواد يقول لرجل : من لم يتّعظ بثلاث لم يتعظ بشىْء .الاسلام ، والقرآن ، والمشيب .

أسند عبد العزيز بن أبى رواد عن جماعة من كبار التابعين : كعطاء وعكرمة ونافع .

وتوفى بمكة سنة تسع وخمسين ومائة .

٢١٦ — زمعة بن صالح المكي

رَوى عن سلمة بن وهرام وابن طاوس ورَوى عنه وكيع .

عن القاسم بن راشد الشيبانى : قال كان زمعة نازلا عندنا وكان له أهل وبنات وكان يقــوم فيصلى ليلا طويلا فإذا كـان السحر نادى بأعلى صوته :

يا أيها الركب المعرسونا　　أكل هـذا الليل ترقدونا

ألا تقومون فترحلونا

قال فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ، ومن ههنا داع ، ومن ههنا قارئ ، ومن ههنا متوضئ ، فاذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته :

عند الصباح يحمد القوم السرى - رحمه الله -



ومن الطبقة الخامسة

٢١٧- سفيان بن عيينة بن أبى عمران يكنى أبا محمد

وهو مولى لبنى عبد الله بن رُويبة . ولد بالكوفة وسكن مكة .

عن محمد بن عمر قال : أنبأ سفيان أنه ولد سنة سبع ومائة وكان أصله من الكوفة وكان أبوه من عمّال خالد بن عبد الله القسرى فلما عزل خالد عن العراق وولى يوسف بن عمر الثقفى طلب عمال خالد فهربوا منه فلحق عيينة بمكة فنزلها .

إبراهيم بن ازداد الرافقى قال : قال سفيان بنُ عيينة لما بلغتُ خمس عشرة سنة دعانى أبى فقال لى : ياسفيان قد انقطعت عنك شرائع الصبا فاحتفظ من الخير تكن من أهله ، ولا يغرنّك من اغترّ بالله فمدحك بما يعلم الله خلافه منك ، فانه مامن أحد يقول فى أحد من الخير إذا رضى إلا وهو يقول فيه من الشر مثل ذلك إذا سخط . فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء لاتنقل أحسَنَ[١] ظنى بك إلى غير ذلك ولن يسعد بالعلماء إلا من أطاعهم .

قال سفيان : فجعلت وصية أبى قبلةً أميل معها ولا أميل عنها .

---

(١) اسم تفضيل . أى : إن لى فيك أحسن الظن ، فلا تنقله الى سيئه .

وعن صامت بن معــاذ قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : من تزين للناس بشيء يعلم الله منه غير ذلك شانه الله .

وعن النعمان قال : سمعت ابن عيينة يقول : ليس من حب الدنيا طلبك مالا بدّ منه .

وعن محمد بن ميمون الخياط قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول إذا كان نهاري نهارَ سفيهٍ وليلي ليلَ جاهلٍ فما أصنع بالعــلم الذى كتبت ؟

وعن علي بن الجعد قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : من زِيد في عقله نقص من رزقه .

وعن ابن الأعرابي قال : قال سفيان بن عيينة : أرفع الناس منزلةً من كان بين الله و بين عباده ، وهم الأنبياء والعلماء .

وعن علي بن الحسن قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : من رأى أنه خير من غيره فقد استكبر وذلك أن ابليس إنما منعه من السجود لآدم عليه السلام استكباره .

وعن سعيد بن داود عن ابن عيينة قال : من كانت معصيته في الشهوة (١) فارج له التوبة فان آدم عصى مشتهياً فغفر له فاذا كانت

(١) اي في ساعة من ساعات الضعف الذي ينتاب البشر .

معصيته فى كِبْرٍ فاخشَ على صاحبه اللعنة ، فإن ابليس عصى مستكبراً فلُعِن .

وعن بقية عن سفيان قال أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن أول من مات ابليس ، وذلك أنه أول من عصاني وأنا أعدّ من عصانى من الموتى .

وعن إسحاق بن منيب قال : قال سفيان بن عيينة لم يعرفوا حتى أحبوا أن لا يعرفوا .

وعن بكر العابد قال : قلت لسفيان بن عيينه ياأبا محمد أبلغَك أن الناس يزدحمون يوم القيامة ؟ فقال : الأقدام يوم القيامة هكذا ووضع يده فوق الأخرى ، ثم قال بكر : بلغنى أن الناس يخرجون من قبورهم وهم يقولون الماء الماء ، العطش العطش .

وعن موسى بن اسمعيل قال : سمعت ابن عيينة يقول : أصابتنى ذات يوم رقّة فبكيت فقلت فى نفسى لوكان بعض أصحابنا لرقّ معى ثم غفوْت فأتانى آتٍ فى منامى فرفسنى وقال : ياسفيان خذ أجرَك ممن أحببت أن يراك .

ابن وهب قال : قال سفيان بن عيينة : إنما منزلة الذى يطلب

العلم ينتفع به بمنزلة العبد يطلب كل شيء يُرضي سيده يطلب التحبب إليه والتقرب إليه والمنزلة عنده لئلا يجد عنده شيئاً يكرهه .

وعن حَرملة بن يحيى قال : أخذ سفيان بن عيينة بيدي فأقامني في ناحية فأخرج من كُمّه رغيف شعير وقال لي : دَع ياحرملة مايقول الناس هذا طعامي منذ ستين سنة .

وعن أبي جعفر الحذّاء قال : سمعت ابن عيينة يقول : إذا وافقت السريرة العلانية فذلك العدل وإذا كانت السريرة أفضل من العلانيه فذلك الفضل ، وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجوَرْ .

محمد بن صباح يقول : أنبأ سفيان بن عيينة : إذا ترك العالم لاأدرى أصيبت مقاتله .

وعن حيان بن نافع بن صخر بن جويرية قال : كان سفيان بن عيينة بعد ماأسنّ يتمثل بهذا البيت .

يعمَّر واحدٌ فيغرّ قوماً ويُنسى مَن يموت من الصغار

وعن عبيد الله بن عائشة قال : قال سفيان بن عيينة . لولا أن الله عز وجل طأمن ابن آدم بثلاث ماأطاقة شيء وانهنّ لقيه وانه على ذلك لوثّاب : الفقر ، والمرض ، والموت .

وعن حيان بن صخر بن جُويرية قال : سمعت سفيان بن عيينه يقول ليس يضر المدحُ مَن عرف نفسه .

وعن أبى معمر عن ابن عيينة قال : العلم إن لم ينفعك ضرّك .

وعن أبى موسى الأنصارى قال . قال سفيان : إن من توقير الصلاة أن تأتى قبل الاقامة .

وعن إسحاق بن أبى إسرائيل قال : سمعت سفيان بن عيينة قال كان يقال : اسلكوا سبل الحق ولاتستوحشوا من قلة أهلها .

وعن الحسن بن هارون عن سليمان قال : ثنا سفيان بن عيينة قال : كان يقال : الأيام ثلاثة :

فأمس حكيمٌ مؤدّب ترك حكمته وأبقاها عليك ، واليومَ صديق مودِّع كان عنك طويل الغيبة حتى أتاك ولم تأته وهو عنك سريع الظَّعن ، وغداً لاتدرى أتكون من أهله أو لاتكون .

وعن عبد الله بن وهب قال : ثناسفيان بن عيينة قال : لم يجتهد أحد قط اجتهاداً ولم يتعبد أحد قط عبادة أفضل من ترك مانهى الله عنه .

وعن ابراهيم بن الأشعث قال : ثناسفيان بن عيينة قال كان يقال : أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة : رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملاً منه ، ورجل له مال فلم يتصدق منه فمات فورثه غيره فتصدق منه ، ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فعلم غيره فانتفع به .

وعن أبى السرى منصور بن عرار قال : تكلمت فى مجلس فيه سفيان بن عيينة وفُضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك فأما سفيان فتغرْغَرت عيناه ثم نشفت الدموع . وأما ابن المبارك فسالت دموعه . وأما الفُضيل فانتحب ، فلما قام فضيل وابن المبارك قلت لسفيان : يا أبا محمد ما منعك أن يجيء منك مثلُ ما جاء من صاحبيك ؟ قال : هكذا أكْمد للحزن ، إن الدمعة إذا خرجت استراح القلب .

وعن عيسى بن أبى موسى الأنصارى قال : سمعت سفيان بن عيينة، وسئل عن حد الرّضا عن الله تعالى، فقال: الراضى عن الله لا يتمنى سوى المنزلة التي هو فيها .

وعن حامد بن عمرو البكراوى قال : سمعت عبد الله بن ثعلبة يقول لسفيان[1] بن عيينه : يا أبا محمد واحزناه على الحزن . فقال سفيان[2] : يا عبد الله هل حزنت قطّ لعلْم الله جلّ وعزّ فيك ؛ فقال عبد الله : آهِ تركتنى لا أفرح .

وعن سفيان قال : قال الأحنف : قال لنا عمر بن الخطاب : تفقّهوا قبل أن تَسُودوا قال سفيان : لأن الرجل إذا افَقهِ لم يَطلب السؤدد .

أدرك سفيان بن عيينة ستةً وثمانين نفساً من أعلام التابعين، وأسند

---

(١) ط : « سفيان » تحريف .
(٢) ط : لسفيان ، تحريف .

عن جمهورهم : كعمرو بن دينار والزُهرى وابن المنكدر وأبى حازم والأعمش وأيوب .

وحدّث عنه من كبار الأئمة: الثّورى، وشعبة، والأعمش، والأوزاعى .

ذكر وفاته ومبلغ سنه

عن سليمان بن أيوب قال: سمعت ابن عيينة يقول شهدت ثمانين موقفاً

وعن الحسن بن عِمران بن عيينة ، ابن أخى سفيان بن عيينة ، قال : حججتُ مع عمّى سفيان آخر حجّة حجّها سنة سبع وتسعين ومائة . فلما كنا بجمعٍ وصلى استلقى على فراشه . ثم قال : قد وافيت هذا الموضع سبعين عاماً، أقول فى كل سنة : اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان، وإنى قد استحييت من الله من كثرة ما أسأله ذلك . فرجع فتوفى فى السنة الداخلة يوم السبت أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ودفن بالحجون وهو ابن إحدى وتسعين سنة .

وعن الحميدى قال : سفيان بن عيينة يقول ولدت سنة سبع ومائة .

قال الحميدى : ومات سفيان سنة ثمانٍ وتسعين فى آخر يوم من جُمادَى الأولى . رحمه الله .

٢١٨ – الفضيل بن عياض التميمى

ثم أحدُ بنى يربوع يكنى أبا على وُلد بخراسان بكُورة أبِيوَرْد وقدم الكوفة وهو كبير فسمع بها الحديث ثم تعبّد وانتقل إلى مكّة فمات بها .

عن إبراهيم بن أحمد الخزاعى قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول لو أن الدنيا كلها بحذا فيرها جُعلت لى حلالا لكنت أتقذّرها .

وعن أبى الفضل الخزاز قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول: أصلح ما أكون أفقرُ ما أكون ، وإني لأعصِى الله فأعرف ذلك فى خُلق حمارى وخادمى .

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : كانت قراءة الفضيل حزينة شهيّة بطيئة مترسّلة كأنه يخاطب إنسانا ، وكان إذا مرّ بآية فيها ذكْر الجنة يردّدها[1] .

وكان يُلقَي له حصير بالليل فى مسجده فيصلى من أول الليل ساعة حتى[2] تغلبه عينه فيُلقِى نفسه على الحصير فينام قليلاً ثم يقوم . فإذا غلبه النوم نام . ثم يقوم هكذا حتى يصبح .

قال وسمعت الفضيل يقول : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبّل كبّلتك خطيئتك .

وعن منصور بن عمار قال: تكلمت يوما فى المسجد الحرام فذكرت شيئاً من صفة النار فرأيت الفضيل بن عياض صاح حتى غشى عليه فطرح نفسه .

وعن أبى إسحاق قال : قال الفضيل بن عياض : لو خُيّرت

(١) ق ، قط : تردد فيها وسأل .　　(٢) صف : ثم .

بين أن أعيش كلباً أو أموت كلباً ولا أرى يوم القيامة لاخترت أن أن أعيش كلباً أو أموت كلباً ولا أرى يوم القيامة .

وعن مهران بن عمرو الأسدى قال سمعت الفضيل بن عياض عشية عرفة بالموقف ، وقد حال بينه وبين الدعاء البكاء، يقول واسوأتاه، وافضيحتاه وإن عفوت ـ وعن أحمد بن سهل قال قدم علينا سعد بن زنبور فأتيناه فحدثنا قال كنا على باب الفضيل بن عياض فاستأذنا عليه فلم يؤذَن لنا فقيل لنا إنه لا يخرج إليكم أو يسمعَ القرآن . قال : وكان معنا رجل مؤذن وكان صَيّتاً[٢] فقلنا له اقرأ « أَلْهَاكُمُ التكاثُر »[٣] ورفع بها صوته . فأشرف علينا الفضُيل وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع ومعه خرقة ينشف بها الدموع من عينيه وأنشأ يقول ـ :

بلغتُ الثمانين أو جُزْتُها فماذا أُؤَمّل أو أنتظرْ ؟
أتى لى ثمانونَ من مولدى وبعدَ الثمانين ما يُنتَظرْ ؟

[علتنى السنونَ فأبلينى] . . . .

قال ثم خنقته العبرة . وكان معنا على بن خشرم فأتمّه لنا فقال ـ :

علتنى السنونَ فأبلْينى فرقّت عظامِي وكلَّ البصَرْ

وعن أبى جعفر الحذّاء قال سمعت فضيل بن عياض يقول أخذتُ

---

(١) الصيت : الشديد الصوت (٢) سورة التكاثر .

بيد سفيان بن عيينة فى هذا الوادى فقلت له إن كنت تظن أنه بقى على وجه الأرض شر منى ومنك فبئس ما تظن .

وعن على بن الحسن قال : بلغ فضيلا أن جريراً يريد أن يأتيه قال: فأقفل الباب من خارج . قال : فجاء جرير فرأى الباب مقفلا فرجع . قال على فبلغنى ذلك فأتيته فقلت له:جرير . فقال : ما يصنع بى ؟ يظهر لى محاسن كلامه وأظهر له محاسن كلامى ، فلا يتزين لى ولا أتزين له خيرٌ له .

وعن الفيض بن اسحاق قال سمعت فضيلا يقول لو قيل لك يامرائى لغضبت ولشق عليك وتشكو فتقول : قال لى : يا مرائى عساه قال حقاً من حبك للدنيا تزينت للدنيا وتصنعت للدنيا . ثم قال : اتق ألاّ تكون مرائياً وأنت لا تشعر تصنّعتَ وتهيأتَ حتىعرفك الناس فقالوا هو رجل صالح فأكرموك وقضوْا لك الحوائج ووسّعوا لك فى المجالس ، وإنما عرفوك بالله ولولا ذلك لهُنْتَ عليهم .

قال وسمعت الفضيل يقول : تزيّنتَ لهم بالصوم(١) فلم ترهم يرفعون بك رأساً . تزيّنتَ لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأساً ، تزينت لهم بشىء بعد شىء ، إنما هو لحبّ الدنيا .

وعن الحسين بن زياد قال : دخلت على فضيل يوماً فقال : عساك

---

(١) قط ، ق : بالصوف .

إن رأيت فى ذلك المسجد ، يعنى المسجد الحرام ، رجلا شراً منك ، إن كنت ترى أن فيه شراً منك فقد ابتُليت بعظيم .

وعن يونس بن محمد المكى قال : قال فضيل بن عياض لرجل : لأعلّمنك كلمة هي خير من الدنيا ومافيها : والله لئن علم الله منك إخراج الآدميين من قلبك حتى لايكون فى قلبك[1] مكان لغيره ؛ لم تسأله شيئا إلا أعطاك .

وعن إبراهيم بن الاشعث قال سمعت الفضيل بن عياض يقول مايؤمنك أن تكون بارزت الله بعمل مقتك عليه فأغلق دونك أبواب المغفرة وأنت تضحك كيف ترى تكون حالك .

وعن عبد الصمد بن يزيد قال : سمعت الفضيل يقول : أدركت أقواماً يستحْيون من الله فى سواد الليل من طول الهجعة ، إنما هو على الجنب فاذا تحرك قال : ليس هذا لكِ قومى خذى حظك من الآخرة .

وعن محمد بن حسان السمنى قال : شهدت الفضيل بن عياض وجلس إليه سفيان بن عيينة . فتكلم الفضيل فقال : كنتم معشر العلماء سُرُج البلاد يستضاء بكم فصرتم ظَلَمَةً وكنتم نُجوماً يُهتدى بكم فصرتم حيرة ، ثم لايستحى أحدكم أن يأخذ مال هؤلاء الظلمة ، ثم يسند ظهره يقول : حدثنا فلان عن فلان . فقال سفيان : لئن كنا لسنا بصالحين فانا نحبّهم .

---

(١) ق . من قلبك . صف . فيك .

وعن بشر بن الحارث قال : قال الفضيل بن عياض : لأن أطلب الدنيا بطبل ومزمار أحبَّ إلى من أن أطلبها بالعبادة .

وعن الفضل بن الربيع قال : حج أمير المؤمنين الرشيد فأتانى فخرجت مسرعاً فقلت ياأمير المؤمنين لو أرسلت إلىّ أتيتك . فقال : ويحك قدْ حَكَّ فى نفسى شيء(١) فانظرلى رجلاً أسأله . فقلت هاهنا سفيان بن عيينة . فقال : امض بنا إليه . فأتيناه فقرعت الباب فقال من ذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين . فخرج مسرعاً فقال : ياأمير المؤمنين لوأرسلت إلى أتيتك . فقال له : خـــذ لما جئناك له رحمك الله .

فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم : فقال : أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا قال : ماأغنى عنى صاحبك شيئا ، انظر لى رجلا أسأله . فقلت له : هـاهنا عبد الرزاق بن همام . قال : امض بنا اليه . فأتيناه فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين . فخرج مسرعاً فقال : ياأمير المؤمنين لوأرسلت إلى أتيتك . قال : خذ لما جئناك له .

فحادثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم قال أبا عباس اقض

---

(١) يقال . حك فى صدرى شيء . أى عمل وأثر . وفى ق : « حصل فى نفسى شيء » والمعنى واحد .

دينـه . فلما خرجنا قال : ماأغنى صاحبك شيئًا انظر لى رجـلاً اسأله .
قلت : هاهنا الفضل بن عياض . قال امض بنا اليـه . فأتيناه فاذا هو
قائم يصلى يتلو آية من القرآن يرددها . فقال : اقرع الباب . فقرعت
الباب فقال : من هذا : فقلت : أجب أمير المؤمنين فقال: مالى ولأمير
المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله أماعليك طاعة ؟ أليس قد روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس للمؤمن ان يُذل نفسه » فنزل ففتح
الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ المصباح ثم التجأ إلى زاوية من زوايا
البيت . فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كفّ هـارون قبلى
إليه . فقال : يالها من كف ماألينها إن نجت غداً من عذاب الله عز
وجل فقلت فى نفسى : ليكلمنه الليلة بكلام نقى من قلب تقى . فقال له :
خذ لما جئناك له رحمك الله فقال : ان عمر بن عبد العزيز لماولى الخلافة
دعا سالم بن عبد الله ، ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة فقال
لهم إنى قد ابتُليت بهذا البلاء فأشيروا علىّ . فعدّ الخلافة بلاء وعددتها
أنت وأصحابك نعمة . فقال له سالم بن عبـد الله : إن أردت النجاة غداً
من عذاب الله فصُم عن الدنيا وليكن إفطارك من الموت . وقال له محمد بن
كعب القرظى: إن أردت النجاة من عذاب الله) فليكن كبير المسلمين
عندك أباً وأوسطهم عندك أخاً وأصغرهم عندك ولداً فوقر أباك وأكرم
أخاك وتحنن على ولدك .

وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل فأحِبَّ للمسلمين ما تُحبّ لنفسك واكرَه لهم ما تكرَهُ لنفسك ثم مُت إذا شئت وإنّى أقول لك إنى أخاف عليك أشدّ الخوف[1] يوم تزل فيه الأقدام فهل معك رحِمك الله مَن يشير عليك بمثل هذا ؟

فبكى هارون بكاء شديداً حتى غُشى عليه فقلت له ارفق بأمير المؤمنين فقال : يا بْن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفُق به أنا ثم أفاق فقال له : زدْنى رحمك الله فقال :

يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه . فكتب إليه عمر : ياأخى أذكّرك طول سهر أهل النار فى النار مع خلود الأبد وإياك أن يُنصَرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء . قال فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتّى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له ما أقدمك ؟ قال : خلعتَ قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله عز وجل .

قال : فبكى هارون بكاء شديدا ثم قال له زدْنى رحمك الله . فقال يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى صلى الله عليه وسلم جاء إلى النبى

---

(١) كذا فى النسخ . والصواب «يوماً» مفعول أخاف . ق : «يوم تزول»

صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أمّرني على إمارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت أن لا تكون أميراً فافعل» [١] .

فبكى هارون بكاء شديداً وقال له زدني رحمك الله فقال ياحسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة ، فان استطعت أن تقيَ هذا الوجه من النار فافعلْ ، وإياك أن تصبح وتُمسي وفي قلبك غشّ لأحد من رعيتك فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم :قال من أصبح لهم غاشاً لم يُرحْ رائحة الجنة [٢] .

فبكى هارون وقال له عليك دَينْ ؟ قال نعم دَين لربي يحاسبني عليه ، فالويل لي إن سألني ، والويل لي إن ناقشني ، والويل لي إن لم أُلْهمَ حجّتي قال: إنما أعني دَيْن العباد . قال : إن ربي لم يأمرني بهذا ، أمرربي

---

(١) لم أجده . وفي الباب عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال : « إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئس الفاطمة» أخرجه البخاري والنسائي . وقال أبو ذر : يا رسول الله ألا تستعملني ؟ فضرب بيده على منبكي ثم قال : يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدّى الذي عليه فيها ـ أخرجه مسلم وأبو داود .

(٢) اخرجه البخاري في الباب الثامن من كتاب الاحكام ومسلم في الامارة باب فضيلة الامير العادل ، ومعناه ان يكون مستحلاً لغشهم .

أن اوحدّه وأطيع أمره ، فقال عزّ وجل « وما خلقتُ الجن والإنس إلاّ ليعبُدون ، ما أريدُ منهم من رزْقٍ وما أُريد أن يُطعمونِ إن الله هو الرزّاق ذو القُوّة المَتينُ »[٣] .

فقال له هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقَوَّ بها على عبادتك فقال : سبحان الله أنا أدلّك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا؟ سلمك الله ووفقك .

ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال هارون: أبا عباس إذا دللْتني على رجل فدُلّني على مثل هذا ، هذا سيد المسلمين

فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت : يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به فقال لها: مثَلي ومثَلكم كمثَل قوْمٍ كان لهم بعير يأكلون من كسْبه فلما كبِر نحَروه فأكلُوا لحمه

فلمَا سمع هارون هذا الكلام قال : ندخل فعسى أن يقبل المال فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة ، فجاءهارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت : يا هذا قد آذيتَ الشيخ منذ الليلة فانصرفْ رحمك الله فانصرفنا .

---

(٣) الذاريات ٥٦ ـ ٥٨ .

اقتصرنا على هذا القدْر من أخبار الفضيل لأنا قد أفردنا لكلامه ومناقبه كتابا فمن أراد الزيادة فلينظر فى ذلك الكتاب ـ

وقد أسند الفضيل عن جماعة من كبار التابعين منهم الأعمش ومنصور بن المعتمر وعطاء بن السائب وحصين بن عبد الرحمن ومسلم الأعور وأبان بن أبى عياش ـ وروى عنه خلق كثير من العلماء وقد ذكرنا جملة من رواياته فى ذلك الكتاب .

وتوفى رضى الله عنه فى سنة سبعٍ وثمانين ومائة ـ

٢١٩ – علي بن الفضيل بن عياض

ألحقناه بدرجة أبيه ، لأنه مات فى حياة أبيه ، واقتصرنا من أخباره على اليسير لأنّا قد ادرجناها فى كتاب فضائل أبيه رضى الله عنهما ـ

عن فضيل بن عياض قال بكى ابنى علّي فقلت : يا علّى ما يبكيك ؟ قال يا أبة أخاف ألاّ تجمعنا القيامة ـ

وعن بشر بن الحارث قال : كان عشرة ينظرون فى الحلال النظَر الشديد ، لا يدخل بطونهم إلاّ حلال ، ولو استفّوا التراب فذكر منهم على بن الفُضيل ـ

وعن محمد بن الحسن قال كان على بن الفضيل يصلّى حتى يزحف إلى

فراشه ثم يلتفت إلى أبيه فيقول: يا ابة سبقني العابدون .

وعن سفيان بن عيينة قال مارأيت أحداً أخْوف من الفضيل وابنه

أسند على عن عبد العزيز بن أبي رواد ، وسفيان بن عيينة وغيرهما [رضى الله عنهما] .

٢٠ - محمد بن ادريس الامام الشافعى رضى الله عنه

يكني أبا عبد الله

عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال : قال الشافعى : ولدت بغزّة سنة خمسين ومائة وحُملت إلى مكة وأنا ابن سنتين .

قال: وأخبرنى غيره عن الشافعى قال لم يكن لى مال فكنت أطلب العلم فى الحداثة أذهب إلى الديوان أستوْهب الظهور أكتب فيها ـ

وعن حسين الكرابيسى قال: سمعت الشافعى يقول : كنت امرءاً اكتب الشعر وآتى البوادى فأسمع منهم ، وقدمْت مكةوخرجت وأنا أتمثل بشعر للبيد وأضرب وحشىْ قدمى بالسوط فضربنى رجل من ورائى من الحجَبة فقال : رجل من قريش ثم ابن المطلب[1] رضى من دينه ودنياه أن يكون معلما ما الشعر[2] ؟ الشعر إذا استحكمت فيه قعدت معلماً ، تفقه يُعلِكَ الله .

قال : فنفعنى الله بكلام ذلك الحجبىّ ، ورجعت إلى مكة وكتبت

(١) ق : عبد المطلب (٢) ق : « ما من الشعر » .

عن ابن عيينة ماشاء الله أن أكتب . ثم كنت أجالس مسلم بن خالد الزنجى . ثم قدمت على مالك فكتبت موطّأه . فقلت له : ياأباعبدالله أقرأ عليك ؟ فقال : يابْنَ أخى تأتى برجلٍ يقرؤه علىّ وتسمع . فقلت أقرأ عليك فتسمع إلى كلامى . فقال : اقرأْ . فلما سمع قرأتُ عليه حتى بلغت كتاب السيرَ . قال لى : اطْوِه يابْنَ أخى تفقّه تُعْلَ .

وعن محمد بن اسمعيل الحميرى عن أبيه . قال : كان الشافعىّ يطلب اللغة والعربية والشعر وكان كثيراً ما يخرج إلى البدو فيحمل مافيه من الأدب . فبينما هو يوماً فى حىّ من أحياء العرب جاءَ إليه بدوىّ فقال له : ماتقول فى امرأة تحيض يوماً وتطْهُر يوماً ؟ قال : ماأدرى قال : يابن أخى الفريضة أولى بك من النافلة . فقال له : إنما أريد هذا لذاك ، وعليه قد عزمت وبالله التوفيق . ثم خرج إلى مالِك بن أنس

وعن الحميدى عن الشافعّى قال : كنت يتيما فى حجر أمى ، ولم يكن معها ماتعطِي المعلّم ، وكانُ المعلم قد رضىَ منىّ أن أخلفه إذا قام فلما ختمتُ القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث والمسألة فكنت أنظر إلى العظمْ يلوح فأكتب فيه الحديث والمسألة وكانت لنا جرّة عظيمة[1] فاذا امتلأ العظم تركته فى الجرة ، وفى رواية أخرى فامتلأ من ذلك حبان .

---

(١) ق ، قط : قديمه .

وعن اسمعيل بن يحي قال : سمعت الشافعى يقول: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين ، وحفظت الموطّـأ وأنا ابن عشر سنين .

وعن الامام أحمد بن حنبل أنه قال : يروى فى الحديث أن الله تعالى يبعث على رأس كل مائة سنة من يصحح لهذه الأمة دينها[1] . فنظرنا فى المائة الأولى فاذا هو عمر بن عبد العزيز ، ونظرنا فى المائة الثانية فنراه الشافعى .

وقال مسلم بن خالد الزنجى للشافعى : يا أبا عبد الله أفْتِ الناس ، آن والله أن تُفتِى ، وهو ابن دون عشرين سنة .

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : قلت لأبى يا أبة أىّ رجل كان الشافعى؟ سمعتك تُكثر من الدعاء له . فقال : يابنى كان الشافعى كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس ، فانظر هل لهذين من خلَف أو عِوض . ؟

وعن الميمونى قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ستة أدعو لهم فى السحر : أحدهم الشافعى .

وعن ابن راهويه قال : كنت مع أحمد بمكة فقال لى تعال حتى أريك رجلاً لم ترَ عيناك مثله . فأرانى الشافعى .

---

(١) الحديث صحيح ، أخرجه أبوداود والحاكم والبيهقى فى المعرفه .

وعن يونس بن عبد الأعلى قال : سمعت الشافعى وحضر ميتاً فلما سجّينا عليه نظر إليه وقال : اللهم بغناك عنه وفقره إليك اغفرْ له .

وعن الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعى يقول : ما أوردتُ الحقّ والحجة على أحد فقبلهما منى إلا هبتْه واعتقدت مودّته ، ولا كابرَنى على الحق أحد ودافع الحجّة إلا سقَط من عينى .

وعن أحمد بن خالد الخلّال قال : سمعت محمد بن إدريس الشافعى يقول : ماناظرت أحداً فأحببت أن يُخطىء .

وعن الحسين الكرابيسى ، يقول : سمعت الشافعى يقـــول : ماناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفّق ويسدد ويعان ، ويكون عليه رعاية من الله وحفْظ ، وماناظرت أحداً إلا ولم أبال بيّن[1] الله الحق على لسانى أو لسانه .

الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعى يقول أشد الأعمال ثلاثة : الجُود من قلّة ، والورع فى خلوة ، وكلمة الحق عند من يرُجى ويُخاف.

وعنه قال : سمعت الشافعى يقول : لوددت أن الخلق يتعلمون منى ولا ينَسب إلىّ منه شىء . وسمعته يقول : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة .

---

(١) ق أبين .

وعن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال سمعت الشافعى يقول طالب العلم يحتاج إلى ثلاث :[1] إحداها حُسن ذات اليد ، والثانية : طول عمر ، والثالثة : يكون له ذكاء.

وعن الربيع قال: قال الشافعى : من طلب الرياسة فرت منه ، وإذا تصدر الحدث فاته علم كثير .

وعن يونس بن عبد الأعلى قال : قال لى الشافعى : يا يونس إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادره بالعداوة وقطع الولاية فتكون ممن أزال يقينه بشك ، ولكن القه وقل له : بلغنى عنك كذا وكذا واحذر[2] أن تسمى له المبلغ فان أنكر ذلك فقل له : أنت أصدق وأبر لا تزيدن على ذلك شيئاً وان اعترف بذلك فرأيت له فى ذلك وجهاً لعذر[3] فاقبل منه ، وان لم تر ذلك فقل له : ماذا أردت بما بلغنى عنك ؟ فان ذكر ماله وجه من العذر فاقبل منه ، وان لم تر لذلك وجهاً لعذر وضاق عليك المسلك فحينئذ أثبتها عليه سيئة ، ثم أنت فى ذلك بالخيار : إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة وان شئت عفوت عنه

---

(١) ط . ثلاثه .

(٢) صف . وإياك .

(٣) ط . نعذر .

والعفو أقرب للتقوى وأبلغ فى الكرم لقول الله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله »[١] فان نازعتك نفسك بالمكافأة فأفكر فيما سبق له لديك من الاحسان فعدها ثم ابدر[٢] له إحساناً بهذه السيئة ، ولا تبخسن باقى إحسانه السالف بهذه السيئة فان ذلك الظلم بعينه يا يونس إذا كان لك صديق فشد يديك به فان اتخاذ الصديق صعب ومفارقته سهل .

قال : وسمعت الشافعى يقول : يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء ، فكن بين المنقبض والمنبسط .

وعن أحمد بن الوزير قال : ثنا محمد بن ادريس الشافعى قال : قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شيء كمن قبل وأجاز .

قال : وتنقص رجل محمد بن الحسن عند الشافعى فقال له : مه لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام .

وعن الربيع بن سليمان قال : قال الشافعى : استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر .

---

(١) الشورى ٤٠ .

(٢) أى عاجله . والكلمة غير معجمة فى ق . وفى ط . « اندر » ولا معنى لها هنا .

وعنه قال : سمعت الشافعى يقول : من ضحك منه فى مسألة لم ينسها أبداً .

وعنه قال : قال لى الشافعى : ياربيع رضا الناس غاية لاتدرك ، فعليك بما يصلحك فالزمه فانه لاسبيل إلى رضاهم ، واعلم أنه من تعلم القرآن جلّ فى عيون الناس ، ومن تعلم الحديث قويت حجته ، ومن تعلم النحو هيب ومن تعلم العربية رق طبعه ومن تعلم الحساب جزل رأية ، ومن تعلم الفقه نبل قدره ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه ، وملاك ذلك كله التقوى .

وعن المزنى قال: سمعت الشافعى يقول: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر فى الفقة نبل مقداره ، ومن تعلم اللغة رق طبعه ، ومن تعلم الحساب جزل رأيه ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه .

وعن الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعى يقول : اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل .

وعن أبى الوليد الجارودى قال : سمعت الشافعى يقول : لو علمت أن الماء البارد ينقص من مروءتى ماشربته .

وعن الربيع قال : سأل رجل الشافعى عن سنه قال : ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه ، سأل رجل مالكا عن سنه فقال: أقبل على شأنك.

قال لنا أبو بكر بن أبي طاهر : وجدت فى هذه الحكاية زيادة من رواية أخرى : ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه لأنه إن كان صغيراً استحقروه ، وإن كان كبيراً استهرموه .

وعنه قال كان الشافعى قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء : الثلث الأول يكتب ، والثلث الثانى يصلى ، والثلث الثالث ينام .

وعنه قال : كان للشافعى فى رمضان ستون ختمة لا يحسب منها ما يقرأ فى الصلاة :

أبو بكر النيسابورى قال سمعت الربيع يقول : كان الشافعى يختم كل شهر ثلاثين ختمة وفى رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ فى الصلاة .

وعن نهشل بن كثير ، عن أبيه قال : أدخل الشافعى يوماً إلى بعض حُجَر هارون الرشيد ليُستأذَن له ومعه سراج الخادم . فأقعده عند أبى عبدالصمد مؤدب أولاد هارون الرشيد. فقال سراج للشافعى: يا أباعبدالله هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهذا مؤدبهم فلو أوصيته بهم . فأقبل عليه فقال ، ليكن أول ماتبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك ، فان أعينهم معقودة بعينك فالحسَن عندهم ما تستحسنه والقبيح عندهم ما تكرهه : علمهم كتاب الله ولا تُكرههم عليه فيملوه ولا

تتركهم منه فيهجروه . ثم روّهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشْرفه ، ولا تُخرجهم من علمْ إلى غيره حتى يُحكموه فإن ازدحام الكلام فى السمع مضَلّةٌ للفهم .

وقال الحميدى قدم الشافعى مرة من اليمن ومعه عشرون ألف دينار فضرب خيمته خارجاً من مكة فما قام حتى فرقها كلها .

وعن المزنى قال سمعت الشافعى يقول من نظُف ثوبه قلّ همه ، ومن طاب ريحه زاد عقله .

وعن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعى يقول : لن يَجفو فعلُ مَن يصفو .

وعنه قال : سمعت الشافعى يقول ، وسأله رجل عن مسألة فقال : رُوى فيها كذا وكذا عن النبّى صلى الله عليه وسلم . فقال له السائل : يا أبا عبدالله تقول به ؟ فرأيت الشافعى أُرعِد وانتفض وقال : يا هذا أىّ أرض تُقّلنى وأىّ سماء تُظلّنى إذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فلم أقل به ؟ نعَم على السمع والبصر .

قال وسمعت الشافعى وقد روى حديثاً فقال له بعض من حضر : تأخذ بهذا ؟ فقال : إذا رويت عن رسول صلى الله عليه وسلم حديثاً صحيحاً فلم آخذ به فأُبا أشهدكم أن عقلى قد ذهب . ومدَّيديه .

وعنه قال : سمعت الشافعي يقول : إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله ودَعوا ماقلت

وعن أبي بيان الأصبهاني قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت : يا رسول الله محمد بن إدريس الشافعي ابن عمك هل نفعته بشيء أو خصصته بشيء ؟ فقال نعم سألت الله ألا يحاسبه . فقلت : بماذا يا رسول الله ؟ قال : إنه كان يصلي عليّ صلاة لم يصلّ بمثل تلك الصلاة أحد . فقلت : وما تلك الصلاة يا رسول الله ؟ قال : كان يصلي عليّ : اللهم صلّ على محمد كلمّا ذكره الذاكرون وصلّ على محمد كلما غفل عنه الغافلون .

قال المصنف أخبرنا ـ محمد بن أبي منصور قال : قرأت في كتاب محمد بن طاهر النيسابوري بخطه للشافعي رضي الله عنه (١) :

إنّ امرأً وجَد اليسارَ فلم يُصِبْ ... حمداً ولا شُكرا لَغيرُ موفّق (٢)
أَلجَدُّ يُدني كلّ شيءٍ شاسع ... والجدّ يفتح كلّ باب مغلَقٍ (٣)
فاذا سمعتَ بأن مجدوداً حوى ... عوداً فأثمر في يديه فصدّق
واذا سمعتَ بأن محروماً أتى ... ماءً ليشرَبه فغاض فحقق
ومن الدليل على القضاء وكَوْنه ... بؤسُ اللّبيبِ وطِيبُ عيشِ الأحمق

(١) الابيات في ديوان الشافعي عدا البيت الخامس فانه ليس فيه .
(٢) في الديوان : ان الذي رزق اليسار فلم ينل ...
(٣) الجد (بفتح الجيم) الحظ ، وفي الديوان : كل امر شاسع .

وعن المزنى قال : دخلت على الشافعى فى علّته التي مات فيها فقلت : كيف أصبحت؟ فقال: أصبحتُ من الدّنيا راحلاً ولإخوانى مفارقاً ولكأس المنية شارباً ولسوء أعمالى ملاقياً وعلى الله تعالى وارداً فلا أدرى رُوحى تصير إلى الجنة فأهنّئها أو إلى النار فأعزيها ؟ ثم بكى وأنشأ يقول :(١)

ولمّا قسا قلبي وضاقت مَذاهبي ... جعلتُ الرّجا منّى لعفوكَ سُلّما

تعاظَمنى ذَنْبي فلمّا قرنْتُه ... بعفوكَ ربّى كان عفوُك أعظما

ومازلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزَل ... تجود وتعفو منّة وتكرّما

سمع الشافعى رضى الله عنه من مالك بن أنس وابراهيم بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد العزيز الدراوردى ومسلم بن خالد الزنجى ، فى خلْق كثير .

وحدث عنه : أحمد بن حنبل وغيره من العلماء .

وتوفى سنة أربع ومائتين .

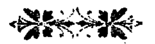
الربيع بن سليمان قال : توفّى الشافعى ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة آخر يوم من رجب ودفنّاه يوم الجمعة فانصرفْنا فرأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين.

وعن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال : ولد الشافعى فى سنة خمسين ومائة ، ومات فى آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين - عاش أربعاً وخمسين .

(١) الابيات في ديوان الشافعي ص ٧٨ .

وعن الربيع قال : كنا جلوساً فى حلْقة الشافعى بعد موته بيسير ، فوقف علينا أعرابى فسلّم ثم قال لنا : أين قَمر هذه الحلقة وشمْسها ؟ فقلنا توفى رحمه الله . فبكى بكاءً شديداً ثم قال : رحمه الله وغفر له فلقد كان يفتح ببيانه منْغلِق الحجة ، ويسد على خصمه واضح المحجّة ، ويغسل من العار وُجوها مسودّة ، ويوسّع بالرأى أبوابا منسدّة . ثم انصرف .

وعنه قال : رأيت الشافعى بعد وفاته بالمنام فقلت : يا أبا عبد الله ما صنع الله بك ؟ قال : أجلسنى على كرسىّ من ذهب ونثر علىّ اللؤلؤ الرَّطْب . والسلام .



ممن بعد هؤلاء من الطبقات :

٢٢١ — ابو غياث المكي مولى جعفر بن محمد

أبو حازم المعلى بن سعيد البغدادى قال سمعت أبا جعفر محمد بن جرير الطبري فى سنة ثلاثمائة يقول : كنت بمكة سنة أربعين ومائتين فرأيت خُراسانيًّا ينادِى : معاشرَ الحاج من وجد هميانًا فيه ألف دينار فرده عليّ أضعف الله له الثواب قال : فقام إليه شيخ من أهل مكة كبير من موالى جعفر بن محمد فقال له : ياخراسانىّ بلدنا فقيرٌ أهله شديدٌ حاله ، أيامه معدودة ومواسمه منتظرة ، لعله يقع بيد رجل مؤمن يرغب فيما تبذله له حلالاً يأخذه ويرده عليك . قال الخراسانى : فكم يريد ؟ قال : العشر : مائة دينار . قال : لا أفعل ولكنا نُحيله على الله [عز وجل] . قال : وافترقا .

قال ابن جرير : فوقع لى أن الشيخ صاحبُ القريحة[1] والواجدُ للهميان . فاتّبعته فكان كما ظننت فنزل إلى دار مستِفلة[2] ، خلقة الباب والمدخَل[3] فسمعته يقول : يالبابة . قالت له : لبيك أبا غياث . قال : وجدت صاحب الهميان ينادى عليه مطلقًا فقلت له ، قيّده بأن تجعل

(١) كذا فى ط . والكلمة غير معجمة فى ق : القريحة .

(٢) منحدرة ، نازلة .

(٣) ق : والمداخل .

لواجده شيئاً . فقال : كم ؟ فقلت : عُشْره . فقال : لا ، ولـكنا نُحيله على الله عز وجل ، فأىّ شيء نعمل ولا بدّ لى من ردّه ؟ فقالت له : نُقاسى الفقر معك منذ خمسين سنة ولك أربع بنات وأختان وأنا وأمى وأنت تاسع القوم ، أشبعنا وا كسنا ولعل الله عز وجل يغنيك فتعطيه أو يكافئه عنك ويقضيه : فقال لها : لست أفعل ولا أحرق حُشاشتى بعد ستّ وثمانين سنة .

قال : ثم سكت القوم وانصرفت ، فلما أن كان من الغد على ساعات من النهار سمعت الخراسانى يقول : يامعاشر الحاجّ وفْدِ الله من الحاضر والبادِى ، من وجد هميانًا فيه ألف دينار فردّه أضعف الله له الثواب. قال : فقام إليه الشيخ فقال ياخراسانىّ قد قلت لك بالأمس ونصحتك وبلدنا واللهِ فقير قليل الزرع والضرع ، وقد قلت لك أن تدفع إلى واجدِه مائة دينار فلعله أن يقع بيد رجل مؤمن يخاف الله عز وجل فامتنعتَ ، فقل له عشرة دنانير منها فيردّه عليك ويكون له فى العشرة الدنانير سترْ وصيانة . قال : فقال له الخراسانى : لا نفعل ، ولـكن نُحيله على الله [عز وجل] قال : ثم افترقا .

قال الطبرى : فما اتّبعت الشيخ ولا الخراسانى وجلست أكتب كتاب النسَب للزبير بن بكار . فلما كان من الغـد سمعت الخراسانى ، ينادى ذلك النداء بعينه ، فقام اليه الشيخ فقال له : ياخراسانى قلت

لك أول أمس العُشْر منه ، وقلت لك أمس عُشْر العُشْر ، أعطِ دينار عُشْرَ عُشْرِ العُشْرِ يشترى بنصف دينار قِرْبةً يستقى عليها للمقيمين بمكة بالأجرة وبنصف دينار شاةً يحلبها ويجعل ذلك لعياله غذاء .قال لا تفعل ، ولكن نُحيله على الله [عز وجل] .

قال : فجذبه الشيخ وقال له : تعالَ خذ هميانك ودعنى أنام الليل ، وأرِحْنا من مُحاسبتك . فقال له : امش بين يدى فمشى الشيخ وتبعه الخراسانى وتبعتُهما فدخل الشيخ فما لبث أن خرج وقال ادخل ياخراسانىّ فدخل ودخلتُ . فنَبَش تحت درجة له مزبلة فأخرج منها الهميان أسود من خرقٍ بخارية غلاظ فقال : هذا هميانك . فنظر اليه وقال : هذا هميانى قال : ثم حل رأسه من شدّ وَثيق ثم صب المال فى حجْر نفسه وقلّبه مراراً وقال : هذه دنانيرنا . وأمسك فم الهميان بيده الشمال وردّ المال بيده اليمنى فيه ثم شدّه شداً سهلاً ووضعه على كتفه ثم أراد الخروج فلما بلغ باب الدار رجع فقال للشيخ : ياشيخ مات أبى رحمه الله وترك من هذه ثلاثة آلاف دينار فقال لى: أخرِجْ ثلثها ففرّقه على أحق الناس عندك ، وبِعْ رحلى واجعلْه نفقة لحجّتك . ففعلت ذلك، وأَخرجت ثلثها ألف دينار وشددتها فى هذا الهميان ، ومارأيت منذ خرجت من خراسان إلى هاهنا رجلا أحقّ به منك خذه بارك الله لك فيه قال: ثم ولىّ وتركه

قال : فولّيت خلف الخراسانى فعدا أبو غياث فلحقَنى وردّنى وكان شيخاً مشدود الوسط بشريط معصب الحاجبين، ذكر أنّ له ستاً وثمانين سنة ، فقال لى : اجلس فقد رأيتك تتْبعنى فى أول يوم وعرفتَ خبرنا بالأمس واليوم ، سمعت أحمد بن يونس اليربوعى يقول : سمعت مالكاً يقول : سمعت نافعاً يقول : عن عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر وعلىّ رضى الله عنهما : « إذا أتاكما الله بهديّة بلا مسألة ولا استشراف نفسٍ فاقْبلاها ولا تردّاها فتردّاها على الله عز وجل[1] » — وهذه هدية من الله والهدية لمن حضر .

ثم قال يالُبابة وفلانة وفلانة . فصاح ببناته وأخواته وزوجته وأمها وقعد وأقعدنى فصرنا عشرة تحت الهميان وقال : ابسطوا حجُوركم فبسطت حجرى وما كان لهن قميصٌ له حجْرٌ يبسُطونه، فمدّوا أيديهم وأقبل يعدّ ديناراً ديناراً حتى إذا بلغ العاشر إلىّ قال : ولك دينار حتى فرغ الهميان وكانت ألفاً فيها ألف[2] فأصابنى مائة دينار ، فداخلنى

---

(١) لم أجده . وفى الباب ما أخرجه مسلم فى الزكاة عن ابن عمر أن رسول الله (ص) ، كان يعطى عمر بن الخطاب العطاء فيقول له عمر : أعطه يارسول الله أفقر إليه منى . فقال له رسول الله (ص) ، : « خذه فتموله أو تصدق به ، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مستشرف ولا سائل فخذه ، ومالا فلا تتبعه نفسك» والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة .

(٢) كذا فى النسخ .

من سرورِ غناهم أشدّ مما داخلنى من سرور صيانتى بالمائة دينار [١].

فلما أردت الخروج قال لى : يا فتى إنك لَمبارك وما رأيت هذا المال قطّ ولا أمّلته وإني لأنصحك أنه حلال فاحتفظْ به واعلم أنى كنت أقوم فأصلّى الغداة فى هذا القميص الَخلق ثم أنزعه فيصلّين فيه واحدة واحدة ثم أكتسب إلى ما بين الظهر والعصر ثم أعود فى آخر النهار بما فتح الله عز وجل لى من أَقِطٍ وتّمْــر وكُسَيْراتٍ [٢] ومن بُقولٍ نُبذت ثم أنزعه فيتداولْنه فيصلّين فيه المغرب وعشاء الآخرة، فنفعهن الله بما أخذن ونفعنى وإياك بما أخذنا ، ورحِم صاحب المال فى قبره وأضعفَ ثوابَ الحامل للمال وشكر له .

قال ابن جرير : فودّعته وكتبتُ بها العلْمَ سنتين [٣] أتقوّت بها وأشترى منها الورق ، وأسافر وأعطى الأجرة . فلما كان بعد سنة ست وخمسين سألت عن الشيخ بمكة فقيل : إنه مات بعد ذلك بشهور ، ووجدت بناته ملوكاً تحت ملوك ، وماتت الأختان وأمهن ، وكنت أنزل على أزواجهن وأولادهن فأحدّثهم بذلك فيأنسون بى ويُكرمونى ، ولقد حدّثنى محمد بن حيان البَجلى فى سنة تسعين ومائتين أنه ما بقى منهم أحد . فبارك الله لهم فيما صاروا إليه .

---

(١) قط : الدينار .

(٢) ط : وكسرات .

(٣) قط ـ سنين .

٢٢٢ – أبو جعفر المزين الكبير

جاوَر بمكة ، وبها مات ، وكان من العبّاد .

عن أحمد بن عبد الله ، هو أبو نعيم ، قال سمعت أبا جعفر الخياط الأصبهانى بمكة يقول: سمعت أبا جعفر المزين يقول : محْنتنا وبلاؤنا صفاتنا ، فمتى فنيتْ حركات صفاتنا أقبلت القلوب منقادة للحق .

وقال سمعت أبي يقول : سمعت أبا جعفر المزين الكبير يقول إن الله لم يُؤمن الخائفين بقدْر خوفهم ولكن بقدر جوده وكرمه، ولم يُفرح المحزونين بقدر حزنهم ولكن بقدْرِ رأفته ورحمته .

٢٢٣ – أبو الحسن علي بن محمد المزين الصغير

أصله من بغداد ولكنه أقام بمكة .

عن أبي عبد الله بن خفيف قال : سمعت أبا الحسن المزين بمكة يقول: كنت فى بادية تَبوك فتقدمت إلى بئرٍ لأستقى منها فزلقتْ رجلى فوقعت فى جوف البئر فرأيت فى البئر زاويةً واسعة فأصلحتُ موضعاً وجلست عليه وقلت : إن كان منى شىء لا أُفسِد الماء على الناس ، وطابت نفسى وسكَن قلبى فبينا أنا قاعد إذا بخشْخشة(١) فتأملت فإذا بأفعى ينزل على البئر فراجعتُ نفسى فإذا هى ساكنة . فنزل ودارَ بى وأنا هادئ السرّ لا يضطرب علّى ثم لفّ بى ذنَبه وأخرجنى من البئر وحلّل عنى ذنَبه ، فلا أدرى أرض ابتلعتْه أو سماء رفعته ؟ وقمت ومشيت .

---

(١) ط : خشخشة .

وعن جعفر الخلدى قال ودعت المزين الصوفى فقلت : زوّدنى شيئاً . فقال إنْ ضاع منك شيء أو أردت أن يجمع الله بينك وبين إنسان فقل : يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ، اجمع بينى وبين كذا فإن الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء أو ذلك الإنسان . فما دعوت بها فى شيء إلا استُجيب .

وعن أبى بكر الرازى قال : سمعت أبا الحسن المزين يقول : الذنب بعد الذنب عقوبةُ الذنب ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة .

وقال أبو الحسن المزين من استغنى بالله أحْوَجَ الله الخلْقَ إليه .

وقال : المعجَب بعامه[1] مستدرَج ، والمستحسِن لشيء من أفعاله[2] ممكورٌ به

قال السلمى : صحب أبو الحسن المزين الجُنَيد وسهل بن عبد الله ، وأقام بمكة مجاوراً حتى توفى بها سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمائة .

٢٢٤ - أبو القاسم سعد بن على بن محمد الزنجانى

طاف الآفاق ولقىَ المشايخ وسكن مكة فصار شيخ الحرَم . وكان إذا خرج إلى الحرم يُخْلون المطاف ويقبّلون يده أكثر من تقبيل الحجر . وكانت له كرامات .

---

(١) ط : بعمله   (٢) قط : أحواله .

عن أبى عبدالله محمد بن أحمد قال : لما عزم الشيخ سعد على الإقامة بالحرَم عزم على نفسه نيّفاً وعشرين عزْمة يُلزمها إياها من المجاهدَات والعِبادات . ومات بعد ذلك بأربعين سنة ولم يخلّ منها بعزيمة واحدة .

قال المصنف . أنبأ اسماعيل بن أحمد عن سعد بن على الزنجانى قال : أنشدنى ابو عبد الله محمد بن أحمـــــد الواعظ قال : أنشدنى على ابن عبدالعزيز الجرجانى .

ما تطعّمتُ لذّة العيش حتى　　صِرتُ للبيت والكتابِ جَليسا

ليس شيء أعزّ عندى من العلْم　　فَلمْ أبتغى سواه أنيسا ؟

إنما الذلّ فى مخالطة الناس　　فَدعْهم وعشْ عزيزاً رئيسا

توفىَّ الزنجانى فى سنة سبعين ، أو إحدى وسبعين ، وأربع مائة . رحمه الله .

ذكر المصطفين من عبادٍ كانوا بمكة لم تُعرَف أسماؤهم[1]

٢٢٥ – عابد

عن عبدالله بن المبارك قال : كنت بمكة فأصابهم قحط فخرجوا إلى المسجد الحرام يستسقون فلم يُسقَوْا . وإلى جانبى أسْود مَنهوك فقال : اللهم انهم قد دعَوك فلم تُجبهم وإنّى أقسم عليك أن تسقينا . قال : فوالله مالبثنا أن سُقينا .

قال : فانصرف الأسْود واتّبعته حتى دخل داراً فى الخياطين فعلّمتها فلما أصبحت أخذت دنانير وأتيت الدار فإذا رجل على باب الدار فقلت : أردت ربَّ هذه الدار . فقال : أنا . قلت : مملوك لك أردت شراءه فقال : لى أربعة عشر مملوكاً أخرجهم إليك فأخرجَهم فلم يكن فيهم . فقلت له : بقى شىء ؟ فقال : لى غلام مَريض ، فأخرجَه فإذا هو الأسود . فقلت : بعْنيه . قال : هو لك ياأبا عبدالرحمن . فأعطيته أربعة عشر ديناراً وأخذت المملوك فلما صرْنا إلى بعض الطريق . قال لى : يا مولاى أىَّ شىء تصنع بى وأنا مريض ؟ فقلت : لما رأيت

---

(١) ط : لم نعرف أسماءهم .

عشية أمس . قال : فاتكأ على الحائط فقال : اللهم إذ شهرْتَني فاقبضْنى إليك . قال : فخرّ ميتاً ؛ قال : فانحشر عليه أهل مكة .

وقد رُويت لنا هذه الحكاية على صفة أخرى . قال ابن المبارك : قدمت مكة فإذا الناس قد قحطوا من المطر وهم يستسقون فى المسجد الحرام ، وكنت فى الناس مما يلى بابَ بنى شيبة ، إذ أقبل غلام أسْود عليه قطعتا خَيْش قد اتزر بإحداهما وألقى الأخرى على عاتقه ، فصار فى موضع خفىٍ إلى جانبى فسمعته يقول: إلهى أخلقَتِ الوجوهَ كثرةُ الذنوب ومساوى الأعمال ، وقد منعتَنا غيثَ السماء لتؤدّب الخليقة بذلك، فأسألك ياحليماً ذا أناةٍ ، يامَن لا َيعرف عبادُه منه إلاّ الجميل، اسقِهم الساعة الساعة.

قال ابن المبارك ، فلم يزل يقول : الساعة الساعة ، حتى استوتْ بالغمام وأقبل المطر من كل مكان وجلس مكانه يسبّح وأخذت أبكى، إذ قام فاتّبعته حتى عرفت موضعه . فجئت إلى فضيل بن عياض فقال لى: مالى أراك كئيبا ؟ فقلت : سبقَنا إليه غيرُنا فتولاه دوننا فقال: وما ذاك ؟ فقصصت عليه القصة فصاح وسقط وقال : ويحك يابن المبارك خذنى إليه . فقلت : قد ضاق الوقت وسأبحث عن شأنه .

فلما كان من الغد صليت الغداة وخرجت أريد الموضع فإذا شيخ على الباب قد بُسط له وهو جالس فلما رآنى عرفنى وقال : مرحبا بك ياأبا عبد الرحمن حاجَتك فقلت له : احتجْتُ إلى غلام أسود .

قال : نعم عندى عدة فاخْتَرْ أيَّهم شئت فصاح : ياغلام فخرج غلام جَلْد، فقال : هذا محمود العاقبة أرضاه لك فقلت : ليس هذا حاجتى . فمازال يخرج واحداً بعد واحد حتى أخرج إلىّ الغلام . فلما بصرت به بدرتْ عيناى فقال : هذا هو ؟ قلت : نعم . قال : ليس إلى بيعه سبيل قلت : ولمَ ؟ قال : قد تبركتُ بموضعه من هذه الدار وذلك أنه لا يرزؤنى شيئاً . قلت ومن أين طعامُه وشرابه ؟ قال : يكسب من فَتْل الشريط نصف دانق أو أقل أو أكثر فهو قُوته ، فانْ باعه فى يومه[1] وإلا طَوِيَ[2] ذلك اليوم ، وأخبرنى الغلمان عنه أنه لا ينام هذا الليل الطويل ولا يختلط بأحد منهم مهتمّ بنفسه . وقد أحبّه قلبي فقلت له : أنصرفَ إلى سفيان بن عيينة[3] وإلى فضيل بن عياض بغير قضاء حاجة ؟ فقال إن ممشاك عندى كبير ، خذه بما شئت.

قال : فاشتريته فأخذت نحو دار فضيل بن عياض ، فمشيت ساعة

---

(١) ط : ذلك اليوم .

(٢) طوى . جاع .

(٣) قط . سفيان الثورى .

فقال لى : يامولاى . فقلت : لبيك قال لاتقل لى لبيك فإن العبدأولى أنْ يلبّي من المولى . قلت : حاجتك ياحبيبي . قال : أنا ضعيف البدن لاأطيق الخدمة وقدكان لك فى غيرى سعة وقد أُخرِجَ اليك من هو أجلد منى . فقلت : لايرانى الله أستخدمك ولكن أشترى لك منزلا وأزوّجك وأخدمك أنا بنفسى . قال : فبكى . فقلت له : مايبكيك ؟ قال : أنت لم تفعل هذا إلا وقد رأيت بعض متّصلاتى بالله تعالى وإلا فلم اخترْتنى من بين أولئك الغلمان ؟ فقلت له : ليس بك حاجة إلى هذا فقال لى : سألتك بالله إلا ما أخبرتنى . فقلت له : بإجابةِ دعوتك فقال لى : إنى أحسبك إن شاء الله تعالى رجلا صالحاً . إن الله عز وجل خِيَرَةً من خلقه لايكشف شأنهم إلا لمن أحب من عباده ولايُظهر عليهم إلا من قدارتضى .

ثم قال لى : ترى أنْ تقف علىّ قليلا فانه قد بقيت علىّ ركعات من البارحة فقلت : هذا منزلُ فضيلٍ قريبٌ : قال : لا ، ههنا أحبّ إلى أمر الله عز وجل لايؤخر فدخل من باب الباعة إلى المسجد ، فمازال يصلّى حتى إذا أتى على ماأراد التفت إلىّ وقال : ياأبا عبد الرحمن هل من حاجة ؟ قلت : ولِمَ ؟ قال : لأنى أريد الانصراف . قلت : إلى أين؟ قال : إلى الآخرة . قلت : لاتفعل دعنى أُسَرُّبك . فقال لى : إنما كانت تطيب الحياة حيث كانت المعاملة بينى وبينه تعالى ، فأما إذْاطّلعتَ عليها

أنت فسيطّلع عليها غيرك فلاحاجة لى فى ذلك . ثم خرّ لوجْهه فجعل يقول : إلهى اقبضْنى الساعة الساعة الساعة .

فدنوت منه فإذا هو قد مات ، فوالله ماذكرته قط إلا طال حُزْنى وصغُرت الدنيا فى عينى [رحمه الله]

٢٢٦ - عابد آخر

عن أبى سعيد الخزاز قال : كنت بمكة معى رفيق لى من الورعين ، فأقمنا ثلاثة أيام لم نأكل شيئاً وكان بحذائنا فقير معه كُوَيزة وركْوة مغطاة بقطعة خَيش ، وربما كنت أراه يأكل خبزَ حُوّارى[١] . فقلت فى نفسى والله لأقولن لهذا نحن الليلة فى ضيافتك : فقلت له . فقال : نعم وكرامة فلما جاء وقت العَشاء جعلت أراعيه[٢] ولم أرمه شيئاً . فمسح يده على سارية فوقع على يده شىء فناولنى فإذا درهمان لاتشبه[٣] الدراهم . فاشترينْا خبزاً وأدماً .

فلما مضى لذلك مدة جئت إليه وسلّمت عليه وقلت له : إنى مازلت أراعيك منذ تلك الليلة وأنا أحبّ أن تعرّفنى بم[٤] وصلت إلى ذلك ؟ فان كان يُبلغ بعمل حدّثنى . فقال : ياأبا سعيد ماهو إلا حرف واحد . قلت : وماهو ؟ قال : تخرج قدْر الخلق من قلبك تصلْ إلى حاجتك .

---

(١) الحوارى (بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء) . للرقيق الأبيض وهو لباب الدقيق . ط « خبزاً حوارياً » تحريف .

(٢) أراقبه وأنظر إليه .

(٣) كذا فى النسخ .

(٤) فى النسخ . بما .

٢٢٧ – عابد آخر

عن بيان المصرى قال : كنت فى مكة قاعداً وشاب بين يدى فجاءه إنسان وحمل اليه كيساً فيه دراهم فوضعه بين يديه ، فقال : لاحاجة لى فيه : فقال : فرّقه على المساكين ففرّقه . فلما كان العشاء رأيته فى الوادى يطلب شيئاً لنفسه . فقلت : لو تركتَ شيئا لنفسك مما كان معك . فقال : لم أعلم أنى أعيش إلى هذا الوقت .

٢٢٨ – عابد آخر

عن عبيد الله [1] بن أبى نوح قال : قال لنا عابد كان بمكة : ماتركَت النارُ للعاقل سروراً فى أهل ولاولد ، ولبئس المصيرُ مصيرُ مفْرط فى المهلة ومتكل على الغرة وطول الغفلة.

وقال لنا : لتكن الأثرة لله فى قلوبكم ، المستوليةَ على جميع أموركم يوشك أن تفوزوا بذلك يوم يخسر المبطلون – [رحمه الله] .

(١) ط . عبد الله .

ذكر المصطفيات من عابدات مكة

٢٢٩ – حكيمة المكية

عن سلمة بن خالد المخزومى قال ، وكان من خيار بنى مخزوم ، قال : كان هاهنا امرأة من بنى مخزوم مجاورة ، وكان يقال لها حكيمة . وكانت إذا نظرت إلى باب الكعبة قد فُتح صرخت كما تصرخ الثّكلى فلا تزال تصرخ حتى يُغمى عليها وكانت لا تكاد تفارق المسجد إلا للأمر الذى لا بدّ منه . قال : ففُتحت الكعبة يوماً وهى فى بعض حاجتها فلما جاءت قالت لها أمرأة كانت تجالسها : حكيمة فُتح اليوم بيت ربك[١] فلو رأيت الطائفين يطوفون بالبيت والباب مفتوح وهم ينتظرون الرحمة من مَليكهم لقد قرّت عينك . قال فصرخت حكيمة صرخة ثم لم تزل تضطرب حتى ماتت ، رحمها الله .

٢٣٠ – نقيش بنت سالم

عن أبى المورق قال : حدثنى من سمع نقيش بنت سالم بمكة وهى تقول : يا سيد الأنام رحلت بى الشُّقّة وهذا مقام العائذ بعفوك من سخطك ، وبرحمتك من غضبك . ياحبيب الأوّابين ، يا من لا يُكديه الإعطاء ، يا ذا المنّ والآلاء زدْنى بالثقه منك وصْلةً ، واجعل قِراىَ عتْقَ رقبتى وأقرِرْ عينى برضاك .

---

(١) ط : « يا حكيمة فتح بيت ربك » .

قال : ورأيتها بالموقف وهى تقول : بهظتنى[1] الآثام ياسيّدالأنام كحلتُ عينى بملمول[2] الحزن فوعزتك لانعمتُ بضحك أبداً حتى أعلم أين قرارى ، وإلى أين تصير دارى؟ فلما رأت أيدى الناس مبسوطة للدعاء قالت : يا ربّ أقامهم هذا المُقامَ خوفُ النار. ياقرّة عينى وعيونِ الأبرار ، يلتمسون نائلك ويَرجون فضلك . فلما رجعوا وضعت خدّها وصرخت : انصرفَ الناس ولم أُشعر قلبى منك اليأس[2] .

٢٣١ — عائشة المكية

عن أبى عبيد القاسم بن سلاّم قال : دخلت مكة ، وكنت ربما أقعد بحذاء الكعبة ،وربما كنت أستلقى وأمدّ رجلى .فجاءتني عائشة المكّية وكانت من العابدات ممن صحب الفضيل ـ فقالت لى : ياعبد الله يقال إنك عالم ، اقبل منى كلمة : لا تجالسه إلاّ بأدب فيمحو اسمك من ديوان القُرب[3] .

٢٣٢ — ابنة أبى الحسن المكي

عن عبد الله بن أحمد بن بكر . قال : كان لأبى الحسن المكى ابنة مقيمة بمكة أشدّ ورعا منه وكانت لا تقتات إلا ثلاثين درهماً يُنفذها

(١) ق : نهضتنى

(٢) الملمول : المرود ، وهو الميل يكتحل به .

(٣) ط : رحمه الله تعالى .

إليها أبوها فى كل سنة مما يستفضله من ثمن الخُوص الذى يُسفّه ويبيعه

فأخبرنى ابن الرواس التمار ، وكان جاره ، قال جئت أودعه للحج وأستعرض حاجته وأسأله أن يدعو لى فسلم إلىّ قرطاساً وقال : تسأل بمكة عن الموضع الفلاني عن فلانة وتسلم هذا إليها فعلمت أنها ابنته .

فأخذت القرطاس وجئت فسألت عنها فوجدتها بالعبادة والزهد أشدّ اشتهاراً من أن تخفى فتتبعت نفسى أن يصل إليها شيء من مالى يكون لى ثوابه ، وعلمت أننى إن دفعت إليها ذاك لم تأخذه . ففتحت القرطاس وجعلت الثلاثين خمسين درهما ورددته كما كان وسلمته إليها فقالت أى شيء خبر أبى . فقلت : سلامة . فقالت : قد خالط أهل الدنيا وترك الانقطاع إلى الله تعالى ؟ فقلت :أسألك بالله وبمن حججتَ إليه عن شيء فتصدقنى ؟ فقلت : نعم . فقالت : خلطت بهذه الدراهم شيئاً من عندك ؟ فقلت : نعمْ فمن أين علمتِ بهذا ؟ قالت : ما كان أبى يزيدنى على الثلاثين شيئاً لأن حاله لا يحتمل أكثر منها إلا أن يكون ترك العادة فلو أخبرتَنى بذلك ما أخذت منه أيضاً شيئاً .

ثم قالت لى خذ الجميع فقد عققْتنى من حيث قدرت أنك تبرّنى فقلت ولِمَ ؟ قالت لا آكل شيئاً ليس هو من كسبي ولا كسب أبى ولا آخذ من مال لا أعرف كيف هو شيئاً . فقلت : خذى منها الثلاثين كما أنفذ إليك أبوك وردّى الباقى . فقالت : لو عرفتها بعينها من جملة الدراهم

لأخذتُها ولـكن قد اختلطتْ بما لا أعرف جِهته فلا آخذ منها شيئاً وأنا الآن أقتات إلى الموسم الآخر من المزابل لأن هذه كانت قُوتى تلك السنة ، فقد أجعْتنى، ولولا أنك ما قصدت أذاىَ لدعوت عليك.

قال : فاغتممتُ وعُدْت إلى البصرة وجئت إلى أبى الحسن فأخبرتهُ واعتـذرتُ إليه فقال : لا آخذها وقد اختلطتْ بغير مالى ، وقد عققتنى وإياها قال فقلت : فما أعمل بالدراهم ؟ قال : لا أدرى . فما زلت مدة أعتذر إليه وأسأله ما أعمل بالدراهم؟ فقال لى بعد مدة . تصدَّق بها . ففعلت



ذكر المصطفيات من عابدات مكة المجهولات الأسماء

٢٣٣ ــ جارية سوداء

عن المثنى بن الصباح قال كان عطاء ومجاهد يختلفان إلى جارية سوداء فى ناحية مكة تُبكيهما ثم يرجعان ـ

٢٣٤ ـ عابدة أخرى

عن مالك بن دينار قال : رأيت امرأة بمكة من أحسن الناس عينين قال : فكان النساء[1] يجئن فينظرن إليها . فأخذتْ فى البكاء فقيل لها تذهب عيناك . فقالت : إن كنت من أهل الجنة فيبدلنى الله عينين أحسن من هاتين ، وإن كنت من أهل النار فسيصيبهما أشد من هذا . فبكت حتى ذهبت إحدى عينيها ـ رحمها الله .

٢٣٥ ـ عابدة أخرى

عن أبى عبد الرحمن المغازلى قال : كانت حكيمة مجاورة بمكة فدخلنا عليها ذات يوم، فقالت لها امرأة كانت تخدمها: إخوانك جاؤوك يحبّون أن يسمعوا كلامك .

---

(١) ط : وهيئنى فكن النساء .

قال : فبكت طويلاً ثم أقبلت علينا فقالت : إخوتى وقُرّة عينى مثّلوا القيامةَ نُصْب أبصار قلوبكم وردّوا على أنفسكم ما قدم نقدّم من أعمالكم فما ظننتم أنه يجوز فى ذلك اليوم فارغبوا إلى السيد فى قبوله وتمام النعمة فيه ، وما خفْتم أن يُردّ فى ذلك اليوم عليكم فخذوا فى إصلاحه من اليوم ولا تغفلوا عن أنفسكم فتردّ عليكم حيث لا يوجد البدل ، ولا يقدر على الفداء .

قال : ثم بكت طويلا ثم أقبلت علينا فقالت : إخوتى وقرّة عينى إنما صلاح الأبدان وفسادها فى حُسن النية وسُوئها . إخوانى وقرة عينى إنما نال المتقون المحبة لحبّهم له وانقطاعهم اليه ولولا الله ورسوله ما نالوا ذلك ولكنهم أحبّوا الله ورسوله فأحبهم عباد الله لحبهم الله ورسوله . إخوانى وقُرّة عيني ، كلّم الخوفُ قلوبَ أهله فاقتطعهم والله وشغلهم عن مطاعم اللذات والشهوات إخوتى وقُرّة عينى ، بقدْر ما تُعرِضون عن الله يُعرض عنكم بخيره ، وبقدر ما تُقبلون عليه كذلك يقبل عليكم ويزيدكم من فضله ، والله واسع كريم .

٢٣٦ – عابدة أخرى

عن ابن أبى رواد قال : كان عندنا امرأة بمكة تسبّح كل يوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة . فماتت فلما بلغت القبر اختُلست من أيدى الرجال رحمها الله .

٢٣٧ – عابدة أخرى

عن ابن شوذب قال: كَتَبَ عَبدة بن أبي لُبابة إلى شَريك يقال له الحسن بن الخزاز : ادفع ثلاثَ مائةِ درهم إلى احْوج أهل بيتٍ بمكة . فسأل فَدُلّ على أهل بيت فوقف بهم ، فخرجت إليه امرأة كبيرة حسنة السْمت فقال لها : بُعث إليّ بثلاث مائة درهم وأمرت أن أدفعها إلى أحوج أهل بيت بمكة فقالت المرأة : ان كنت أمرت بهذا فما نحن هم ومالنا فيها من حق ، وأنا أعرف أهل بيت أحوج منا .

فسألها فدلّته عليهم فأعطاهم الدراهم وكتب إلى عبدة يخبره بحال المرأة فكتب عبدة أنْ أضعِفْها أعطِها ستمائة درهم .

وقد ذكرنا نحو هذه الحكاية عن عابدة من أهل المدينة[١] .

٢٣٨ - عابدة أخرى

عن أبي الحسن الرام ، وكان من خيار الناس ، قال : كانت امرأة بمكة يأتيها العبّاد فيتحدثون عندها ويتوا عظون . فقالت لهم يوما : حجَبَت قلوَبكم الدنيا عن الله عزّ وجل ، فلو جليتموها[٢] لجالت في ملكوت السموات[٣] ولأتتكم بطُرف الفوائد .

---

(١) صف : عابدة بالمدينة .

(٢) ط : جليتموها . (٣) ط : السماء .

٢٣٩ - عابدة أخرى

عن صالح بن عبد الكريم قال : دُلِلت على امرأة بمكة أو بالمدينة تتعبد. فأتيتها وهي تتكلم . قال: فأحسنَت حتى سكتت . قال: فصبرت حتى تفرّق الناس عنها ثم دنوت منها فقلت : لقد تكلمتِ ولقد خشيتُ عليك العجب فقالت : إنما العجب من شيء هو منك فأما ما كان من غيرك ففيم العجب ؟ ثم قالت :

وله خصائصُ مصطَفَوْن لحبّه　　اختارهم فى سالف الأزمانِ

اختارهم من قبل فطْرة خَلْقه　　بودائعٍ وبحكمةٍ وبيانِ

ثم قالت : انهض إذا شئت .

٢٤٠ — عابدة أخرى

عن عبد الرحمن بن الحكم قال : كانت عجوز من قريش بمكة تأوى فى سَرَب[1] ليس لها بيت غيره. فقيل لها : أترضَيْن بهذا؟ فقالت : أو ليس هذا ، لمن يموت ، كثيراً[2].

٢٤١ — عابدة أخرى

عن محمد بن بكار قال : كانت عندنا بمكة امرأة عابدة فكانت لا تمر بها ساعة إلا وهى صارخة فقيل لها يوما : إنا لنراك على حال ما نرى

---

(١) السرب (بفتحتين) : الحفير تحت الأرض . وجحر الحيوان . وهو على سبيل المجاز .

(٢) فى النسخ : كثير . والصواب بالنصب لأنه خبر ليس .

غيرك عليها فإن كان بك داء عالجناك . قال : فبكت وقالت : من لى بعلاج هذا الداء ؟ وهل أقرحَ قلبى إلاّ التفّكُر فى نيل معالجته ؟ أو ليس عجيباً أن أكون حية بين أظهركم وفى قلبى من الاشتياق إلى ربى عزّ وجل مثل شعل النار التى لا تُطفأ حتى أصير إلى الطبيب الذى عنده برء دائى وشفاء قلبٍ قد أنضَجه طولُ الاحزان فى هذه الدار التى لا أجد فيها على البكاء مسْعِداً ؟

(انتهى ذكر أهل مكة)

ومن المصطفين من أهل الطائف

٢٤٢ – سعيد بن السائب الطائفى

روى عن أبيه ونوح بن صعصعة وغيرهما وروى عنه وكيع ومعن بن عيسى .

عن سفيان قال : كان سعيد بن السائب الطائفى لا تكاد تجف له دمعة إنما دموعه جارية دهره : إن صلّى فهو يبكي وإن طاف فهو يبكى ، وإن جلس يقرأ[1] فى المصحف فهو يبكى وإن لقيته فى طريق فهو يبكى .

قال سفيان : فحدثونى أن رجلاً عاتبه على ذلك فبكى ثم قال إنما ينبغى أن تعذلنى وتعاتبنى على التقصير والتفريط فإنهما قد استوليا علىّ .

قال الرجل : فلما سمعت ذلك انصرفت وتركته .

وعن محمد بن يزيد بن خُنيس قال : ما رأيت أحداً قط أسرع دمعةً من سعيد بن السائب ، إنما كان يُجريه أن يحرّك فترى دموعه كالقطر .

عن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قيل لسعيد بن السائب : كيف أصبحت؟ قال : أصبحت أنتظر الموت على غير عِدة .

وعنه قال : سمعت الثورى يقول : جلست ذات يوم أحدّث ومعنا سعيد بن السائب الطائفى ؟ فجعل سعيد يبكى حتى رحمته . فقلت : ياسعيد

(١) صف : وإن قرأ .

مايبكيكَ . وأنت تسمعنى أذكر أهل الخير وفعالهم ؟ فقال : ياسفيان وما يمنعنى من البكاء إذا ذكرت مناقب أهـل الخير وكنت عنهم بمعزل ؟

قال : يقول سفيان : حُقّ له أن يبكى ، رحمه الله .

ذكر المصطفين من طبقات أهل اليمن من التابعين ومن بعدهم فمن الطبقة الثانية

٢٤٣ – طاوس بن كيسان

يكني أبا عبد الرحمن ـ قال الواقدى كان طاوس مولى بحير بن ريسان الحميرى وكان ينزل الجند ، وقال الفضل بن دكين هو مولى لهمدان وقال عبد المنعم بن ادريس هو مولى لابن هوذة الهمدانى .

عن الحسن بن حصين قال : رأيت طاوساً مرّ برّءاسٍ[1] بمكة وقد أخرج رأساً فلما رآه صعق .

وعن عبد الله بن بشر أن طاوساً اليماني كان له طريقان إلى المسجد طريق فى السوق وطريق آخر . فكان يأخذ فى هذا يوما وفى هذا

---

(١) بائع الرءوس .

يوماً فإذا مر فى طريق السوق فرأى تلك الرؤس المشوّية لم يَتَعَشَّ تلك الليلة ـ وقد روى لنا : لم ينعس .

وعن مسْعر عن رجل قال : أتى طاوس رجلاً فى السَحَر فقالوا: هو نائم . فقال ما كنت أرى أن أحداً ينام فى السحر .

وعن عبد الرزاق قال : حدثنى أبى قال : كان طاوس يصلى فى غداة باردة فمرّ به محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف ، أو أيوب بن يحيى وهو ساجد فى موكبه فأمر بساجٍ(١) أو طيلسان مرتفع فطرح عليه فلم يرفع رأسه حتى فرغ من حاجته فلما سلّم نظر فاذا الساج عليه . قال : فانتفض ولم ينظر إليه ومضى إلى منزله .

وعن أبى إسحاق الضَّمْنانى قال : دخل طاوس ووهْب بن منبه عَلَى محمد بن يوسف أخى الحجاج ، وكان عاملاً علينا ، فى غداة باردة فقعد طاوس على الكرسى . فقال محمد : ياغلام هلمّ ذلك الطيلسانَ فألقه على أبى عبدالرحمن . فألقَوه عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى عنه الطيلسان وغضب محمد بن يوسف . فقال له وهب : والله إن كنتَ لغنّياً أن تُغضِبه علينا ، لو أخذتَ الطيلسان فبعْته وأعطيتَ ثمنه المساكين

(١) الساج : طيلسان مدور واسع . ج سيجان .

فقال : نعم لولا أنْ يقال من بعدى : أخذه طاوس فلا يصنع فيه ما أصنع ، لفعلت .

وعن النعمان بن الزبير أن محمد بن يوسف وأيوب بن يحيي بعثا إلى طاوس بخسمائة دينار وقالوا[1] للرسول إنْ أخذها منك فان الأمير سيكسوك ويُحسن اليك : فخرج بها حتى قدم على طاوس فقال ، يا أبا عبد الرحمن نفقة بعث بها إليك الأمير . قال : مالى بها من حاجة قال فأراده على قبضِها فأبى . فغفل طاوس فرمى بها فى كوةٍ فى البيت ثم ذهب ، فقال لهم : قد أخذها . فلبثوا حيناً : ثم بلغهم عن طاوس شىء يكرهونه ، فقال[2] ابعثوا اليه فليبعثْ إلينا بمالِنا فجاءه الرسول فقال : المال الذى بعث به اليك الأمير قال: ماقبضت منه شيئاً .فرجع الرسول فأخبرهم فعرفوا أنه صادق .

فقيل للرجل الذى ذهب بها ، فبعثوه اليه فقال : المال الذى جئتك به يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : هل قبضت ُمنك شيئاً ؟ قال : لا . قال : فهل تدرى أين وضعتَه ؟ قال : نعم فى تلك الكوّة . قال : فأبصِره

---

(١) كذا فى النسخ . وإنما الضمير للمثنى .

(٢) ق : قال . وإنما الضمير للجمع كما يقتضى السياق .

حيث وضعته . قال : فمدّ يده فاذا هو بالصرّة قد بنت عليها العنكبوت فأخذها فذهب بها اليهم .

وعن سفيان قال جاء ابنٌ لسليمان بن عبد الملك فجلس الى جنب طاوس فلم يلتفت اليه . فقيل له:جلس اليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت اليه ؟ قال: أردت أن يعلم أن لله عباداً يزهدون فيما فى يديه .

وعن سفيان عن عمرو قال : ما رأيت أحداً أشدّ تنزّهاً مما فى أيدى الناس من طاوس .

وعن ابن أبى رواد قال : رأيت طاوساً وأصحابه إذا صلَّوا العصر استقبلوا القبلة ولم يكلّموا أحداً وابتهلوا فى الدعاء .

وعن الصلّت بن راشد قال : كنت عند طاوس ، فسأله سلم بن قتيبة عن شىء فزَبره وانتهره[1] . قال :قلت هـــذا سلم بن قتيبة صاحب خرسان . قال : ذاك أهْون له علىّ .

وعن عبد الرزاق قال : قدم طاوس مكة فقدم أمير. قال : فقيل له إن من فضله ومن ومن فلو أتيته . قال : مالى إليه حاجة . قالوا : إنا نخافه عليك . قال : فما هو كما تقولون .

( ) زبرة : انتهره . ق : فزبره أو انتهره .

وعن ابن طاوس قال : قلت لأبى : أريد أن أتزوج فلانة . قال : اذهب فانظر إليها . قال : فذهبتُ فلبست من صالح ثيابى وغسلتُ رأسى وادّهنت فلما رآنى فى تلك الهيئه قال : اقعدْ لاَ تذهب .

وعن بلال(١) بن كعب قال : كان طاوس إذا خرج من اليمن يعنى إلى مكة(٢) لم يشرب إلا من تلك المياه القديمة الجاهلية .

وعن يوسف بن اسباط قال : مرّ طاوس بنهر قد كُرِىَ(٣) فأرادت بغلته أن تشرب فأبى أن يدعها . يعنى : كَراهُ السلطان .

وعن عبد المنعم بن ادريس ، عن أبيه قال : صلى وهب بن منبه وطاوس اليمانى الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة .

وعن ابن جريج قال : قال لى عطاء : قال لي طاوس : يا عطاء لا تُنزلنّ حاجتك بمن أغلَق دونك أبوابه وجعل عليها حجابه، ولكن أنزلها بمن بابُه مفتوح لك الى يوم القيامة ، أمرك أن تدعوه وَضمن لك أن يستجيب لك .

---

(١) صف : هلال .

(٢) صف : خرج يعنى من اليمن

(٣) كرى النهر . حفر فيه حفرة جديدة .

وعن أحمد بن أبى الحوارى قال : سمعت أباسليمان قال : كان طاوس يفترش فراشه ثم يضطجع فيتقلّى كما تتقلّى الحبة فى المقلى ، ثم يثب فَيُدْرِجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ، ويقول : طيّر ذِكْرُ جهنم نومَ العابدين .

وعن ليث عن طاوس قال : مامن شيء يتكلم به ابن آدم إلا أُحصى عليه ، حتى أنينه فى مرضه

وعن عبد الله بن أبى صالح المكى قال : دخل على طاوس يعودنى فقلت: يا أبا عبد الرحمن ادْعُ الله لى فقال : ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه .

وعن سفيان قال : قال طاوس : إن الموتى يَفتنون فى قبورهم سبعاً فكانوا يستحبّون أن يُطعَم عنهم تلك الأيام .

وعن داود بن ابراهيم أن الأسد حبس الناسَ ليلة فى طريق الحج فدقّ الناس بعضهم بعضاً فلما كان فى السحَر ذهب عنهم فنزل الناس يميناً وشمالًا فألقوا أنفسهم فناموا، وقام طاوس يصلّى . فقال ابن طاوس: ألا تنام فقد نصَبتَ الليلة[1] . فقال طاوس : ومَن ينام السحَر ؟

أدرك طاوس خلقاً كثيراً من الصحابة وأكثر رُوايته عن ابن عباس.

---

(١) أى تعبت .

وروى عنه من كبار التابعين : مجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وأبو الزبير ومحمد بن المنكدر والزهرى ووهْب بن منبّه .

وعن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس قال : أدركت خمسين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن سفيان قال : قلت لعبيد الله بن أبى يزيد مع من كنتَ تدخل على ابن عباس ؟ قال : مع عطاء والعامة ، وكان طاوس يدخل مع الخاصة .

ذكر وفاته رحمه الله

توفى طاوس بمكة قبل يوم التّروية بيوم ، وكان هشام بن عبدالملك قد حجّ فى تلك السنة وهو خليفة سنة ست ومائة ، فصلى على طاوس، وكان له يومَ مات بضع وتسعون سنة .

وعن ضمْرة عن ابن شوذب قال : شهدت جنازة طاوس بمكة سنة ست ومائة فسمعتهم يقولون: رحمك الله أبا عبد الرحمن، حج أربعين حجة ـ رحمه الله ـ .

٢٤٤ – وهب بن مُنبه

من الأبناء يكنى أبا عبد الله .

عن عبد العزيز بن رفيع عن وهب بن منبه قال : الإيمان عُريان ولباسه التقوى وزينته الحياء ومالُه الفقه .

وعن عبد الصمد بن معقل أن وهْب بن منبّه قال فى موعظة له : « يابن آدم إنه لا أقوى من خالق ولا أضعف من مخلوق ، ولا أقدر ممن طلبته فى يده ، ولا أضعف ممن هو فى يد طالبه ، يابْن آدم إنه قد ذهب منك ما لا يرجع إليك وأُقام معك ما سيذهب .

يا بن آدم أقصر عن تناول ما لا تنال وعن طلب ما لا تدرك وعن ابتغاء ما لا يوجد واقطع الرجاء منك عما فقدت من الأشياء ، واعلم أنه رُبّ مطلوبٍ هو شرٌّ لطالبه . يابن آدم إنما الصبر عند المصيبة ، وأعظم من المصيبة سوء الخلف منها .

يا بن آدم فأىّ الدهر ترتجى ؟ أيوماً يجىء فى غرّة أو يوماً تستأخر فيه عن أوان مجيئة ؟ فانظر إلى الدهر تجده ثلاثة أيام : يوماً مضى لا ترتجيه ، ويوماً لا بد منه ، ويو ماً يجىء لا تأمْنه ، فأمسِ شاهدٌ مقبول وأمين مؤدّ وحكيم وارد ، قد فجعَك بنفسه وخلّف فى يديك حكمته ، واليوم صديق مودّع كان طويل الغيبة وهو سريع الظّعن ،

أتاك ولم تأته وقـد مضى قبله شاهد عدل ، فان كان ما فيه لك فاشفعه بمثله .

يابن آدم قد مضت لنا أصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد أصله

يابن آدم إنما أهل هذه الدار سَفَرٌ لا يحلون عقدة الرحال إلا فى غيرها وانما يتبلّغون بالعوارىّ فما أحسنَ الشكر للنِعَم[1] ، والتسليم للمُعير . فاعلم يابن آدم أنه لارزّية أعظم من رزيّةٍ فى عقـل ممن ضيع اليقين .

أيها الناس إنما البقاء بعد الفناء وقد خُلِقنا ولم نـكن ، سنَبلى ثم نعود ، ألا وإنما العوارى اليوم والهبات غداً . ألا وإنه قد تقارب منّا سَلب فاحش أو إعطـاء جزيل فاستصلحوا ما تُقْدِمون بما تظْمنون عنه .

أيها الناس إنما أنتم فى هذه الدار غرضٌ فيـكم المنايا تنتضل[2] ، وان الذى أنتم فيه من دنيا كم نهب المصائب ، لا تتناولون[3] فيها نعمةً إلا بفراق أخرى ، ولا يَستقبل معمَّرٌ منـكم يوماً من عمره إلا بهدْم آخر من أجَله ، ولا تجدّد[4] زيادة فى أجله إلا بنفاد ما قبله من

---

(١) صف : فأحسن الشكر للمنعم . والعوارى : ج عارية .

(٢) تنتضل : ترمى .

(٣) قط : لا تنالون .

(٤) قط : ولا يجد .

رزقه ، ولا يحيا له أثر إلاّ مات له أثر فنسأل الله أن يبارك لنا ولكم فيما مضى من هذه العظة » .

وعن بكار بن عبدالله قال : سمعت وهب بن منبّه يقول : مرّ رجل عابد على رجل عابد فقال : مالك ؟ قال : أعجب من فلان أن[1] كان قد بلغ من عبادته فمالت[2] به الدنيا، فقال : لا تعجب ممن تميل به ولكن اعجبْ ممن استقام .

وعن أشرس ، عن وهْب بن منبّه قال : أوحى الله عز وجل إلى داود : ياداوُد هل تدرى من أغفر له ذنوبه من عبيدى ؟ قال : من هو يارَبّ؟ قال الذى إذا ذَكر ذنوبه ارتعدتْ منها فرائصه، فذلك العبد الذى آمرُ ملائكتى أن يمحوا عنه ذنوبه .

قال: وقال داود إلَهى أين أجدك إذا ماطلبتك؟ قال: عند المنكسِرة قلوبُهم من مخافتى .

وعن بكار بن عبدالله عن وهب قال : قرأت فى بعض الكتب أن منادياً ينادى من السماء الرابعة كل صباح : أبناءَ الأربعين ، زرعٌ قد دَنا حصاده ، أبناءَ الخمسين ماذا قدّمتم وماذا أخّرتم ؟ أبناءَ الستين لاعذْر لكم ، ليت الخلق لم يُخلقوا وإذا خُلقوا علموا لماذا خُلقوا ، قد أتتكم الساعة فخذوا حذْركم .

---

(١) ط : إنه .　　(٢) ط : ومالت .

وعن عبد الصمد بن معقل قال : سمعت وهب بن منبه يقول : قرأت فى التوراة : أيّما دارٍ بُنيت بقوة الضعفاء جُعلت عاقبتها للخراب، وأيما مالٍ جُمع من غير حلّ جُعلت عاقبته إلى الفقر .

وعن عبد الرزاق قال : أخبرنى أبى قال : سمعت وهب بن منبه يقول: ربما صليت الصبح بوضوء العتمة — (وقد روى لنا من طريق آخر) .

وعن المثنى بن الصباح قال : لبث وهب بن منبه عشرين سنة لم يجعل له بين العشاء والصبح وضوءاً .

وقد روينا فى ترجمة طاوس أن وهب بن منبه صلّى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة .

وعن أبى سنان القسملى قال : سمعت وهب بن منبه ، وأقبل على عطاء الخرسانى فقال : « ويحك يا عطاء ألم أُخبَر أنك تحمل علْمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا ؟ ويحك ياعطاء تأتى من يُغلق عنك بابه ، ويُظهر لك فقره ، ويوارِى عنك غناه ، وتدَع من يفتح لك بابه ، ويظهر لك غَنَاءه ويقول (ادْعونى استَجِبْ لَكُم)[1] .

ويحك ياعطاء ارْضَ بالدّون من الدنيا مع الحكمة ولا ترضَ بالدون من الحكمة مع الدنيا . ويحك ياعطاء إن كان يغنيك ما يكفيك فإن أدنى ما فى الدّنيا يكفيك ، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس فى

(١) غافر : ٦٠ .

الدنيا شيء يكفيك[١]. ويحك ياعطاء إنما بطنك بحر من البحور ووادٍ من الأودية فليس يملؤه إلا التراب » .

وعن منير مولى الفضل بن أبي عياش قال: كنت جالساً مع وهب ابن منبه فأتاه رجل فقال : إني مررت بفلان وهو يشتمك . فغضب وقال : ماوجد الشيطان رسولاً غيرك ؟ فما برحت من عنده حتى جاءه ذلك الرجل الشاتم فسلّم على وهب ، فردّ عليه ومـــدّ يده وصافحه وأجلسه إلى جنبه .

وعن إبراهيم بن عمر قال: قال وهب بن منبه : إذا مدحك الرجل بما ليس فيك فلا تأمنه أن يذمك بما ليس فيك .

وعن جعفر بن برقان ،عن وهب بن منبه قال: الإيمان قائد، والعمل سائق ، والنفس بينهما حَرون ، فإذا قاد القائد ولم يَسق السائق لم يُغن ذلك شيئاً ، وإذا ساق السائق ولم يقد القائد لم يغن ذلك شيئاً ، وإذا قاد القائد وساق السائق اتبعته النفس طوعاً وكرهاً وطاب العمل .

أسند وهب بن منبه عن: جابر بن عبد الله ، والنعمان بن بشير ، وابن عباس (وخلقٍ كثير يطول شرحهم)[٢] .

---

(١) وقع هنا في المطبوع نقص في العبارة شوه المعنى وهي بتمامها في ق ، كما أثبتناها . وفي حاشية المطبوع إشارة إلى ذلك .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ط .

[وقد رَوى عن معاذ بن جبل ، وأبى هريرة ، فى آخرين ، وروى خلْقٍ كثير من كبار التابعين كطاوس .

وروى عنه من التابعين جماعة منهم : عمرو بن دينار ، وأبان ابن أبى عياش ، وموسى بن عقبة فى آخرين[١]] .

قال الواقدى : مات وهب بن منبه بصنعاء سنة عشر[٢] ومائة . وقيل : سنة أربعَ عشرة .

٢٤٥ – المغيرة بن حكيم الصنعانى

من الأبنـــــاء[٣]

عن عبدالله بن إبراهيم قال أخبرنى أبى قال : سافر المغيرة بن حكيم إلى مكة أكثر من خمسين سفراً حافياً محْرماً صائماً، لا يترك صلاة السحر فى سفَره . إذا كان السحر نزل فصلّى ويمضى أصحابه ، فإذا صلّى الصبح لحق متى ما لَحَق .

وعن إبراهيم بن عمر قال : كان جُزء المغيرة بن حكيم فى يومه وليلته : القرآن كله ، يقرأ فى صلاة الصبح من البقرة إلى هود ، ويقرأ قبل الزوال إلى أن يصلى العصر من هود إلى الحج ، ثم يختم .

سمع المغيرة بن حكيم من ابن عُمر ، وأبى هريرة ، وغيرهما .

---

(١) مابين مربعين ساقط من ق . (٢) ق ، صف : عشرين. (٣) ط : رحمه الله .

٢٤٦ - الحكم بن أبان العدنى أبو عيسى[1]

عن اسحاق بن الضيف قال : سمعت مشيخةً يقولون : كان الحكم ابن أبان سيد أهل اليمن وكان يصلّى الليل فإذا غلبه النوم ألقى نفسه فى البحر وقال : أُسبّحُ لله عز وجل مع الحيتان.

سمع الحكم من عكرمة وغيره ، وتوفى سنة أربع وخمسين ومائة ، رحمه الله .

٢٤٧ - ضرغام بن وائل الحضرمى

عن الطلحى قال : كان رجل بأرض اليمن يقال له ضرغام بن وائل الحضْرمي، وكان زاهدَ قومه : فقال لغلامه ذات يوم : اشدُد كِتافى[2] وعفّر خدّى بالثرى . ففعل . فقال : مليكى دنا الرحيل ، إليك ولا براءة لى من ذنب ، ولا عذر لى فأعتذِر، ولا لى قوة فأنتصر ، أنت أنت لى فتغمّدنى[3] ، قال ومات. فسمعوا قائلا يقول: إسكان العبد لمولاه فقبِله.

---

(١) ق : أبو عبس. (٢) الكتاف (بالكسر) : حبل يشد به . ومنه قولهم: كتّف فلاناً (بالتشديد) : شد يديه إلى خلف كتفيه موثقا بالكتاف .

(٣) تغمد الله فلانا برحمته : غمره بها .

ذكر المصطفين من عباد اليمن المجهولين الأسماء

٢٤٨ ــ عابد

عن علي بن زيد قال : قال طاوس : بينا أنا بمكة بعث إليّ الحجاج فأجلسني إلى جنبه وأتكأني[1] على وساده إذ سمع ملبياً يلبّي حول البيت رافعاً صوته بالتلبية . فقال: عليّ بالرجل . فأُتي به . فقال : ممن الرجل ؟ فقال : من المسلمين . قال : ليس عن الإسلام سألتُ .قال : فعمّ سألت ؟ قال : سألتك عن البلد . قال : من أهل اليمن قال : كيف تركت محمد بن يوسف ؟ يريد أخاه . قال تركته عظيماً جسيماً لبّاساً ركّاباً خرّاجاً ولاّجاً . قال : ليس عن هذا سألتك . قال : فعمّ سألت؟ قال : سألتك عن سيرته . فقال : تركتُه ظَلوماً غَشوماً مطيعاً للمخلوق عاصياً للخالق .

فقال له الحجاج : ماحملك أن تتكلم بهذا الكلام وأنت تعلم مكانه مني . قال الرجل : أتراه بمكانه منك أعزّ مني بمكاني من الله عز وجل وأنا وافدُ بيتهِ ومصدّقُ نبيّهِ وقاضي دينه ؟ قال : فسكت الحجاج فما أحار جواباً . وقام الرجل من غير أن يؤذن له فانصرف .

قال طاوس : وقمت في أثره وقلت : الرجل حكيم . فأتى البيت

---

(١) إتكأ الرجل إتكاء : وسده حتى يتكىء .

فتعلق بأستاره ثم قال : اللهم بك أعوذ وبك ألوذ . اللهم اجعل لى فى اللّهف إلى جُودك والرّضا بضمانك ، مندوحةً عن منْع الباخلين وغِنىً عما فى أيدى المستأثرين ، اللهم فرجَك القريب القريب ومعروفَك القديم وعادَتك الحسنة .

ثم ذهب فى الناس فرأيته عشية عرفة وهو يقول: اللهم إن كنت لم تقبل حجّى وتعَبى ونصبى فلا تحرمنى الأجر على مصيبتى بتَرْكك القَبول منى . ثم ذهب فى الناس فرأيته غداة جَمْعٍ يقول : واسوْأتاه ، واللهِ منك[1] وإن عفوت ، يردد ذلك .

٢٤٩ — عابد آخر

موسى بن على الأخميمى قال : قال ذو النون : وُصف لى رجل باليمن قد برزَ على الخائفين وسما على المجتهدين ، وذكر لى باللابّ والحكمة . فخرجتُ حاجًّا فلما قضيت نُسُكى مضيت إليه لأسمع من كلامه وأنتفع بموعظته أنا وناس كانوا معى يطلبون منه مثْل ما أطلب .

وكان معنا شابّ عليه سيماء الصالحين ومنظر الخائفين، كان مصفارّ الوجه من غير مرض، أعمش العينين من غير عمَش ، ناحل الجسم من غير سقَم ، يحب الخلوة ويأنس بالوحدة تراه أبداً كأنه قريب العهد بالمصيبة . فخرج إلينا فجلسنا إليه فبدأ الشاب بالسلام عليه وصافحه ،

---

(١) ق : منك والله .

فأبدى الشيخ له البِشْر والترحيب . ثم سلّمنا عليه فقال الشاب إن الله عزّ وفضله قد جعلك طبيبا لسقام القلوب معالجاً لأوجاع الذنوب ، وبى جرح نَغِلٌ(١) وداء قد استكمل، فإن رأيتَ أن تلطّف لى ببعض مراهمك وتعالجنى برفقك .

فقال له الشيخ سل ما بدا لك يا فتى . فقال له الشاب : يرحمك الله ما علامة الخوف من الله تعالى ؟ قال : أن يُؤْمنه خوفُه كلَّ خوف غير خوفه . قال : متى يتبيّن للعبد خوفه من الله تعالى ؟ قال : إذا أنزل نفسه من الدنيا منزلة السقيم فهو يحتمى من أكل الطعام مخافة السقام ، ويصبر على مضضِ كلِّ دواء مخافَة طولِ الضنى .

فصاح الفتى صيحةً ثم بقىَ باهتاً ساعة ثم قال : رحمك الله ما علامة المحبّ لله تعالى ؟ فقال له : حبيبي إن درجة المحب درجة رفيعة . قال : وأنا أحب أن تصفها لى . قال : فان المحبين لله تعالى شقّ لهم عن قلوبهم فأبصروا بنور القلوب عزّ جلال الله فصارت أبدانهم دنياوية وأرواحهم حُجبية ، وعقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة وتشاهد تلك الأمور باليقين فعبدوه بمبلغ استطاعتهم حباً له لا طمعاً فى جنّة ولا خوفاً من نار .

فشهق الفتى وصاح صيحة كانت فيها نفسه . قال : فأكب الشيخ عليه يلْثمه ويقول هذا مصرع الخائفين ، وهذه درجة المجتهدين .

---

(١) فاسد .

٢٥٠ — عابدان

أبو بكر القرشى قال : قرأت فى كتاب جعفر الآدمىّ بخطه : قال سلامة : كنت باليمن فى بعض مخاليفها[1] فاذا رجل معه ابن له شاب فقال : إن هذا أبى وهو من خير الآباء ولى بقر تأتينى مساء فأحلبها ثم آتى أبى وهو فى الصلاة فأحبّ أن يكون عيالى يشربون فضله فلا أزال قائماً عليـه والاناء فى يدى وهو مقْبل على صلاته ، وعسى أن لا ينفتل ويقبل علىّ حتى يطلع الفجر .

قلت للشيخ : ما تقول ؟ قال صدق . وأثنى على ابنه ، ثم قال إنّى أخبرك بعذرى : إذا دخلتُ فى الصلاة فاستفتحتُ القرآن ذهب بى مذاهب وشغلنى ، حتى ما أذكره ، حتى أصبح .

قال سلامة ذكرت أمرهما لعبد الله بن مرزوق فقال هذان يُدفع بهما عن أهل اليمن قال : وذكرت أمرهما لابن عيينة فقال : هذان يُدفع بهما عن أهل الأرض ، رضى الله عنهما .

---

(١) مفردها مخلاف : وهو الكورة ، أى المدينة والصقع .

ذكر المصطفيات من عابدات اليمن

٢٥١ – خنساء بنت خدام

وليست بالصحابية

عن حفص بن عمرو الجعفي قال : كانت باليمن امرأة من العرب جليلة جهورية حسناً وجمالاً كأنها بَدنة ، يقال لها خنساء بنت خدام، فصامت أربعين عاماً حتى لصق جلدها بعظمها ، وبكت حتى ذهبت عيناها ، وقامت حتى أُقعِدت من رجليها .

وكان طاوس ووهب بن منبه يعظمان قدرها . وكانت إذا جن عليها الليل وهدأت العيون وسكنت الحركات تنادى بصوت لها حزين : ياحبيبَ المطيعين ، إلى كم تحبس خدود المطيعين فى التراب ، ابعثْهم حتى ينجزوا موعدك الصادق الذى أتعبوا له أنفسهم ثم أنصَبوها .

قال : فيَسمع البكاء من الدور حولها .

٢٥٢ – سوية[1]

عن أبي هشام — رجل من قريش من بنى عامر — قال : قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سَوِيّة[1] . فنزلت فى بعض رباعنا ، فكنت اسمع لها من الليل نحيباً وشهيقاً . فقلت للجارية[2] :

(١) ضبطت فى ق بفتح السين . وفى أسماء نسوة أخر تضم السين مع فتح الواو.

(٢) ق ، قط : « للخادم » وتطلق على الذكر والأنثى معاً .

أشرفى على هذه المرأة فانظرى ما تصنع ؟ فإذا هى قائمة مستقبلة القبلة رافعة رأسها إلى السماء فقلت : ماتصنع ؟ قالت : ما أراها تصنع شيئاً غير أنها لا تردّ طرفها عن السماء . فقلت : اسمعى ما تقول . قالت : لا أفهم كثيراً من قولها ، غير أنى أسمعها تقول :

أراكَ خلقت سَوِيّة من طينة لازِبة غمرتَها بنعمتك ، تغذوها من حال إلى حال وكل أحوالك لهـا حسنة ، وكل بلائك عندها جميل ، وهىَ مع ذلك متعرّضة لسخطك بالتوثب على معاصيك ، فلْتة فى إثْر فلْتـة أتَرى أنهـا تظن أنك لا ترى سوء فعالهـا ؟ بلى وأنت على كل شىء قدير .

ثم صرخت وسقطت . ونزلت الجـارية فأخبرتنى بسقطتها فلمـا أصبحنا نظرنا فإذا هى قد ماتت ـ والسلام ـ

ومن عابدات اليمن المجهولات الأسماء

٢٥٣ — عابدة

عن محمد بن سليمان القرشى قال : بينا أنا أسير فى طريق اليمن إذا أنا بغلام واقفٍ فى الطريق فى أذنية قُرطـان ، فى كل قرط جوهرة ، يضىء وجهُه من ضوء تلك الجوهرة ، وهو يمجّد ربه بأبيات من الشعر . فسمعته يقول :

مَليك فى السماء به افتخارِى عزيزُ القدر ليس بِه خفاءَ

فدنوت منه فسلمت عليه فقال : ما أنا برادٍ عليك حتى تؤدى من حقّي مايجب لى عليك . قلت : وما حقّك؟ قال : أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل ﷺ لا أتغدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين فى طلب الضيف .

فأجبته إلى ذلك فرحّب بى وسرت معه حتى قربنا من خيمة شَعر. فلما قربنا من الخيمة صاح: يا أختاه . فأجابته جارية من الخيمة يالبيّكاه. فقال : قومى إلى ضيفنا . فقالت الجارية : حتى أبدأ بشكر المولى الذى سبب لنا هذا الضيف . فقامت فصلت ركعتين شكراً لله عز وجل .

فأدخلنى الخيمة وأجلسنى . وأخذ الغلام الشفرة وأخذ عَناقا[١] ليذبحها فلما جلست فى الخيمة نظرت إلى أحسن الناس وجهاً ، فكنت أسارقها النظر ففطِنت لبعض لَحظاتى إليها فقالت لى : مَهْ أما علمتَ أنه قد نقل إلينا عن صاحب يثرب ﷺ أن زِنى العينين النظر؟[٢] أما إنى ما أردت بهذا أن أوبّخك ، ولكنى أردت أن أؤدّبك لكي لا تعود إلى مثل هذا .

فلما كان النوم بتّ أنا والغلام خارجاً وباتت الجارية فى

---

(١) العناق (بفتح العين) : الأنثى من أولاد المعز قبل استكمالها الحول.

(٢) اخرجه الامام احمد ٣٤٣/٢ بلفظ « العينان تزنيان وزناهما النظر » .

الخيمة وكنت أسمع دويّ القرآن الليل كلّه بأحسن صوت يكون وأرقّه . فلما أصبحتُ قلت للغلام : صوتُ مَن كان ذلك ؟ فقال : تلك أختي تحيي الليل كلّه إلى الصباح فقلت : ياغلام أنت أحق بهذا العمل من أختك ، أنت رجل وهي امرأة . قال : فتبسّم وقال لى : ويحك يا فتى أما علمت أنه موفّق ومخذول ؟

—(انتهى ذكر أهل اليمن)—

ذكر المصطفين من أهل بغداد

نزل بغدادَ خلق كثير من العلماء والزهاد والأولياء والعبّاد ، وإنما ننتخب منهم من يدخل فى شرط كتابنا هذا ونذكرهم على طبقاتهم . والله الموفق .

٢٥٤ — أبو هاشم الزاهد

قال أبو نعيم الحافظ : أبو هاشم من قُدماء زهّاد بغداد ، ومن أقران أبي عبدالله البراثى . وبلغنى أن سفيان الثورى جلس إليه وقال : مازلت أرائى وأنا لا أشعر حتى جالست أبا هاشم فأخذت منه تَركَ الرِثاء .

محمد بن حسين قال : حدثنى بعض أصحابنا قال : قال أبو هاشِم الزاهد : إن الله عز وجل وسَمَ الدنيا بالوحشة ليكون أنس المريدين به دونها ، وليقبل المطيعون له بالإعراض عنها وأهل المعرفة بالله فيها مستوحشون وإلى الآخرة مشتاقون .

وعن حكيم بن جعفر قال : نظر أبو هاشم إلى شريك القاضى يخرج من دار يحيي بن خالد فبكى وقال : أعوذ بالله من عِلمٍ لا ينفع .

وعن محمد بن الحسين قال : قال أبو هاشم الزاهد أَخْذُ المرءِ نفسَه بحُسن الأدبِ تأديبُ أهلِه[1] .

(١) صف : « نفسه : رحمه الله » .

٢٥٥ – أسود بن سالم

أبو محمد العابد . كان صالحاً ورعاً . وكان بينه وبين معروف الكرْخى مؤاخاة ومودّة . عن على بن محمد بن إبراهيم الصفّار قال : حضرت أسود بن سالم ليلة فقلت :

أمامى موقف قُدّامَ ربّى ... يسائلنى وينكشفُ الغطاءُ[1]
وحسْبى أن أمرّ على صراطٍ ... كحدّ السيفِ أسفَلُه لَظَاءُ

قال فصرخ أسود صرخة ولم يزل مغشياً عليه حتى أصبح .

وعن أحمد بن الحكم الصاغانى قال : جاء رجل إلى ابن حميد فقال : إنى اغتبت أسود بن سالم فأتيت فى منامى فقيل لى : تغتاب ولياً من أولياء الله لو ركب حائطاً ثم قال له سِرْ لسارَ . ؟

وعن محمد بن ابراهيم[2] السائح قال : قال أسود بن سالم : ركعتان أصلّيهما أحب إلىّ من الجنة بما فيها . فقيل له : هذا خطأ . فقال : دعُونا من كلامكم ، رأيت الجنة رِضا نفسى وركعتين أصلّيهما رضا ربىّ ، ورضا ربىّ أحبّ إلىّ من رضا نفسى .

أسند أسود عن : حماد بن زيد وسفيان بن عيينة واسمعيل بن علية فى آخرين .

وتوفى فى سنة ثلاثَ عشرةَ أو أربع عشرةَ ومائتين .

---

(١) ق : ويكشف لى الغطاء . (٢) ق ، قط : إبراهيم بن محمد .

٢٥٦ - منصور بن عمار بن كثير
أبو السرى الواعظ

أصله من خراسان — قال أبو عبد الرحمن السلمى: هو من أهل مرو. وقيل هو من أهل بُوشَنْج[1]. وقيل من البصرة. سكن بغداد.

عن أبى سعيد بن يونس قال: كان منصور بن عمار فى قصصه وكلامه شيئا عجبا لم يقص على الناس مثله.

وعن سليم بن منصور قال: رأيت أبى فى المنام فقلت: ما فعل الله بك[2]؟ فقال: إن الربّ قرّبنى وأدنانى وقال لى: ياشيخ السّوء تدرى لِمَ غفرتُ لك؟ قلت: لا يا إلهى. قال: إنك جلستَ للناس يوماً مجلساً فبكّيتهم، فبكى فيه[3] عبد من عبادى لم يبكِ من خشيتى قطّ فغفرتُ له ووهبتُ أهل المجلس كلّهم له، ووهبتك فيمن وهبت له.

وعن أبى الحسين السعدانى قال: رأيت منصور بن عمار فى المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: وقفت بين يديه فقال لى: أنت الذى كنتَ تُزهّد الناس فى الدنيا وترْغَب فيها؟ قلت: قد كان ذاك، ولكن

---

(١) بليدة نزهة خصيبة من نواحى هراة، ينسب إليها خلق كثير من أهل العلم. (ياقوت) وفى معجم البكرى وق: «بوسنج» بالسين، لكن هذه عند ياقوت من قرى ترمذ.

(٢) ق، قط: ما فعل بك ربك.

(٣) قط - فيهم.

ما اتّخذت مجلساً إلا وبدأت بالثناء عليك ، وثنّيت بالصلاة على نبيك ﷺ ، وثلّثت بالنّصحية لعبادك . فقال : صدق ، ضعوا له كرسيّاً فى سمائى فيمجّدنى فى سمائى بين ملائكتى كما مجّدنى فى أرضى بين عبادى .

أسند منصور عن معروف أبى الخطاب صاحب واثلة بن الأسقع . وروى عن الليث وابن لهيعة فى آخرين . وتوفى ببغداد .

٢٥٧ — ولد الرشيد المعروف بالسبتى

ويقال : اسمه أحمد ، رضى الله عنه .

عن عبد الله بن الفرج قال : خرجت يوماً أطلب رجلا يَرُمُّ(١) لى شيئا فى الدار . فذهبت فأُشِيرَ لِى إلى رجل حسن الوجه بين يديه مَرٌّ وزَبِيل . فقلت : تعمل لى ؟ قال : نعم بدرهم ودانق . فقلت : قم فقام فعمل لى عملاً بدرهم ودانق (ودرهم ودانق ودرهم ودانق(٢))

قال : ثم أتيت يوماً آخر فسألت عنه فقيل لى : ذلك رجل لا يُرى فى الجمعة إلا يوماً واحد ، يوم كذا . قال : فجئت ذلك اليوم فقلت : تعمل لِى ؟ قال : نعم بدرهم ودانق . فقلت أنا : بدرهم . فقال : بدرهم ودانق . فقلت: قم . ولم يكن بى الدانق(٣) ولكن أحببت أن أستعلم ما عنده

---

(١) يرم : يصلح . (٢) ليس فى قط .

(٣) أى لم يكن يهمنى . ط : « لى » بدل « بى » . تحريف

فلما كان المساء وزنت درهماً فقال لى : ما هذا ؟ قلت : درهم . قال : ألم أقل لك درهم ودانق ؟ أفٍّ لقد أفسدتَ على . فقلت : وأنا ألم أقل لك بدرهم ؟ فقال : لست آخذ منه شيئاً . قال : فوزنت درهماً ودانقاً ، فقلت : خذ فأبى أن يأخذه وقال : سبحان الله أقول لا آخذه وتلّح على ؟ فأبى أن يأخذه ومضى .

قال : فأقبلَ علىّ أهلى وقالت : فعلَ الله بك ، ما أردت إلى رجل عمل لك عملاً بدرهم أن أفسدتَ عليه ؟ قال فجئت يوماً أسأل عنه فقيل لى مريض . فاستدللت على بيته فأتيته فاستأذنت عليه فدخلت وهو مبطون ، وليس فى بيته شىء إلا ذلك المرّ والزّبيل : فسلمت عليه ، وقلت له: لى إليك حاجة ، وتعرف فضل إدخال السرور على المؤمن : أُحِبُّ أن تجىء إلى بيتى أمرّضك . قال . وتحب ذلك ؟قلت : نعم قال : بشرائط ثلاث . قلت : نعم . قال : لاتعرض على طعاماً حتى أسألك ، وإذا أنا متّ أن تدفننى فى كسائى وجبّتى هذه. قلت: نعم. قال : والثالثة أشدّ منهما وهى شديدة . قلت : وإن كان

قال : فحملته إلى منزلى عند الظهر . فلما أصبحت من الغد نادانى : يا عبدالله . فقلت : ماشأنك ؟ قال : قد احتُضرت، افتح صرةً على كمّ جبتى . قال : ففتحتها فإذا فيها خاتم عليه فَصّ أحمر . فقال : إذا أنا متّ ودفنْتَنى فخذ هذا الخاتم ثم ادفعه إلى هارون أمير المؤمنين وقل له

يقول لك صاحب هذا الخاتم : ويحك لا تموتنّ على سكرتك هذه ، فإنك إنْ متّ على سكرتك هذه ندمْتَ .

فلما دفنته ، سألت عن يوم خروج هارون أمير المؤمنين وكتبت قِصّة[١] وتعرّضت له . قال : فدفعتها إليه وأوذيت أذىً شديداً فلما دخل قصره وقرأ القِصّة قال : عليّ بصاحب هذه القصة . قالَ : فأُدخلت عليه وهو مغضَب قال : تتعرّضونَ لنا وتفعلون ؟ فلما رأيت غضبه أخرجت الخاتم فلما نظر إلى الخاتم قال : من أين لك هذا الخاتم ؟ قلت : دفعه إليّ رجل طيّان . فقال لى : طيّان طيّان . وقرّبنى منه . فقلت له يا أمير المؤمنين إنه أوصانى بوصية . فقال لى : ويحك قل . فقلت : يا أمير المؤمنين إنه أوصانى إذا أوصلت إليك هذا الخاتم فقل[٢] له : يقرئك صاحب هذا الخاتم السلام ويقول لك : ويحك لا تموتنّ على سكرتك هذه فإنك إن متّ على سكرتك هذه ندمْت .

فقام على رجليه قائماً وضرب بنفسه على البساط وجعل يتقلب عليه ويقول يا بنىّ نصحت أباك .

---

(١) القصة : القضيه ، الشأن ، الأحدوثة . الأمر الحادث .

(٢) كذا والعبارة فيها ضعف ، وينبغى أن يقول : « إذا أوصلت إليه ... » أو : « إذا أوصلت إليك هذا الخاتم أن أقول لك » .

فقلت فى نفسى : كأنه ابنه . ثم جلس وجاؤوا بالماء فمسحوا وجهه وقال لى : كيف عرفَته ؟ فقصصْت عليه قصّته . قال : فبكى وقال : هذا أول مولودٍ وُلد لى ، وكان أبى المهدى ذكر إلى زبيدة أن يزوّجنى فبصرتُ بهذه المرأة فوقعْت فى قلبى وكانت حسنةً فتزوّجت بها سرّاً من أبى ، فأولدتّها هذا المولود وأحدَرْتُها إلى البصرة وأعطيتّها هذا الخاتم وأشياء وقلت : اكتمى نفسك ، فاذا بلغك أنّى قد قعدتُ للخلافه فأتينى . فلما قعدت للخلافة[1] سألت عنهما[2] فذُكر لى أنهما ماتا ، ولم أعلم أنه باقٍ . فأين دفنتَه ؟ قلت : يا أمير المؤمنين دفنتُه فى مقابر عبد الله بن مالك . قال : لى إليك حاجة : إذا كان بعد المغرب فقف لى بالباب حتى أخرج[3] إليك فأخرج متنكّراً إلى قبره .

فوقفت له فخرج متنكّراً والخدَم حوله ووضع يده بيدى وصاح بالخدم فتنحّوا وجئت به إلى قبره فمازال ليلتَه يبكى إلى أن أصبح . ويُدير رأسه ولحيته على قبره يقول : يابنىّ لقد نصحت أباك .

قال : فجعلت أبكى لبكائه رحمةً مني له . ثم سمع كلاماً فقال: كأنى أسمع كلام الناس . قلت : أجل أصبحتَ يا أمير المؤمنين ، قد طلع

---

(١) ق : فى الخلافه .

(٢) ط : عنها ، تحريف .

(٣) قط : أنزل .

الفجر . فقال لى : قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم ، وا كتُبْ عيالك مع عيالى ، مع من تهتمّ به ، فان لك علىّ حقـاً بدفنك ولدى ، وإن أنا متّ أوصيتُ مَن يلى بعدى أن يُجرى عليك، مابقىَ لك عقِب

ثم أخذ بيدى حتى إذا بلغ قريباً من القصر ويدُه بيدى إذا الخدم. فلما صاروا إلى القصر قال لى : انظر ما وصّيتك به : إذا طلعت الشمس قِف لى حتى أنظر إليك وأدعو بك فتحدّثنى حديثه . قلت : إن شاء الله . فلم أعد إليه .

قلت : وقد رُويت لنا قصته من طريق آخر ، وفيها نوع مخالفة لهذه:

عن أبى بكر بن أبى الطيّب قال : بلغنا عن عبد الله بن الفرج العابد قال : احتجتُ إلى صانع يصنع لى شيئاً من أمر الروزجاريين(١) فأتيت السوق فجعلتُ أرمق الصنّاع فإذا فى أواخرهم شابّ مصفرّ بين يديه زَبيل كبير ومَرٌّ ، وعليه جبّة صوف ومِئْزر صوف . فقلت له : تعمل ؟ قال : نعم . قلت : بكم ؟ قال : بدرهم ودانق . قلت له : قم حتى تعمل . قال : على شريطة . قلت : ماهى ؟ قال : إذا كان وقت الظهر وأذّن المؤذن خرجت وتطهّرت وصلّيت فى المسجد جماعةً ثم رجعت، فإذا كان وقت العصر فكذلك . قلت : نعم . فقام معى فجئنا المنزل،

---

(١) كذا فى النسخ ، ولم نهتد إلى المراد منها ، على كثرة البحث .

فوافقته على ما ينقله من موضع إلى موضع فشدّ وسطه وجعل يعمَل ولا يكلمني بشيء .

حتى إذا أذّن المؤذن للظهر[1] قال : يا عبد الله قد أذّن المؤذّن . قلت . شأنَك . فخرج فصلّى فلما رجَع عمل أيضا عملاً جيّداً إلى العصر . فلما أذّن المؤذن قال : يا عبد الله قد أذّن المؤذن . قلت : شأنَك فخرج فصلّى . ثم رجع فلم يزل يعمل إلى آخر النهار فوزنت له أجرته وانصرف .

فلما كان بعد أيام احتجْت[2] إلى عمل فقالت لى زوجتى : اطلب لنا ذلك الصانع[3] الشاب فانه قد نصحَنا فى عملنا فجئت السوق فلم أره. فسألت عنه فقالوا : تسأل عن ذلك المصفّرِ المشؤوم الذى لا نَراه[4] إلاّ من سَبْت إلى سَبْت ؟ لا يجلس إلا وحدَه فى آخر الناس . فانصرفت.

فلما كان يوم السبت أتيت السوق فصادفته فقلت : تعمل؟ فقال: قد عرفتَ الأجرة والشّرط . قلت : إستخِر الله تعالى . فقام فعمل على النحو الذى كان عمل . قال : فلما وزنتُ له الأجرة زدتُه فأبى أن يأخذ

---

(١) صف : مؤذن الظهر .

(٢) ق ، قط : احتجنا

(٣) صف : الصالح

(٤) صف : لا تراه .

الزيادة . فألححتُ عليه فضجِر وتركني ومضى . فغمّني ذلك فاتبعته وداريته حتى أخذ أجرته فقط .

فلما كان بعد مدة احتجْنا أيضاً إليه فمضيت في يوم السبت فلم أصادفه . فسألت عنه فقيل لي : هو عليل وقال لي من كان يَخْبرُ أمره : إنما كان إلى السوق من سَبت إلى سَبت ، يعمل بدرهم ودانق ، يتقوَّت كل يومٍ دانقاً ، وقد مرض .

فسألت عن منزله فأتيته وهو في بيت عجوز فقلت لها : هذا الشاب الروزجاري . فقالت: هو عليل منذ أيام . فدخلت عليه فوجَدتُه[1] ، لِما به ، وتحتَ رأسه لبنة . فسلمت عليه وقلت: لك حاجة ؟ قال نعم : إن قبلت . قلت : أقْبَلُ إن شاء الله [تعالى] . قال : إذا أنا متّ فَبِعْ هذا المَرّ واغسل جبّتي هذه الصوفَ ، وهذا المئزر ، وكفنّي بهما وافتقْ جيبَ الجبّة فإن فيها خاتماً فخذه ، ثم انظر يوم يركب هارون الرشيد الخليفة فقِف له في موضع يَراك فكلّمْهُ وأرِهِ الخاتم فانه سيدعو بك فسلّم إليه الخاتم ولا يكن هذا إلا بعد دفني . قلت : نعم .

فلما مات فعلت ما أمرني ، ثم نظرت اليوم الذي يركب فيه الرشيد فجلست له على الطريق فلما مرّ ناديته : يا أمير المؤمنين لك عندي وديعة ولوّحت بالخاتم فأمر بي فأخذت وحُملت حتى دخَل

(١) وجدته : حزنت عليه .

إلى داره ثم دعا بي ونحّى جميعَ مَن عنده وقال : مَن أنت ؟ فقلت : عبد الله بن الفرج . فقال: هذا الخاتم من أين لك؟ فحدثّته قصة الشاب. فجعل يبكي حتى رَحِمتُه .

فلما أنِس إلي[1] قلت : يا أمير المؤمنين من هو منك؟ قال: ابني. قلت : كيف سار إلى هذه الحال ؟ قال :وُلد لي قبل أن أُبتلَى بالخلافة فنشأَ نُشوءاً حسناً وتعلّم القرآن والعلْم . فلما وليتُ الخلافة تركني ولم ينلْ من دنيايَ شيئاً . فدفعتُ إلى أمّه هذا الخاتمَ وهو ياقوت ويساوي مالاً كثيراً فدفعته إليها وقلت لها: تدفعين هذا إليه ، وكان بَرّاً بأمّه ، وتسأليه[2] أن يكون معه فلعله أن يحتاج إليه يوماً من الأيام فينتفِع به . وتوفّيت أمه فما عرفتُ له خبراً إلا ما أخبرْتَني به أنت . ثم قال لي : إذا كان الليل فاخرُجْ معي إلى قبره .

فلما كان الليل خرج وحده معي يمشي حتى أتينا قبرَه فجلس إليه فبكى بكاءً شديداً . فلما طلع الفجر قمنا فرجع فقال لي : تَعاهَدْني في الأيام حتى أزورَ قبرهَ . فكنت أتعاهَدُه بالليل فيخرج حتى يزور قبره ثم يرجع .

قال عبد الله بن الفَرَج : ولم أعلم أنه ابن الرشيد حتى أخبرني الرشيد أنه ابنه ، أو كما قال ابن أبي الطيب .

---

(١) قط : أنست إليه .

(٢) ق : « باراً بأمه وسألته » .

قلت : هذا طريق حسن والطريق الذى قبله أصحّ لأنه متصل ورواتُه ثِقات . وقد زاد القُصّاص فى حديث السبْتى وأبدؤوا وأعادوا وذكَروا أن هذا الرجل[1] : كان من زبيدة وأنه خرج يتصيّد فوعظه صالح المرّى فوقع فرَسه — فى أشياءَ كلُّها مُحال . فاقتصرنا على ماصح. والله الموفق .

٢٥٨ - عبد الله بن مرزوق أبو محمد

زعم أبو عبد الرحمن السُلَمى أنه كان وزير هارون الرشيد ، فخرج من ذلك وتخلّى من ماله وتزهّد .

عن موسى بن أبى داود قال : استأذنتُ على عبد الله بن مرزوق ، فدخلت عليه فاذا هو قاعد كأن حزن الخَلْق عليه .

وعن الصّلت بن حكيم قال : كان عبد الله بن مرزوق كأنه رجل والهٌ ، كأنه رجل قد فاته شىْء ، وكانت له شَعرات[2] طِوالٌ عند صُدْغَيْه . فكان إذا ذكّر فرق نتفها أو مدّها ففاض[3] دمعه .

وعن سلامة : وصّى عبدالله بن مرزوق ؟ قال : قال عبدالله بن مرزوق فى مرضه : يا سلامة إن لى إليك حاجة . قال: قلت : ماهى؟ قال: تحملنى فتطرحني على تلك المزبلة لعلى أموت عليها فيرَى مكانى فيرحمنى، رحمه الله.

---

(١) صف : ذكر هذا الرجل . (٢) قط : شعيرات .

(٣) ط : فقلص ، تحريف . وربما كان من قولهم : قلص الرجل : وثب .

٢٥٩ – عبد الله بن الفرج

أبو محمد القنطرى. كان متعبّداً ، وكان بشْر بن الحارث يودّه ويزوره. وقد حَكى عن فتح الموصلى وغيره حكايات .

عن ابراهيم بن سهل قال : قال عبد الله بن الفرج : سلوا الله عفواً جميلاً. قال : فقلنا : يا أبا محمد أىّ شىء العفوُ الجميل؟ قال : أن يأمر بك من الموقف إلى الجنة ، يعنى لا يفتّشك .

وعن صاعد قال : لما مات عبد الله بن الفرج حضرتُ جنازته فلما واريتُه رأيته فى الليل ، فى النوم ، جالساً على شفير قبره معه صحيفة ينظر فيها . فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى ولكل من شيّع جنازتى. قال قلت: أنا كنت معهم. قال: هوذا اسمك فى الصحيفة. والسلام.

٢٦٠ – معروف بن الفيرزان الكرخى

يكنى أبا محفوظ . وهو منسوب إلى كَرْخ بغداد .

عن أبى صالح عبد الله بن صالح قال : كان أبو محفوظ معروف قد ناداه الله عز وجل بالاجتباء فى حال الصّبا ، يذكر أن أخاه عيسى قال : كنت أنا وأخى معروف فى الكتّاب وكنا نصارى ، وكان المعلّم يعلم الصبيان (أب ، وابن) فيصيح أخى معروف : أحد أحد . فيضربه المعلّم على ذلك ضرباً شديداً . حتى ضربه يوماً ضرْباً عظيما فهرب على وجهه .

فكانت أميّ تبكي وتقول : لئن ردّ الله عليّ ابني معروفاً لأتبعنّه على أي دين كان .

فقدم عليها معروف بعد سنين كثيرة فقالت له : يا بنيّ على أيّ دين أنت ؟ قال : على دين الإسلام[1]. قالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فأسلمتْ أميّ وأسلمنا كلّنا .

وعن ابن اخت معروف قال : قلت لخالي معروف : ياخال أراك تجيب كل من دعاك . قال : يا بنيّ إنما خالك ضيف ينزل حيث يُنزل .

وعن السّريّ بن سفيان[2] الأنصاري قال: أقام معروف الصلاة ثم قال لمحمد بن أبي توبة : تقدّم فصلّ بنا . وذلك أن معروفاً كان لا يؤمّ إنما يؤذّن ويقيم ويقدّم غيره . قال محمّد بن أبي توبة : إن صلّيت بكم هذه الصلاة لم أصلّ بكم صلاةً أخرى. قال معروف : وأنت تحدّث نفسك أن تصلّي صلاةً أخرى ؟ نعوذ بالله من طول الأمل ، طولُ الأمل يمنع خيرَ العمل .

قال محمد بن منصور الطوسي : كنا عند معروف الكرخي وجاءت امرة سائلة فقالت: أعطوني شيئاً أفطر عليه فإني صائمة. فدعاها معروف وقال لها : يا أختي سُر الله أفشيتِه وتأملين أن تعيشي إلى الليل ؟

وعن يحيي بن جعفر قال : رأيت معروفاً الكرْخي يؤذّن .

---

(١) وكان قد اسلم على يد علي بن موسى الرضا، كما في طبقات الصوفية للسلمي.
(٢) ق ، قط : يوسف .

فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله رأيت شعر لحيته وصُدغيه قائماً كأنه زَرْع .

وعن عيسى ، أخي معروف ، قال : دخل رجل على معروف فى مرضه الذى مات فيه ، فقال : يا أبا محفوظ أخبرنى عن صومك . قال : كان عيسى عليه السلام يصوم كذا . قال: أخبرنى عن صومك . قال : كان داود عليه السلام يصوم كذا . قال : أخبرنى عن صومك . قال : كان النبي ﷺ يصوم كذا . قال : أخبرنى عن صومك . قال : أما أنا فكنت أصبح دهرى كلَّه صائماً فإن دعيت إلى الطعام أكلت ولم أقل إنى صائم .

وعن أحمد بن عبد الله بن ميمون قال : كان معروف[1] الكرخى يضرب نفسه ويقول : يانفس كم تبكين ؟ أخلِصى وتخلَّصى .

وعن عمرو[2] بن موسى قال : سمعت معروفاً يقول، وعنده رجل يذكر رجلا فجعل يغتابه ، فجعل معروف يقول له : اذكر القُطْن إذا وضعوه على عينيك ، اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك .

وقال سَرِيّ : سألت معروفا عن الطائعين لله بأى شيء قدَروه على الطاعة لله عز وجل ؟ قال : بخروج الدنيا من قلوبهم ، ولو كانت فى قلوبهم ما صحَّت لهم سجدة

---

(١) قط : المعروف .   (٢) ق ، قط : عمر .

وعن القاسم بن نصر قال: جاء قوم إلى معروف فأطالوا عنده الجلوس. فقال : أما تريدون أن تقوموا وملَك الشمس ليس يفتر عن سوقه ؟

وعن محمد بن حماد بن المبارك قال: قال رجل لمعروف: أوصِنى . قال : توكل على الله حتى يكون جليسَك وأنيسَك وموضع شكواك، وأكثِرْ ذكْر الموت حتى لا يكون لك جليسٌ غيره ، واعلم أن الشفاءَ لِما نزل بك كتمانُه ، وأن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يعطونك ولا يمنعونك .

وعن القاسم بن محمد البغدادى قال : كنت جار معروفٍ الكرخِى فسمعته فى السَحَر ينوح ويبكى وينشد :

أىَّ شىء تريد منى الذنوبُ شُغِفَتْ بى فليس عنّى تَغيبُ

ما يضرّ الذنوبَ لو اعتقَتْني رحمةً لى؟ فقد علانى المشيب

وعن إبراهيم الأطرش قال: كان معروف الكرخى قاعداً على دجلةَ ببغداد اذْ مرّ بنا أحداث فى زورقٍ يضربون الملاهى ويشربون . فقال له أصحابه : أما ترى أن هؤلاء فى هذا الماء يعْصون الله ؟ ادْعُ عليهم . فرفع يده إلى السماء وقال : إلهى وسيّدى، أسألك أن تُفرّحهم فى الجنة كما فرّحتهم فى الدنيا . فقال له أصحابه : إنما قلنا لك ادْع الله عليهم ، لم نقُل لك ادْع الله لهم . فقال : إذا فرّحهم فى الآخرة تابَ عليهم فى الدنيا ولم يضرّكم بشىء .

أبو بكر بن الزيات قال: سمعت ابن شيرويه يقول: كنت أجالس معروفاً الكرخي، فلما كان ذات يوم رأيت وجهه قدْ خلا. فقلت: يا أبا محفوظ بلغني أنك تمشي على الماء. فقال لي: مامشيت قطّ على الماء، ولكن إذا هممت بالعبور يُجمع لي طَرفاها فأتخطّاها.

وعن محمد بن منصور قال: مضيت يوماً إلى معروف الكرخي ثم عدت إليه من غدٍ فرأيت في وجهه أثر شجّة فَهِبْتُ أن أسأله عنها. وكان عنده رجل أجْرأ عليه مني. فقال له: كنا عندك البارحة فلم نَرَ في وجهك هذا الأثر. فقال له معروف: خذْ فيما تنتفع به. فقال له: أسألك بحق الله. فانتفض معروف ثم[1] قال له: وما حاجتك إلى هذا؟ مضيت البارحة إلى بيت الله الحرام، ثم صرت إلى زمزم فشربت منها فزلّت رجلي فنطَح وجهي الباب فهذا الذي ترَى، من ذلك.

وعن خليل الصيادَ - وكفاكَ به - قال: غاب ابني إلى الانبار فوجدتْ أمُّه وجداً شديداً فأتيت معروفاً فقلت له: يا أبا محفوظ ابني قد غاب فوجدتْ أمُّه وجداً شديداً. قال: فما تشاء؟ قلت: تدعو الله أن يردّه عليها. فقال: اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك، وما بينهما لك، فاتِ به. قال خليل: فأتيت باب الشام فإذا ابني قائم منْبهر. فقلت: يا محمد فقال: يا أبة الساعة كُنتُ بالأنبار.

وعن محمد بن صبيح قال: مرّ معروف على سقاء يسقي الماء وهو يقول: رحم الله من شرب فشرب، وكان صائماً، وقال لعل الله أن يستجيب له.

---

(١) ثم: ساقطة من ط.

وعن سَرِىّ قال: هذا الذى أنا فيه من بَركات معروف : انصرفتُ من صلاة العيد فرأيت مع معروف صبياً شَعِثاً فقلت له: من هذا ؟ قال :رأيت الصبيان يلعبون وهذا واقف منكسر فسألته لِمَ لا تلعب ؟ قال : أنا يتيم . قال سَرِىّ . فقلت له : فما ترى أنك تعمل به قال : لعلى أخلو فأجمع له نَوى يشترى به جوزاً يفرح به . فقلت له : أعطنيه أغيّر من حاله . فقال لى : أوتفعل ؟ فقلت : نعم . فقال لى : خذه أغنى الله قلبك . فسويتْ[1] الدنيا عندى أقلّ من كذا .

قال عبد الله بن سعيد الأنصارى : رأيت معروفاً الكرخى فى المنام كأنه تحت العرش ، فيقول الله عز وجل : ملائكتى مَن هذا ؟ فقالت الملائكة : أنت أعلم ، هذا معروف الكرخى ، وقد سكِر من حبّك لايُفيق إلاّ بلقائك .

وقال أحمد بن الفتح : رأيت بِشْر بن الحارث فى منامى وهو قاعد فى بستان ، وبين يديه مائدة وهو يأكل منها فقلت له : يا أبا نصر ما فعل الله بك ؟ قال : غفرلى ورحمنى وأباحَنى الجنة بأسرها وقال لى: كُلْ من جميع ثمارها واشربْ من أنهارها وتمتّع بجميع مافيها كما كنت تَحْرِم نفسك الشهوات فى دار الدنيا . فقلت له :فأين أخوك أحمد بن حنبل ؟ قال : هو قائم على باب الجنّة يشفع لأهل السنة ممن يقول :

---

(١) الأفصح أن يقال : (فساوت) أى عادلت : قال الفراء : « ولم يعرف : يسوى كذا » .

القرآن كلام الله غيرُ مخلوق. فقلت له : فما فعل معروفٌ الكرخيّ ؟ فحرّك رأسه ثم قال لي : هيهات حالت بيننا وبينه الحجُب، إن معروفاً لم يَعبد الله شوقاً إلى جنته ولا خوفاً من ناره ، وإنما عبده شوقاً إليه فرفعه الله إلى الرفيع الأعلى ورفع الحجُب بينه وبينه ، ذاك الترياق المقدّس(١) المجرَّب ، فمن كانت له إلى الله حاجة فليأتِ قبره وليدْعُ فانه يُستجاب له إن شاء الله [تعالى] .

وعن أبي بكر الزجّاج قال: قيل لمعروف الكرخي في علته(٢) : أوْصِ . فقال : إذا متّ فتصدّقوا بقميصي هذا ، فإني أحبّ أن أخرُج من الدنيا عُرياناً كما دخلتُ إليها عُرياناً .

أسنَد معروف عن بكر بن خُنيس وعبدالله بن موسى وابن السماك .

وتوفي سنة مائتين وقبره ظاهر ببغداد يتبرّك به . وكان ابراهيم الحربي يقول : قبر معروف الترياق المجرب .

وانما اقتصرنا هاهنا على اليسير من أخباره لأنا قد جمعنا أخباره ومناقبه في كتابٍ أفردناه لها فمن أراد الزيادة من أخباره فعليه بذلك الكتاب والله الموفق رحمه الله ورضي الله عنه .

---

(١) ط : المقدسي . وكانت كذلك في ط ثم أصلحت كما أثبتناها .

(٢) قط : مرضه .

٢٦١ – بشر بن الحارث الحافى

يكنى أبا نصر ولد فى سنة خمسين ومائة .

عن أيوب العطار قال : قال لى بِشْر بن الحارث الحافى : أحدثك عن بُدُوِّ أمرى ؟ بينا أنا أمشى رأيت قرطاساً على وجه الأرض فيه اسم الله تعالى ، فنزلت إلى النهر فغسلتُه وكنت لا أملك من الدنيا إلا درهماً فيه خمسةُ دوانق . فاشتريت بأربعة دوانيق[1] مسكاً وبدانق ماء وَرْد ، وجعلت أتتبّع اسم الله تعالى وأطيّبه . ثم رجعت إلى منزلى فنمت فأتانى آت فى منامى فقال : يابِشْر كما طيّبت اسمى لأطيّبن اسمك ، وكما طهّرته لأطهرنّ قلبك .

وعن محمد بن بشّار قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : أنا ، لله ، عشتُ[2] إلى زمان إن لم أعمل فيه بالجفاء[3] لم يسلَمْ دينى .

وعن الحسين بن محمد البغدادى قال سمعت أبى يقول : زرت بشر ابن الحارث فقعدت معه مليّاً ، فما زادنى على كلمة قال : ما اتّقى الله من أحَبَّ الشهرة ، وعن أحمد بن نصر قال : كنا قعوداً قدّام بشر بن الحارث نفسيْن . قال : فجاء الثالث فقام فدخل .

---

(١) الدانق : (بكسر النون وفتحها) : سدس الدرهم ، ويجمع على دوانق ودوانيق .

(٢) قط : « عشت أنا لله » . صف : « عشت » . واللام فى (لله) للقسم ، حرف جر .

(٣) ق : بالخفاء .

وعن أحمد بن الفتح قال : سمعت بِشْراً يقول : بعث إلى عاصم بن على بأبى زكريا الصفّار فقال : يا أبا نصر إن أبا الحسن[1] يقرأ عليك السلام ويقول: قد اشتدّ شوقي إليك حتى لقد كدتُ أن آتيك من غير إذْن فعلمتُ كراهيتّك لمجىء الرجال، فإن رأيتَ أن تأذَن لى فآتيك لأسلّم عليك، فلعل الله أن ينفعنى برؤيتك. قال: فقلت له: قد فهمت رسالة الشيخ فأبلِغْه السلام وقل له : لا تأتِنى فإن فى مجيئك إلىّ شهرةً علىّ وعليك .

وعن أبى حفص عمر بن موسى قال : سمعت بشر بن الحارث يقول: لقد شهرَنى ربّى فى الدنيا فليتَه لا يفضَحنى فى القيامة . ما أقبح بمثلى يُظَنُّ فىّ ظَنٌّ وأنا على خلافه ، إنما ينبغى لى أن أكون أكثر ما يُظَنّ بى أنى أكره الموت ومايكره الموت إلّا مُريب، ولولا أنّى مريب لأىّ شىء أكره الموت ؟

وقال أحمد بن الصلت : سمعت بِشْر بن الحارث يقول : غَنيمة المؤمن غفْلة الناس عنه وإخفاء مكانِه عنهم .

أبو بكر محمد بن الفياض قال : سمعت زُريقاً الدلّال يقول : سمعت بشر بن الحارث يقول : اللهم استُر واجعلْ تحت السّتر ما تحبّ ، فربما سترتَ على ما تكره . قال : ثم التفت إلىّ فقال : يا أخى بادِرْ بادِرْ فإن ساعات الليل والنهار تُذهب الأعمار .

---

(١) ق ، قط : الحسين .

وعن محمد بن يوسف الجوهرى قال : سمعت بشر بن الحارث يقولُ يوم ماتت أختُه : إن العبد إذا قصّر فى طاعة الله سلَبه الله مَن يؤنسه .

وعن محمد بن قدامة قال : لقىَ بشرَ بنَ الحارث رجلٌ سكران فجعل يقبّله ويقول : يا سيّدى يا أبا نصر ، ولا يدفعه بشْر عن نفسه . فلما ولّى تغرغرتْ عينا بشْر وقال : رجُلٌ أحبَّ رجلاً على خيرٍ توهّمه ، لعلّ المحبّ قد نجا والمحبوب لا يَدرى ما حالُه .

وقال رجل : رأيت بشْر بن الحارث وقف على أصحاب الفاكهة فجعل ينظر . فقلت : يا أبا نصر لعلك تشتهى من هذا شيئاً ؟ قال : لا ولكن نظرت فى هذا : إذا كان يُطعم هذا مَن يعصيه فكيف مَن يطيعه .

وعن أبى بكر المروزى قال : سمعت بعض القطّانين يقول: أهدَى إلىّ أستاذِى رُطَباً وكان بشْر يقَيل فى دكاننا[1] فى الصيف . فقال له أستاذى : يا أبا نصر هذا من وجهٍ طيّب فان رأيت أن تأكل . قال: فجعل يمسّه بيده ثم ضرب بيده إلى لحيته وقال : ينبغى أن أستحْيِي[2] من الله ، إنى عند الناس تاركٌ لهذا وآكله فى السر ؟

---

(١) ط : «أهدى إلى أستاذ لى رطب وكان بشر يقيل فى دكاننا» .

(٢) ق : يستحيي .

وعنه قال : سمعت أباحفص ابن أخت بشر قال: سمعت بِشْراً يقول: ماشبعتُ منذ خمسين سنة .

وعنه قال سمعت قرابةَ بِشْرِ الحافى[١] يقول : قدِم بشر بن عَبّادان ليلاً أو قال : من سفرٍ وهو متّزرٌ بحصير .

عن يحيى بن عثمان قال : كان لبشر بن الحارث فى كل يومٍ رغيف قال : وقال لى بِشْر : كان لى سِنّور فكنت إذا وضعتُ طعامى بين يدىّ جاءت فعيناها فى عينى فآكل وأرمي لها . قال : فقلت : إليكِ عنى تأكُلين قُوتى .

وعن أبى بكر بن عثمان[٢] قال : سمعت بِشْر بن الحارث يقول : إنى لأشتهى شِواءً منذ أربعين سنة ما صَفالِى درهمه .

وعن أبى عمران الورْكانى قال تخرّق إزارُ بِشْر ، فقالت له أُخته : يا أُخى قد تخرّق إزارك وهذا البَرد فلو جئتَ بقُطْن حتى أغزل لك . قال : فكان يجىء بالإستاريْن[٣] والثلاثة . قال : فقالت له : يا أخى إن الغَزْل قد اجتمع أفلا تسلّم إزارك ؟ قال : فقال لها : هاتيه . قال :

---

(١) ق : بشر بن الحارث .

(٢) ق ، قط : عفان .

(٣) الإستار (فى الوزن) : أربعة مثاقيل ونصف .

فأخرجتْه إلى فوزنه فأخرج ألواحَهُ وجعل يَحسب الأساتير فلما رآها قد زادتْ فيه قال لها : كما افسدْتِه فخُذيه .

وعن الحسن بن عمرو بن الجهم قال : سمعت أبا نصر التمّار يوم مات بشْر يقول : لولا أنّ بشْراً قد مات ماحدّثتكم بهذا :

أتانى ليلةً فقلت : يا أبا نصر الحمد لله الذى جاء بك ، جاءنا قُطن من خراسان فغَزَلَتْه الابنة[1] وباعتْه لفلان واشترتْ به لحماً[2] وأشياء على أن أفطر عليه . فالحمد لله الذى جاء بك . فقال : يا أبا نصر لا تُكثر علىّ فلو أكلتُ عند أحدٍ من أهل الدنيا أكلتُ عنــدك . ثم قال : إنى لأشتهى الباذنجان منذ ثلاثين عاماً . قلت : فإنّ فيها باذنجاناً[3] . فقال : حتى تَصفو لي حبة الباذنجان من أين هىَ ؟ .

وعن ابراهيم بن هاشم قال : سمعت بشْر بن الحارث يقول : إنى لأشتهى شِواء ورُقاقاً[4] منذ خمسين سنةً ما صَفَا لى درهمُه .

الفتح بن شحرف قال : قال عمر ابن أخت بشر : سمعت خالِى بشْراً يقول لأمّى: جَوْفى وَجعٌ وخَواصرى تضرب علىّ .فقالت له أمى:

( ) ق : البنت .

(٢) ط : فاشتريت به لنا لحماً

(٣) فى النسخ : باذنجان .

(٤) الرقاق : الخبز المنبسط الرقيق .

ائذنْ لى حتى أصْلح لك قلبلَ حَسا[1] بكفٍّ دقيقٍ عندى تتحسّاه[2] يَرُمّ جوفَك . فقال لها : ويحك أخاف أن يقول من أين لك هذا الدقيق فلا أدرِى أىَّ شيء أقول له ؟ فبكت أمّى و بكى معها وبكيت معهم .

قال عمر : ورأت أمّى ليلةً مابهِ من شدة الجوع وجعل يتنفّس تنفساً ضعيفاً ، فقالت له أمى : يا أخى ليت أمك لم تلدْنى فقد والله تقطّع كبدى مما أرى بك . فسمعته يقول لها : وأنا فليتَ أمّكِ لم تلدْنى وإذْ قد ولدتْني لم يَدِرّ لها ثدْىٌ علّى .

قال عمر : وكانت أمّى تبكى عليه اللَيل والنهار .

عبد الله بن خبيق قال : رجل لبشر : مالى أراك مغموماً ؟ قال . مالى لا أكون مغموماً وأنا رجل مطلوب .

وعن أبى الحسن أحمد بن محمد الزعفرانى قال : سمعت أبى يحكى عن بشْر أنه قال : ربما رفعتُ يدى فى الدّعاء فأردّها أو قال : فأستلّها .

أقول : إنما يفعل هذا من له عنده وجه .

وعن الفتح بن شحرف قال : كنت جالساً عند بشْر إذ جاءه رجل فسأله عن مسألةٍ ، فأطرق ملياً ثم رفع رأسه ثم أطرق ثم رفع رأسه ، فقال : اللهم

---

(١) الحسا (بفتح الحاء مقصوراً) : طعام يعمل من الدقيق والماء . ويمد فيقال : الحساء .

(٢) ط : « لتحساه » تحريف. يقال : حسا المرق وتحساه : شربه شيئاً بعد شيء .

إنك تعلم أنى أخاف أن أتكلم ، اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن أسكت ، اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن تأخذنى فيما بين السكوت والكلام .

وعن زبدة أخت بشر بن الحارث قالت: دخل بشر علىّ ليلةً من الليالى فوضع إحدى رجليه داخل الدار والأخرى خارج الدار ، وبقىَ كذلك يتفكر حتى أصبح فلما أصبح قلت له : فى ماذا تفكَّرت طول الليلة ؟ قال : تفكرت فى بشْر النصرانى، وبشْر اليهودى ، وبشر المجوسى، ونفسى واسمى بشْر . فقلت : ما الذى سَبق منك حتى خصّك ؟ فتفكرّتُ فى تفضّله علىّ وحمدتُه علي أن جعلني من خاصّته وألبسنى لباسَ أحبائه .

وعن أحمد بن نصر قال: سمعت بشراً يقول: يا مازنى ليت لا يكون حظّى من الله هذا الذى يقول الناس بشْر بشْر — ورأيت أشفار عينيه قد ذهبت من البكاء . وعن الحسن بن عَمرو قال: سمعت بشر بن الحارث يقول : لو علمت أن رضاه أن أشدَّ فى رجْلى حجراً ثم ألقِي نفسى فى البحر ، لفعلتُ .

وعن عباس بن دُهقان قال: قلت لبشر بن الحارث : أحب أن أخلو معك . قال: إذا شئتَ ، فبكرتُ يوماً فرأيته قد دخل قبةً فصلّى فيها أربع ركعات لا أحسن أن أصلى مثلها. فسمعته يقول فى سجوده: اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذلّ أحب إلى من الشرف ، اللهم إنك تعلم

فوق عرشك أن الفقر أحبّ إلىّ من الغنى ، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أنى لا أوثر على حبّك شيئاً . فلما سمعته أخذنى الشهيق والبكاء . فلما سمعنى قال : اللهم إنك تعلم أنى لو أعلم أن هذا ههنا لم أتكلّم .

وقال أحمد بن حنبل : والله إن بين أظهُرِكم رجلاً ماهو عندى بدون عامر بن عبدالله ، يعنى بشر بن الحارث .

وعن أحمد بن عبدالله بن خالد قال : سئل أحمد بن حنبل عن مسألةٍ فى الورَع . فقال : أنا ؟ أستغفر الله لا يحلّ لى أن أتكلّم فى مسألةٍ فى الورَع ، أنا آكل من غلّة بغداد .

لو كان بشر بن الحارث صلَح أن يجيبك عنه ، فإنه كان لا يأكل من غلّة بغداد ولا من طعام السَّواد ، يصلح أن يتكلّم فى الورع .

وعن أبى بكر أحمد بن عبدالرحمن المروزى قال : سمعت بشراً يقول : إن الجوع يُصفّي الفؤاد ويورث العلم الدقيق . وسمعت بشراً يقول : طوبى لمن ترك شهوةً حاضرةً لموعدِ غَيْب لم يَره .

وعن أحمد بن الصلت قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : حادثوا الآمال بقُرْب الآجال .

وعن أبى بكر الباقلاّوى قال : سمعت أبى يقول : سمعت بشر بن الحارث ونحن معه بباب حرب ، وأراد الدخول إلى المقبرة فقال : الموتى داخل السور أكثر منهم خارجَ السور .

وعن أحمد بن الصلت قال سمعت بشر بن الحارث يقول : ليس من المودة أن تحبّ ما يُبغِض حبيبُك .

وعن عمرو[١] بن موسى بن فيروز قال : رأيت بشراً ومعه رجل فتقدم إلى بئر ليشرب منها . فجذبه بشر وقال: تشرب من البئر الأخرى. حتى جاوز ثلاثة آبار . فقال له الرجلُ : أبا نصرٍ أنا عطشان . فقال له بشر : اسكت فهكذا ندْفع الدّنيا .

وعن ابراهيم الحربى قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : بحسبك أن أقواما موتَى تحيا القلوبُ بذكرهم وأن أقواماً أحياء تعمَى الأبصار بالنظر إليهم .

وعن عمرو[١] بن موسى الأحول قال سمعت بشراً يقول : يكون الرجل مرائيا فى حياته ، مرائيا بعد موته . قيل : كيف يكون مرائياً بعد موته ؟ قال يحب أن يكثر الناس على جنازته .

وعن الحسن بن عمرو قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : الصدقة أفضل من الحجّ والعمرةِ والجهادِ. ثم قال : ذاك يَركب ويَرجع ويَراه الناس ، وهذا يعطى سراً لا يَراه إلا الله عز وجل .

وسمعت بشراً يقول: ما أقبح أن يُطلب العالِمُ فيقال: هو بباب الأمير

---

(١) ق . قط : عمر .

وعن أبي عبدالله الأسدى قال : قال لى بشرٌ الحافى يوماً :

قطعُ الليالى مع الأيام فى خلقٍ والنومُ تحت رُواق الهَمّ والقلقِ
أحرى وأعذرلى من أن يقال غداً إنى التمستُ الغنى من كفّ مختلقِ [1]
قالوا : قنعتَ [2] بذا، قلت: القُنوعُ غنىً ليس الغنى كثرةَ الأموالِ والورقِ
رضيتُ بالله فى عُسرى وفى يسُرى فلست أسلكُ إلا أوْضحَ الطُرقِ

رحل بشْر بن الحارث رضى الله عنه فى طلب العلْم إلى مكة والكوفة والبصرة ، وسمع من وكيع وعيسى بن يونس وشريك بن عبدالله وأبى معاوية وأبى بكر بن عياش وحفص بن غياث واسمعيل بن علية وحماد ابن زيد ومالك بن أنس وأبى يوسف القاضى وابن المبارك وهشيم والمعافى ابن عمران والفضيل بن عياض وأبى نعيم فى خلق كثير .

غير أنّه لم يتصدّ للرواية فلم يُضبط عنه من الحديث إلا اليسير .

وقد ذكرنا ماوقع إلينا من حديثه وأخباره فى كتاب أفردناه لمناقبه وأخباره فلذلك اقتصرنا ههنا على ماذكرنا .

وتوفى رضى الله عنه عشية الأربعاء لعشرٍ بقين من ربيع الأول ، وقيل لعشرٍ خلَوْن من المحرّم، سنة سبع وعشرين ومائتين ، وقد بلغ من العمر خمساً وسبعين سنة ، وقيل سبعاً وسبعين .

---

(١) ق : مخترق .

(٢) ق ، قط : رضيت

عن يحيي بن عبد الحميد الحمانى، قال : رأيت أبا نصر التمار وعلى بن المدينى فى جنازة بشر بن الحارث يَصيحان : هذا والله شَرفُ الدنيا قبل شَرف الآخرة . وذلك أن بشراً خرجت جنازته بعد صلاة الصبح ولم يُحمل فى القبر إلا فى الليل ، وكان نهاراً صائفاً ولم يستقرّ فى القبر إلى العَتمة .

وعن الكندى قال رأيت بشر بن الحارث فى النوم فقلت له : مافعل الله بك ؟ فقال : غفر لى وأقعدنى على طيّارٍ (١) من لؤلؤة بيضاء وقال لى : سِرْ فى مُلْكى .

وعن الحسن بن مروان قال: رأيت بشر بن الحارث فى المنام فقلت: يا أبا نصر ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى وغفر لكل من تبع جنازتى . قال : قلت : ففيم العمل ؟ قال : افتقد الكِسْرة .

وقال ابن خزيمة : لما مات أحمد بن حنبل بتّ من ليلتى فرأيته فى النوم فقلت له : مافعل الله بك ؟ قال غفر لى وتوّجنى وألبسنى نعليْن من ذهب ، وقال لى : يا أحمد هذا بقولك : القُرآن كلامى . قلت : فما فعل بشْر فقال لى : بَخٍ بَخٍ ، مَن مثْل بشر ؟ تركته بين يدى الجليل وبين يديه مائدة من الطعام والجليل مقْبِل عليه وهو يقول له: كُلْ يا مَن لم

---

(١) الطيار : الفرس الحديد الفؤاد الماضى . ط : « فى طيارة » تحريف .

يأكل ، واشربْ يا مَن لم يشرب ،، وانعَم يامنْ لم ينعَم رحمه الله ورضى عنه .

٢٦٢ — أحمد بن محمد بن حنبل
أبو عبد الله الشيبانى

جىء به من مَرْ وَ حَمْلاً فولد فى ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة.

فأما نسبه فأخبرنا أبو منصور القزّاز قال : أنبأ أبو بكر بن ثابت ، قال : أنبأ أحمد بن عبد الله الحافظ : أنبأ أحمد بن جعفر بن حمدان قال : أنبأ عبدالله بن أحمد ، ثنا أبى أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ابن إدريس بن عبدالله بن حيان بن عبدالله بن أنس بن عوف بن قاسط ابن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر ابن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان بن أدّ بن أدَد بن الهميسع بن حمل بن النبت ابن قيدار بن اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام .

وعن أبى بكر المروزى قال : قال لى أبو عفيف — وذكر أبا عبدالله أحمد بن حنبل — فقال : كان فى الكتّاب معنا وهو غُلَيّم يُعْرَف فضلُه وَكان الخليفة بالرقّة فيكتب الناسُ إلى مَنازِلهم(١) ، فيبعث نساؤهم

(١) أى أن الناس الذين كانوا مع الخليفة بالرقة يكتبون الرسائل إلى ذويهم .

إلى المعلّم : ابعث إلينا بأحمد بن حنبل . ليكتب لهم جواب كُتبهم . فيبعثه. فكان يجىء إليهم مطأطىء الرأس فيكتب جواب كتبهم فربّما أملَوْا عليه الشئء من المنكر فلا يكتبه لهم .

وعن إدريس بن عبدالكريم قال : قال خلف :جاءنى أحمد بن حنبل يستمع حديث أبى عوانة فاجتهدتُ أن أرفعه فأبى وقال : لاأجلس إلا بين يديك أُمِرنا أن نتواضع لمن نتعلّم منه .

وعن أبى زُرعة قال: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألفَ ألف حديث فقيل له : وما يُدريك ؟ قال : ذاكرتُه فأخذتُ عليه الأبواب .

أبو جعفر بن أحمد بن محمد بن سليمان التُسْتَرىّ[(1)] قال : قيل لأبى زُرعة من رأيت من المشايخ المحدّثين أحفظ ؟ فقال : أحمد بن حنبل ، حُزِرت كُتبه اليومَ الذى مات فيه فبلغت اثنى عشر حِمْلا ، وعِدْلاً[(2)] ، ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ، ولا فى بطنه حديث فلان ، وكل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبه[(3)] .

وعن ابراهيم الحربى قال : رأيت أحمد بن حنبل كأن الله قد جَمع له علم الأوّلين والآخرين من كل صنف ، يقول ما شاء ويُمسك ما شاء .

(١) ط : السرى .

(٢) العدل : نصف الحمل . ويطلق أيضاً على الغرارة أى الجوالق . ط : « وعدل » خطأ .

(٣) ق : حفظه من ظهر قلبه .

وعن أحمد بن سنان قال : ما رأيت يزيد بن هارون لأحدٍ أشدَّ تعظيماً منه لأحمد بن حنبل ، [ولا رأيته أكرم أحداً كرامتَه[1] لأحمد بن حنبل] : وكان يقعد[2] إلى جنبه إذا حدّثنا وكان يوقّره ولا يمازحه . ومرض أحمد فركب إليه فعاده .

قال المصنف رحمه الله : قلت : كانت مخايل النّجابة تظهر من أحمد رضى الله عنه من زمان الصِّبا ، وكان حفْظه للعلم من ذلك الزمان غزيراً وعمله[3] به متوفراً . فلذلك كان مشايخه يعظّمونه ، فكان اسمعيل ابن عُليّة يقدّمه وقت الصلاة يصلّى بهم . وضحك أصحابه يوماً فقال: أتضحكون وعندى أحمد بن حنبل ؟

وقال عبد الرزاق : ما رأيت أفقَه ولا أورَعَ من أحمد بن حنبل .

وقال وكيع وحفص بن غياث: ماقدم الكوفةَ مثْلُ أحمد بن حنبل .

وقال أبو الوليد الطّيالسى : ما بالمصْرَيْن أحد أحبّ إلىّ من أحمد بن حنبل .

وكان ابن مهدى يقول : ما نظرت إليه إلاّ ذكرت به سفيان الثورىّ ولقد كاد هذا الغلام أن يكون إماماً فى بطن أمّه .

---

(١) قط : إكرامه . وما بين القوسين ساقط من ق .

(٢) ق : يعقده .

(٣) صف : وعلمه .

وقال يحيى بن سعيد : ما قدم عليّ مثْل أحمد بن حنبل .

وقال أبوعاصم النبيل ـ وقد ذُكر طلاب العلم ـ فقال : ما رأينا فى القوم مثلَ أحمد بن حنبل .

وقد ذكرنا هذه الأطراف وأمثالها فى كتاب فضائل الإمام أحمد بأسانيدها ، فكرهنا الإعادة ههنا .

وعن أبى بكر المرْوزى قال : كنت مع أبى عبد الله نحواً من أربعة أشهر بالعسكر لا يدَع قيامَ الليل وقراءة النهار، فما علمت بختمةٍ ختمَها .كان يُسِرُّ ذلك .

وعن أبى عصمة بن عصام البيهقى قال: بتّ ليلةً عند أحمد بن حنبل، فجاء بالماء فوضعه . فلما أصبح نظر فى الماء فاذا هو كما كان : فقال : سبحان الله ، رجل يطلب العلْم لا يكون له ورْد بالليل[1] ؟

وعن أبى داود السجستانى قال : لم يكن أحمد بن حنبل يخوض فى شىْء مما يخوض فيه الناسُ من أمر الدنيا ، فإذا ذكر العلْم تكلم .

وعن أبى عُبيد القاسم بن سلام قال: جالست أبا يوسف ومحمد بن الحسن ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدى فما هِبْتُ أحداً منهم ما هبتُ أحمد بن حنبل ، ولقد دخلت عليه فى السجن لأسلّم عليه فسألنى : رجل عن مسألةٍ فلم أجبه هيبةً له .

(١) ق ، قط : من الليل .

وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميمونى قال : ما أعلم أنى رأيت أحداً أنظف ثوباً ولا أشدّ تعاهُداً لنفسه فى شاربه وشَعر رأسه وشَعر بدَنه، ولا أنقى ثوباً وأشدَّه بياضاً من أحمد بن حنبل .

وعن على بن المدينى قال : قال لى أحمد بن حنبل : إنى لأحب أن أصحبك إلى مكة وما يمنعنى من ذاك إلا أنى أخاف أن أملّك أو تملّنى . قال : فلما ودّعته قلت : يا أبا عبد الله توصينى بشىء ؟ قال : نعم أَلزمِ التقوى قلبَك، والزَم[1] الآخرة أمامك .

وقال أبو داود السجستانى : كانت مجالسة أحمد بن حنبل مجالسةَ الآخرة، لا يُذكر فيها شىْء من أمر الدنيا . ما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قطّ .

وعن أحمد بن عتبة[2] قال : لما ماتت أم صالح قال أحمد لامرأةٍ عندهم : اذهبى إلى فلانة ابنة عمى فاخطبيها لى من نفسها . قال : فأتتْها فأجابتْه . فلما رجعت إليه قال: كانت أختُها تَسمع كلامكَ قال: وكانت بعين واحدة ـ قالت له : نعم قال: فاذهبى فاخطبى تلك التى بعين واحدة فأتتها فأجابتها وهى أم عبدالله. فأقام معها سبعاً ثم قالت له: كيف رأيت يابن عم أنكرتَ شيئاً ؟ قال : لا إلا أن نعلك هذه تصرّ .

---

(١) ق ، قط : وانصب .

(٢) قط : عنبر ، ق : عبثر .

وعن إبراهيم الحربى قال : كان أحمد بن حنبل يأتى العرْس والخِتان والإملاك ، يُجيب ويأكل .

وعن اسحاق بن راهويه قال : لما خرج أحمد بن حنبل إلى عبد الرزاق انقطعت به النفقة ، فأكرى نفسَه من بعض الجمّالين ، إلى أن وافى صنعاء ، وقد كان أصحابه عرَضوا عليه المواساة فلم يقبل من أحد شيئاً .

وعن الرمادى قال : سمعت عبد الرزاق ـ وذكر أحمد بن حنبل فدمعت عيناه ـ فقال : قدِم وبلغنى أن نفقته نفِدتْ فأخذت عشرة دنانير وأقمته خلف الباب ، وما معى ومعه أحد ، وقلت : إنه لا تجتمع عندنا الدنانير وقد وجدتُ الساعةَ عند النساء عشرة دنانير فخذها فأرجو ألاّ تنفقها حتى يتهيأ عندنا شىء . فتبسم وقال لى : « يا أبا بكر لو قبلتُ شيئاً من الناس قبلتُ منك » . ولمَ يقبل .

وعن صالح بن أحمد[١] قال جاءتنى : حسن فقالت : يا مولاى قد جاء رجل بِتلّيسة فيها فاكهةٌ يابسة[٢] وبهذا الكتاب قالَ صالح : فقمت فقرأت الكتاب فاذا فيه :

يا أبا عبد الله أبضعتُ لك بضاعة إلى سمرقند فوقع فيها كذا

---

(١) هو صالح بن أحمد بن حنبل

(٢) ط . « بتلبسة فيها فاكهة ويابسة » تحريف . والتليسة (بكسر التاء وتشديد اللام) : هنة تسوى من الخوص فتوضع فيها الزجاجة . وتطلق أيضاً على مايشبه الكيس .

وكذا ، ورددتُها فيها كذا وكذا ، وقد بعثتُ بها إليك [وهيَ] أربعة آلاف درهم وفاكهة أنا لقطتها من بستانى ، ورثته عن أبى ، وأبى ورثه عن أبيه .

قال : فجمعت الصبيان فلما دخل[١] دخلنا عليه فبكيت وقلت له : يا أبة أما ترق لى من أكل الزكاة؟ ثم كشفت عن رأس الصبية وبكيت فقال : من أين علمت ؟ دع حتى أستخير الله تعالى الليلة . قال : فلما كان من الغد قال : يا صالح صى[٢] فانى قد استخرتُ الله [تعالى] الليلة فعزم لى ألا آخذها . وفتح التِلّيسة ففرّقها على الصبيان وكان عنده ثوبٌ عُشارى[٣] فبعث به إليه وردّ المال . قال صالح : فبلغنى أن الرجل اتّخذه كفناً .

وعن على بن الجهم قال : كان له جار فأخرج إلينا[٤] كتاباً فقال : أتعرفون هذا الخط ؟ قلنا : هذا خط أحمد بن حنبل ، كيف كتب لك؟ قال : كنا بمكّة مقيمين عند سفيان بن عيينة ففقدْنا أحمد بن حنبل أياماً لم نره ثم جئنا إليه لنسأل عنه فقال لنا أهل الدار التى هو فيها : هو فى ذلك البيت . فجئنا إليه والباب مردود عليه ، وإذا خُلْقان فقلنا له : يا أبا

---

(١) أى أحمد بن حنبل .

(٢) كذا فى المطبوع . وفى ق : صبي . ولم نهتد إلى صوابها .

(٣) ثوب عشارى : طوله عشر أذرع .

(٤) صف : له .

عبد الله ما خَبَرُك ؟ لم نَرك منذ أيام . فقال : سُرقت ثيابى . فقلت له : معى دنانير فإن شئت فخذْ قرْضاً وإن شئت فَصِلَة . فأبى أن يفعل . فقلت : تكتب لى بأجرة ؟ قال : نعم . فأخرجت ديناراً فأبى أن يأخذه وقال اشترِ لى ثوباً واقطَعه بنصفين. فأومأ إلىّ أنه يأتزر بنصف ويرتدى بالنصف الآخر. وقال: جئنى بنفقته[1] ففعلت وجئت بورَق فكتب لى ، وهذا خطّه .

وعن صالح بن أحمد بن حنبل قال : دخلت على أبى فى أيام الواثق والله يعلم فى أىّ حالة نحن وخرج لصلاة العصر ، وكان له جلْد يجلس عليه ، قد أتت عليه سنون كثيرة حتى قد بَلِيَ فإذا تحته كتاب فيه .

بلغنى يا أبا عبد الله ما أنت فيه وعن الضيق وما عليك من الدين ، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدَىْ فلان لتقضى بها دينْك وتوسّع بها على عيالك وما هى من صدقة ولا زكاةٍ ، إنما هو شىْء ورثته من أبى .

فقرأت الكتاب ووضعتُه ، فلما دخل قلت له : يا أبة ما هذا الكتاب ؟ فاحمر وجهه وقال : رفعتُه منك . ثم قال : تذهب بجوابه إلى الرجل . وكتب :

---

(١) ط : بنفسه ، تحريف .

بسم الله الرحمن الرحيم . وصَل(١) كتابك إلىّ ونحن فى عافية فأما الدَّيْن فانه لرجل لا يُرهقنا وأما عيالنا فهم بنعمة الله والحمد لله .

فذهبت بالكتاب إلى الرجل الذى كان أوصل كتاب الرجل فقال : ويحك لو أن أبا عبد الله قِبل هذا الشئْ ورمى مَثلا فى دجلة كان مأجوراً لأن هذا الرجل لا يُعرف له معروف .

فلما كان بعد حين ورّد كتاب الرجل بمثل ذلك فرد عليه الجواب بمثل ما ردّ . فلما مضت سنة أو أقل أو أكثر ذكرناها فقال : لو كنا قبِلناها كانت قد ذهبت .

وعن محمد بن موسى بن حماد الزيدّى(٢) قال : حمل إلى الحسن بن عبد العزيز الحروى من ميراثه من مصر مائة ألف دينار ، فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس فى كل كيس ألف دينار فقال : يا أبا عبد الله هذه ميراثُ حلالٍ فخذْها فاستعِنْ بها على عائلتك . فقال : لا حاجة لى فيها أنا فى كفاية . فرَدَّها ولم يقْبل منها شيئاً .

وعن السّرىّ بن محمد خال ولد صالح قال : جاء أحمد بن صالح يوضّىء أبا عبد الله يوماً وقد بلّ أبو عبد الله خرقةً فألقاها على رأسه. فقال له أحمد بن صالح : ياجدّىِ أنت محموم. قال أبو عبد الله : وأنّى لِي بالُحمّى؟

---

(١) ط : « تذهب بجوابه فكتب إلى الرجل : وصل .. »

(٢) ق ، قط : البربرى .

وعن رحيلة[١] قال : كنت على باب أحمد بن حنبل والباب مُجافٍ ، وأمّ ولده تكلمه وتقول له[٢] : إنّا معك فى ضيقٍ ، منزلُ بيت صالح يأكلون ويفعلون وهو يقول : قُولى خيراً . وخرج الصبىّ معه فبكى فقال له : أىَّ شىءٍ تريد ؟ قال : زبيب[٣] قال : اذهبْ فخُذْ من البقّال حبة .

وعن أبى بكر المروزى قال : سمعت أبا عبدالله يقول : إنما هو طعامٌ دون طعام ولباس دون لباس ، وإنها أيام قلائل . وقال : سمعت أبا عبدالله يقول أسَرُّ أيامى إلىّ يومٌ أصبح وليس عندى شْىء .

وعن صالح بن أحمد قل : ربما رأيت أبى يأخذ الكِسرَ فينفض الغبار عنها ثم يصيّرها فى قصْعة ثم يصب عليها ماء حتى تبتلّ ، ثم يأكلها بالملح ، وما رأيته قطّ اشترى رمّاناً ولا سفرْجلاً ولا شيئاً من الفاكهة ، إلا أن يكون يشترى بطيخة فيأكلها بخبزٍ أو عنباً أو تمراً فأما غير ذلك فما رأيته قطّ اشتراه ، وربما خُبِزَ له فيجعل فى فخّارة عدَساً وشحْماً وتمراتِ شِهريز[٤] ، فيخص الصبيان بقصعة فيصوت ببعضهم

(١) ق ، قط : ابن جبلة .

(٢) قط : نحن .

(٣) كذا والأحسن نصبه على أنه مفعول « أريد » محذوفاً .

(٤) ط : شهريض ، تحريف . و « تمر شهريز » هو نوع من التمر مشهور عندهم و « شهريز » إما مضاف إليه وإما نعت لتمر ويروى بالسين بدل الشين .

فيدفعه إليهم فيضحكون ولا يأكلون. وكان كثيراً ما يأتدم بالخل وكان يُشترى له شحم بدرهم، فكان يأكل منه[١] شهراً. فلما قدِم من عند المتوكل أدْمَن الصَّوم وجعل لا يأكل الدَّسم. فتوهَّمتُ أنه كان جعل على نفسه[٢] إنْ سَلِمَ أنْ يفعلَ ذلك.

وعن النيسابورى صاحب إسحاق بن ابراهيم: قال لى الأمير: إذا جاء إفطاره أرِنِيه. قال فجاؤوا برغيفين[٣] خبز وخيارة. فأريته الأمير فقال: هذا لا يُجيبنا إذا كان هذا يقنعه.

وعن الحسن[٤] بن خلف الصائغ قال: جاءنى المرْوزى فى علّة أبى عبد الله، قال: أبو عبد الله عليل. فذهبت بالمتطبّب فدخلنا عليه. قال: ما حالُك؟ قال: احتجمتُ أمسِ. قال: وما أكلت؟ قال: خبزاً وكامَخاً[٥] قال: يا أبا عبد الله تحتجم، وتأكل خبزاً وكامَخاً؟ قال: فما آكل؟.

---

(١) ق: منها.

(٢) أخذ عليها عهداً.

(٣) كذا فى النسخ بإثبات نون المثنى.

(٤) صف: الحسين.

(٥) الكامخ: إدام يؤتدم به. وخصه بعضهم بالمخللات.

وعن محمد بن الحسن بن هارون قال : رأيت أبا عبد الله إذا مشى فى الطريق يكره أن يتبعه أحد .

وقال المروزى : سمعت أبا عبد الله يقول : الخوف يمنعنى من أكل الطعام والشراب فما أشتهيه .

قال المروزى وبال[١] أبو عبد الله فى مرضه دماً فأريتُه عبدَ الرحمن المتطبّب فقال : هذا رجل قد فتّت الغم والحزن[٢] كبده .

وعن إبراهيم بن شماس قال : كنت أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام يُحيي الليل .

وعن المروزى قال سمعت أبا عبد الله يقول : قد[٣] وجدت البَرْد فى أطرافى ما أراه إلا من إدمانى أكْلَ الخلّ والملْح .

وعن فوران[٤] قال: كنا عند أحمد بن حنبل قبل أن يموت بليلتين، وكان ثَمَّ غلام أسْود لأبى يوسف ، يعنى عمّه ، اشتراه من هذا المال فذهب يروح أحمد فنهاه .

وعن سليمان بن داود الشاذكونى أن أحمد رهن سطلاً عند فامىّ[٥]

---

(١) قط : وقاء .

(٢) ق ، قط : « الغم أو قال : الحزن » .

(٣) ط : وقد ، تحريف .

(٤) ق : قوان ، قط : فرناة .

(٥) الفامى : نسبة إلى (فامية) بلدة فى العراق .

فأخذ منه شيئاً يتقوّته. فجاء فأعطاه فكاكه فأخرج إليه سطلين، فقال: انظر أيهما سطلك؟ فخذه. قال: لا أدرى أنت فى حِلٍ منه ومما أعطيتك. ولم يأخذ. قال الفامِىّ: والله إنه لسطلْه وإنما أردتُ أن امتحنه فيه.

وعن أحمد بن محمد التُستَرِىّ قال: ذكروا لى أن أحمد بن حنبل أتى عليه ثلاثة أيام ما كان طَعِمَ فيها. فبعث إلى صديق له فاستقرض شيئاً من الدقيق، فعرفوا فى البيت شدّة حاجته إلى الطعام فخَبَزوا عاجلاً. فلما وُضع بين يديه قال: كيف خبزتم هذا بسرعة؟ قيل له: كان التنّور فى دار صالح ابنه مسجوراً فخبزْنا عاجلاً. فقال: ارفعوا ولم يأكل وأمر بسدّ بابه إلى دار صالح.

وعن عبد الله بن أحمد قال: كان أبى أصبر الناس على الوحْدة، لم يَرَه أحد إلاّ فى مسجد أو حضور جنازة أو عيادة مريض. وكان يكره المشْى فى الأسواق.

وعنه قال: كان أبى يصلّى فى كل يوم وليلةٍ ثلاثَ مائةِ ركْعة. فلما مرض من تلك الأسواط[1] أضعفته، فكان يصلّى فى كل يوم وليلة مائةً وخمسين ركعةً. وقد كان قرُبَ من الثمانين، وكان يقرأ

(١) الأسواط: ج سوط. وهو ما يضرب به. يريد مالقيه من الضرب والجلد فى محنته.

فى كل يوم سبعاً يختم فى سبعة أيام، وكانت له ختمةٌ فى كل سبع ليالٍ سوى صلاة النهار، وكان ساعةَ يصلّى عِشاء الآخرة ينام نومةً خفيفةً ثم يقوم إلى الصباح يصلّى ويدعو. وحجّ أبى خمس حجّاتٍ: ثلاثَ حِجَجٍ ماشياً واثنتيْن راكباً، وأنفق فى بعض حجّاته عشرين درهماً.

وعنه قال كنت أسمع أبى كثيراً يقول فى دُبُر الصلاة: اللهم كما صنتَ وجْهى عن السجود لغيرك صُنه عن المسألة لغيرك.

وعن أبى عيسى عبد الرحمن بن زاذان قال: صلّينا، وأبو عبد الله أحمد بن حنبل حاضر، فسمعته يقول:

« اللهم مَن كان على هوى أو على رأى وهو يظن أنه على الحق وليس هو الحق فرُدّه إلى الحق حتى لا يضلّ من هذه الأمة أحدٌ. اللهم لا تشغل قلوبنا بما تكفّلتَ لنا به. ولا تجعلنا فى رزقك خَوَلاً لغيرك، ولا تمنعْنا خيرَ ما عندك بشرّ ما عندنا، ولا تَرنا حيث نهيتَنا ولا تفقدْنا من حيث أمرْتَنا، أعِزّنا ولا تُذلّنا أعِزّنا بالطاعة ولا تُذلّنا بالمعصية »[١].

وعن على بن أبى حرارة[٢] قال: كانت أمى مقْعدة نحو عشرين

---

(١) ق. قط: بالمعاصى.

(٢) ط: حراو.

سنة . فقالت لى يوماً : اذهب إلى أحمد بن حنبل فسلْه أن يدعو الله لى. فمضيت فدققتُ عليه الباب . فقال : مَن هذا ؟ فقلت : رجل من أهل ذلك الجانب ، سألتْنى أمى وهى زَمِنَة مقعدة أن أسألك أن تدعو الله لها . فسمعتُ كلامه كلامَ رجلٍ مغضب وقال: نحن أحْوج أن تدعو[1] الله لنا . فولّيت منصرفاً فخرجتْ عجوز من داره فقالت : أأنت الذى كلّمت أبا عبد الله ؟ قلت : نعم . قالت : قد تركته يدعو الله لها .

قال : فجئت من فورى إلى البيت فدققتُ الباب فخرجتْ على رجليها تمشى حتى فتحتْ لى الباب وقالت : قد وهبَ الله لى العافيةَ .

وعن ميمون بن الأصبغ قال : كنت ببغداد فسمعتُ ضجّةً فقلت: ما هذا ؟ فقالوا : أحمد بن حنبل يُمتَحن . فدخلت فلما ضُرب سوطاً قال : بسم الله . فلما ضُرب الثانى قال : لا حول ولا قوّة إلا بالله . فلما ضُرب الثالث قال : القرآن كلام الله غيرُ مخلوق . فلما ضُرب الرابع قال : « قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إلاّ ما كَتَبَ اللهُ لنا »[2] فضُرب تسعةً وعشرين سوطاً .

وكانت تكّة أحمد حاشية ثوبٍ فانقطعت ، فنزَل السراويلُ إلى عانته، فرمى أحمد طرفه إلى السماء وحرّك شفتيه ، فما كان بأسرع أن بقى السّراويل لم ينزِل .

---

(١) ق : ندعو .   (٢) التوبة : ٥١

فدخلت إليه بعد سبعة أيام فقلت : يا أبا عبد الله رأيتك تحرّك شفتيك فأىّ شيء قلتَ ؟ قال : قلت : اللهم إنّى أسألك باسمك الذى ملأْتَ به العرش إن كنتَ تعلم أنى على الصّواب فلا تهتِك لى ستْراً .

وعن محمد بن اسمعيل بن أبِى سُمينة قال : سمعت شاباص النائب[(١)] يقول : لقد ضربتُ أحمد بن حنبل ثمانين سوطاً لو ضربتُه[(٢)] فيلاً لهدّتْه .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : كنت كثيراً أسمع والدى يقول: رحم الله أبا الهيثم ، غفر الله لأبى الهيثم ، عفا الله عن أبى الهيثم . فقلت : يا أبة من أبو الهيثم ؟ فقال : لما أخرِجتُ للسياط ومُدّت يداىَ للعَقابين إذا أنا بشابّ يجذب ثوبى من ورائى ويقول لى : تعرفنى ؟ قلت لا . قال : أنا أبو الهيثم العيّار اللصّ الطرّار ، مكتوب فى ديوان أمير المؤمنين أنى ضَربت ثمانية عشر ألف سوْطٍ بالتّفاريق، وصبرت فى ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا فاصبرْ أنت فى طاعة الرحمن لأجلِ الدين . قال : فضُربت ثمانية عشر سوطاً بدل ماضرب ثمانية عشر ألفاً ، وخرج الخادم فقال : عفا عنه أمير المؤمنين .

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : قال لى أبى : يابنىّ لقد أعطيت المجهود من نفسى .

---

(١) كذا فى ط . وفى ق : شاتان السواس .

(٢) كذا فى النسخ . والصواب : ضربتها .

قال : وكتب أهل المطامير إلى أحمد بن حنبل : إن رجعتَ عن مقالتك ارتددْنا عن الإسلام .

وعن أحمد بن سنان قال : بلغني أن أحمد بن حنبل جعل المعتصم في حلٍّ في[1] يوم فتْح بابك أو [في] فتح عمورية فقال : هو في حلّ من ضربي .

وقال ابراهيم الحربي : أحلّ أحمد بن حنبل مَن حضر ضرْبَه وكلَّ من شايع فيه والمعتصم ، وقال لولا أن ابن أبي دُواد داعية لأحلَلْتُه .

وقال صالح بن أحمد بن حنبل : ورد كتاب علي بن الجهم : إنّ أمير المؤمنين ، يعني المتوكل ، قد وجّه إليك يعقوب المعروف بقوْصرة ، ومعه جائزة ويأمرك بالخروج فاللهَ اللهَ أن تَستعفيَ أو تردّ المال ، فيتّسع القولُ لمن يُبغضك .

فلما كان من الغد ورَد يعقوب فدخل عليه فقال يا أبا عبد الله أمير المؤمنين يُقرئك السلام ويقول : قد أحببتُ أن آنسَ بقُربك وأن أتبَّرك بدعائك ، وقد وجّهتُ إليك عشرة آلاف درهم معونةً على سفرَك .

أخرج صُرّةً فيها بَدْرة نحو مائتي دينار والباقي دراهم صِحاح ، فلم

---

(١) ط : من .

ينظر إليها ثم شدّها يعقوب وقال له : أعود غداً حتى أبصر ما تعزم عليه وانصرف .

فجئت باجّانة خضراء فكببتُها على البَدْرة . فلما كان عند المغرب قال : يا صالح خذ هذا صيِّره عندك . فصيّرتها عند رأسى فوق البيت . فلما كان سحَراً إذا هو ينادى : يا صالح فقمت فصعدت إليه فقال : ما نمت ليلتىْ هذه . فقلت : لِمَ يا أبة ؟ فجعل يبكى وقال : سلمتُ من هؤلاء حتى إذا كان فى آخر عمرى بُليت بهم ، قد عزمت على أن أفرّق هذا الشىْء إذا أصبحتُ . فقلت : ذاك إليك فلما أصبحَ قال : جئني يا صالح بميزان . وقال : وجّهوا إلى أبناء المهاجرين والأنصار . ثم قال : وجّهْ إلى فلان[١] يفرّق فى ناحية وإلى فلان[١] فلم يزل حتى فرّقها[٢] كلّها ونفضتُ الكيس ، ونحن فى حالةٍ اللهُ تعالى بها عليم .

فجاء بُنَيّ لى فقال : يا أبة أعطِنى درهماً . فنظر إلىّ فأخرجت قطعةً فأعطيته وكتب صاحب البريد : إنه قد تصدق[٣] بالدراهم من يومه حتى تَصدّق بالكيس .

قال علىّ بن الجهم : فقلت : يا أمير المؤمنين قد علم الناس أنه قد

(١) صف : إلى آل فلان .

(٢) ط : فلم يزل يفرقها .

(٣) قط : تصرف .

قبِل منك ، وما يصنع أحمد بالمال ؟ وإنما قُوتُه رغيف . فقال لى : صدقت يا علىّ .

قال صالح : ثم أُخرِجْنا ليلاً معنا حرّاس ، معهم النفّاطات[1] فلما أضاء الفجر قال لى : يا صالح معك دراهم ؟ قلت نعم . قال : أعطِهم فأعطيتهم درهماً درهماً ودخلنا العسكر وأبى منكّس الرأس . ثم أنزِل دارَ إيتاخ وجاء علىّ بن الجهم فقال : قد أمر لكم أميرُ المؤمنين بعشرة آلاف مكان التي فرّقها وأمر أن لا يعلَم بذلك فيغتمّ .

ثم جاءه أحمد بن معاوية فقال : إن أمير المؤمنين يُكثر ذكرك ويشتهى قُربك وتَقيم ههنا تحدّث ؟ فقال : أنا ضعيف .

ثم حُمل إلى دار الخلافة . فأخبرنى بعض الخدم أن المتوكل كان قاعداً وراء ستْر فلما دخل أبى الدار قال لأمه : يا أماه قد أنارت الدار . ثم جاء خادم بمنديل فيه ثياب فأُلبِس وهو لا يحرّك يديه . فلما صار إلى الدار نزَع الثياب عنه ثم جعل يبكى . ثم قال : سَلِمتُ من هؤلاء منذ ستين سنة حتى إذا كان فى آخر عمرى بُليت بهم ؟ ثم قال: ياصالح وجّه هذه الثياب إلى بغداد تُباع وتَصدّق بثمنها ولا يشترى أحد منكم شيئاً منها .

---

(١) ضرب من السرج يستصبح به ، أو أدوات من النحاس يرمى فيها بالنفط والنار .

وأجرِيتْ له[1] مائدة وثلج وضرب الخيش فلما رآه تنحّى فألقى نفسه على مضربةٍ له وجعل يُواصل ويُفطر فى كل ثلاثٍ على تمرِ شِهْرِيز. فمكث كذلك خمسة عشر يوماً ثم جعل يُفطر ليلةً وليلةً ولا يفطر إلا على رغيف. وكان إذا جِيء بالمائدة تُوضع فى الدهليز لـكى لا يَراها فيأكل مَن حضر .

وأمر المتوكل أن تُشترى لنا دار. فقال: يا صالح لئن أقررتَ لهم بشراء دارٍ لتـكوننّ القطيعةُ بينى وبينك فلم يزل يدفع شِرىٰ الدار حتى اندفع .

ثم انحدرتُ إلى بغداد وخلّفت عبد الله عنده فإذا عبد الله قد قدِم وقد جاء بثيابى التى كانت عنده. فقلت له: ما جاء بك؟ فقال: قال لى: انحدِرْ وقل لصالح: لا تَخرج فأنتم كنتم آفتى ، والله لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ ما أخرجت واحداً منكم معى ، ولولا مكانُـكم لمن كانت توضع هذه المائدة ؟

وفى رواية أخرى: ثم إنه مرض فأذِن له المتوكل فى العَودِ إلى بغداد فعاد .

قال الشيخ: وإنما اقتصرنا على هذا اليسير من أخبار الإمام أحمد رضى الله عنه لأنا قد أفردنا لمناقبه وفضائله كتاباً كبيراً يستوفيها

---

(١) ق: وأجريت لنا. قط: وأخرجت لنا .

فكرهنا الاعادة في التصانيف — وذكرنا في ذلك الكتاب أسماء الأشياخ الذين لقيهم وروى عنهم —

وتوفي رضي الله عنه في سنة إحدى وأربعين ومائتين، وقد استكمل سبعاً وسبعين سنة .

قال المروزي : مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ومرض[1] تسعة أيام وتسامع[2] الناس فأقبلوا لعيادته ولزموا البابَ الليلَ والنهار يبيتون ، فربما أذِن للناس فيدخلون أفواجاً يسلّمون عليه ، فيردّ عليهم بيده .

وقال أبو عبد الله : جاءني حاجبٌ لابن طاهر فقال : إن الأمير يقرئك السلام وهو يشتهي أن يراك . فقلت له : هذا مما أكره ، وأمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره .

ووضّأتُه فقال : خلّلِ الأصابع . فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس حتى ملأوا السكك والشوارع . فلما كان صدر النهار قُبض رحمه الله، فصاح الناس وعلَت الأصوات بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجّت .

وعن اسحاق قال : مات أبو عبد الله وما خلّف إلا ستّةَ قِطعٍ أو سبعة[3] ، وكانت في خرْقةٍ كان يمسح بها وجهه قدْرَ دانقيْن .

---

(١) قط : سبعة . (٢) قط : وشاع في .

(٣) كذا في النسخ ، والصواب تذكير العددين .

وعن حنبل قال : أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أباعبد الله وهو فى الحبس ثلاث شَعرات فقال : هذا من شَعر النّبى ﷺ . فأوصى أبو عبد الله عند موته أن يُجعل على كل عين شعرة وشَعرة على لسانه. ففعل ذلك به بعد موته .

وعن صالح بن أحمد قال : قال لى أبى جئنى بالكتاب الذى فيه حديث ابن ادريس عن ليث عن طاوس أنه كان يكره الأنين . فقرأته عليه فلم يئنّ إلا فى الليلة التى مات فيها .

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : لما حضرتْ أبى الوفاةُ جلستُ عنده وبيدى الخرقة لأشدّ بها لَحييْه . فجعل يَعرق ثم يُفيق . ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا : لا بعد لا بعد . ففَعل هذا مرّة وثانية . فلما كان فى الثالثة قلت له : يا أبة أىّ شىء هذا قد لهجْتَ به فى هذا الوقت ؟ تعرق حتّى نقول قد قضيت . ثم تعود فتقول : لا بعد لا بعد .

فقال لى يا بنىّ ماتدرى ما قلتُ ؟ قلتُ : لا . فقال: ابليس لعنه الله قائم حذائى عاضّ على أنامله يقول لى : يا أحمد فُتّنى . فأقول: لا بعد لا بعد حتى أموت .

وعن بنان بن أحمد القصبانى أنه حضر جنازة أحمد بن حنبل فيمن حضر . قال : فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة .

وحزرَ مَن حضرها من الرجال ثمان مائةِ ألفٍ ومن النساء ستين ألف امرأة .

وعن موسى بن هارون قال : يقال إن أحمد بن حنبل لما مات مُسحت الأمكنة المبسوطة التى وقف الناس عليها للصلاة فحُزِر مقادير الناس بالمساحة على التقدير ستمائة ألف وأكثر ، سوى ما كان فى الأطراف والجوالى[1] والسطوح والمواضع المتفرقة أكثر من ألف ألف .

وقال أبو بكر المروزى : رأيت أحمد بن حنبل فى النوم كأنه فى روضة وعليه حلتان خضراوان ، وعلى رأسه تاج من النور ، وإذا هو يمشى مشيةً لم أكن أعرفها فقلت : يا أحمد ما هذه المشية التى لم أكن أعرفها لك ؟ فقال : هذه مشية الخُدّام فى دار السلام . فقلت : ما هذا التاج الذى أراه على رأسك ؟ فقال : إن ربّى عز وجل أوقفنى وحاسبنى حساباً يسيراً وحبانى وقرّبنى وأباحنى النظر إليه ، وتوّجنى بهذا التاج وقال لى : يا أحمد هذا تاج الوقار توّجتك به كما قلتَ : القرآنُ كلامى غيرُ مخلوق .

وعن أبى يوسف بن لحيان قال : لما مات أحمد بن حنبل رأى رجل

---

(١) الجوالى : مفردها جاليه والواحد جال . وهم الغرباء هاجروا أوطانهم .
ط : الحوالى ، تحريف .

فى منامه كأن على كل قبر قنديلاً فقال : ما هذا ؟ فقيل له : أما علمت أنهُ نوّر لأهل القبور قبورُهم بنزول هذا الرجل بين أظهرهم ، قد كان فيهم يعذّب فرَحِم .

وعن أبى على بن البناء قال : لما ماتت أم القطيعى دفَنها فى جوار أحمد بن حنبل . فرآها بعد ليال فقال : مافعل الله بك ؟ فقالت : يا بنى رضى الله عنك فلقد دفنتنى فى جوار رجل تنْزل على قبره فى كل ليلةٍ أو قال فى كل ليلة جمعةٍ رحمةٌ تعمّ جميع أهل المقبرة ، وأنا منهم .

٢٦٣ – محمد بن مصعب أبو جعفر[١] الدعاء

عن حسين بن فهم قال ـ وذكر محمد بن مصعب ـ فقال: استسقى ماء فخطّت برّادة[٢] فسمع صوتها فشهق وصاح وقال : يا محمد بن مصعب من أين لك فى النار برادة ؟ قال : ثم رفع صوته فقرأ « وإنْ يَستغيثوا يُغاثوا بماءٍ كالمُهْل) الآية[٣] .

وعن محمد بن نصر بن منصور الصائغ قال : كان المأمون قد أمر محمد بن مصعب إلى الحبس فقال ـ وقد ذُهب به إلى الحبس ورفع رأسه إلى السماء ـ وقال : أقسمت عليك إن حبسْتنى عندهم الليلة فأخرُج فى فى جوف الليل . فصلّى الغداة فى منزله .

---

(١) قط : أبو الفرج . (٢) إناء لتبريد الماء .

(٣) الكهف : ٢٩

أسند محمد بن مصعب عن ابن المبارك وغيره . وكان أحمد بن حنبل يُثنى عليه ويقول : كان رجلاً صالحا .

وتوفّى ببغداد فى ذى القعدة سنة ثمان وعشرين ومائتين .

٢٦٤ — سعيد بن وهب أبو عثمان مولى بنى سامة بن لؤى

كان شاعراً ماجنا كثير القول فى الغزل والخمر وكان يسكن البصرة ثم توطن ببغداد . وتاب وتعبّد وحج راجلاً .

عن الحسين بن عبد الرحمن قال : حجّ سعيد بن وهب ماشياً فبلَغ منه وجهد ، فقال :

قَدميَّ اعتَوِرا رمْلَ الكثيبِ ... واطرُقا الآجنَ من ماء القَليبِ
رُبّ يوم رُحْتما فيه على ... زَهرة الدنيا وفى وادٍ خَصيبِ
وسماعٍ حسَنٍ مِنْ حسَنٍ ... صخَب المزهَرِ كالظَّبْى الرَّبيب
فاحسَبا ذاكَ بهذا واصْبِرا ... وخُذا من كلّ فنٍ بنصيب
إنما أمشى لأنّى مذْنبٌ ... فلعل الله يعفو عن ذنوبى

توفّى سعيد فى زمان المأمون رحمه الله .

٢٦٥ — يحيى بن أيوب أبو زكريا

العابد المعروف بالمقابرى كان من خيار عباد الله ومن أهل السنة .

عن العباس بن محمد بن عبد الرحمن الأشهلي قال : حدّثني أبي قال: مررت بالمقابر فسمعت هَمهمةً فاتّبعت الأثر فإذا يحي بن أيوب في حفرة من تلك الحُفَر ، وإذا هو يدعو ويبكي ويقول : ياقرّة عين المطيعين ، ويا قرّة عين العاصين . ولِمَ لا تكون قُرّةَ عين المطيعين وانت مننتَ عليهم بالطاعة ؟ ولمَ لا تكون قرّة عين العاصين وأنت ستَرت عليهم الذنوب ؟

قال : ويعاود البكاء . قال : فغلبني البكاء ففطِن لي ، فقال لي : تعالَ لعل الله إنما بعث بك لخيرٍ .

سمع يحي بن أيوب من شريك واسمعيل بن علية في خلق كثير . وتوفّي سنة أربع وثلاثين ومائتين .

٢٦٦ — سريج بن يونس

يكنى أبا الحارث المروزي . سكن بغداد .

عن أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الجعد قال: سمعت سُريج بن يونس يقول : رأيت ربّ العزة تعالى في المنام فقال لي : يا سريج سلْني فقلت : يارب سِرّ بسرّ .

وعن اسحاق بن ابراهيم الجيلي[1] قال : سمعت سريج بن يونس الشيخ الصالح الصدوق يقول : رأيت فيما يرى النائم كأن الناس

(١) ق : الختلي ، قط : الختلي .

وقوف بين يدى الله وأنا فى أول صف فى آخره، ونحن ننظر إلى رب العزة تعالى، إذ قال: أىّ شىء تريدون أن أصنع بكم؟ فسكت الناسُ. قال سريج: فقلت أنا فى نفسى: ويحهم قد أعطاهم كلٌّ ذا مِن نفسه وهُم سكوت؟ فقنّعت رأسى بملحفتى وأبرزتُ عيناً وجعلت أمشى وجُزت الصفّ الأول بخطا فقال أىّ شىء تريد؟ فقلت: رحمان سِرّ بسرّ إنْ أردتَ أن تعذّبنا فلم خلقتنا؟ قال: قد خلقتكم ولا أعذبكم أبداً. ثم غاب فى السماء فذهب.

وعن موسى بن هارون قال: بلغنى أن سريج بن يونس رأى ربّ العزة تعالى فى المنام فأتيته فسألته فأخبرنا أنه رأى فيما يرى النائم كأن صفاً من الناس، قال: وأنا على يمين الصف، فقال: أىّ شىء تريدون؟ فلّم يجبه أحد فقلت: ويحكم مالكم لا تتكلمون؟ ثم قنّعت رأسى ثم تقدمت وأنا أتمايل - أراه قال من الهول - فقلت: رحمان سِرّ بسرّ إذ خلقتنا فلا تعذّبنا. قال: فانى لا أعذبكم. أو قال: قد غفرت لكم. ثم رأيت بعد ذلك فى رمضان كأنه قد نزل إلى الأرض فقال رجل: اللهم اغفرلى. فقال شيئاً معناه: سننزل إلى الأرض فنغفر لواحد قال سريج فقلت بيدى: هكذا ولم أتكلّم وفى نفسى أن يغفر للمؤمنين. فقال: إنّى قد غفرت للمؤمنين.

وعن أحمد بن عبد العزيز بن الجعد قال: حدثنى بقّالٌ سريج بن يونس

قال : جاءنى سريج ليلاً وقد ولد له مولود فأعطانى ثلاثة دراهم فقال: أعطنى بدرهم عسلاً وبدرهم سمناً وبدرهم سَوِيقاً، ولم يكن عندى شيْء قد عزلتُ الظّروف لأبكّر وأشترِى . فقلت : ما عندى شيء قد عزلت الظروف لأبكر واشترى . فقال لى : انظر قليلا أيْش ما كان ، امْسَحِ البرَانى[1] فجئت فوجدت البرانى والجراب مِلاءٍ فأعطيته شيئاً كثيراً فقال لي : ما هذا أليس قلتَ ما عندى شيء ؟ قال : قلت خذ واسكت . فقال : ما آخذ أو تصدُقَنى فحدثته القصة فقال لا تحدّث به أحداً ما دمتُ حياً .

أسند سريج عن سفيان بن عيينة وهشيم وغيرهما .

وتوفّى فى ربيع الأول سنة خمس وثلاثين ومائتين .

٢٦٧ – أحمد بن نصر الخزاعي

يكنى أبا عبد الله . كان من كبار العلماء الآمرين بالمعروف . وسمع الحديث من مالك بن أنس وحمّاد بن زيد وهشيم وغيرهم .

امتحنه الواثق بالقرآن فأبى أن يقول إنه مخلوق . فقتله فى يوم السّبت غُرّة رمضان سنة إحدى وثلاثين ومائتين بسُرّ من رأى . فصُلب جسده هناك وأنفَذ رأسه إلى بغداد فنصَبه فلم يزل كذلك

(١) أيش ما كان : يريد : أى شيء كان . والبرانى : مفردها برنية وهى إناء من خزف .

ست سنين . ثم حُطّ وجُمع بين رأسه وبدنه ودُفِن بالجانب الشرقىّ من بغداد فى المقبرة المعروفة بالمالكية فى يوم الثلاثاء لثلاثٍ خلَوْن من شوال سنة سبع وثلاثين ومائتين .

وعن داود بن سليمان قال : حدّثني[1] أبى قال : سمعت أحمد بن نصر الخزاعى يقول[2] : رأيت مُصاباً قد وقع فقرأت فى أذنه ، فكلمتْنى الجنيّة من جَوفه : يا أبا عبد الله بالله دعْنى أخنقْه فانه يقول : القرآن مخلوق .

وعن أبى بكر المرْوزى قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، وذكر أحمد بن نصر ، فقال : رحمه الله ما كان أسخاه ، لقد جاد بنفسه .

وعن ابراهيم بن اسمعيل بن خلف قال : كان أحمد بن نصر خِلّى فلما قُتل فى المحنة وصُلب أخبِرت أن الرأس يقرأ القرآن : فمضيت وبتّ بقربٍ من الرأس مشرفاً[3] عليه . وكان عنده رجّالة وفرسان يحفظونه . فلما هَدأت العيون سمعت الرأس يقرأ « ألم . أحسِبَ الناسُ أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهُم لايُفتَنون »[4] فاقشعر جلْدى ثم

(١) ق : حدثنا .

(٢) ساقطة من ط .

(٣) ط : مشرف .

(٤) العنكبوت : ١ — ٢

رأيته بعد ذلك فى المنام وعليه السندس والاستبرق ، وعلى رأسه تاج فقلت : مافعل الله بك يا أخى ؟ قال : غفر لى وأدخلنى الجنة ، إلا أنى مغموماً ثلاثة أيام . قلت : ولمَ ؟ قال : كان رسول الله ﷺ مرّ بى فلما بلغ خشبتى حوّل وجهه عنى. فقلت بعد ذلك : يارسول الله قُتلتُ على الحق أو على الباطل ؟ فقال : أنت على الحق ، ولكنْ قتلكَ رجل من أهل بيتى فإذا بلغت إليك أستحْيي منك . وعن ابراهيم بن الحسن قال : رأى بعض أصحابنا أحمد بن نصر فى النوم بعد ما قُتل فقال له : مافعل الله بك ؟ قال : ما كانت إلا غفْوة حتى لقيت الله عز وجل فضحك إلىّ . رحمه الله .

٢٦٨ — أبو محمد الطيب بن اسمعيل ابن ابراهيم الذهلى

ويعرف بأبى حمدون الدلّال . كان أحد القرّاء المشهورين والزهّاد الصالحين.

روى القراءة عن الكسائى ويعقوب الحضرمى ، وحدّث عن المسيّب بن شريك وسفيان بن عيينة وشعيب بن حرب .

عن أبى العباس أحمد بن مسروق قال : سمعت أبا حمدون المُقرىء يقول: صليت ليلة فقرأت فأدغمت حرفاً فحملتْني عينى فرأيت كأن نوراً قد تلبّب بى وهو يقول لى : بينى وبينك الله . قال : قلت : من أنت ؟

قال أنا الحرف الذى أدغمتني. قال : قلت : لا أعود . فانتبهت فما عدتُ أدغم حرفاً .

وعن أبى محمد الحسن بن على بن صليح قال إن أبا حمدون الطيّب بن اسمعيل كُفّ بصره فقاده قائده ليدخله المسجد ، فلما بلغ المسجد قال له قائده : يا أستاذ اخْلع نعليْك . قال : يابنى لِمَ أخلعهما[1] ؟ قال : لأن فيهما أذى . فاغتّم أبو حمدون وكان من عباد الله الصالحين . فرفع يده ودعا بدعوات ومسَح بها وجهه فردّ الله إليه بصره ومشى .

وعن أبى عبد الله بن الخطيب قال : كان لأبى حمدون صحيفة فيها مكتوب ثلثمائة من أصدقائه . قال : وكان يدعو لهم كل ليلة . فتركهم ليلة فنام . فقيل له فى نومه : يا أباحمدون لَمْ تُسرِجْ مصابيحَك الليلة . قال: فقعد وأسرج وأخذ الصحيفة فدعا لواحدٍ واحدٍ حتى فرغ .

وعن أبى الحسين بن المنادى قال : أبو حمدون الطيّب بن اسمعيل الذهلى من خيار الزهّاد المشتهرين بالقرآن، كان يقصد المواضع التى ليس فيها أحد يقرىء الناس . فيقرئهم حتى إذا حفظوا انتقل إلى آخرين بهذا النعت . وكان يلتقط المنبوذ كثيراً (رحمه الله) .

---

(١) ق : ولم يابنى أخلعها .

٢٦٩ – مسرور بن أبي عوانة

واسم أبي عوانة : الوضّاح ، مولى يزيد بن عطاء الواسطى : نزل بغداد وكان عابداً مجتهداً .

عن اسمعيل بن زياد أبو يعقوب قال : قد رأيت العباد والمجتهدين ما رأيت أحداً قط أصبر على صلاة الليل والنهار وطول السهر والقيام من مسرور بن أبي عوانة . كان يصلى الليل والنهار لايفتُر .

قال : وقدم علينا مرة فقال : أخرجونى إلى الساحل أنظر إلى الماء حتى لا أنام .

وعن الفضل بن عبد الوهاب أبو المساور خَتَن(١) أبي عَوانة ، قال : كان أبو عَوانة من أكثر الناس صلاةً بالليل وأطوله اجتهاداً . فلما قدم علينا مسرور بن أبي عوانة قال لى أبو عَوانة . يا أبا المساور احتقرتُ واللهِ نفسى ، أو قال : تصاغرتُ إلى نفسى .

٢٧٠ – الحارث بن أسد المحاسبى ، أبو عبد الله

عن أحمد بن محمد بن مسروق قال : سمعت حارثاً المحاسبي يقول : ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة : حُسن الوجه مع الصيانة ، وحُسن الخلق مع الديانة ، وحُسن الإخاء مع الأمانة .

---

(١) الختن : الصهر .

وقال الُجنيد : كنت كثيراً أقول للحارث عُزلتى أُنْسى . فيقول: كم تقول أنسى وعزلتى ، لو أن نصف الخلق تقرّبوا منى ما وجدتُ بهم أنساً، ولو أن نصف الخلق الآخر نأى عنّى ما استوحشتُ لبُعدهم .

وقال : كان الحارث كثير الضرّ فاجتاز بى يوماً وأنا جالس على بابنا ، فرأيت على وجهه زيادةَ الضرّ من الجوع . فقلت له : يا عمّ لو دخلتَ إلينا فنِلْتَ من شىء عندنا وعمدتَ إلى بيت عمى كان أوسع من بيتنا ، لا يخلو من أطعمة فاخرة لا يكون مثلُها فى بيتنا سريعاً . فجئت بأنواع كثيرة من الطعام، فوضعته بين يديه ، فمدّ يده فأخذ لقمة فرفعها إلى فيه فرأيته يلُوكها ولا يزْدَرِدها . ثم وثب فخرج وما كلّمنى .

فلما كان الغد لقيتُه فقلتُ : ياعَمّ سررتَنى ثم نغّصتَ علّى فقال : يا بنى أما الفاقة فكانت شديدة وقد اجتهدتُ فى أن أنال من الطعام الذى قدّمتَ إلىّ ولكن بينى وبين الله علامة إذا لم يكن الطعام مُرضياً ارتفع إلى أنفى منه زفورة[1] فلم تقبله نفسى ، فقد رميت بتلك اللقمة فى دهليزكم وخرجتُ .

وقال الُجنيْد : مات أبو حارث المحاسبى وإن الحارث لمحتاج إلى

---

(١) هذه الكلمة عامية ، فصحيحها « الزنخ » بفتحتين فخاء ، وقد زنخ الدهن – كفرح – تغير .

دانق فضّة . وخلّف أبوه مالاً كثيراً وما أخذ منه حبّة واحدة . وقال : أهل ملّتيْن لا يتوارثان[١] . وكان أبوه واقفياً[٢] .

أسند الحارث عن يزيد بن هارون وطبقته .

وتوفّى سنةَ ثلاث وأربعين ومائتين . رحمه الله .

٢٧١ – عبد الوهاب بن الحكم

ويقال ابن الحكم بن نافع الورّاق . يكنى أبا الحسن .

عن أبى بكر الحسن بن عبد الوهاب الورّاق قال : ما رأيت أبى ضاحكاً قطّ إلا تبسماً، وما رأيته مازِحاً قطّ، ولقد رآنى مرّة وأنا أضحك مع أمى فجعل يقول لى : صاحبُ قرآن يضحك هذا الضحك ؟

وعن أبى بكر المرْوزى قال: سمعت أباعبد الله يقول: عبد الوهاب الورّاق رجل صالح ، مثله يوفّق لإصابة الحقّ .

وعنه قال: قال لى عبد الوهاب، يعنى الورّاق: أنت كيف استخرتَ تُقيم بسُرّ مَن رأى؟[٣] فذكرت ذلك لأحمد فقال: فلِمَ لَمْ تقل له ما كان[٤]

---

(١) قط : لا يتوارثون .
(٢) الواقفية : فرقة من المتصوفة .
(٣) بسر مرى (كذا في : ق) .
(٤) ط : كان ، خطأ .

بدّ للأسير ممن يخدمه . ثم قال : لا نَزال بخيرٍ ما كان فى الناس مَن يُنكر علينا .

وعنه قال: سمعت اسحاق بن داود يقول. كنت أدعو عبدالوهاب فأضع الطعام بين يديه فآكل وأتركه . فيقول لى : يا أبا يعقوب قل لى كُلْ . فأتغافلُ عنه وآكل . فيأخذ بيدى ويقول لى : قُل لى كُلْ. فأقول له : فلِمَ دعوتُك ؟

أسند عبد الوهاب عن يحي بن سليم الطائفى وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رواد ومعاذ بن معاذ العنبري فى آخرين .

وكان مختصاً بصحبة أحمد بن حنبل . وكان أحمد يقول : إنى لأدعوا لله له ، ومَن يقوى على مايقوى عليه عبد الوهاب؟ وقيل له عند موته : من نسأل بعدَك ؟ فقال : سلُوا عبد الوهاب .

وتوفى سنة خمسين ، وقيل إحدى وخمسين، وما ئتين .

عن عاصم[1] الحربى قال : رأيت فى المنام بشر بن الحارث الحافى فقلت : من أين يا أبا نصر ؟ فقال من علّيين . قلت : مافعل أحمد بن حنبل ؟ قال : تركت الساعة أحمد بن حنبل وعبد الوهاب الوراق بين يدى الله تعالى يأكلان ويشربان ويتنعمان . رحمهما الله .

---

(١) ق ، قط : عصام .

٢٧٢ - السرى بن المغلس السقطى

يكنى أبا الحسن . خال أبى القاسم الجُنَيد ، وأستاذه . وقد ذكرنا فى أخبار معروف أنه دعا له وقال : أغنى الله قلبك . فوقع الزهد فى قلبه حينئذ .

عن أبى القاسم سليمان بن محمد الضرّاب قال : حدثني بعض إخوانى أن سَرِيّاً السقطى مرت به جارية معها إناء فيه شيء ، فسقط من يدها فانكسر ، فأخذ سَرِىّ شيئاً من دكانه فدفعه إليها بدلَ ذلك الاناء . فنظر إليه معروف الكَرْخى فأعجبه ما صنع ، فقال له معروف : بغّض الله إليك الدنيا .

وعن مظفّر بن سهل المُقرى قال : سمعت علاّن الخياط ، وجرى بيني وبينه مناقب سَرِىّ السقطي ، فقال علان : كنت جالساً مع سرىّ يوماً فوافته امرأة فقالت : يا أبا الحسن أنا من جيرانك ، أخذ ابْني الطائف[1] وأنا أخشى أن يؤذيه ، فان رأيت أن تجىء معى أو تبعث إليه .

قال علان : فتوقّعت أن يبعث إليه . فقام وكبّر وطوّل فى صلاته . فقالت المرأة : يا أبا الحسن اللهَ اللهَ فىّ ، هُوَ ذا أخشى أن يؤذيه السلطان . فسلّم وقال لها : أنا فى حاجتك .

---

(١) الطائف : العسس .

قال علان : فما برحت حتى جاءت امرأةٌ إلى المرأة فقالت : الْحَقِى قد خلَّوْا ابنك

قال علان : وأى شىء يتعجب من هذا اشترى كُرَّ لَوْزٍ[١] بستين ديناراً وكتب فى روزنامجه[٢] ثلاثة دنانير ربحَه . فصار كُرُّ اللّوزِ[٢] بتسعين ديناراً . فأتاه الدلّال وقال : أريد ذاك اللّوز . فقال : خذه . فقال : بكم ؟ قال : بثلاثة وستين ديناراً . قال له الدلال : إن اللوز قد صار الكُرّ بتسعين. فقال له : قد عقَدتُ بينى وبين الله عَقْداً لاأُحلّه : ليس أبيعه إلا بثلاثة وستّين ديناراً . فقال له الدلال : إنّى قد عقدتُ بينى وبين الله تعالى لا أغشّ مسلماً ، لست آخذ منك إلا بتسعين ديناراً . فلا الدلّال اشترى منه ، ولا سَرِىّ باعَه، فكيف لايُستجاب دعاءُ مَن هذا فعْلُه ؟

وعن ابن أبى الورد قال : دخلت على سَرِىّ السّقطى وهو يبكى ، ودَوْرَقُه مكسور . فقلت : ما لَكَ ؟ قال : انكسر الدّورق . فقلت : أنا أشترى لك بدله . فقال لى: تَشترى بدلَه وأنا أعرف من أين الدانق

---

(١) الكر : مكيال اختلف فى تحديده .

(٢) الروزنامه : كتاب الأعمال . والروزنامجه : الدفتر اليومى للتجار . وكلا الكلمتين فارسية . ق : روزمانجه .

(٢) أى أصبح سعره فى السوق . ق : « فصار اللوز » ط : « فصار الكر اللوز » وهو غلط فصححناه وحذفنا لام التعريف .

الذى تشترى به الدورق ؟ ومَن عمله ؟ ومن أين طينه؟ وأىّ شىء أكل عامله حتى فرَغ من عمله .

وعن سعيد بن عثمان قال : سمعت سَرِىّ بن المغلس يقول : غزونا أرض الروم فمررت بروضة خَضِرة فيها الخيار[١] وحجر منقور فيه ماء المطر ، فقلت فى نفسى: لئن أكلت يوماً حلالاً فاليوم . فنزلت عن دابتى وجعلت آكل من ذلك الخيار[١] وشربت من ذلك الماء . فاذا هاتف يهتف بى : يا سرى ، النفقة التى بلغتَ بها إلى هاهنا من أين ؟

وعن الجُنَيد قال سمعت سَرىّ بن المغلّس يقول : أشتهى منذ ثلاثين سنة جزرةً أغمِسُها[٢] فى الدبس وآكلها ، فما يصحّ لى .

وعن حسن المسُوحى قال : دَفَع إلّى سرىّ السقطى قطعةً ، فقال: اشْترِ لى باقلّى من رجلٍ قِدْرُه داخل الباب . فطفت الكرخ كلّه فلم أجد إلا مَن قِدْره خارجَ الباب . فرجعت إليه فقلت : خذ قطعتك فإنى لا أجد إلا مَن قِدْره خارجُ .

وعن أبى عبيد على بن الحسين بن حرب القاضى قال . سمعت سرياً السقطى يقول : إنى لأذكر مجىء الناس إلّى فأقول : اللهم هَبْ لهم من العلم ما يشغلهم عنّي ، فانى لا أريد مجيئهم ولا أن يدخلوا علىّ .

---

(١) الخباز : بقلة معروفة . ويقال أيضاً : الخبازى . وفى صف : الخيار (فى الموضوعين) . (٢) صف : أعمها .

وعن على بن عبد الحميد الغضائرى قال: سمعت السرىّ[1] السقطى- ودققتُ عليه الباب ، فقام إلى الباب — فسمعته يقول : اللهم اشغل من يشغلنى عنك بك .

قال ابن المُقرى : وزادنى بعض أصحابنا عنه أنه قال : فكان من بَركة دعائه أنى حججتُ أربعين حجّة على رجْلى من حلب ذاهباً وراجعاً .

وعن جُنيد قال : دخلت على سَرىّ وهو جالس يبكى وبين يديه كوزٌ مكسور . فجلست حتى سكتَ فقلت : ما يبكيك ؟ قال : كنت صائماً فجاءت ابنتى بكوزٍ فيه ماء فعلّقتْه هناك فقالت : يبرد لك لتفطر عليه . فحملْتنى عينى[2] فرأيت كأن جارية قد دخلتْ علّى من هذا الباب عليها قميص فضة وفى رجليها نعلان لم أرَ قدَماً قطّ فى نعْل أحسنَ منهما فقلت لها : لمن أنتِ ؟ قالت : لمن لا يبرّد الماء فى الكيزان الخُضْر . وضربتْ بكُمّها الكوزَ فرمتْ به ، وهو هذا ، ثم انتبهتُ .

قال جنيد : فمكثت أختلف إليه مدةً طويلة أرى الكوز بين يديه مكسوراً عليه التراب وهو لا يرفعه .

---

(١) ط : سرى .

(٢) يريد أخذته سنه من النوم .

وعنه قال : قال لى سَرِىّ : إن أمكنك ألاّ تكون آلةُ بيتك إلاّ خزفاً فافعل . قال لى الجنيد : وهكذا كانت آلةُ بيتِه ، وسمعت سريّاً يقول : رأيت الفوائد تَرِد فى ظلم الليل . قال وكان سرىّ إذا جَنّ عليه الليل دافَع أوّلَه ، ثم دافع ، ثم دافع ، فاذا غلبه الأمر أخذ فى النحيب والبكاء .

جعفر بن محمد بن نصير يقول : سمعت الجُنَيد يقول : سمعت السرىّ قال : ما أرى لى على أحدٍ فضلاً . قيل : ولا على المخنّثين ؟ قال : ولا على المخنثين ؟

قال السلمى : وسمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازى يقول : سمعت أبا عمر الانماطى يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السرى يقول : من أراد أن يَسلم دينُه ويستريح قلبه وبدَنه ويقلّ غمّه فليعتزل الناس ، لأن هذا زمانُ عزلة ووحدة .

وعن عبدوس بن القاسم قال : سمعت السرىّ يقول : كلّ الدنيا الدنيا فضول إلا خمس خصال : خبْز يُشبعه ، وماء يُرويه ، وثوب يَستره ، وبيت يُسكنّه ، وعلْم يستعمله .

وعن على بن عبد الحميد الغضائرى قال: سمعت السرىّ يقول : من لم يعرف قدر النعم سُلِبَها من حيث لا يَعلم ، ومن هانت عليه المصائب أحرزَ ثوابها .

وعنه قال : سمعت السرىّ يقول : قليل فى سنّة خير من كثير فى بدْعة، كيف يقل عملٌ مع تقوى ؟ وسمعته يقول: أقوى القوة غَلَبَتُك نفسَك ، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز ، ومن أطاع مَن فوقه أطاعه مَن دونه ، ومن خاف الله خافه كلّ شىء .

وقال : إن[١] اغتممت بما يَنقُص من مالك فابْكِ على ما ينقص من عُمرك .

وقال : مِن قلة الصدق كثرة الخُلَطاء ، ومِن علامة الاستدراج العَمَى عن عيوب النفس .

وعنه قال : سمعت السرىّ يقول : أجلد الناس من ملَك غضَبه ، ومن تزيّن للناس بما ليس فيه سقَط من عين الله ، ولن يَكْمُل رجلٌ حتى يؤْثر دينَه على شهوته ، ولن يَهلِك حتى يؤْثر شهوتَه على دِينه .

وعن الجُنَيد قال : سمعت سريّاً يقول : ما أحب أن أموت حيث أعرف أخاف ألاّ تقبلنى[٢] الأرض فافتضح .

وقال : سمعت سرياً يقول : إنى لأنظر إلى أنفى فى كل يوم مرّتين مخافة أن يكون قد اسود وجهى .

أحمد بن عبد الله قال : أخبرنى جعفر بن محمد فى كتابه قال : سمعت

---

(١) قط : إذا .

(٢) قط : أن تقذفنى .

الجنيد قال : سمعت السرى بن مغلس يقول : لو أحسست بإنسان يريد أن يدخل علىّ فقلت بلحيتى كذا ـ وأمرّ يدَه على لحيته كأنه يريد تسويتها من أجل دخول الداخل ـ لخفت أن يعذبنى الله على ذلك بالنار.

وسمعته يقول : أحب أن آكل أكلة ليس لله علىّ فيها تبعة ولا لمخلوق علىّ فيها منّة فما أجد إلى ذلك سبيلا .

وسمعته يقول: خرجْنا يوماً من مكة فلما أصحرنا رأيت فى مجرى السيل طاقةَ بقلٍ فمددت يدى فأخذتها وقلت : الحمد لله ورجوت أن تكون حلالاً ليس لمخلوق فيها منَّة . فقال لى بعض من رآنى وقد أخذتها : يا أبا الحسن التفتْ . فالتفتُّ فإذا مثْل تلك الطاقة كثير . فقال لى : خذ فقلت له : الطاقة الأولى ليس لأحدٍ فيها منّة وهذا بدَلالتك ، وإنما أريد ما لا منّة فيه لمخلوق ، ولا لله فيه تبعة .

قال : وسمعته يقول : كنت بطرسوس فكان معى فى الدار فتيان متعبّدون وكان فى الدار تنّور يخبزون(١) فيه . فانكسر التنور فعملتُ بدله من مالى فتورّعوا أن يخبزوا فيه .

وقال له رجل : كيف أنت ؟ فأنشأ يقول :

منْ لم يبتْ والحبّ حشْو فؤادِه   لم يدْر كيف تُفتَّت الأكبادُ

---

(١) قط : يسجرون .

وسمعته يقول : اللهم ماعذّبتني بشيء فلا تعذّبني بذلّ الحجّاب.

وسمعتــه يقول : إذا فاتني جزء من وِرْدي لا يمكنني أن أقضيه أبداً .

وسمعته يقول: إذا ابتدأ الإنسان ثم كتب الحديث فَـتَر وإذا ابتدأ بكتْبه الحديث ثم تنسّك نفذ

وذُكر له أهل الحقائق من العبّاد فقال : أكْلهم أكل المرضى ، ونومهم نوم الغرقى .

وسمعته يقول : احذر لاتــكون ثناء[1] منشوراً وعيباً مستوراً .

وسمعته يقول، وقد ذُكر الناس، فقال:لاتعمل لهم شيئاً، ولا تترك لهم شيئاً ، ولاتعط لهم شيئاً ، ولاتــكشف لهم عن شيء . يريد بهذا أن تــكون أعمالك كلّها لله تعالى .

قال وسمعت الحسن البزار يقول : سألت أحمد بن حنبل عن السريّ بعد قدومه من الثغر . فقال : أليس الشيخَ الذى يعرف بطيب الغذاء ؟ قلتُ بلى . فقال : هو على سترةٍ عندنا قبل أن يخرج .

وقد كان السريّ يكثر من ذكر طيّب الغذاء وتصفية القُوت[2] وشدة الورع حتى انتشر ذلك وبلغ أحمدَ بن حنبل .

---

(١) ق : لايكون الثناء .

(٢) صف : القلوب ، قط : الثوب .

قال الجنيد : وكان السرىّ يقول لنا ونحن حوله : أنا لكم عبرة يامعشر الشباب ، اعملوا فإنما العمل فى الشبيبة . وكان يقول : من الناس ناس لو مات نصفُ أحدهم ما انزجر النصف الآخر ولا أحسِبُنى إلّا منهم .

وسمعت السرىّ يقول : قلوب المؤمنين معلّقة بالسوابق ، وقلوب الأبرار معلقة بالخواتيم ، هؤلاء يقولون : بماذا يختم لنا ؟ وأولئك يقولون : ماذا سبق من الله لنا ؟

وعن أبى عباس المؤدّب قال : دخلت على سرىّ السقطى يوماً فقال : لأعجبنّكَ من عصفور يجىء فيسقط على هذا الرّواق فأكون قد أعددت له لُقَيْمة فأفتّها فى كفّي فيسقط على أطراف أناملى فيأكل . فلما كان فى وقتٍ من الأوقات سقط على الرواق ففتتّ الخبز فى يدى فلم يسقط على يدى كما كان ، ففكّرت فى سِرّى : ما العلّة فى وحشته منى ؟ فوجدتُني قد أكلت ملْحاً مطيّباً . فقلت فى نفسى : أنا تائب من الملح المطيّب . فسقط على يدى فأكل وانصرف .

وعن الجنيد قال : دخلت على سرىّ فقال : ألا أعجبّك من عصفور ؟ فذكره .

وعن أبى القاسم الجوهرى قال : دخلت على سرىّ فقال : لأعجبنّك من عصفور . فذكر نحوه .

وعن أبى عبيد بن حربويه قال : سمعت السرىّ السقطى يقول : من النذالة أن يأكل الإنسان بدينه .

وعن على بن عبد الحميد قال : سمعت السرىّ السقطى يقول : من حاسب نفسه استحيا الله من حسابه . وسمعته يقول : من عرف ما يَطلب هان عليه ما يَبذل .

وعن أبى عبيد بن حربويه قال : سمعت سرّياً السقطى يقول : سَلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفيائه ، وأخرجها من قلوب أوِدّائه لأنه لم يرْضها لهم .

وعن أحمد بن محمد الصوفى قال : سمعت السرىّ بن مغلس يقول : انقطع من انقطع عن الله بخصلتين ، واتصل من اتصل بالله بأربع خصال : فأما من انقطع عن الله فإنه يتخطى إلى نافلة بتضييع فرض ، والثانى عمل بظاهر الجوارح لم يواطىء عليه صدق القلوب — وأما الذى اتّصل به المتصلون : فبلزوم الباب ، والتشمير فى الخدمة ، والصبر على المكاره ، وصيانات الكرامات —

وعن أبى بكر النساج قال : سمعت السرىّ يقول : لو علمت أن جلوسى فى البيت أفضل من خروجى إلى المجلس ما خرجت ، ولو علمت أن جلوسى معكم أفضل من جلوسى فى البيت ما جلست ، ولكنى إن دخلت اقتضانى العلم لكم ، وإنى خرجت نافرْتنى

الحقيقة ، فأنا عند منافرتى مستحىٍ ، وأنا عند اقتضاء العلم محجوج .

وعن الجنيد قال : سمعت السرىّ يقول : وودت أن حزن الخلق كلهم على . وسمعته يقول : إن فى النفس لشغلا عن الناس .

وعن محمد بن على الحربى قال سمعت سرياً يقول : حمدت الله مرة وأنا أستغفر الله من ذلك الحمد منذ ثلاثين سنة . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : كان لى دكّان وكان فيه متاع ، فوقع الحريق فى سوقنا فقيل لى ، فخرجت أتعرّف خبر دكّانى ، فلقيت رجلا فقال أبشر فإن دكّانك قد سلِم . فقلت : الحمد لله . ثم أفكرت فرأيتها خطيئة .

وعن الجنيد بن محمد قال : دخلت على سرىّ السقطى فسلمت وجلست فقال لى : اقربْ منى . فقربت منه فأخذ بيدى وقال لى : اعلم يابنى أن الشوق والأنس يرفرفان على القلب ، فإن وجدا هنالك الهيبة والإجلال حلاّ وإلاّ رحَلا .

وعن ابن مسروق قال : سمعت سرياً يقول : ثلاثٌ من كنّ فيه استكمل الإيمان : من إذا غضب لم يُخرجه غضبه عن الحق ، وإذا رضىَ لم يخرجه رضاه إلى الباطل ، وإذا قدرَ لم يتناول ما ليس له .

وعن جنيد قال : سمعت سرياً يقول : إذا فاتنى شىء من وِرْدى لم أقدر أن أعيده .

قال جنيد : كان سرىّ متصل الشغل وكان إذا فاته شيء لا يقدر أن يعيده ، وكذا كان عمر بن الخطاب لم يَكن له وقت ينام فيه ، فكان ينعس وهو قاعد ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ألا تنام ؟ فقال : كيف أنام ؟ إن نمت بالنهار ضيّعت أمور المسلمين ، وإن نمت بالليل ضيّعت حظى من الله عز وجل .

وعنه قال : أخبرنا سرى السقطى قال : صلّيت ليلة ثم جلست ساعة ومددت رجْلى . فنوديت فى سرّى : يا سَرِىّ من جالس الملوك ينبغى أن يحسن[1] الأدب .

وعن حسن البزار قال : كان أحمد بن حنبل هاهنا ، وكان بشر بن الحارث ههنا ، وكنا نرجو أن يحفظنا الله بهما . ثم ماتا وبقىَ سرىّ فانى أرجو أن يحفظنا الله بسرىّ .

وعن الجنيد قال : ما رأيت أعْبدَ لله من السرىّ السقطى . أُتت عليه ثمان وسبعون سنة مارُئى مضطجعاً إلاّ فى علّة الموت .

وعن القاسم بن عبد الله البزار قال : سمعت سرىّ بن المغلس يقول : لو أن رجلاً دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى من الأشجار ، عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الأطيار ، فخاطبه كل

---

(١) صف : يلزم .

طائر منها بلُغتِه وقال : السلام عليك ياولىّ الله فسكنت نفسه إلى ذلك ، كانت فى يدها أسيراً .

وعن إبراهيم بن السرى السقطى قال : سمعت أبى يقول: عجبت لمن غَدا وراحَ فى طلب الأرباح وهومثْلَ نفسه لايربح أبداً . وسمعت أبى يقول : لو أشفقت هذه النفوس على أديانها شفقتَها على أولادها لاقت السرور فى مَعادها .

وعن الجنيد بن محمد قال : سمعت سرياً يقول : لولا الجمعة والجماعة لسددتُ على نفسى الباب ولم أخرج

وعن ابن مسروق قال: سمعت سرياً يقول لإخوانه : الدهر ثلاثة أيام ، يوم مضى بؤسُه وشدته وغمّه لم يبق منه شيء ، واليوم الذى أنت فيه صديق مودع لك طويل الغيبة عنك ، سريع الرحلة عنـك ، وغداً فى يديك تأميله ، ولعلك من غير أهله .

وقال : أمسِ أجلٌ واليومَ عمل ، وغداً أمل .

وقال الجنيد : كنت نائماً عند سرىّ رحمه الله فأنبهنى فقـال لى : يا جُنَيد رأيت كأنّى قد وقفت بين يدى الله تعالى ، فقال لى: ياسرىّ خلقت الخلق فكلهم ادعى محبتى ، وخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقىَ معى العشر ، وخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشـار العُشر وبقى معى عُشر العُشر ، فسلطت عليهم ذرّة من البلاء فهرب منى

تسعة أعشار عُشرِ العُشر ، فقلت للباقين معى، لا الدنيا أردتم ولا الجنةَ أخذتم، ولا من النار هربتم ، فماذا تريدون ؟ قالوا : إنك تعلم ما نريد . فقلت لهم : فإنّى مسلّط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم . مالا تقوم له الجبال الرواسِي ، أتصبرون ؟ قالوا : إذا كنت أنت المبتلِي لنا فافعلْ ما شئت . فهؤلاء عبادى حقاً .

وعنه قال: كنت يوماً عند السرىّ بن مغلس وكنا خاليَيْن[1] وهو متّزر بمئزر فنظرت إلى جسده كأنه جسد سقيم دَنِف مُضنى كأجهد ما يكون . فقال : انظر إلى جسدى هذا لو شئت أن أقول إن ما بى من المحبة لله تعالى[2] لكان كما أقول . وكان وجهه أصفر ثم أُشرب حمرةً حتى تورّد . ثم اعتلّ. فدخلت عليه أعوده فقلت له : كيف تجدك فقال:

كيف أشكو إلى طبيبى ما بى ؟ والذى بى[3] أصابنى من طبيبى

فأخذت المِرْوَحة أروحهُ فقال لى ؟ كيف يجد روح المِروحة مَن جوفُه يحترق من داخل ؟ . ثم أنشأ يقول :

القلب محترقٌ والدمعُ مستبِقُ والكرب مجتمع ، والصبر مفترقُ
كيف القَرار على من لاقَرار له[4] مما جناه الهَوى[5] والشوق والقلق؟

---

(١) صف : جالسين ، قط : ونحن خالون .
(٢) الجار والمجرور (من المحبة) خبر إن .
(٣) صف : والذى قد . (٤) ط : الفرار على من لا فرار له .
(٥) صف : الهوى .

يا رَبّ إن كان شئْ فيه لى فرَج فامنُن علىّ به بى ما دام بى رمَق

وعنه قال : دخلت على سرى السقطى وهو فى النزع ، فجلست عند رأسه فوضعت خدّى على خده فدمعتْ عيناى فوقع دمعى على خدّه ففتح عينيه فقال لى : من أنت ؟ قلت : أنا خادمك الجنيد . فقال : مرحباً . فقلت له : أيها الشيخ أوصنى بوصية أنتفع بها بعدك . قال : اياك ومصاحبة الأشرار وأن تنقطع عن الله بصحبة الأخيار .

وقد رواها جعفر الخلدى عن الجنيد أيضا .

أسند سرى عن هشيم وأبى بكر بن عياش ويزيد بن هارون وغيرهم . وصحب معروفاً الكرخى .

قال أبو عبيد على بن الحسين بن حرب القاضى : توفّى سرى بن المغلس يوم الثلاثاء لستٍّ خلوْن من رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

وعن أبى الحسن(١) بن مقسم المقرى قال : مات سرى سنة إحدى وخمسين ومائتين .

وقال المصنف رحمه الله : والأول أصحّ .

وعن أبى عبيد بن حربويه قال : حضرت جنازة سرى السقطى

---

(١) صف : وعن الحسن .

فسررت فحدثنا رجل عن آخر أنه حضر جنازة سرى السقطى فلما كان فى بعض الليل رآه فى النوم فقال له : ما فعل الله بك قال : غفر لى ولمن حضر جنازتى وصلى علىّ فقلت : فانى ممن حضر جنازتك وصلى عليك قال : فأخرج درجا فنظر فيه فلم ير لى فيه اسماً فقلت : بلى قد حضرت قال : فنظر فإذا اسمى فى الحاشية ، رحمه الله ورضى عنه .

٢٧٣ — على بن الموفق ، أبو الحسن العابد

عن محمد بن أحمد بن المهدى قال : سمعت على بن الموفق ، ما لا أحصيه ، يقول : اللهم إن كنت تعلم أنى أعبدك خوفاً من نارك فعذّبنى بها ، وإن كنت تعلم أنى أعبدك حباً منى لجنتك[1] وشوقاً منى إليها فاحْرِمْنيها ، وإن كنت تعلم أنى أعبدك حباً منى لك وشوقاً منى إلى وجهك الكريم فأبِحْنيه واصنع بى ما شئت .

قال : وسمعته يقول : خرجت يوماً لأؤذن فأصبحت قرطاساً فأخذته ووضعته فى كمىّ وأقمت وصلّيت فلما صلّيت قرأته فاذا فيه مكتوب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . يا علىّ يا بن الموفّق ، تخاف الفقر وأنا ربّك ؟ » .

وعن عبد الله بن العباس الطيالسى قال : سمعت عليّ بن الموفق

(١) ط : إلى جنتك .

يقول : قام رجل من إخوانكم فى ليلة باردة فلما تهيأ للصلاة إذا شُقاقٌ فى يديه[١] ورجليه فبكى ، فهتف به هاتف من البيت أيقظناك وأغناهم وتبكي علينا .

وعن عبد الرحمن بن عبد الباقي بطرسوس قال : سمعت بعض مشايخنا يقول : قال على بن الموفق : لما تمّ لى ستّون حجة خرجت من الطواف وجلست بحذاء الميزاب وجعلت أتفكر لا أدرى أىّ شيء حالى عند الله ، وقد كثر تردّدى إلى هذا المكان . قال : فغلبتْنى عينى ، فكأن قائلا يقول : يا علىّ أتدعو إلى بيتك إلاّ من تحبه ؟ فانتبهت وقد سُرِّىَ عنى ما كنت فيه .

وعن محمد بن اسحاق السراج قال : سمعت على بن الموفق يقول : حججت نيّفاً وخمسين حجّة فنظرت إلى أهل الموقف وضجيج أصواتهم فقلت : اللهم إن كان فى هؤلاء أحد لم يُتقبّلْ حجُّه فقد وهبت[٢] حجّتى له . فرحت إلى مزدلفة فبت بها فرأيت ربّ العزة تعالى فى المنام فقال لى : يا على يا بن الموفق تتسخّى علىّ ؟ قد غفرت لأهل الموقف ولأمثالهم وشفّعت كلّ واحد منهم فى أهل بيته وعشيرته وذرّيّته ، وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة .

---

(١) الشقاق : تشقق يصيب أرساغ الدواب ... وتقول : « بيد فلان ورجله شقوق » ولا تقل شقاق (أقرب الموارد) .

(٢) ط : « لم تقبل حجته فقد ذهبت » ففى الكلمة الأخيرة تصحيف

وعن أحمد بن عبد الله الحفار قال : رأيت أحمد بن حنبل فى النوم فقلت : يا أبا عبد الله مافعل الله بك ؟ قال : حبانى وأعطانى وقرّبنى وأدنانى . قال : قلت : الشيخ الزَّمِن علىّ بن الموفق ماصنع الله به ؟ قال: الساعة تركتُه فى زُلال يريد العرش .

قال المؤلف : أسند ابن الموفق عن منصور بن عمار وأحمد بن أبى الحوارى .

وتوفى سنة خمس وستين ومائتين . رحمه الله .

٢٧٤ – أبو شعيب البراثى العابد

قال الجنيد بن محمد : أبو شعيب البرَاثى أول من سكن برَاثا[١] فى كوخ يتعبّد فمرّت بكوخه جارية من بنات الكبار أبناء الدنيا فتجرّدت مما كانت فيه وتزوجت به . مكثا سنين كثيرة يتعبّدان أحسن عبادة . وتُوفّيا على ذلك متعاونين رحمهما الله .

٢٧٥ – أبو عبد الله بن أبى جعفر البراثى

عن أبى مريم قال : قلت لأبى عبد الله البراثى : كَمْ تبكى؟ كم هذا البكاء[٢] ؟ فأخرج إلىّ يده وإذا على أصبعه شعرة ملفوفة ، فنشرها ثم قال: إذا كان المجاز على مثل هذه فأىّ قدم يثبت على مثل هذا ؟ ثم بكى .

---

(١) براثا (بفتح الباء) : محلة كانت فى طرف بغداد فى قبلة الكرخ .

(٢) ط : « لم تبكى ، لم هذا البكاء » .

وعن حكيم بن جعفر قال : سمعت أبا عبد الله البراثى يقول : لن يرد القيامة أرفعُ دَرجةً من الراضين عن الله على كل حال ، ومن وهب له الرضا فقد بلغ أفضل الدرجات ، ومن زهد على حقيقة كانت مُؤنته خفيفة ، ومن لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه فى جميع الأحوال .

وعنه قال : سمعت أبا عبدالله البراثي يقول : كرمك أطمعنا سيّدى فى عفوك ، وجودُك أطمعنا فى فضلك ، وذنوبنا قد تؤُيسنا من ذلك ، وتأبى قلوبنا لمعرفتها بك أن تقطع رجاءها بك منك ، فتفضّل أيها الكريم وجُد بعفوك يارحيم .

وعنه قال : سمعت أبا عبد الله البراثى يقول : بالمعرفة هانت على العاملين العبادة وبالرضا عن الله عز وجل فى تدبيره زهدوا فى الدنيا ورضوا منها لأنفسهم بتقديره .

وعنه قال: سمعت أبا عبدالله البراثى يقول: من كرمت نفسه عليه رغب بها عن الدنيا .

وعن البرجلانى قال : سمعت أباعبدالله البراثى يقول : حملتنا المطامع على أسوأ الصنائع ، نذلّ لمن لا يقدر لنا على ضَررٍ ولا على نفْع ، ونخضع لمن لا يملك لَنا رزْقاً ولا حياة ولاموتاً ولانشوراً ، فكيف أزعم أنى أعرف ربى حقّ معرفته وأنا أصنع ذلك ؟ هيهاتَ هيهات .

٢٧٦ – أبو جعفر المحولى[1]

سكَن باب المُحَوَّل[2] من بغداد فنسب إليه .

عن اسماعيل بن ابراهيم الترجمانى قال : سمعت أبا جعفر المجولى وكان عابداً عالمًا يقول : حرامٌ على قلب محب الدنيا أن يسكنه الورع الخفىّ ، وحَرام على نفسٍ عليها رياسة الناس أن تذوق حلاوة الآخرة ، وحرامٌ على كل عالم لم يعمل بعلمه أن يتخذه المتّقون إماماً .

وعن عبد الله بن أبى حبيب قال : سمعت أبا جعفر المحولى يقول : إليك أشكو بدناً غُذِىَ بنعمتك ، ثم توثّب على معاصيك .

وعن الصلت بن حكيم قال : قال أبو جعفر المحولى يوماً ، وذُكر عنده الفالوذج ، فقال : إن قلبا يتفرّغ لصنعة الفالوذج حتى يأكله لَقلبٌ فارغ جداً ثم بكى .

وعنه قال : سمعت أبا جعفر المجولى يقول : إذا جاع العبد صفا بدنه ورق قلبه وهطلت دمعته ، وأسرعت إلى الطاعة أطواره[3] وجوارحه ، وعاش فى الدنيا كريمًا .

---

(١) فى النسخ : « المجولى » تصحيف .

(٢) فى النسخ « المجول » تصحيف . وباب المحول (بالحاء وتشديد الواو المفتوحة) أو (باب محول) : محلة كبيرة جنب الكرخ .

(٣) ج طور : الحال والهيئة .

٢٧٧ – ابراهيم الآجرى الكبير

عن عبدون الزجاج قال : قال ابراهيم الآجرّى ، وكان من الفاضلين ، لأن تردَّ همّك إلى الله [عز وجل] ساعةً خَيْرٌ لك[1] مما طلعت عليه الشمس .

٢٧٨ – أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الرحمن القنطرى

عن ابن المنادى قال : أبو بكر محمد القنطرى كان ينزل قنطرة البردان ، وكان يشبَّه فى الزهد والورع والشغل عن الدنيا وأهلها ببشر بن الحارث وكان قُوته شيئاً يسيراً إنما كان فيما أخبِرت عنه يكتب « جامعَ » سفيان الثورى لقومٍ لا يشكّ فى صلاحهم ببضعة عشر درهماً ، فمنها قوته .

وقالوا : كان له ابن أخت حدَث فرآه يلعب بالطيور فدعا الله أن يميته فما أمسى يومه ذلك إلا ميتاً .

وعن أبى بكر أحمد بن محمد المروزى قال : دخلت على أبى بكر بن مسلم صاحب قنطرة البردان يوم عيد فوجدته عليه قميص مرقوع نظيف مُطْبِق[2] وقدّامه قليلُ خُرنوبٍ يقرضه . فقلت : يا أبا بكر ،

---

(١) صف : أحب إليك . (٢) عم جسمه وغطاه .

اليوم عيد الفطر وتأكل خُرنوبًا ؟ فقال لى : لا تنظر إلى هذا ولكن انظر إن سألتني عنه من أين هو ، أيْش أقول ؟

وقال الجنيد بن محمد : عبرت يوماً إلى أبى بكر بن مسلم فى نصف النهار فقال : ما كان لك فى هذا الوقت عمل يشغلك عن المجىء إلىّ ؟ قلت : إذا كان مجيء إليك عملاً فما أعمل .

وعنه قال : كان لى شيوخ كانت رؤيتهم لى قوة[1] من الأسبوع إلى الأسبوع ، وإن أبا بكر بن مسلم منهم .

وعن أبى بكر المروزى قال : سمعت أبا بكر بن مسلم يقول : الدنيا لأىّ شيء تُراد ؟ إن كان إنما تُراد للذةٍ ، فلا كانت الدنيا ولا كان أهلها . إنما تراد الدنيا أن يُطاع الله فيها .

توفى أبو بكر بن مسلم يوم الثلاثاء لخمسٍ بقين من ذى الحجة سنة ستين ومائتين .

٢٧٩ — أبو جعفر بن السماك العابد

عن سرىّ السقطى قال : دخل علىَّ أبو جعفر بن السماك وكان شيخاً متعبداً مترويًا فرأى عندى جماعة فوقف ولم يقعد . ثم نظر

---

(١) قط : قوتاً

إلىّ وقال : يا سرىّ صرتَ مُناخ البطالين ورجع ولم يقعد وكره اجتماعهم حولى .

قال المؤلف : هكذا رُوىَ لنا فى نسبه أبو جعفر بن السماك .
وقال أبو عبد الرحمن السلمى : هو أبو جعفر السماك ، بغدادى من مشايخ سرىّ السقطى .

٢٨٠ – أيوب الحمال

يكنى أبا سليمان من العباد المجتهدين ، من ذوى الكرامات ، وهو من أقران بشْر وسرىّ وصحب[١] سهل بن عبد الله .

عن محمد بن خالد قال : سمعت أيوب الحمال يقول : عقدت على نفسى ألاّ أمشى غافلاً ولا أمشى إلا ذاكراً فمشيت مشيةً فأخذتْنى عَرْجة فعلمت من أين أتيت ؟ فبكيت واستغثت وتُبت فزالت العلة والعرجة . فرجعت إلى الموضع الذى غفلت فيه ، فرجعت إلى الذكر فمشيت سليماً .

وعن أحمد بن محمد بن وهب عن بعض أصحابه أنه حجّ مع أيوب الحمال . قال : فلما أن ظعنّا فى البادية وسرنا منازلَ ، إذا عصفور يحوم علينا وحولنا . فرفع أيوب رأسه فنظر إليه فقال له : قد جئتَ إلى ههنا ؟ وأخذ خبزاً ففتّه له فى كفّه . فوقع العصفور على يده وجعل يأكل منها . ثم صبّ له ماء فشرب . ثم قال له :

(١) صف : صحب . قط : صحبه .

اذهب الآن . فطار العصفور . فلما كان من الغد رجع العصفور ففعل به أيوب مثل مافعل فى اليوم الأول ثم لم يزل يفعل به ذلك حتى انتهى إلى آخر السُّفْرة .

٢٨١ – محمد بن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن بن عبد الصمد

مولى سعيد بن العاص القُرشى يكنى أبا الحسن ويلقب نحبش . ويعرف بابن أبى الورد . عن على بن عبد الحميد قال : سمعت محمد بن أبى الورد يقول : هلاك الناس فى حَرْفَين : اشتغالٍ بنافلة ، وتضييع فَريضةٍ وعَملٍ بالجوارح بلا مواطأة القلب عليه ، وإنما مُنعوا الوصول بتضييع الأصول .

وعن أبى بكر الصوفى الاسكاف قال : سمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن أبى الورد يقول : أشْكَر الخلق لله عز وجل مَن لم ير أنه شكر اللهَ عزّ وجل قطّ .

وعن جعفر بن محمد قال : سئل محمد بن أبى الورد عن قوله : « أفَمَنْ زُيّن له سُوءِ عَمَلِه فرآه حسناً[١] » قال : من ظن فى إساءته أنه محسن .

وقال : من آداب الفقير فى فقره ترك الملامة ، والتعبير لمن ابتُلى

---

(١) فاطر : ٨ .

بطلب الدنيا ، والرحمة والشفقة عليه ، والدعاء له ليريحه الله من تعبه فيها .

وعن عبد الرحمن بن أحمد قال : سمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن أبي الورد يقول : إن لله عز وجل يوماً لاينجو من شرّه منقادٌ لهواه ، وإنّ أبطأ الصّرعى نهضةً يومَ القيامة صريعُ الشهوة ، وإن العقل معدن والفكر مِعْول ، فبقدر الطاقة والقوة يكون انتهاؤه ، وعلى العاقل مراعاة قلبه وحفظ ساعته لاغير

وعن أبي الحسين بن المنادى قال : وأبو الحسن محمد بن محمد المعروف بحبش بن أبي الورد ما زال مشهوراً بالورع والزهد والفضل والانكماش في العبادة حتى فارق الدنيا .

قال المؤلف : أسند محمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم وبشر الحافي وصحب سريّاً والمحاسبي .

وتوفى في رجب سنة ثلاث وستين ومائتين . رحمه الله .

٢٨٢ — أخوه أحمد بن محمد بن أبي الورد

وقيل يكنى أبا الحسن أيضاً .

وعن جعفر بن محمد قال : قال أحمد بن أبي الورد : وَلىُّ الله إذا زاد جاههُ زاد تواضعه ، وإذا زاد ماله زاد سخاؤه ، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده .

وقال : وصل القوم بخمسٍ : بلزوم الباب ، وترك الخلاف ، والنفاذ في الخدمة ، والصبر على المصائب ، وصيانة الكرامات .

وعن أبي علي الروذباري قال: كان أحمد ومحمد ابنا محمد بن أبي الورد صحبا أبا عبد الله الساجي ، وكان أبو عبدالله يقول : من أراد أن يخدم الفقراء فليخدم خدمةَ ابنيْ أبي الورد : صحباني عشرين سنة ما سألاني مسألةً قطّ ، وما رأيت منهما منكراً قطّ .

صحب أحمد بن أبي الورد بشْراً [1] الحافي والحارث المحاسبي وسريّاً ومات قبل أخيه محمد .

٢٨٣ — الحسن الفلاس

تأدب ببشْر الحافي ، وعاصر سريّاً السقطي ، وكان سريّ يُفخّم أمره .

عن وهب بن نعيم بن الهيصم قال : جاء حسن الفلاس إلى بشر ابن الحارث مرة ومرتين وثلاثاً ، يتردد إليه في مسألة ليكون الحجةَ فيما بينه وبين الله تعالى . فتركه بشر وقام مرة ومرتين وثلاثاً .

فلما كان بعد ذلك تبعه إلى المقابر . فلما صار إلى المقابر وقف بشْر فقال له : ياحسن أيودّ هؤلاء أن يُرَدّوا فيُصلِحوا ما أفسدوا ؟ ألا فاعلم

---

(١) في النسخ : بشر ، والصواب نصبه كما أثبت .

يا حسن أنه من فرح قلبه بشئ من الدنيا أخطأ الحكمةَ قلبُه . ومن جعل شهوات الدنيا تحت قدميه فرقَ الشيطانُ من ظلّه ، ومن غُلب هواه فهو الصابر الغالب ألا واعلم أن البلاء كله فى هواك ، والشفاء كله فى مخالفتك إياه . فإذا لقيته فقل : قال لى .

فرجع الحسن فعاهد الله ألا يأكل ما يُباع ولا ما يُشترى ، ولا يلبس ما يُباع ولا ما يشترى ، ولا يمسك بيده ذهباً ولا فضةً ولا يضحك أبداً . وكان يأوى ستة أشهر فى العباسية وستة أشهر حول دار البطيخ ويلبس ما فى المزابل .

ولقيه رجل بالذندرن[1] منصرفاً على هذه الصورة . فقال : ياحسن من ترك شيئاً لله عوّضه الله ما هو خير منه يعنى فما عوّضك ؟ قال الحسن : الرضا بما ترى .

فلما رجع من غَزاته خرج به خُرَاجٌ وكانت فيه ميتتُه . فلما اشتد به الأمر قال لمولاة له : لا تسقينى ماء حتى أطلب منك . فلما قرب منه الأمر طلب منها الماء فشرب وقال : لقد أعطانى ما يَتنافس فيه المتنافسون .

وعن سرى السقطى قال : تُعجبنى طريقة حسن الفلاس . وكان حسن الفلاس لا يأكل إلا القُمامة[2] [رحمه الله] .

(١) كذا فى ط . وفى ق : بالندندون .

(٢) ط : « القمام » وهو جمع القمامة : أى الكناسه .

٢٨٤ — محمد بن منصور الطوسى

يكنى أبا جعفر . أصله من طُوس . سكن بغداد ومات بها .

أثنى عليه أحمد بن حنبل .

وعن أحمد بن محمد بن الفضل المؤذن قال : سمعت محمد بن منصور الطوسى ، وحواليه قوم ، فقالوا له : يا أبا جعفر أىّ شىء عندك اليوم ؟ فقد شك الناس فيه يوم عرفة هو أو غيره . فقال : اصبروا . فدخل البيت . ثم خرج فقال : هو عندى يوم عرفة فاستحْيَوْا أن يقولوا : من أين لك ذلك ؟ فعدّوا الأيام والليالى فكان اليوم الذى قال . فجاء إليه ابن سلام[1] فقال : من أين علمت أنه يوم عرفة ؟ قال : دخلت البيت فسألت ربى تعالى فأرانى الناس فى الموقف .

وعن الحسن بن علوية قال : قال محمد بن منصور : ستّ خصالٌ يعرف بها الجاهل : الغضب في غير شىْء ، والكلام فى غير نفع ، والعِظة فى غير موضعها ، وإفشاء السرّ ، والثقه بكل أحدٍ ، ولا يعرف صديقه من عدوه .

أسند محمد بن منصور عن هاشم بن القاسم وغيره . ومسانيدُه كثيرة .

---

(١) قط — فجاء إليه سلام .

وتوفّى يوم الجمعة لستٍّ بقين من شوال سنة أربع وخمسين وما ئتين . رحمه الله .

٢٨٥ — محمد السمين (١)

الخلدى قال : قال الجنيد : قال لى محمد السمين (١) : كنت فى وقت من الأوقات أعمل على الشوق وكنت أجد من ذلك شيئاً أنه به مشتغل . فخرجت إلى الغزو وهذه الحالة حالى ، وغزا الناس وغزوْت معهم . فكثر العدوّ على المسلمين وتقاربوا والْتقوا ولزم المسلمين من ذلك خوف لكثرة الروم .

قال أحمد : فرأيت نفسى فى ذلك الموطن وقد لحقها روع ، فاشتد ذلك علىّ وجعلت أوبخّ نفسى ، وألومها وأؤنبها وأقول لها : كذّابة تدّعين الشوق فلما جاء الموطن الذى يؤمل فى مثله الخروج اضطربت وتغيرت ؟ فأنا أوبخها إذا وقع لى أنزل إلى النهر فأغتسل . فخلعت ثيابى واتّزرت ودخلت النهر فاغتسلت وخرجت وقد اشتدّت لى عزيمة لا أدرى ماهى ؟ فخرجت بقوة تلك العزيمة ولبست ثيابى وأخذت سلاحى ودنوت من الصفوف وحملت بقوة تلك العزيمة حملةً وأنا لا أدرى كيف أنا ؟ فخرقت صفوف المسلمين وصفوف الروم حتى صِرتُ من ورائهم ثم كبّرت تكبيرة فسمع الروم

(١) قط : محمد بن السمين .

تكبيراً فظنوا أن كميناً قد خرج عليهم من ورائهم فولَّوا وحمل عليهم المسلمون فقُتل من الروم بسبب تكبيرتى تلك نحو أربعة آلاف ، وجعل الله عز وجل ذلك سبباً للفتح والنصر .

٢٨٦ — زهير بن محمد بن قمير

ابن شعبة أبو محمد مروزى الأصل سكن بغداد .

عن أبى القاسم أحمد بن منيع قال : ما رأيت بعد أبى عبد الله أحمد بن حنبل أزهد من زهير بن قمير .

وعن محمد بن زهير بن قمير قال : كان أبى يجمعنا فى وقت خَتمةِ القرآن فى شهر رمضان ، فى كل يوم وليلة ثلاث مرات ، تسعين ختمه فى شهر رمضان .

وعن عبد الله بن البغوى قال : سمعت زهيراً يقول : أشتهى لحماً من أربعين سنة ولا آكله حتى أدخل الروم فآكله من مغانم الروم .

أسند زهير بن محمد بن قمير عن الحسين بن محمد المروزى والحسن بن موسى الأشيب ويعلى بن عبيد والقعنبى وعبد الرازق فى آخرين .

وانتقل فى آخر عمره إلى طرسوس فرابط بها إلى أن توفى بها فى بها فى سنة سبع وخمسين . وقيل ثمان وخمسين ومائتين .

وذكر أبو الحسن المنادى أنه دفن فى مقابر باب حرب ، والصحيح الأول .

٢٨٧ - ابراهيم بن هانىء

أبو اسحاق النيسابورى رحل فى طلب العلم إلى البلدان واستوطن بغداد واختفى عنده أحمد بن حنبل . وكان يثنى عليه ويقول لا أطيق ما يطيق ابراهيم من العبادة .

عن أبى بكر النيسابورى قال : حضرت ابراهيم بن هانىء عند وفاته فقال لابنه اسحق : أنا عطشان . فجاءه بماء . فقال : غابت الشمس ؟ قال : لا . قال : فردّه . ثم قال : (لمثْلِ هذا فلْيعمَلِ العاملون)[1] ثم خرجت روحه .

وعنه قال : حضرتُ ابراهيم بن هانىء النيسابورى يوم وفاته ، فدعا ابنه اسحاق فقال : هل غربت الشمس ؟ قال : لا . ثُمّ قال : يا أبة رُخص لك فى الافطار فى الفرض وأنت متطوّع . قال : امهل . ثم قال : (لمثْلِ هذا فليعملِ العاملون) . ثم خرجت نفسه .

وعن أبى بكر بن زنجويه قال : قال أحمد بن حنبل : إنْ كان ببغداد من الأبدال أحد فأبو اسحاق ابراهيم بن هانىء .

---

(١) الصافات : ٦١ .

أسند ابراهيم بن هانئ عن يعلى ومحمد ابنيْ عبيد ، وقبيصة وأبى اليمان فى خلق كثير .

وتوفى يوم الأربعاء لأربعٍ خَلَوْن من ربيع الآخر خمس وستين ومائتين رحمه الله .

٢٨٨ - فتح بن شحرف بن داود

ابن مزاحم ، أبو نصر الكشى (١)

قال البربهارى : سمعت بن شحرف يقول : رأيت رب العزة جلّ وعزّ فى النوم فقال : يا فتح احذر لا آخذُك على غرة . قال : فتهتُ فى الجبال سبع سنين .

وعن رُويم بن أحمد قال : لقينى يوماً الفتح بن شحرف فقال : يا أبا محمد أنت أمين الله على نفسك لا ترى علىّ شيئاً محتاج إليه ، ولا عندى شىء ترحمك الحاجة إليه فتتخلّف عن أخذه .

وعن محمد بن المسيب قال : قال الامام أحمد بن حنبل : ما أخرجت خراسان مثل فتح بن شحرف .

وعن الحسين بن يحي الأرموى قال : كتب فتح بن شحرف

---

(١) قط - الكيشى .

على باب بيته : رحم الله ميتاً دخل على هذا الميت فلم يَذكر الموتى عنده إلا بخير .

وقال أحمد بن عبد الجبار : سمعت أبي يقول : صحبت فتح بن شحرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه إلى السماء . ثم رفع رأسه إلى السماء وفتح عينيه ونظر إلى السماء . ثم قال : قد طال شوقي إليك فعجّلْ قُدومي عليك .

وعن أبي الحسين[1] الحمادى القاضي قال : سمعت الفتح بن شحرف يقول : رأيت أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله عليه في النوم . فقلت له : يا أمير المؤمنين أوصِني : قال لى : ما أحسَنَ تواضُعَ الأغنياء للفقراء ، وأحسَنُ من ذلك تيهُ الفقراء على الأغنياء . قال : فقلت له : زدنى . فأومأ إليَّ بكفه فإذا فيه مكتوب :

قد كنتَ ميتاً فصرْتَ حيّاً وعن قليــل تَصيرُ مَيْتا

اغنى بدار الفنـاءِ بيت فابْنِ بدار البقـــاءِ بَيْتا

حدّث الفتح بن شحرف عن رجاء بن مرجا وجعفر بن عبد الواحد ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه وغيرهم .

وتوفى يوم الثلاثاء للنصف من شوال من سنة ثلاث وسبعين

---

(١) ق ، قط : أبي الحسن .

ومائتين . ودفن فى المقبرة التى بين باب حرب وباب قُطر بُلّ ، وصلى عليه بدر المغازلى .

قال أبو محمد الحريرى[1] غسلتُ الفتح بن شحرف فقلبتُه على يمينه فاذاعلى فخذه الأيمن مكتوب: خلقه الله، كتابة بيّنة قال جعفر:ورأيت الفتح[2] بن شحرف هذا وكان رجلاً صالحاًزاهداً لم يأكل الخبز ثلاثين سنة . وكان ذا أخلاق حسنة وكان يطعم الفقراء ، ومن يزوره من الأصحاب ، الطعامَ الطّيب . وكان حسَن العبادة والورع والزهد .

عن أبى محمد الحريرى[3] قال :غسلنا الفتح بن شحرف فرأينا على فخذه مكتوباً «لا إله الا الله »فتوهمناه مكتوباً فاذا هو عرْق داخل الجلْد .

وعن اسحاق بن إبراهيم بن هانى قال : لما مات فتح بن شحرف ببغداد صلّىَ عليه ثلاثاً وثلاثين مرة . أقلّ قومٍ كانوا يصلون عليه يعدّون خمسة وعشرين ألفاً إلى ثلاثين ألفاً .رحمه الله .

٢٨٩ — أبو اسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربى

ولد سنة ثمان وتسعين ومائة . وأصله من مرْو وكان إماماً فى

---

(١) صف : الجزرى (٢) صف : « ورأيت أنا فتح » ، قط . «أبافتح».

(٣) صف : عن أبى عبد الله الجزرى .

جميع العلوم . وله التصانيف الحسان . وكان زاهداً فى الدنيا وكان يقول : صحبت قوماً من الكرخ فى طلب الحديث فسمّونى الحربىّ لأن عندهم أن من[1] جاوز قنطرة العتيقة من الحربية [1] .

وعن أحمد بن عبد الله بن خالد قال : سمعت إبراهيم بن اسحاق الحربى يقول : أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجْرِ مع القدر لم يتهَنَّ بعيشه . كان يكون قميصى أنظفَ قميص وإزارى أوسخَ إزار، ماحدّثت نفسى أنهما يستويان قطّ وفَردُ عَقِبى مقطوع والآخر صحيح أمشى بهما وأدور بغداد كلها هـذا الجانب وذاك الجانب لا أحدث نفسى أن أن أصلحها وما[2] شكوتُ الى أمّى ولا إلى أختى ولا إلى امرأتى ولا إلى بناتى : قطّ حُمّى وجدتها . الرجلُ الذى[3] يدخل غمّه على نفسه ولا يغمّ عيالَه . وكان برأسى شقيقة[4] خمساً وأربعين سنة ما أخبرت بها أحداً قط ، ولى عشر سنين[5] أبصر بفَرد عين ما أخبرت به أحداً . وأفنيت من عمرى ثلاثين سنة برغيفيْن إن جاءتْنى بهما أمى أو أختى أكلتُ وإلا بقيت جائعاً عطشان إلى الليلة الثانيـة . وأفنيت ثلاثين سنة من عُمرى برغيف فى اليوم والليلة ، إن جاءتْنى امرأتى أو إحدى

---

(١) من الحربية . خبر أن . ق . « لأن عندهم ما جاوز » .

(٢) ط : ولا . (٣) الذى : خبر الرجل (٤) ط : « وكان بى شقيقة » . والشقيقة : وجع يأخذ فى نصف الرأس والوجه .

(٥) ق ، قط : عشرين سنة .

بناتى به أكلته وإلا بقيت جائعاً عطشان إلى الليلة الأخرى . والآن آكل نصف رغيف وأربع عشرة تمرة إن كانت برنياً . أو نيفاً وعشرين إن كان دقَلاً[1] . ومرضت ابنتى فمضت امرأتى فأقامت عندها شهراً فقام إفطارى فى هذا الشهر بدرهم ودانقين ونصف ، دخلت الحمام واشتريت لهم صابوناً بدانقين فقام نفقة شهر رمضان كله بدرهم وأربعة[2] دوانيق ونصف .

وعن القاسم بن بكير قال سمعت ابراهيم الحربى يقول : ما كنا نعرف من هذه الأطبخة شيئاً . كنت أجىء من عشاء إلى عشاء وقد هيأت لى أمى باذنجانةً مشويةً أو لعقةَ بنٍ أو باقة فجلٍ .

وقال أبو بكر بن علىّ الخرّاط : كنت يوماً جالساً مع ابراهيم بن اسحاق على باب داره فلما أن أصبحنا قال لى : ياأبا علىّ قم إلى شغلك فان عندى فجلةً قد أكلت البارحة خضرتها أقوم أتغدّى بجزرتها .

وعن أبى عثمان الرازى قال : جاء رجل من أصحاب المعتضد إلى ابراهيم الحربى بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد يسأله عن أمر أمير المؤمنين يفرّق[3] ذلك فردّه . فانصرف الرسول ثم عاد فقال : إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرّقه فى جيرانك . فقال : عافاك الله هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه فلا نشغلها بتفرقته ، قل لأمير المؤمنين . إن

---

(١) الدقل (بفتحتين) : أردأ التمر . (٢) ط : وأربع ، غلط .
(٣) ق : يفرقه .

تركتنا وإلا تحولنا من جوارك.

وعن أبي القاسم الجبلي قال: اعتلّ ابراهيم الحربي علّة حتى أشرف على الموت فدخلتُ اليه يوماً فقال لي: ياأبا القاسم أنا في أمر عظيم مع ابنتي. ثم قال لها: قومي اخرجي الى عمك فخرجت فألقت على وجهها خمارها. فقال لها ابراهيم: هذا عمك كلّميه. فقالت لي: ياعمّ نحن في أمر عظيم لا في الدنيا ولا في الآخرة، الشهر والدهر، مالنا طعام إلا كِسرَ يابسة ومِلْح وربما عدمنا الملْح وبالأمس قد وجّه اليه المعتضد مع بدْر بألف دينار فلم يأخذها ووجّه اليه فلان وفلان فلم يأخذ منهما شيئاً وهو عليل.

فالتفت الحربي إليها وتبسم وقال: يابنية إنما خفتِ الفقر؟ قالت نعم. قال: انظري إلى تلك الزاوية فنظرتْ فاذا كُتُب. فقال: هناك اثنا عشر ألفَ جزءِ لغةٍ وغريبٍ كتبتهُ بخطي إذا متّ فوجهي كل يوم بجزء فبيعه بدرهم، فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم فليس هو فقير[(1)]

وقال أحمد بن سليمان القطيعي: أضقت إضاقة فمضيت إلى ابراهيم الحربي لأبثه ما أنا فيه. فقال لي: لا يضيق صدرك فان الله من وراء المعونة. إني أضقت مرة إلى أن انتهى أمري في الإضافة إلى أنْ

(١) كذا في ق وفي ط: ليس هو فقير.

عدمَ عيالى قُوتهم ، فقالت لى الزوجة : هب أنى وإياكَ نصبر ، فكيف نعمل بهاتين الصّبيتين ؟ فهات شيئاً من كُتبك حتى نبيعه أو نرهنه . فضننت بذلك فقلت : اقترضى لهما شيئاً وأنظرينى بقية اليوم والليلة . وكان لى بيت فى دهليز دارى فيه كُتُبى وكنت أجلس فيه للنسخ والنظر .

فلما كان فى تلك الليلة إذا داقّ يدقّ الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : رجل من الجيران . فقلت . ادخل فقال : أطفىء السراج حتى أدخل فكببتُ على السراج شيئاً وقلت : ادخل فدخل وترك إلى جانبى شيئاً وانصرف . فكشفت على السراج ونظرت فاذا منديل له قيمة وفيه أنواع من الطعام وكاغذ[1] فيه خمسمائة درهم . فدعوت الزوجة وقلت : أنبهى الصبيان حتى يأكلوا .

ولما كان من الغد قضينا دَيْناً كان علينا من تلك الدراهم . وكان وقت مجيء الحاجّ من خراسان فجلست على بابى من غدِ تلك الليلة فاذا جمّال يقود جملين عليهما حملان ورقاً وهو يسأل عن منزل ابراهيم الحربى . فانتهى إلىّ ، فقلت أنا ابراهيم الحربى فحط الحِمْلين وقال هذان الحملان أنفذهما لك رجل من أهل خراسان . فقلت من هو ؟ فقال : قد استحلفنى ألاّ أقول مَن هو .؟

وعن ثعلب قال : ما فقدت ابراهيم الحربى من مجلس نحوٍ أو لغةٍ نحو خمسين سنة .

---

(١) ق : « وكاغد » بالدال وهما لغتان ومعناه القرطاس ، فارسى معرّب.

وعن محمد بن صالح الأعاطى قال : لا نعلم أن بغداد أخرجت مثل إبراهيم الحربى فى الأدب والحديث والفقه والزهد .

وقال أبو الحسن العتكى : سمعت إبراهيم الحربى يقول لجماعة عنده : من تعدّون الغريبَ فى زمانكم هذا ؟ فقال واحد منهم : الغريب من نأى عن وطنه . قال آخر : الغريب من فارق أحبابه وقال كل واحد[1] منهم شيئاً . فقال إبراهيم : الغريب فى زماننا رجل صالح عاش بين قوم صالحين ، إنْ أمر بالمعروف آزروه ، وإن نهى عن المنكر أعانوه وإن احتاج إلى شيء من الدنيا مانُوه ، ثم ماتوا وتركوه .

وعن مقاتل بن محمد بن بنان العتكي قال : حضرت مع أبى وأخى عند أ ـحاق ، يعنى إبراهيم الحربى ، فقال إبراهيم لأبى : هؤلاء أولادك ؟ قال نعم . قال : احذر لا يرونك حيث نهاك الله فتسقط من أعينهم

وعن محمد بن خلف وكيع قال : كان لابراهيم الحربى ابن ، وكان له إحدى عشرة[2] سنة ، حفظ القرآن ، ولقّنه من الفقه شيئاً كثيراً قال : فمات . فجئت أعزّيه . فقال : كنت أشتهى موت ابنى هذا . قال : قلت يا أبا اسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هـذا فى صبى قد أنجبَ[3] ولقنته الحديث والفقه ؟ قال : نعم رأيت فى النوم كأن

(١) ط : أحمد . (٢) فى النسخ : « إحدى عشر » والصواب ما أثبتناه

(٣) كان نجيباً .

القيامة قد قامت وكأن الصبيان بأيديهم قلال فيها ماء يستقبلون الناس يسقونهم ، وكان اليوم يوماً حاراً شديداً حره . قال : فقلت لأحدهم : اسقنى من هذا الماء . قال : فنظر الىّ وقال : ليس أنت أبى . فقلت : أىّ شىء أنتم ؟ قال : فقال نحن الصبيان الذين متنا فى دار الدنيا وخلّفنا آباءنا . نستقبلهم فنسقيهم الماء . قال : فلهذا تمنّيت موته .

وعن عيسى بن محمد الطومارى قال : دخلنا على إبراهيم الحربى وهو مريض ، وقد كان يُحمل ماؤه إلى الطبيب . فجاءت الجارية وردّت الماء وقالت : مات الطبيب فبكى وأنشأ يقول .

إذا مات المعالج من سَقامى فيوشك للمعالَج أن يَموتا

وعن على بن الحسن البزار قال : سمعت إبراهيم بن اسحاق الحربى يقول ، وقد دخل عليه قوم يعودونه ، فقالوا : كيف تجدك يا أبا اسحاق قال : أجدني كما قال الشاعر :

دبّ فىّ البلاءُ سفْلا وعُلْوا وأرانى أموت عُضْواً فعضْوا
ذهبت جِدّتى بطاعة نفسِى وتذكّرت طاعةَ الله نضْوا

أسند إبراهيم الحربى عن أبى نَعَيم الفضل بن دُكين ، وعفان ، ومسدّد ، وأحمد بن حنبل وخلق كثير لا يُحصون .

وتوفى ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين . وقبره ظاهر يتبرّك الناس به . رحمه الله .

٢٩٠ — يحيى الجلاء

كان من خيار الناس . وصحب بشر بن الحارث .

قال محمد بن الحسين بن الحسن : سمعت أبا عبد الله بن الجلاء قال: قلت لذى النون: لِمَ سمىّ أبى الجلاءَ ؟ أكان يصنع صنعة ؟ قال :لا نحن سميناه الجلاّء ، كان إذا تكلمّ علينا جلا قلوبنا .

وعن أبى عبد الله أحمد بن يحي الجلاّء قال: مات أبى ، فلما وُضع فى المغسل رأيناه يضحك . فالتبس على الناس أمره فجاؤوا بطبيب وغطّوا وجهه . فأخذ مجسّه فقال : هذا ميت . فكشفوا عن وجهه الثوب فرآه يضحك . فقال الطبيب : ما أدرى أحىّ هو أم ميت ؟

فكان إذا جاء أنسان ليغسله لبسته منه هيبة لا يقدر على غسله حتى جاء رجل من إخوانه فغسله وكفّنه ، وصلى عليه ، ودفن .

٢٩١ — أبو إبراهيم(١) السائح

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كان فى دهليزنا دكان [وكان] إذا جاء انسان يريد أبى (٢) أن يخلو معه أجلسه على الدكان ، وإذا لم يرد أن يخلو معه أخذ بعضادتىْ الباب وكلّمه .

فلما كان ذات يوم جاءنا إنسان فقال لى : قل له : أبو ابراهيم السائح فجلسنا على الدكان فقال لى أبى: سلمّ عليه فانه من كبار المسلمين

(١) ق: إبراهيم . (٢) كلمة « أبى » ساقطة من ط .

أو من خيار المسلمين فسلّمت عليه فقال له أبي: حدثني يا أبا إبراهيم. فقال له أبو إبراهيم: خرجت إلى الموضع الفلاني بقرب الدير الفلاني فأصابتني علة منعتني من الحركة فقلت في نفسي: لو كنت بقرب الدير لعل من فيه من الرهبان يداويني فاذا أنا بسبع عظيم يقصد نحوى حتى جاءني فاحتملني على ظهره حملاً رفيقاً حتى ألقاني عند الدير. فنظر الرهبان إلى حالي مع السبع فأسلموا كلّهم وهم أربعمائة راهب — رحمه الله —

٢٩٢ – اسمعيل بن يوسف أبو علي المعروف بالديلمي

جمع بين العلم والعبادة والحديث وجالس أحمد بن حنبل. وحدث عن مجاهد بن موسى.

عن أبي الحسين بن المنادى قال كان إسمعيل الديلمي من خيار الناس. وذُكر لي أنه كان يحفظ أربعين ألف حديث.

قالوا: وكان يعبر إلى الجانب الشرقي قاصداً محمد بن اشكاب الحافظ، فيذاكره بالمسند.

وكان اسمعيل من أشهر الناس بالزهد والورع والتميز بالصّوْن (١) وأما مكسبه فكان من المشاهرة (٢) في الارحاء.

(١) قط: بالتصوف، ق. « والتميز بالفنون ».

(٢) صف المساهرة.

وعن أبى على الابرارى قال : قلت لاسمعيل الديلمى : تُشهِر في هذه الأرحاء بثلاثه دراهم ؟ وأىّ شيء تكفى ثلاثة[١] دراهم فقال يابنى ما لم يتصل بنا عِزّ التوكل فلا ينبغى أن نستعجل الذل بالتشرّف [٢]

وعن كردان قال : قال لى اسمعيل الديلمى اشهيت حُلْواً وبلغت[٣] شهوته إلىّ فخرجت من المسجد بالليل لأبولَ ، فاذا جنبتى الطريق أخاوين[٤] حلواً فنوديت يا إسمعيل هذا الذي اشتهيت،فان تركته فهو خيرلك . فتركُته .

قال ابن مخلد : وقد كتبت أنا عن كردان كان يكون فى قنطرة بنى زريق وقد رأيت اسمعيل الديلمى وكان ماشئت من رجل ، رأيته عندأبى جعفر بن اشكاب.

قال المعافى اسمعيل : هذا من خيار الناس [٥].

والناس يزورون قبره وراء قبر معروف الكرْخى ، وبينهما قبور يسيرة ، وقد زرته مراراً . وحدثنى بعض شيوخنا عنه أنه كان

---

(١) أشهر فى المكان يشهر : أقام فيه شهراً . ط : « تسهر فى هذه الأرحاء بثلث درهم ، وأى شىء يكفى ثلث درهم » .

(٢) ق : بالشرف . (٣) ط : وأبلغت .

(٤) الأخاوين : جمع أخونة ، وهذه جمع خوان : وهو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل . (٥) ق ، قط : المسلمين .

حافظاً للحديث ، كثير السماع وإنه كان يذاكر بسبعين[(١)] ألف حديث .

٢٩٣ – زكريا بن يحيى بن عبد الملك أبو يحيى الناقد

كان من كبار الأخيار .

عن محمد بن جعفر بن سام قال : لو قيل لأبي يحي الناقد غداً تموت ما ازداد في عمله .

وقال أبو زرعة الطبرى: قال أبو يحي الناقد اشتريت من الله تعالى حوراء بأربعة آلاف ختمة . فلما كان آخر ختمة سمعت الخطاب من الحوراء تقول : وفيت بعهدك فها أنا الذى اشتريتنى فيقال انه مات عن قريب .

أسند أبو يحي الناقد عن خالد بن خداش ، وفضيل بن عبد الوهاب وأحمد بن حنبل في آخرين .

وكان أحمد يقول فيه : هذا رجل صالح .

وتوفى ليله الجمعة لثمانٍ بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ومائتين .

---

(١) قط : بتسعين .

٢٩٤ — أبو بكر الرقاق واسمه محمد بن عبد الله

عن الحسن بن أحمد بن عبد العزيز قال : سمعت الرقاق يقول : لى تسعين سنة أُرُبّ هذا الفقر مَن لم يصحبه فى فقره الورَع أكل الحرام النص (١) .

محمد السراج قال : قال جنيد رأيت ابليس فى منامى وكأنه عريان فقلت له : ما تستحيي من الناس ؟ فقال : بالله هؤلاء عندك من الناس ؟ لو كانوا من الناس ما تلاعبتُ بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ولكن الناس غيرُ الناس فقلت له : ومن هم ؟ قال قوم فى مسجد الشونيزى قد أضنوا قلبى وانحلوا جسمى كلما هممت بهم أشاروا إلى الله تعالى فأكاد أحترق .

قال جنيد: فانتبهت ولبست ثيابى وجئت إلى مسجد الشونيزى وعلى ليل . فلما دخلت المسجد إذا أنا بثلاثة أنفس جلوس ورؤوسهم فى مرقّعاتهم فلما أحسوا انى قد دخلت أخرج أحدهم رأسه وقال : يا أبا القاسم أنت كلمّا قيل لك شىء تُقْبِل .

قال ابن جهضم : ذكر لى أبو عبد الله بن جامار أن الثلاثة الذين كانوا فى مسجد الشونيزى : أبو حمزة وأبو الحسين النورى ، وأبو بكر الرقاق

---

(١) كذا فى النسخ .

٢٩٥ – أبو يعقوب الزيات

قال الجنيد بن محمد: دققت على أبي يعقوب الزيات بابه في جماعة من أصحابنا، فقال: ما كان لكم شغل في الله يشغلكم عن المجيء إليّ؟ قال الجنيدُ فقلت له: إذا كان مجيئنا إليك من شُغلِنا به لم ننقطع[1] عنه ففتح الباب.

وقال يوماً لبعض المريدين: أتحفظ[2] القرآن؟ فقال: لا. فقال: واغوثاه، باللهِ مريدٌ لا يحفظ القرآن كأترنْجةٍ لاريح لها فبم يتنعّم؟ فبم يترنّم؟ فبم يناجي ربه؟[3] [رحمه الله].

٢٩٦ – الجنيد بن محمد بن الجنيد

أبو القاسم الخزاز القواريري، كان أبوه يَبيعُ الزّجاجُ وكان هو خزّازاً وأصله من نهاوند إلا أن مولده ومنشأه ببغداد.

عن جعفر الخلدي قال الجنيد ذات يومٍ: ما أخرجَ الله إلى الأرض علماً وجعل للخلق إليه سبيلاً إلا وقد جعل لي فيه حظاً ونصيباً.

قال الخلدي: وبلغني عن الجنيد أنه كان في سوقه، وكان وِرْده في كلّ يوم ثلاثمائة ركعةٍ وثلاثين ألفَ تسبيحة.

---

(١) ط: لم نقطع.

(٢) ق. تحفظ.

(٣) ط. «لا ريح فيها. فيما يتنعم، فيما يترنم، فيما يناجي ربه».

وعنه قال : كان الجنيد عشرين سنة لا يأكل إلا من الأسبوع إلى الأسبوع، ويصلّى كل يوم أربعمائة ركعة .

وعنه قال : لم نرَ فى شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير أبى القاسم الجنيد ، ولا[1] أكثرهم كان يكون له علم كثير ولا يكون له حال ، وآخر كان يكون له حال كثير وعلم يسير ، والجنيد كانت له حال خطيرة وعلم غزير[2] فإذا رأيتَ حاله رجّحتَه على علمه ، وإذا رأيتَ علمه رجّحتَه على حاله .

وعن أبى محمد المرتعش قال : قال الجنيد : كنتُ بين يدىْ سَرِى السقطى ألعب ، وأنا ابن سبع سنين ، وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فقال لى : ياغلام ما الشكر ؟ فقلت : ألاّ تعصِى الله بنِعَمه . فقال لى : أخشى أن يكون حظك من الله لسانك ـ قال الجنيد فلا أزال أبكى على هذه الكلمة التى قالها السرىّ لى .

وعن أبى الحسن المجلسى[3] قال : قيل[4] للجنيد : ممن استفدت هذا العلم ؟ قال : من جلوسى بين يدى الله تعالى ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة . وأومى إلى درجة فى داره .

قال السلمى : وسمعت جدى اسماعيل بن نجيد يقول : كان الجنيد

(١) ط : وإلا .
(٢) قط : علوم غزيرة .
(٣) صف : المجلى ، قط : المجلى .
(٤) قط : قلت .

يجىء كل يوم إلى السوق فيفتح حانُوته فيدخله ويسبل الستر ويصلّى أربعمائة ركعة . ثم يرجع إلى بيته .

وعن أحمد بن عبد الحميد السامرى قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول معاشرَ الفقراء إنما عُرفتم بالله وتُكرمون له ، فإذا خلوتم به فانظروا كيف تكونون معه ؟

وعن أبى الطيب بن الفرحان قال : سمعت الجنيد يقول : علامة إعراض الله عن العبد[1] أن يشغله بما لاَ يعنيه .

وعن حامد بن إبراهيم قال : قال الجنيد بن محمد : الطريق إلى الله مسدود على خلق الله عز وجل ، إلا على المقتفين آثارَ رسول الله ﷺ ، والتابعين لسنّته ، كما قال الله عزّ وجل « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ »[2] .

وعن خير قال : كنت يوماً جالساً فى بيتى فخطر لى خاطرٌ أن أبا القاسم جنيداً بالباب أخرج إليه فنفيت ذلك عن قلبى وقلت : وسوسة . فوقع لى خاطرٌ ثان يقتضى منّي الخروج : إن جُنيداً[3] على

---

(١) صف : إعراض العبد عن الله .

(٢) الأحزاب : ٢١ .

(٣) ط الجنيد

الباب فأخرج إليه : فنفيت ذلك عن سرّى فوقع لي خاطر ثالث فعلمت أنه حق وليس بوسوسة . ففتحت الباب فإذا [أنا] بالجنيد قائم ، فسلم عليّ وقال : ياخير ألا خرجت مع الخاطر الأول ؟

وعن أبى محمد الحريرى قال: سمعت الجنيد يقول : لقد مشى رجالٌ باليقين على الماء ، ومات بالعطش أفضل منهم يقيناً .

وعن أبى عمرو بن علوان قال : خرجت يوماً إلى سوق الرّحبة فى حاجة فرأيت جنازة فتبعتها لأصلّى عليها . ووقفت حتّى يدفن الميت فى جملة[1] الناس فوقعت عينى على امرأة مسفرة من غير تعمّد ، فألححت بالنظر واسترجعت واستغفرت الله تعالى ، وعدت إلى منزلى فقالت لى عجوز : ياسيدى مالى أرى وجهك أسود فأخذت المرآة فنظرت فإذا وجهى أسود . فرجعت إلى سِرّى أنظر من أين دُهيت ؟ فذكرت النظرة ، فانفردت فى موضع أستغفر الله وأسأله الإقالة أربعين يوماً فخطر فى قلبى أن زُرْ شيخَك الجنيد . فانحدرت إلى بغداد فلما جئت الحجرة التى هو فيها طرقت الباب فقال لى : ادخل يا أبا عَمرو ، تُذنب بالرحبة ونستغفر لك ببغداد .

وعن أبى بكر محمد بن أحمد قال سمعت الجنيد يقول : فتحُ كلِّ باب وكلّ علم نفيس بذْلُ المجهود .

---

(١) صف : جماعة .

وعن أحمد بن عطاء قال : قال الجنيد : لولا أنه يروى أنه يكون فى آخر الزمان زعيمُ القوم أرذلهم ما تكلمّت عليكم .

وعن أبى القاسم المطرز قال : سمعت الجنيد بن محمد يقول : أضرُّ ما على أهل الديانات الدعاوى .

وعن أبى بكر المفيد قال : سمعت الجنيد يقول : احذر أن تكون ثناءً منشوراً وعيباً مستوراً .

وعن العباس بن عبد الله قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول :المروءةُ احتمالُ زَللِ الأخوان .

وعن أبى القاسم النقاش قال : سمعت الجنيد يقول : الانسان لا يعاب بما فى طبعه إنما يُعاب إذا فعل ما ينافى طبعه .

وسأله رجل : كيف الطريق إلى الله ؟ فقال: توبةٌ تحلّ الإصرار ، وخوف يُزيل الغرّة ورجاء مُزعج [1] إلى طريق الخيرات ، ومراقبةُ الله فى خواطر القلوب .

وقال أبو الحسن : سمعت الجنيد يقول : ليس يتّسع علىّ مايرد علىّ من العالم [2] ، لأنى قد أصّلت أصلاً وهو أن الدار دار غمّ وهمّ وبلاء وفتنة وأن العالم كله شر ، ومن حُكمه أن يتلقاّنى بكل

---

(١) صف : مزعج . ومعناه يقلقه ويقلعه من مكانه

(٢) ق : ما يرد على العالم .

ما أكره فإن تلقانى بما أحبّ فهو فضل ، وإلا فالأصل الأول .

وعن جعفر بن القاسم ، قال سممت الجنيد يقول : كان يعارضنى فى بعض أوقاتى أن أجعل نفسى كيوسف ، وأكون أنا كيعقوب فأحزن على ما فقدت من نفسى كما حزن يعقوب على فقْد يوسف . فمكثت مدةً أعمل على حسب ذلك .

وعن محمد بن نصير فى كتابه قال : قال الجنيد : لو أقبل صادقٌ على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله .

وقال رجل للجنيد علامَ يتأسف المحب ؟ قال : على زمانِ بسْطٍ أورثَ قبضاً أو زمان أنسٍ أورثَ وحشةً . وأنشأ يقول :

قدكان لى مشْرَب يصفو برؤيتكم   فكدّرْته يد الأيام حين صَفا

قال جعفر : وقال أبو العباس بن مسروق : مررت مع الجنيد فى بعض دروب بغداد وإذا مغّن يغنى :

منازلٌ كنتَ تهواها وتألفها   أيامَ أنت[1] على الايام منصورُ

فبكى الجنيد بكاء شديداً ثم قال : يا أبا العباس ما أطيب منازل الالفة والأنس ، وأوحَش مقامات المخالفات ، لا أزال أحنّ إلى بُدُوّ إرادتى وجدة سعْيي .

---

(١) ق : كنت .

اسمعيل بن نُجَيد يقول : ودخل أبو العباس بن عطاء على الجنيد وهو فى النزع ، فسلم عليه ، فلم يردّ عليه . ثم رد عليه بعد ساعة وقال : اعذرْنى فإنى كنت فى وِرْدى . ثم حوّل وجهه إلى القبلة وكبّر ومات ـ رحمه الله ـ .

وقال أبو محمد الحريرى كنت واقفاً على رأس الجنيد فى وقت وفاته ، وكان يوم جمعة ، وهو يقرأ القرآن فقلت : يا أبا القاسم ارفق بنفسك . فقال : يا أبا محمد ما رأيت أحداً أحوْج اليه منى فى هذا الوقت ، وهو ذا تُطوى صحيفتى .

وعنه قال : حضرت عند الجنيد قبل وفاته بساعتين ، فلم يزل باكياً وساجداً . فقلت له : يا أبا القاسم قد بلغ بك ما أرى من الجهد . فقال: يا أبا محمد أحوْج ما كنتُ إليه هذه الساعة . فلم يزل باكياً وساجداً حتى فارق الدنيا .

وعن فارس بن محمد [1] قال : كان أبو القاسم الجنيد كثير الصلاة ثم رأيناه فى وقت موته وهو يدرس ويقدّم اليه الوسادة فيسجد عليها . فقيل له : ألا روّحت عن نفسك ؟ فقال : طريق وصلتُ به إلى الله لا أقطعه .

وقال أبو بكر العطار : حضرت الجنيد عند الموت فى جماعة من أصحابنا . قال : فكان قاعداً يصلىّ ويثْنى رجله كلما أراد أن يسجد.

---

(١) ق . قط : على .

فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله فثقل عليه حركتها فمدّ رجليه وقد تورّمتا ، فرآه بعض أصدقائه فقال : ما هذا يا أبا القاسم ؟ فقال : هذه نِعَم، الله أكبر فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الحريرى لو اضطجعت . قال : يا أبا محمد هذا وقت يؤخذ منه ، الله أكبر . فلم يزل ذلك حاله حتى مات — رحمه الله .

أسند الجنيد الحديث عن الحسن بن عرفة

قال المصنف رحمه الله : أخبرنا أبو منصور الصرار قال : أنبأ أحمد ابن على بن ثابت ، قال أخبرنا أبو سعد الماليني ، قال أنبأ أبو القاسم عمر بن محمد بن مقبل ، قال: أنبأ جعفر الخلدى ، قال: أنبأ الجنيد بن محمد ، قال: حدثنا الحسن بن عرفة ، قال: أنبأ محمد بن كثير الكوفى عن عمرو بن قيس الملائى عن عطية ، عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتّقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله »(١) ثم قرأ : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ »(٢) .

قال أبو بكر الخطيب : لا يُعرف للجنيد غير هذا الحديث .

قال المصنف : قلت : وقد رويت له حديثاً آخر : أخبرنا محمد بن

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى التفسير برقم ٣١٢٥ وقال : حديث غريب. وأخرجه البخارى فى التاريخ ، والطبرانى فى معجمه الكبير ، وابن عدى فى الكامل ، وعبد الرازق فى المصنف .

(٢) الحجر ٧٥ .

عبد الباقى قال : أنبأ رزق الله بن عبد الوهاب، قال : أنبأ أبو عبدالرحمن السلمى قال : أنبأ أحمد بن عطاء الصوفى قال :أنبأ محمد بن على بن الحسين قال: سئل الجنيد عن الفِراسة ، قال : فقال : أنبأ الحسن بن عرفة قال: ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر، عن عبد الله قال : كنت أرعى غنماً لعُقبة بن أبى معيط — وذكر الحديث ، وقال فى آخره : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : إنك عَليم معلَّم[1] .

قلت ؟ وقد لقىَ الجنيد خلْقاً من العلماء ودرس الفقه على أبى ثور ، وكان يُفتى فى حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة . وصحب جماعة من العباد واشتهر بصحبة خاله سرىّ والحارث المحاسبى .

وتوفى يوم السبت فى شوال سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين . وقيل سبع وتسعين . وغسله أبو محمد الحريرى ، وصلى عليه ولَده ، وحزرُوا الجمع الذى صلّى عليه فكانوا نحو ستين ألفاً .

وعن جعفر الخلدى ، فى كتابه قال : رأيت الجنيد فى النوم فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : طاحت تلك الاشارات ، وغابت تلك العبارات ، وفنيت تلك العلوم ، ونفدت تلك الرسوم ، وما نفعنا إلا رُكَيْعات كنّا نرْكَعها فى السحَر . رحمه الله .

(١) كذا فى النسخ . وفى حاشية ط : « ولعله : لغليم . وقد مر فى ترجمة ابن مسعود : إنك غلام معلم ، وهو المحفوظ » .

٢٩٧ — الحسن بن علي أبو علي المسوحي

قال أبو القاسم الجنيد كلّمت يوماً حسناً المسوحي في شيْء من الأنس ، فقال لي : ويحك ما الأنس ؟ لو مات مَن تحت السماء ما استوحشت .

وعن الجنيد وأبي العباس بن مسروق وأبي أحمد المغازلي ، وأبي محمد الحريري وغيرهم ، قالوا : سمعنا حَسناً المسُوحي يقول : كنت آوي بابَ الكُناس[١] كثيراً وكنت أقربُ من مسجدٍ ثم أتفيّأ فيه من الحرّ وأستكنّ فيه من البرد . فدخلت يوماً وقد كظّني الحر[٢] واشتدّ عليّ ، فحملْتني عيني فنَمتُ ، فرأيت كأن سقف المسجد قد انشقّ ، وكأن جارية قد نزلت عليّ من السقف ، عليها قميص فضة يتحشحش[٣] ، ولها ذؤابتان . فجلستْ عند رجْلي ، فقبضت رجلي عنها ، فمدّت يدها فنالتْ رجْلي . فقلت لها : ياجارية لمن أنت؟ قالت: أنا لمن دام على ما أنت عليه .

أسند حسن المسوحي حديثاً عن بشْر الحافي ، وهو من كبار أصحاب سريّ السقطي .

---

(١) يقال : أوى منزله وأوى إلى منزله . لازم ومتعد .

(٢) أي كربه وجهده وغمه .

(٣) كذا . والذي في اللسان : « التحشحش : التحرك للنهوض ، وسمعت له حشحشة وخشخشة : أي حركة » .

٢٩٨ - أبو علي أحمد بن ابراهيم ابن أيوب المسوحي

صحب سَرِيّاً السقطى وغيره ، وروى عن حسن المسوحى أيضاً .

وقال محمد بن الحسين السلمى : قال : أخبرنا أحمد بن ابراهيم المسوحى من جلة[1] مشايخ بغداد وظرّافهم ومتوكّليهم .

وعن جعفر الخواص قال : كان أحمد بن ابراهيم المسوحى يحجّ بقميص ورداء ونعْل طاق ، ولا يحمل معه شيئاً : لا ركْوة ولا كوزاً إلا كوز بلّور فيه تفّاح شامىّ يشمّه من جوف بغداد إلى مكة ، وكان من أفاضل الناس .

٢٩٩ - سمنون بن حمزة

يكنى أبا القاسم . أصله من البصرة ، ولكنه سكن بغداد .

عن أبى أحمد المغازلى قال : كان وِرْد سمنون فى كل يوم وليلة خمسمائة ركعة .

وقال أبو أحمد القلانسى : فرّق رجل ببغداد على الفقراء أربعين ألف درهم ، فقال لى سمنون : يا أبا أحمد ماترى إلى ما أنفق هذا ؟ نحن ما نرجع إلى شئ ننفقه فامض بنا إلى موضع نصلى فيه بكل درهم

---

(١) ق : حاله .

أنفقه ركعةً . فذهبنا إلى المدائن فصلينا أربعين ألف ركعة وزرنا قبر سلمان ، وانصرفنا .

وعن خلف بن الحسن العبّادانى قال : سمعت سمنوناً(١) يقول : أول وِصال العبد للحق هجرانُه لنفسه ، وأول هجران العبد الحقَّ . مواصلته لنفسه

وقال أبو الطيب العكّى ذَكر لى أن سمنوناً(١) كان جالساً على شط دجلة وبيده قضيب يضرب به فخذه حتى تبدّد لحمه، وهو يقول:

كان لى قلْب أعيش به ضـاع منّى فى تقلّبهِ
رَبِّ فاردده علىّ فقـد ضاق صدْرى فى تطلّبهِ
وأغثْ مادامَ بى رَمقٌ يا غياثَ المستغيثِ بهِ

وعن محمد بن حمدان قال : رأيت سمنوناً وقد أدخل رأسه فى زُرْما نِقَتِه (٢) ثم أخرج رأسه بعد ساعة وزفر ، وقال :

تركت الفؤادَ عليلاً يُعادُ وشَرّدتُ نوْمى فمالى رُقادُ

وعن أبى بكر الواسطى قال : قال سمنون : يارب قد رضيت بكل ما تقضيه علىّ .

---

(١) في النسخ : سحنون . والصواب ما اثبت .
(٢) الابيات ذكرها السلمي في الطبقات .
(٣) الزرمانقة : جبة من صوف ، معرب .

فاحتبس بوله أربعة عشر يوماً فكان يتلوىّ كما تتلوىّ الحية على الرمل، يتقلّب يميناً وشمالاً . فلما أطلق بوله قال : يارب تبت إليك .

وعن على بن أحمد بن جعفر قال : أنشدنى ابن فراس لسمنون :(١)

وكان فؤادى خالياً قبلَ حُبّكم ... وكان بذكْر الخلق يلهو ويَمرحُ
فلما دعا قلبي هـواكَ أجابه ... فلستُ أراه عن فِنائك يبرَحُ
رُميتُ ببيْنٍ منك إن كنتُ كاذباً ... وإن كنتُ فى الدنيا بغيرك أفرحُ
وإن كان شئ فى البلاد بأسْرها ... إذا غِبتَ عن عينى، لعينىَ يملُحُ
فإن شئتَ واصِلْنى وإن شئتَ لا تَصِلْ ... فلستُ أرى قلبي لغيركَ يصلُحُ

وقال أبو الفضل بن عبد السميع الهاشمى : سمعت سمنوناً يقول :

أمستوحشٌ أنت مما جنيْتَ ... فأحسِنْ إذا شئْتَ واستأْنسِ

وقال :

أسفا عليكَ وحسرةً وتلهفاً ... ألّا أكون بحيث ماترضانى

قد صحب سمنون سريّاً السقطى، وأبا أحمد القَلانسى، ومحمد بن على القصّاب، فى آخرين .

ولا نعلمه أسند حديثاً أصلاً . وكان قد وسوس . فانتخبنا ماذكرنا من كلامه . وتوفى بعد الُجنيد .

(١) الابيات ذكرها السلمي في طبقات الصوفية ، ولسمنون شعر كثير جيد .

٣٠٠ – ابراهيم بن سعد
أبو اسحاق العلوى

من أهل بغداد . ثم انتقل[1] عنها إلى الشام فاستوطنها .

قال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين قال : قال ابراهيم بن سعد العلوى أبو اسحاق : كان حسنياً من أهل بغداد ، وكان يقال له الشريف الزاهد . وكان أستاذ أبي الحارث الأوْلاشى .

حكى عنه أبو الحارث قال : كنت معه فى البحر فبسط كساءه على الماء وصلّى عليه .

وعن أبي الحسن الدربندى قال : رأيت ابراهيم بن سعد العلوى وكان عليه كساء ، فبسط كساءه على البحر ووقف وصلّى على الماء .

وقال أبو الحارث الأوْلاسِي : خرجت من حصن أوْلاس أريد البحر فقال لى بعض إخواني : لا تخرج فإنى قد هيّأت لك عجّةً حتى تأكل . قال : فجلست وأكلت معه ونزلت الى الساحل فإذا أنا بابراهيم بن سعد العلوى قائماً يصلّى ، فقلت فى نفسى : ما أشك إلا أنه يريد أن يقول لى : امش معى عَلى الماء ، ولئن قال لى لأمشيّن معه .

(١) قط : ارتحل .

(٢) فى النسخ . «الأولاشى» و «أولاش » وكلاهما تصحيف و « أولاس» حصن على ساحل بحر الشام من نواحى طرسوس ، فيه حصن يسمى حصن الزهاد (ياقوت) .

فما استحكم الخاطر حتى سلّم ثم قال . هيه يا أبا الحارث ، امش على الخاطر . فقلت : بسم الله فمشى هو عَلى الماء وذهبت أمشى . فغاصت رجْلى فالتفت إلىّ وقال : يا أبا الحارث العجّة أخذت برجْلك.

وعنه قال : أقبلنا من جبل اللُّكام[1] مع أبي اسحاق العلوى الزاهد ، وكان أبو اسحاق لا يأكل إلا فى كل ثلاثة أيام سفّاتِ خرنوب، فلقينا امرأةً وقد سخّر جندىّ حماراً[2] لها . فاستغاثت بنا فـكلّمه العلوى فلم يردّ عليها فدعا عليه فخرّ الجندى والمرأة والحمار . ثم أفاقت المرأة ثم أفاق الحمار ومات الجندى . فقلت : لا أصحبك فإنك مستجاب الدعوة وأخشى أن يبدو منى سوء أدبٍ فتدعو علىّ . فقال : لستَ تأمن ؟ قلت : لا . قال : فأقللْ إذاً من الدنيا ما استطعت .

وعنه قال : خرجتُ سنةً من السنين من مكة ، فى وسط السنة ، أريد الشام فاذا فى بعض الطريق ثلاثة نفر يتذاكرون ، فتقدّمت وسلّمت عليهم وقلت : أمشى معكم ؟ فقالوا : ما شئت . فمشيت معهم إلى أن تفرقوا وبقيت أنا وآخر . فقال لى : أين تريد يا شاب؟ فقلت:

---

(١) جبل اللـكام (بضم اللام) هو الجبل المشرف على أنطاكية والمصيحة وطرسوس وتلك الثغور (ياقوت) .

(٢) سخره : كلفه عملا بلا أجرة . وتسخر الدابة له ركبها بلا أجرة .

بلد الشام . فقـال : وأنا أريد اللـكام . وكان الرجل ابراهيم بن سعد العلوى .

فمشينا أياماً وافترقنا . وكانت تأتينى كُتبه فما شعرت ذات يوم وأنا بالأوْلاش وقد خرجت أريد البحر ، فإذا برجلٍ صافٍ قدميْه يصلّى على الماء . فاضطرب قلبى حين رأيته وغلبتنى الهيبة .له فلما أحس بى أوجز فى صلاته ، ثم التفت إلىّ فإذا هو ابراهيم بن سعد العلوى ، فقال لى : غيّبْ شخصك عنى ثلاثة أيام ثم ائتني بعد ذلك .

قال : ففعلت ما قال ، ثم جئته بعد ثلاثة أيام فإذا هو قائم مكانه يصلّى . فلما أحس بى أوجز فى صلاته ثم أخذ بيدى فوقفني على البحر وحرّك شفتيه . فقلت فى نفسى : إن مشى على الماء مشيت معه . فما لبث إلا يسيراً فإذا الحِيتان قد برزت مدَّ البصر وقد أقبلتْ إلينـا رافعةً رؤوسها من الماء ، فاتحةً أفواهها . فقلت فى نفسى : أين ابز بشْر الصياد ؟ فلما ذكرته فى نفسى تفرّقت فالتفت إلىّ ابراهيم وقال : مر فلستَ مطلوباً لهذا الأمر ولـكن عليك بالوصال ، والتخلّى فى الجبال ، ووارِ نفسك ما أمـكنك ، حتى يشغلك بذكْره عن ذكر مَن سواه ، وعليك بالتقلّل من الدنيا ما استطعت ، حتى يأتيك اليقين . ومضى .

وعنه قال : كان سبب رؤيتى ابراهيم بن سعد أنى خرجت من

أولاش إلى مكة فى غير أيام الموسم ، فرافقت ثلاثةً . فتفرق اثنان منهم وبقيت أنا والثالث . فقال لى : أين تريد ؟ فقلت : الشام . قال : وأنا أريد اللكام وإذا هو ابراهيم بن سعد العلوى . وكان حسنياً ثم تفرّقنا . وكانت تأتينى كُتبه .

فخرجت يوماً من أولاش فإذا ابراهيم بن سعد العلوى، فلما رآنى قصّر فى صلاته وسلّم علىّ وجاء إلى البحر ، فنظر اليه وحرّك شفتيه فإذا بحيتان كثيرة مصفوفة قد أقبلتْ فلما رأيتها قلت : أين الصيادون ؟ فنظرت فإذا السمك قد تفرّق . فقال لى ابراهيم : ما أنت بمطلوب فى هذا الأمر ، ولكن عليك بهذه الرمال فتوارَ فيها ما أمكنك ، وتقلّل من الدنيا حتى يأتيك أمر الله . ثم غاب عنى فلم أره ، وكانت كتبه ترد علّى .

فلما مات كنت قاعداً يوماً فتحرّك قلبى للخروج فلما خرجت صرتُ الى المسجد فإذا أنا بأسْود فقام إلىّ فقالَ لى : أنت أبو الحارث؟ قلت : نعم . قال : آجرَكَ الله فى أخيك ابراهيم بن سعد .

وكان هذا مولىً له يسمى ناصحاً ، فذكر أن ابراهيم بن سعد أوصاه أن يؤدىَ هذه الرسالة :

يا أخى إذا نزل بك أمر من أمر الله فاستعمل الرضا ، فان الله

مطّلع عليك يعلم ما فى ضميرك ، فإنْ رضيت فلك الثواب الجزيل .
وأنت فى رضاك وسخطك لستَ تقدر أن تزداد فى الرزق المقسوم
والأمر المكتوب، فإن لم تجد إلى الرضا سبيلاً فاستعمل الصبر فإنه
رأس الإيمان ، فإن لم تجد فعليك بالتجمل ولا تشكُ مَن ليس بأهل
أن يُشكى وهو من أهل الشكر والثناء لقديم (١) ما أولى ، فإذا
اضطررت وقلّ صبرك فالجأ اليه بهمّك واشكُ اليه بثّك واحذر أن
تستبطئه وتُسىء به ظناً فإن كلّ شىء بسبب ولكل سبب أجل ،
ولكل أجل كتاب ، ولكل همّ من الله فَرَج . ومن علم أنه بعين
الله استحيا أن يراه يرجو سواه،ومن أيقن بنظر الله إليه أسقط اختيار
نفسه ، ومن علم أن الله الضارُّ النافع أسقط مخاوف المخلوقين.فراقب
الله فى قُربه واطلُب الأمور من معادنها ، واحذرْ أن تعتمد على مخلوق
أو تفشىَ اليه سرّاً أو تشكو إليه شيئاً ؛ فإن غنيّهم فقير ، وفقيرهم
ذليل فى فقره ، وعالمهم جاهل فى علمه ، وجاهلهم فاجرٌ فى فعله ،
إلا القليل ممن عصم الله . فاتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من العباد
فإنهم فتنة لكل مفتون .

وقال عبد الله بن سهل : بات عندى أبو الحارث الأَوْلاشى
فسألته عن مفارقته إبراهيم بن سعد العلوى فقال : كانت الدنيا طوْعَ

---

(١) ط : القديم ، تحريف .

يديه ، فلما انتهى إلى الساحل قال لى: ترجع ؟ قلت: بل أصحبك . فتَفَل في البحر فإذا جَوْق(١) من سمك مصفوف فوق الماء كأنه سرير ، فوثب إليه ثم قال لى : الله خليفتى عليك . قلت : ادعُ لى . قال : قد فعلت . فاحفظ حدود الله وارحم خلقه الا مَن عانَدَ .

٣٠١ — أبو اسحاق ابراهيم الآجرّى الصغير ولا يعرف اسم أبيه

قال أبو العباس بن مسروق وأبو محمد الحريرى وأبو أحمد المغازلى وغيرهم ، عن إبراهيم الآجرى ، قالوا : جاء يهودىّ يقتضيه شيئاً من ثمن قصَب . فكلمّه فقال له : أرنى شيئاً أعرف به شرف الاسلام وفضله على دينى حتى أسْلم . فقال له : وتفعل ؟ قال: نعم . قال له :هات رداءك . قال : فأخذه فجعله في رداء نفسه ولف رداءه عليه ورمى به فى النار ـ نارِ أَتون الآجرّ ـ ودخل فى أثره . فأخذ الرداء وخرج من الباب ففتح رداء نفسه وهو صحيح ، وأخرج رداء اليهودىّ حُراَقاً(٢) أسْود من جوف رداء نفسه . فأسلم اليهودى . رحمه الله .

---

(١) الجوقة : الجماعة من الناس . ق : حوث .

(٢) الحراق والحراقة : ما يقع فيه السقط عند القدح من خرقة ونحوها .

٣٠٢ - أبو نصر المحبّ

جمع بين الزهد والمروءة

عن أبى العباس بن مسروق قال: اجتزت أنا وأبو نصر المحب فى الكرخ وعلى أبى نصر إزارٌ له قيمة، فإذا نحن بسائل يسأل وهو يقول: شفيعى إليكم محمد صلى الله عليه وسلم. فشق أبو نصر إزاره فأعطاه النصف، ومشى خطوتين وقال: هذه نذالة. فانصرَف إليه فأعطاه النصف الآخر. رحمه الله.

٣٠٣ - أبو سعيد الخرّاز واسمه أحمد بن عيسى

قال الجنيد: لوْ طالبَنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد الخراز لهلكنا. قال على: فقلت لابراهيم[١]. وأىّ شىء كان حاله؟ قال: أقام كذا وكذا سنةً يخرز، ما فاته الحق بين الخرزتين.

وقال أبو جعفر الصيدلانى: سمعت أبا سعيد الخرّاز يقول: من ظنّ أنه يبذل الجهد[٢] يصل فمتَمَنّ، ومن ظنّ أنه بغير بذل الجهد[٣] يصل فمتمنّ.

---

(١) لم يرد اسم على ولا إبراهيم فى سند الخبر.

(٢) قط: المجهود.

(٣) قط: المجهود.

أبو الفضل العباس ابن الشاعر ، يذكر عن تلميذةٍ لأبي سعيد قالت : كنت أسأله مسألةً والإزار بيني وبينه مشدود . فاستفزّني[١] حلاوة كلامه فنظرت في ثَقْب من الازار فرأيت شفته . فلما وقعت عيني عليه سكَت وقال : جرى هاهنا حَدث، فأخبريني ماهو ؟ فعرّفته أني نظرت إليه ، فقال : أما علمتِ أن نظرك إليّ معصية وهذا العلم لايحتمل التخايط ؟

وعن أبي القاسم بن مروان[٢] قال : كان عندنا بنهاونْد فتىً يصحبني وكنت أصحب أبا سعيدٍ الخراز : فكنت إذا رجعت حدثت ذلك الفتى ماأسمع من أبي سعيد . فقال لي ذات يوم : إنْ سهّل الله لك الخروج خرجتُ معك حتى أرى هذا الشيخ .

فخرجت وخرج معي ووصلنا إلى مكة فقال لي: ليس نطوف حتى نلقَ أبا سعيد .فقصدناه وسلّمنا عليه فقال الشاب : مسْألة ـ ولم يحدّثني أنه يريد أن يسأل عن شيء ـ فقال له الشيخ : سل . فقال : ماحقيقة التوكل ؟ فقال له الشيخ : أن لاتأخذ الحجّة من حمولا[٣] وكان الشاب قد أخذ حجةً من حمولا[٣] ، وهو رئيس نهاوند وماعلمت .

---

(١) ق : « فاستفزني » ولعلها : « فاستقربني » .

(٢) ق ، قط : مزدان .

(٣) ق : خمولا .

فورد على الشاب أمر عظيم وخجل . فلما رأى الشيخ ماحلّ به عطف عليه وقال : ارجع إلى سؤالك. ثم قال أبو سعيد : كنت أراعى شيئاً من هذا الأمر فى حداثتى فسلكت بادية الموصل فبينا أنا سائر سمعت حساً من ورائى ، فحفظت قلبى عن الالتفات فاذا الحسّ قد دنا منى وإذا بسبعين قد صعدا على كتفى فاحسا خدّى فلم أنظر اليهما حين صعدا ولا حين نزلا .

وعن على بن حفص الرازى قال : سمعت أبا سعيد الخرّاز يقول : ذنوب المقرّبين حسنات الأبرار .

وعن أبى محمد الحريرى قال : سمعت أبا سعيد الخرّاز يقول فى معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم « جبلت القلوبُ على حُبّ من أحسَن إليها [1] » : ياعجبا لمن لم يرَ محسناً غير الله ، كيف لايميل بكلّيته إليه ـ ؟

وعن العباس بن أحمد الرملى قال: قال أبو سعيد الخراز المعرفة تأتى القلوب من جهتين : من عيْن الجود ومن بذْل المجهود .

أحمد بن عبدالله قال: قال أبو سعيد الخراز : إذا بكت عين الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم .

---

(١) الحديث ضعيف الإسناد ، أخرجه ابن عدى فى الكامل ، وأبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى شعب الايمان ، وابن حبان فى روضة العقلاء .

وعن أحمد بن محمد الزيادى قال : سمعت أبا سعيد الخراز يقول: العافية سترَت البَرَّ والفاجر ، فاذا جاءت البلوى يتبيّن عندها الرجال .

وقال أبو بكر الشقاق : سمعت أحمد بن عيسى الخراز يقول : كنت يوماً أمشى فى الصحراء فإذا قريب من عشرة كلاب الرعاة شدّوا علىّ . فلما قربوا منى جعلت أستعمل المراقبة فإذا كلب أبيض قد خرج من بينهم وحمل على الكلاب فطردهم عنى ولم يفارقنى حتى تباعدت عنى الكلاب ثم التفتّ أرَه .

قال أبو سعيد : وكان لى معلّم يختلف إلىّ يعلمنى الخوف ثم ينصرف. فقال لى يوماً : إنى معلّمك خوفاً يجمع لك كلّ شىء . قلت : ما هو ؟ قال : مراقبة الله عزّ وجل .

أسند أبو سعيد عن عبد الله بن ابراهيم الغفارى وابراهيم بن بشارى صاحب إبراهيم بن أدهم .

وصحب بشر بن الحارث وسرياً وذا النون وأبا عبد الله الساجى وأبا عبيد السرى و نظراءهم .

وتوفى فى سنة سبع وسبعين(١) وقيل ست وثمانين ومائتين .

---

(١) قط : وتسعين .

٣٠٤ – أبو الحسين النورى

واسمه أحمد بن محمد . بغدادىّ المولد والمنشأ خراسانىّ الأصل ، من قريةٍ بين هَراة ومرْو الروذ يقال لها بَغْشُور ولذلك كان يُعرف بابن البغوى .

قال أبو أحمد المغازلى : ما رأيت أحداً قط أعبد من النّورى . فقيل : ولا جنيد ؟ قال : ولا جنيد . وكان له قنّينة تسع خمسة أرطالٍ ماءً يشربها (فى) خمسة أيام ،وقت إفطاره[1] .

قال عبد الكريم : ثم حدثنى أبو جعفر الفرغانى قال : مكث أبو الحسين النورى عشرين سنة يأخذ من بيته رغيفين ويخرج ليمضى إلى السوق فيتصدّق بالرغيفين ويدخل المسجد فلا يزال يركع حتّى يجىء وقت سوقه . فإذا جاء الوقت مضى إلى . السوق فُيظن أنه قد تغدى فى بيته، ومَن فى بيته عندهم أنه قد أخذ معه غداءه ، وهو صائم.

قال ابن جهضم : وحدثنى عمر النجاد قال : دخل أبو الحسين النورى إلى الماء ليغتسل ، فجاء لصّ فأخذ ثيابه فخرج عن الماء فلم يجد ثيابه فرجع إلى الماء . فلم يكن إلا القليل حتّى جاء اللص ومعه ثيابه فوضعها

---

(١) ط : « يشربها فى خمسة أيام »يشربها وقت إفطاره » .

مكانه وقد جفّت يده اليمنى فخرج أبو الحسين من الماء ولبس ثيابه وقال : سيدى ، قد ردّ علىّ ثيابى فرُدّ عليه يده . فَرَدّ الله عليه يده ، ثم مضى .

وقال أبو عمر الأنماطى(١) : اعتلّ النورى فبعث إليه الجنيد بصرّة فيها دراهم وعاده فردّها النورى . ثم اعتل الجنيد فدخل عليه النورى عائداً فقعد عند رأسه ووضع يده على جبهته فعوفى من ساعته . فقال النورى للجنيد : إذا عُدتَ إخوانك فارفُق بهم بمثل هذا البِرّ .

وعن الصاد(٢) قال : سمعت أبا الحسين النورى يقول ، وقد سئل عن الرضا ، فقال : عن وجْدى تسألون أو عن وجْد الخلق ؟ فقيل له : عن وجْدك . فقال : لو كنت فى الدرْك الأسفل من النار لكنت أرضى ممن هو فى الفردوس .

أسند النورى عن سرى السقطى حديثاً واحداً .(٣)

وتوفى قبل الجنيد فى سنة خمس وتسعين ومائتين .

٣٠٥ — عمرو بن عثمان المكى

يكنى أبا عبد الله . سكن بغداد

عن أبى بكر القناديلى قال : قال عمر بن عثمان المكىّ : المروءة التغافل عن زَلل الاخوان .

(١) صف : الانماري . (٢) قط : الفاء ، ق : العتاد .

(٣) هو ما رواه انس عن رسول الله قال من قضى لاخيه المسلم حاجة ، كان له من الاجر كمن خدم الله عمره — انظر طبقات الصوفية للسلمي —

وقال : العلم قائد ، والخوف سائق والنفس حرون بين ذلك ، خداّعة روّاغة، فاحذرها وراعها بسياسة العلم وسقّها بتهديد (١) الخوف يتم لك ما تريد .

وعن محمد بن على بن الحسين قال: سمعت عمرو بن عثمان يقول : واغمّاه من عهدٍ لم يُقَم له بوفاء ، ومن خلوة لم تُصحب بحياء ، ومن أيام تفنى ويبقى ما كان فيها أبداً .

وعن أبى بكر محمد بن أحمد القناديلى قال : قال عمرو بن عثمان المكى: لقد وبّخ الله التاركين للصبر على دينهم بما أخبرنا عن الكفار أنهم قالوا : « امْشُوا واصْبِروا على آلهتكم (٢) فهذا توبيخٌ لمن ترك الصبر من المؤمنين على دينه .

وقال عثمان بن سهل : دخلت على عمرو بن عثمان المكىّ فى علّته التى توفّى فيها فقلت له : كيف تجدك ؟ فقال : أجد سرّى واقفاً مثل الماء لا يختار النُّقْلة ولا المقام .

سمع عمرو من يونس بن عبد الأعلى ، والربيع بن سليمان بن سيف الحرّانى وغيرهم .

---

(١) صف : بتهذيب .

(٢) سورة ص : ٦

وكان يقول: ما صحبت أحداً كان أنفع لى صحبتُه ورؤيته من أبى عبد الله الساجى.

وتوفى ببغداد سنة ستّ وتسعين ومائتين وقيل سبع وتسعين. قيل إحدى وتسعين. ويقال مات بمكّة والأول أصحّ — رحمه الله.

٣٠٦ — رُوَيْم بن أحمـــد

ويقال ابن محمد بن رويم بن يزيد: أبو الحسن. ويقال: أبو الحسين، من بنى شيبان. وكان يتفقّه لداود الأصبهانى.

ابن الهيكل الهاشمى (١) قال: سمعت رُوَيْماً يقول: الفقر له حرمة، حرمتُه ستره وإخفاؤه والغيرة عليه والضن به، فمن كشفه وأظهره وبذله فليس هو من أهله، ولا كرامة

وعن محمد بن إبراهيم قال: سمعت رويم بن أحمد يقول: منذ عشرين سنه لا يخطر بقلبى ذكر الطعام حتى يحضر.

وقال عبد الله بن محمد الدينورى: سمعت رويم بن أحمد يقول: مكثت عشرين سنة لا يعرض فى سرّى ذكر الأكل حتّى يحضر.

وعن جعفر الخلدى فى كتابه قال: سمعت رويم بن أحمد يقول: الاخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك، والفتوة أن تعذُر اخوانك فى زللهم، ولا تعاملهم بما يحوجك إلى الاعتذار إليهم.

---

(١) صف: الشامى.

وسمعته يقول : الصبر ترك الشكوى ، والرضا استلذاذ البلوى ، والتوكل إسقاط رؤية الوسائط .

وقال أحمد بن فارس : قال رويم : ليس إلاّ بذل الروح ، وإلاّ فلا تشتغل بتُرّهات الصّوفية .

وعن الحسين بن هارون قال : سمعت رُويما الصّوفى يقول : إذا وهب الله لك مقالا وفعالا ، فأخذ منك المقال وترك عليك الفعال فلا تُبال ، فإنها نعمة . وأن أخذ منك الفعال وترك عليك المقال فُنحْ على نفسك فانها مصيبة . وإن أخذ منك المقال والفعال فاعلم أنها نقمة .

أسند رويم عن يزَيد بن سنان البصرى

وتوفّى ببغداد فى سنة ثلاثٍ وثلاثمائة . رحمه الله

٣٠٧ — ابو عبد الله بن الجلاء

واسمه أحمد بن يحى . من أهل بغداد ، لـكنه انتقل فسكن الشام.

قال أبو عمر الدمشقى : سمعت ابن الجلاّء يقول : قلت لأبى وأمى أحبّ أن تهبانى لله . فقالا : قد وهبناك لله . فغبت عنهما مدة ثم رجعت من غيبتى ، وكانت ليلة مطيرة ، فدققت عليهما الباب ، فقالا : من ؟ قلت : ولدك . قال : كان لنا ولد فوهبناه لله ، ونحن من العرب لانرجع فيما وهبناه . ومافتح لى الباب .

وعنه قال : سمعت أبا عبدالله بن الجلاء يقول : من بلغ بنفسه إلى رتبةٍ سقط عنها ، ومن بُلّغ به ثبت عليها .

وكان إذا سئل عن المحبة قال . مالى وللمحبة ؟ أنا أريد أن أتعلم التوبة .

وعن أبي عبد الرحمن السلمى قال : قال أبو عبدالله بن الجلاّء من عَلت همّته عن الأكوان وصل إلى مكوّنها ، ومن وقف بهمّته على شيءٍ سوى الحقّ فاته الحق ، لأنه أعزّ من أن يرضى معه بشريك .

قال المصنف لا نعلم أن ابن الجلاء أسند شيئا وقد صحب أبا تراب النخشبي وذا النون وغيرهما .

وتوفى يوم السبت لاثنتى عشرة خلت من رجب سنة ست وثلاثٍ مائة .

٣٠٨ - ابو العباس بن عطاء

واسمه أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدميّ .

عن الحسن بن محمد بن عيسى بن خاقان قال : كان أبو العباس بن عطاء ينام من الليل والنهار ساعتين .

وعن أبي الحسين بن حبيش ، وذكر أبا العباس بن عطاء ، فقال كان له فى كل يوم ختمة ، وفى شهر رمضان فى كل يوم وليلة ثلاث

ختمات ، وبقى فى ختمة يستنبط مُودَع القرآن بضع عشرة سنة فمات قبل أن يختمها .

وقال أبو جعفر محمد بن عبدالله الفرغانى : قال أبو العباس بن عطاء : ياأبا جعفر ، لى من سنين كثيرة ، ذكَرها ، كلّ يوم ختمة لاتفوتنى ، ولى فى شهر رمضان كل يوم وليلة ثلاث ختمات ، ولى ختمة منذ أربع عشرة سنة مابلغت النصف منها ـ يريد الفهم منها ـ .

وعن أبى العباس بن عطاء قال : من ألزم نفسه بآداب السنة عَمر الله قلبه بنور المعرفة ، ولامقام أشرف من متابعة الحبيب فى أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بآدابه .

وعن محمد بن على بن حبيش قال : سئل أبو العباس بن عطاء وأنا حاضر عن أقرب شىء إلى مقت الله تعالى . قال : رؤية النفس وأفعالها ، وأشد من ذلك مطالعة الأغراض [1] عن أفعالها .

وسمعته يقول : علامات الولى أربعة : صيانة سره فيما بينه وبين الله ، وحفظ جوارحه فيما بينه وبين أمر الله ، واحتمال الأذى فيما بينه وبين خلق الله ومداراته للخلق على تفاوت عقولهم .

أسند أبو العباس بن عطاء ، عن يوسف بن موسى القطان ، والفضل بن زياد صاحب أحمد بن حنبل ومَن فى طبقتهما .

---

(١) ق : الأعراض .

وتوفى فى ذى القعدة سنة تسع وثلاث مائه . رحمه الله .

٣٠٩ - أبو الحسن علي بن محمد بن الزاهد

عن أبى الحسن أحمد بن مقسم قال: سمعت أبا الحسن بن بشار يقول —وكان إذا أراد أن يخبر عن نفسه بشىء قال : أعرف رجلاً كان حاله كذا وكذا— فقال ذات يوم : أعرف رجلاً يشتهى ، منذ ثلاثين سنة أن يشتهى ليترك مايشتهى ، فما يجد شيئاً يُشتَهى .

ودخل أبو محمد إبن أخى معروف الكرخى إلى أبى الحسن بن بشار ، وعليه جبة صوف ، فقال له أبو الحسن: ياأبا محمد صوّفت قلبك أو جسمك صوّف قلبك والبس القُوهىّ على القُوهىّ .(١)

وقال رجل لأبى الحسن بن بشار : كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقال له: كما عصيت الله تعالى سراً تطيعه سراً ، حتى يُدخل إلى قلبك لطائف البرّ .

وقال : منذ ثلاثين سنة ما تكلمتُ بكلمةٍ أحتاج أن أعتذر منها .

وقال المصنف رحمه الله : كان ابن بشار يذكر الناس ، وكان يفتتح مجلسهُ فيقول : « وإنكَ لَتعلمُ مانُريد »(٢) فسأله رجل : ماالذى تريد؟ فقال : هو يعلم أننى ما أريد من الدنيا ولا الآخرة سواه .

وحدّث ابن بشار عن : صالح بن أحمد بن حنبل، وأبى بكر المرْوزى وكانت له كرامات ظاهرة .

---

(١) القوهى : ثياب بيض . (٢) من سورة هود : ٧٩

توفى في ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة وقبره ظاهر بالجانب الغربي - رحمه الله -.

٣١٠- أبو محمد الحَريرى
واسمه أحمد بن محمد بن الحسين[1]

عن عبد الله الرازى قال: سمعت الحريرى يقول: منذ عشرين سنة مامددت رجْلى فى الخلْوة، فان حُسن الأدب مع الله أولى -

وقال على بن عبد الله: اعتكف أبو محمد الحريرى بمكة فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين، فلم يأكل، ولم ينم، ولم يمد رجليه. فقال له أبو بكر الكنانى: يا أبا محمد بماذا قدرت على اعتكافك؟ فقال: عَلِمَ صدقَ باطنى فأعانني على ظاهرِى -

وقال أبو الحسن الفارسى، قال أبو محمد الحريرى: من توهم أن عملاً من أعماله يُوصله إلى مأموله الأعلى والأدنى فقد ضل عن طريقه؛ لأن النّبى صلى الله عليه وسلم قال: «لن ينجى أحدَكم[2] عملُه» فما لا يُنجِى من المَخوف كيف يبلغ إلى المأمول؟ ومن صحّ اعتماده على فضل الله تعالى فذاك الذى يُرجى له الوصول.

وقال محمد بن داود الدِينَوَرىّ: سمعت أبا محمد الحريرى يقول:

---

(١) ق، قط: محمد بن احمد بن الحسين وهو مختلف في اسمه على نحو ما جاء في النسختين.

(٢) ق، قط: احداً منكم. والحديث اخرجه البخاري في الرقاق باب القصد والمداومة على العمل، ومسلم في المنافقين، والامام احمد في المسند ٢/٢٣٥

أمرُنا هذا كله مجموع على فصل[١] واحد، وهو أن تُلزم قلبك المراقبةَ، ويكون العلم على ظاهرك قائماً.

وعنه قال: سمعت أبا محمد الحريرى يقول؛ وكان عنده جماعة؛ فقال: هل فيكم من إذا أراد الله أن يُحدث فى المملكة حَدَثاً أبدى علْمه إلىٰ وليّه قبل إبدائه فى كونه؟ فقالوا لا.

قال: مرّوا وابكوا على قلوب لم تجد من الله شيئاً من هذا.

أخبرنا ابن ناصر بالإسناد عن أبى محمد الحريرى قال:[٢] من استولت عليه النفس صار أسيراً فى حكم الشهوات، محصوراً فى سجن الهوى، فحرّم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ بكلامه ولا يستحليه وإن كثر ترداده على لسانه —

أسند الحريرى الحديثَ. وهو من كبار أصحاب الجنيد، وصحب سهل بن عبد الله

وتوفىّ رحمة الله فى سنة إحدى عشرة وثلاث مائة ـ رحمه الله ـ

٣١١ - بنان بن محمد بن حمدان الحمال

يكنى أبا الحسن أصله من واسط، لكنه ببغداد نشأ وأقام وسمع الحديث إلا أنه انتقل إلى مصر فمات بها.

---

(١) قط: فعل

(٢) ط: « وعن أبى الحسين الفارسى قال: سمعت أبى محمد الحريرى يقول ».

وقال بنان الحمّال : البريء جريء ، والخائن خائف ، ومن أساء استوحش .

وعن أبى على الرُوذبارى قال : سمعت بنان الحمّال يقول : دخلتُ البرية على طريق تَبوكَ وحدى فاستوحشتُ . فإذا هاتف يهتف : يا بنان نقضت العهد ، لِمَ تستوحش ؟ أليس حبيبك معك ؟

وقال أبو على الرُوذَبارى : كان سببَ دخولى مصر حكايةُ بنان ، وذلك أنه أمر[1] ابنَ طولون بالمعروف ، فأمر أن يُلقَى بين يدىْ السبع . فجعل السبع يشمّه ولا يضره . فلما أُخرج من بين يدى السبع قيل له: ما الذى كان فى قلبك حين شمك السبع ؟ قال كنت أتفكر فى سُؤر السباع ولُعابها .

وعن عمرو بن محمد بن عراك أن رجلا كان له على رجل مائة دينار بوثيقةٍ إلى أجل . فلما جاء الأجل طلبَ الوثيقة فلم يجدها . فجاء إلى بنان فسأله الدعاء . فقال له : أنا رجل قد كبرت وأنا أحب الحلواء اذهب فاشترلى رطْل معقودٍ وجئنى به حتى أدعو لك . فذهب فاشترى له ما قال ، ثم جاء به فقال بنان: افتح القرطاس ففتح الرجل القرطاس فإذا هو بالوثيقة . فقال لبنان : هذه وثيقتى . فقال : خذ وثيقتك وخذ المعقود أطعِمه صبيانك . فأخذ ومضى .

---

(١) الفاعل يعود على بنان .

وعن الحسين بن عبد الله القُرشى قال : سمعت بنان يقول : من كان يسّره ما يضرّه متى يفلح ؟

سمع بنان من الحسن بن عرفة وحميد بن الربيع والحسن بن محمد الزعفرانى وبكار بن قتيبة وغيرهم . وأسند الحديث .

وتوفى فى رمضان سنة ست عشرة وثلاث مائة بمصر .

٣١٢ - أبو على الحسين بن صالح

ابن خيران الفقيه الشافعى

جمع بين الفقه والورع . وأريد على القضاء فأبى .

قال أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عُبيد العسكرى : أريد أبو على بن خيرانَ للقضاء فامتنع فوكل علىُّ بنُ عيسى الوزير ببابه . فشاهدت الموكَّلين ببابه وختم الباب بضعة عشر يوماً . فقال لى أبى : يابنى انظر حتى تحدّث بهذا إن عشتَ ، إنّ إنسانًا فُعل هذا به لِيَلِىَ فامتنع . وكُلّم الوزير فأعفاه :

وعن أبى عبد الله الحسين بن محمد الفقيه الكشفلى أن على بن عيسى وزير المقتدر بالله أمر نازوك صاحب البلد يَطلب الشيخ أبا علىّ بن خيران الفقيه الشافعى حتى يعرض عليه قَضاء القُضاة . فاستتَر فوكَّل بباب داره رجالَه بضعة عشر يوماً حتى احتاج إلى الماء فلم يقدر عليه إلا من عند الجيران .

فبلغ الوزير ذلك فأمر بإزالة التوكّل عنه، وقال في مجلسه، والناس حضور: ما أردنا بالشيخ أبي علي بن خيران إلا خيراً، أردنا أن يعلم أن في مملكتنا رجلاً نعرض عليه قضاء القُضاة شرقاً وغرباً وهو لا[1] يقبل.

تُوفي أبو علي بن خيران في حدود العشرين وثلاث مائة.

٣١٣ خير بن عبد الله أبو الحسين النسّاج

أصله من سُرّ من رأى، لكنه نزل بغداد.

وحكى السلمي عن فارس البغدادي قال: كان اسم خير محمد بن إبراهيم[2] السامري.

قال السلمي: وتاب[3] في مجلسه: إبراهيم الخوّاص والشبلي.

عن جعفر الخلدي، قال: سألت خيراً النساج: أكان النسج حرفتك؟ قال: لا قلت: فمن أين سُميت به؟ قال: كنت عاهدت الله ألا آكل الرُّطَب يوماً. فغلبتني نفسي يوماً فأخذت نصف رطل، فلما أكلت واحدة إذا رجل قد نظر إليّ وقال: ياخيرُ، يا آبقُ، هربت منّي؟ وكان له غلام اسمه خير قد هرب منه فوقع عليّ شبهه. فاجتمع

(١) قط: ولا.

(٢) قط ـ اسماعيل

(٣) حـ: ومات زاد في قط: في كتابة.

الناس فقالوا : هذا والله غلامك خير . فبقيت متحيّراً وعلمت بِمَ[1] أخذت ؟ وعرفت جنايتى .

فحملنى إلى حانوته الذى كان ينسج فيه غلمانه فقالوا : ياعبد السوء تهرب من مولاك ؟ أدخل فاعمل عملك الذى كنت تعمل . فأمرنى بنسج الكرباس[1] . فدلّيت رجلى على أن أعمل ، فكأنى كنت أعمل من سنين . فبقيت معه أربعة أشهر أنسج له .

فقمت ليلة فتمسّحت وقمت إلى صلاة الغداة فسجدت وقلت فى سجودى : إلهى لا أعود إلى مافعلتُ . فأصبحت فإذا الشَّبه قد ذهب عنّى وعدت إلى صورتى التى كنت عليها فأطلقت .

فثبتَ علىّ هذا الاسم فكان سببَ النسج إتيانى شهوةً عاهدت الله تعالى ألاّ آكلها ، فعاقبنى الله بما سمعت .

وكان يقول : لانسب أشرف من نسب مَن خلقه الله بيده فلم يعصمه ، ولاعلْم أرفع مِن علْم مَن علّمه الله الأسماء كلها فلم ينفعه فى وقتِ جريانِ القضاء عليه .

قال الخطيب : هذه الحكاية طريفة جداً يسبق إلى القلب

---

(١) فى النسخ : بما .

(٢) الكرباس : ثوب من القطن الأبيض . ويقل : الثوب الخشن ، معرب ج كرابيس ، والنسبة : كرابيسى ـ

استحالتها . وقد كان الخلدى كتب إلى شيخنا أبى نُعيم يجيز له رواية جمع علومه عنه ، وكتب أبو نعيم هـذه الحكاية عن أبى الحسن بن مقسم عن الخلدى ، ورواها لنا عن الخلدى نفسه إجازةً ، والخلدى ثقة ، وكان ابن مقسم غير ثقة . والله أعلم .

وعن عيسى بن محمد قال سمعت أبا الحسن خيرا النساج يقول : تقدم إلىّ شاب من البغداديين وقد انطبقت يده فقلت له : مالك ؟ فقال : جلست إليك فحللتُ عقدةً من طرف إزارك فجفت يدى فقلت : كنتُ قد بِعتُ به لأهلى غزلاً . ثم مسحت يده بيدى فردّ الله عليه يده وناولتهُ الدرهم وقلت : اشترِ به شيئاً ولا تَعُد .

قال أبو بكر الرازى : قال خـير النسّاج : الخوف سَوط الله يقوّم به أنفسنا ، وقد تعودتْ سوء الأدب ، ومتى أساءت الجوارح الأدب فهو من غفلة القلب وظلمة السرّ .

وقال : العمل الذى يبلّغ إلى الغايات هو رؤية التقصير والعجز والضعف .

على بن هرون الحربى يحكى عن غير واحد ممن حَضر موتَ خيرٍ من أصحابه أنه غُشى عليه عند صلاة المغرب ، ثم أفاق ونظر إلى ناحيةٍ من باب البيت فقال : قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمـور ما أُمرتَ به لايفوتك ، وما أَمرتُ به يفوتنى ،

فدعنى أمضى لما أمرت به . ودعا بماء فتوضأ للصلاة وصلىّ ثم تمدد وغمّض عينيه وتشهَّد فمات . فرآه بعض أصحابه فى المنام فقال له : مافعل الله بك ؟ قال : لاتسألنى عن هـذا ولـكن استرحتُ من دنيا كم الوَضِرة -

[قال المؤلف] صحب خير النساج أبا حمزة البغدادى وسريًّا السقطى وكان يذكر [1] أن إبراهيم الخوّاص صحبه .

وبلغ مائة وعشرين سنة وتوفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

٣١٤ – أبو على الروذبارى

واسمه أحمد بن القاسم . هكذا ذكر السلمى ، وصححه . وقال أبو بكر الخطيب : اسمه محمد بن أحمد وصحح ذلك .

أصله من بغداد لـكنه سكن مصر وتقدّم بها وكانت له معرفة بالحديث . كان يقول : أستاذى فى الحديث إبراهيم الحربى ، وفى الفقه أبو العباس بن سريج ، وفى النحو ثعلب ، وفى التصوف الجنيد.

قال محمد بن على بن المأمون : سمعت أبا على الروذبارى يقول : من الاغترار أن تُسىء فيُحَسن إليك فتترك الإنابة والتوبة توهّماً أنك تسامَح فى الهفوات (١) وترى أن ذلك من بسْط الحق لك.

---

(١) قط : وكان يفـكر.

(٢) صف : الخلوات .

وعن أبى منصور بن أحمد الأصبهانى قال : بلغنى عن أبى علىّ الرُّوذبارى أنه قال : أنفقت على الفقراء كذا وكذا ألفاً فما وضعتُ شيئاً فى يد فقير . كنت أضع ما أدفع إلى الفقراء فى يدى فيأخذونه من يدى حتى تكون يدى تحت أيديهم ولا تكون يدى فوق يدِ فقيرٍ .

صحب أبو على الجنيدَ والنّورى وابن الجلاّء والمسوحى وغيرهم وأسند الحديث .

وتوفى بمصر سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة . وقيل ثلاث وعشرين . رحمه الله .

٣١٥ — أبو بكر محمد بن على بن جعفر الكنانى

أصله بغدادى ، لكنه أقام بمكة ومات بها وكان المرتعش يقول : الكنانى سِراج الحرَم .

وقال محمد بن عبد الله بن شاذان . كان يقال : إن الكنانى ختَم فى الطواف اثنتى عشرة ألف ختمة .

وقال أبو جعفر الأصفهانى : صحبت الكنانى سنين فكان يزداد على الأيام ارتفاعاً وفى نفسه اتضاعاً . وسمعته يقول : رُوعة عبدٍ عند انتباهٍ من غفلة ، وارتمادٌ من خوف خطيئةٍ أعْوَد على المريد من عبادة الثقلين .

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال : قال الكناني : إن الله تعالى نظر إلى عبيدٍ من عبيده فلم يرهم أهلاً لمعرفته ، فشغَلهم بخدمته .

صحب الكناني الجنيدَ والخرّاز والنوري — ولا نحفظ له مسنداً .

وتوفى بمكة سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة . وقيل اثنتين وعشرين [رحمه الله] .

٣١٦ — أبو بكر الشبلي

واختلفوا في اسمه فقيل : دلف بن جعفر . وقيل : دلف بن جحدر. وقيل : جحدر بن دلف . وقيل : دلف بن جعبرة [(١)] وقيل : دلف بن جبعويه [(٢)] وقيل : اسمه جعفر بن يونس .

أصله خراساني من أهل سروسة [(٣)] من قرية يقال لها شبلية . ومولده بسُرّ من رأى .

وكان حاجب الموفق . وكان أبوه حاجب الحجاب . فحضر الشبلي يوماً مجلس خيرٍ النساج فتاب فيه .

وكان يقول : خلّف أبي ستّين ألف دينار سوى الضياع فأنفقت الكل وقعدت مع الفقراء .

---

(١) قط : جعثرة ، ق : جعرة . (٢) ق : حيعومه . (٣) ق،قط أشروسنة.

قال الحسين بن أحمد الصفار : سئل الشبلي وأنا حاضر : أيّ شيء أعجب ؟ قال : قلبٌ عرف ربه ثم عصاه .

وعن أبي الحسن علي بن المثنى التميمي قال : دخلت على أبي بكر الشبلي دارَه وهو يَهيج ويقول .

على بُعدك لا يَصبر من عادتُه القربُ
ولا يقوى على هجر ك من تيّمه الحب
فإن لم ترَك العين فقد أبصرك القلب

وقال أحمد بن محمد الآملي سمعت الشبلي يقول : مجاهدة النفس بالنفس أفضل من مجاهدة الغير بالنفس .

وقال الحسين بن أحمد الصفار : كنت يوماً عند الشبلي ، وكان يذم الدنيا وأهلَها ، فقال : يا من باع كلّ شيء ، واشترى لا شيء بكل شيء . وسمعته يقول : ليس من استأنس بالذّكْر كمن استأنس بالمذكور .

وسئل : ما الزهد ؟ فقال: نسيان الزهد .

ودخل بعض أصحابنا يوماً على الشبلي وهو يقول : أفلا شجاً بحنين ؟ أفلا رنّة بأنين من قلبٍ قريح حزين ؟ أفلا شارب بكأس العارفين؟ أفلامستيقظ عن رقدة الغافلين ؟ يا مسكين ستتقدَم فتعلَم وينكشف الغطاء فتندم .

وقال الشبلى : العارف سيّار إلى الله عز وجل تعالى غير واقف وسئل وأنا حاضر : أىّ شىء أعجب ؟ قال : قلبٌ عرف ربه ثم عصاه .

وكان الشبلى ينوح يوماً ويقول : مكّر بك فى إحسانه فتناسيت وأمهلك فى غيّك فتماديت ، وأسقطك من عينه فما دريت ولا باليت .

وقال : ليت شعرى ما اسمى عندك غداً يا علاّم الغيوب ؟ وما أنت صانعٌ فى ذنوبى يا غفّار الذنوب ؟ وبم تختم عملى يا مقلّب القلوب . ؟

قال : وكان الشبلى يقول فى جوف الليل قُرّةَ عينى وسرورَ قلبى ، ما الذى أسقطنى من عينك ؟ ثم يصرخ ويبكى .

قال : وقال الشبلى : لا تأمنّن على نفسك وإن مشيت على الماء حتى تخرج من دار الغِرّة إلى دار الأمل .

وقال الشبلى : إذا وجدت قلبك مع الله فاحذر من نفسك ، وإذا وجدت قلبك مع نفسك فاحذر من الله .

وقال أحمد الحلقانى : سمعت الشبلى يقول : من عرف الله عز وجل لا يكون له غمّ وسمعته يقول : أحبّك الخلق لنعمائك وأنا أحبّك لبلائك .

وعن أبي حاتم الطبرى قال : سمعت أبا بكر الشبلي يقول : إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها فانظر إلى مزبلة فهى الدنيا وإذا أردت أن تنظر إلى نفسك فخذ كفاً من تراب ، فإنك منه خلقت وفيه تعود ومنه تخرج . وإذا أردت أن تنظر ما أنت ؟ فانظر ماذا يخرج منك فى دخولك الخلاء ؟ فمن كان حاله كذلك فلا يجوز أن يتطاول أو يتكبر على مَن هو مثله .

وعن الحسين بن أحمد الهروى قال : سمعت أبا بكر الشبلى يقول: ليس للأعمى من رؤية الجوهرة إلا مسُّها ، وليس للجاهل من الله إلا ذكْره باللسان .

وسأل جعفر بن نصير بَكْران الدينورى ، وكان يخدم الشبلى ما الذى رأيت منه ؟ يعنى عند وفاته . فقال : قال لى : علىّ درهم مظلمة تصدّقت عن صاحبه بألوف ، فما على قلبى شغْل أعظم منه ثم قال : وضّئنى للصلاة . ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك علىّ لسانه ، فقبض على يدى وأدخلها فى لحيته ثم مات .

فبكى جعفر وقال : ما تقولون فى رجل لم يفتْه فى آخر عمره أدبٌ من آداب الشريعة ؟

وعن بكير صاحب الشبلى قال : وجد الشبلى فى يوم جمعة خفّةً من وجعٍ كان به فقال : تنشَط تمضى إلى الجامع ؟ قلت نعم

فاتّكأ على يدى حتى انتهينا إلى الورّاقين من الجانب الشرقى . قال : فتلقانا رجل جاءنى من الرصافة ، فقال : بكير ! قلت : لبيك . قال : غداً يكون لنا مع هذا الشيخ شأن .

ثم مضينا فصلّينا ثم عُدنا فتناول شيئاً من الغداء . فلما كان الليل مات رحمه الله ، فقيل لى : فى درب السقّائين رجل شيخ صالح يغسل الموتى . فدلّونى عليه فى سحَر ذلك اليوم ، فنقرت الباب خفيا[1] فقلت : سلام عليكم . فقال : مات الشبلى ؟ قلت : نعم . فخرج إلىّ فإذا به الشيخ . فقلت : لا إله إلا الله فقال : لا إله إلا الله ، تعجباً . ثم قلت : قال لى الشبلى أمس لما التقينا بك في الورّاقين: غداً يكون لى مع هذا الشيخ شأن . بحقّ معبودك من أين لك أن الشبلى قد مات ؟ قال : يا أبله فمن أين لاشبلى أنه يكون له معى شأن من الشأن اليوم ؟

عمر بن عبيد قال : حدثنى بكير ، فذكر معنى الحكاية .

صحب الشبلى الجنيد وطبقته ، وتفقّه على مذهب مالك ، وكتب الحديث الكثير ولا نعلم له مسنداً سوى حديث واحد .

أخبرنا أبو منصور الصرّار ، أنبأ أبو بكر أحمد بن على ، أنبأ اسمعيل بن أحمد الحيرى ، أنبأ أبو عبد الرحمن السلمى ، أنبأ أحمد بن محمد بن أحمد بن حسن الهروى ، أنبأ أبو عبد الرحمن ،

---

(١) قط : خفيفاً .

أنبأ عبد الواحد بن العباس ، أنبأ أحمد بن محمد بن ثابت ، أنبأ محمد بن على الجمال قال :

سمعت أبا بكر الشبلى يقول : ثنا محمد مهدى المصرى ، أنبأ عمر بن أبى سلمة ، أنبأ صدقة بن عبدالله عن طلحة بن زيد عن أبى فروة الرهاوى عن عطاء عن أبى سعيد الخدرى قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال : « الْقَ الله فقيراً ولا تلقَه غنياً » قال . يارسول الله كيف لى بذلك(١) ؟ [قال : « ماسُئلت فلا تمنع وما رُزقت فلا تخبأ » قال : يارسول الله كيف لى بذاك ؟] قال : هو ذاك وإلاّ فالنار(٢) .

توفى الشبلى فى ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة وهو ابن سبع وثمانين سنة رحمه الله .

٣١٧ – أبو أحمد المغازلى

جعفر الخلدى قال : سمعت أبا أحمد المغازلى يقول : كنت يوماً من الأيام قاعداً ، فخطر على قلبى ذكْر من الأذكار فقلت : إن كان ذكر يُمشَى به على الماء فهو هذا . فقمت إلى الماء فوضعت قدمى على الماء فثبتتْ ، ثم رفعت قَدمى الأخرى لأضعها(٣) على الماء فخطر بقلبى كيفية ثبوت الأقدام على الماء فغاصتا جميعاً — [رحمه الله] .

(١) ق : بذلك .
(٢) الحديث غير صحيح ، في سنده طلحة بن زيد الرقي قال فيه ابن المديني : كان يضع الحديث ، وعمر بن ابي سلمة ، قال فيه النسائي : ليس بالقوي .
(٣) في النسخ : لأضعه .

٣١٨ – عيسى[١] بن إسحاق بن موسى أبو العباس الأنصارى

روى عن أبى الربيع الزهرانى وغيره . وروى عنه أحمد بن كامل القاضى ، قال : وكان يمشى حافياً ويلبس قميصاً ناتناف[٢] تزهداً . وكان صادقاً زاهداً[٣] عابداً . ومات قبل سنة ثمانين ومائتين .

قال أبو عمر الزاهد : أنبأ أبو العباس الأنصارى[٤] . وكان يقال إنه من الأبدال [فى زمانه] .

٣١٩ – أبو محمد عبد الله محمد النيسابورى

ويقال له المرتعش . صحب الجنيد ، وأقام ببغداد فى مسجد الشونيزى . وكانوا يقولون : عجائب ببغداد ثلاثة : إشارات الشبلى ، ونُكَت المرتعش ، وحكايات جعفر الخوّاص .

وقال أبو الفرج الصائغ : قال المرتعش : من ظنّ أن أفعاله تُنجيه من النار أو تبلغه درجة الرضوان فقدْ جعل لنفسه ولفعله خطراً ، ومن اعتمد على فضل الله بلّغه الله أقصى منازل الرضوان[٥] .

---

(١) فى النسخ : لأضعه .

(٢) كذا فى قط وصف فى ق : ماتناف .

(٣) ق ، قط : صالحاً .

(٤) ق : « أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بالإسناد عن أبو العباس الأنصارى » .

(٥) قط : الوصول .

وقيل له : إن فلاناً يمشى على الماء . فقال : إن من مكّنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشْى على الهواء والماء .

وعن أحمد بن على بن جعفر قال : كنت عند المرتعش قاعداً فقال رجل : قد طال الليل وطاب الهواء . فنظر إليه المرتعش وسكت ساعة ثم قال : لا أدرى ما يقول ، غير أنى أقول ماسمعت من بعضهم ، يقول : (١)

لست أدرى أطال ليلىَ أم لا　　كيف يدرى بذاك مَن يتقلّى ؟
لو تفرّغتُ لاستطالة ليلى　　ولرعْى النجوم كنت مُخِلاّ

قال . فبكى من حضره ، واستدلوا بذلك على عَمارة أوقاته .

قال السلمى : وتوفى ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة . رحمه الله .

٣٢٠ — أبو جعفر المجذوم

قال أبو الحسن الدرّاج : كنت أحج فتصحبنى جماعة ، فكنت أحتاج إلى القيام معهم والأشغال بهم . فذهبت سنةً من السنين ، يعنى على الوحدة ، وخرجت إلى القادسية . فدخلت المسجد فإذا رجل فى المحراب مجذوم ، وعليه من البلاء شىْء عظيم . فلما رآنى سلّم علىّ وقال : يا أبا الحسين عزمت على الحج ؟ قلت : ، على غيظٍ منى وكراهيةٍ له .

(١) ذكر السلمي الابيات في الطبقات ، وتمامها :
ان للعاشقين عن قصد الليل　　وعن طوله من الوجد شغلا .

قال : فقال لى : فالصحبة . فقلت فى نفسى : أنا هربت من الأصحّاء أقع فى يدىْ مجذوم ؟ قلت : لا . قال لى : افعـــل . قلت : لا والله لا أفعل . فقال لى : يا أبا الحسين ، يصنع الله للضعيف حتى يتعجّب القوىّ . فقلت : نعم ، على الإنـكار عليه .

قال : فتركته . فلما صليت العصر مشيت إلى ناحية المُغيثة[1] فبلغت كالغد ضحوة . فلما دخلت إذا بالشيخ . فسلّم علىّ وقال لى : يا أبا الحسين يصنع الله للضعيف حتى يتعجّب القوىّ . قال : فأخـذنى شبيه الوسواس فى أمره .

قال فلم أحسّ حتى بلغت القرعاء[2] على الغد ، فبلغت مع الصبح فدخلت المسجد فإذا أنا بالشيخ قاعدا فقال لى : يا أبا الحسين ، يصنع الله للضعيف حتى يتعجّب القوىّ .

قال : فبادرت إليه فوقعت بين يديه على وجهى فقلت : المعذرة إلى الله وإليك . قال لى : مالكَ ؟ قلت : أخطأت . قال : وماهو ؟ قلت الصحبة . قال : أليس حلفت ؟ وإنا نـكره أن نُحنثك ، قال : قلت : فأراك فى كل منزل . قال : ذاك لك .

قال : فذهب عنى الجوع [والعطش] والتعب فى كل منزل

---

(١) المغيثة (بضم الميم) : منزل فى طريق مكة ، بعد العذيب نحو مكة .

(٢) الفرعاء : تبعد عن المغيثة (٣٢) ميلاً . وفى النسخ : الفرعا ، تحريف .

ليس لى همّ إلا الدخـول إلى المنزل فأراه . إلى أن بلغت المدينة فغاب عنى فلم أره .

فلما قدمت مكة حضرت أبا بكر الـكنانى وأبا الحسين المزّين فذكرت ذلك لهم فقالوا : يا أحمق ذلك أبو جعفر المجذوم ، ونحن نسأل الله أن نراه . فقالوا : إن لقيته فتعلق به لعلّنا نراه . قلت : نعم .

فلما خرجنا إلى مِنى وعرفات لم ألقه: فلما كان يوم الجمرة رميت الجمار ، فحدثنى إنسان وقال : يا أبا الحسين السلام عليك . فلما رأيته لحقنى من رؤيته فصحْت وغُشى على . وذهب عنى وجئت إلى مسجد الخيْف وأخبرت أصحابنا .

فلما كان يوم الوداع صلّيت خلف المقام ركعتين ورفعت يدى فإذا إنسان خلفى جذَبنى فقال : يا أبا الحسين عزمت عليك أن تَصبح قلت : لا ، أسألك أن تدعو لى. فقال: سل ماشئت. فسألت الله تعالى ثلاث دعوات فأمّن على دعائى فغاب عنى فلم أره .

فسألته عن الأدعية فقال : فأما أحدها فقلت : يارب حبّب إلىّ الفقر فليس فى الدنيا شىء أحب إلىّ منه . والثانى قلت: اللهم لاتجعلنى أبيت ليلةً ولى شىء أدّخره لغدٍ، وأنا منذ كذا وكذا سنةً مالى شىْء أدّخره . والثالث قلت : اللهم إذا أذنت لأوليائك أن ينظروا إليك فاجعلنى منهمَ وأنا أرجو .

قال السلمى : أبو جعفر المجذوم بغدادى ، من أقران أبى العباس ابن عطاء .

٣٢١ – عباس بن المهتدى أبو الفضل

قال أبو عبد الرحمن السلمى : عباس بن المهتدى من بغداد . كنيته أبو الفضل . يرجع إلى فتوة ظاهرة وفِراسة حادة ، وحبّ للفقراء وميلٍ إليهم . دخل مصر وصحب بها أبا سعيد الخراز .

وعن محمد بن عبدالله الفرغانى قال : تزوج عباس بن المهتدى امرأةً فلما كانت الليلة التى أراد أن يدخل بها وقعت عليه ندامة فدخل عليها وهو كاره ، فلما أراد أن يدنو منها زُجر عنها فامتنع من وطئها وقام وخرج من عندها .

فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهر للمرأة زوج .

٣٢٢ – خزرج بن علي بن العباس
أبو طالب الصوفى

قال أبو عبد الله بن خفيف[١] : دخل أبو طالب خزرج بن على شيرازا فاعتلّ علةً ، فكنت أخدمه وأقدّم إليه الطست فى الليل مراراً كثيرة . وكنت فى ذلك الوقت فى حال الرياضة فكنت

(١) ق : خفيف .

لا أفطر إلا على الباقلّى اليابس .

فسمع أبو طالب ليلةً كَسْرِى للباقلّى بأسنانى فقال لى : ما هذا ؟ فعرّفته حالى . فبكى وقال : يا أبا عبد الله ، فإنى كنت كذلك حتى حضرت ليلةً مع أصحابنا فى دعوة ببغداد فقُدّم إلينا حَمَل مشوى فأمسكتُ يدى ، فقال لى بعض أصحابنا : كُلْ . فأكلت لقمةً وأنا منذ أربعين سنةً إلى خلْف .

قال ابن خفيف : ثم تماثل وخرج إلى بعض البلدان[1] وجلس فى رِباط[2] ، وسوّد داخل الرِباط وخارجَه ، وقال هكذا جلوس أهل المصائب . فما خرج منه حتى مات .

قال المؤلف : أسند أبو طالب الحديث عن أحمد بن عبد الله النرمسى ، وكان من أصحاب الجنيد .

٢٢٣ — أبو اسحاق إبراهيم بن حماد الأزدى

مولى آل جرير بن حازم . قال القاضى أبو الحسين الجراحى : ما جئت إلى إبراهيم بن حماد قطّ إلا وجدته قائمًا يصلّى أو جالسًا يقرأ .

وقال أبو بكر النيسابورى : ما رأيت أعبدَ منه .

---

(١) ق : قطر النواحى .

(٢) الرباط : واحد الرباطات وهى المعاهد المبنية والموقوفة للفقراء .

أسند ابراهيم عن الحسن بن عرفة وخلق وتوفى في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة .

٣٢٤ – أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن النجاد

عن أبى إسحاق الطبرى قال: كان أحمد بن سلمان يصوم الدهر، ويفطر كل ليلة على رغيف ، ويترك منه لقمة . فإذا كان ليلة الجمعة تصدق بذلك الرغيف وأكل تلك اللُقَم التى استفْضلها .

وقال أبو عبد الله أحمد بن عبد الله الحربى : سمعت أبا بكر أحمد ابن سلمان النجّاد يقول : من نقّرَ على الناس[1] قلّ أصدقاؤه ، ومن نقَّرَ على ذنوبه طال بكاؤه ، ومن نقّرَ على مطعَمه طال جوعه .

أسند النجاد عن أبى داود السجستانى فى خلْق لا يُحصَوْن . وكان يمشى فى طلب الحديث حافياً .

وتوفىّ فى سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة وقد بلغ خمساً وتسعين سنةً ودُفن عند قبر بشْر بن الحارث .

٣٢٥ – جعفر بن محمد بن نصير الخلدى

يكنى أبا محمد حج ستين حجة .

قال على بن المثنى التميمى : سمعت جعفراً الخلدى يقول لرجل :

---

(١) نقّر على الناس : عابهم وذكر ما يسوءهم . ونقر عن الشىء : بحث عنه .

كن شريف الهمة فإنّ الهمم تَبلغ بالرجال لا المجاهَدات.

أسند جعفر الخلدى عن الحارث بن أبى أسامة وغيره وسمع الكثير من الحديث ولقى جماعة من المشايخ كالجنيد وغيره .

وتوفّى فى يوم الأحد لتسعٍ خلَوْن من شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة .

٣٢٦ – جعفر بن حرب

عن على بن المحسن المسوحى ، عن أبيه : أن جعفر بن حرب كان يتقلد كبار الأعمال للسلطان ، وكانت نعمته تقارب نعمة الوزارة . فاجتاز يوماً راكباً فى موكب له عظيم ، ، ونعمتهُ على غاية الوفور ، ومنزلتهُ بحالها فى الجلالة فسمع رجلاً يقرأ « أَلَمْ يأنِ للذين آمنوا أن تخشَع قلوبُهم لذكْر الله وما نزَل من الحقّ »[1] فصاح : اللهم بلى . يكررها دفعات . وبكى ، ثم نزل عن دابته ونزع ثيابه ودخل إلى دجلة واستتر بالماء ، ولم يخرج منه حتى فرّق جميع مالهِ فى المظالم التى كانت عليه وردّها وتصدّق بالباقى .

فاجتاز رجل فرآه فى الماء قائماً وسمع بخبره فوهب له قميصاً ومئزراً فاستتر بهما وخرج ، فانقطع إلى العلم والعبادة حتى مات .

---

(١) سورة الحديد : ١٦ .

٣٢٧ - أبو بكر محمد بن سعيد الحربى

ويعرف بابن الضرير الزاهد

عن عبد الواحد بن أبى الحسين [1] الفقية قال : سمعت أبى يقول سمعت أبا بكر ابن الضرير الزاهد يقول : دافعت الشهوات حتى صارت شهوتى المدافعة فحسب .

قال المصنف : كان أبو بكر ينزل الحربية من بغداد وروى عن إبراهيم بن نصر المنصورى وغيره .

وتوفى فى ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة .

٣٢٨ - أبو بكر محمد بن الحسين الآجرّى

كان ثقةً ديّناً عالماً مصنفاً . وقد سمع عن أبى مسلم الكجى ، وأبى شعيب الحرّانى ، وجعفر الفريابى ، فى خلْق يطول ذكرهم .

وحدّث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاث مائة ، ثم انتقل إلى مكة فأقام بها حتى مات فى محرّم سنة ستين وثلاث مائة .

قال أبو سهل محمود بن عمرو العكْبرَى : لما وصل أبو بكر محمد ابن الحسين الآجرّى إلى مكة استحسنها واستطابها فهَجس فى نفسه أن اللهم أحْيِنى فى هذه البلدة ولو سنة . فسمع هاتفاً يهتف ويقول :

---

(١) ق ، قط : أبى الحسن .

يا أبا بكر لِمَ سنة ؟ ثلاثين سنة .

فلما كان فى سنة ثلاثين سمع هاتفاً يقول : ياأبا بكر قد وَفينا بالوعد . فمات فى تلك السنة .

٣٢٩ — يوسف بن عمر بن مسرور

أبو الفتح القواس — قال الأزهرى : كان أبو الفتح من الأبدال ، وكان مجاب الدعوة .

وقال أبو الحسن الدار قطنى : كنا نتبرك بأبى الفتح القوّاس وهو صبى .

وقال أبو ذر الهرَوى : كنت عند أبى الفتح القواس وقد أخرج جزءا من كتبه فوجد فيه قَرْض الفار ، فدعا الله على الفارة التى قرضته فسقطت من سقف البيت فارة ولم تزل تضطرب حتى ماتت .

سمع يوسف بن عمر القواس من البغَوى ، وأبى بكر بن أبي داود ويحيى بن صاعد ، فى خلق كثير .

وتوفى يوم الجمعة لسبعٍ بقين من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وثمانين وثلاث مائة ودُفن بمقبرة أحمد رضى الله عنهما .

٣٣٠ — أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسمعيل

ابن عبيس[١] بن سمعون وكان يلقّب الناطق بالحكمة

عن أبى بكر الأصبهانى ، وكان خادم الشبلى ، قال : كنت بين

(١) ق : عنبس .

يدى الشبلى فى الجامع يوم جمعة فدخل أبو الحسين بن سمعون وهو صبيّ على رأسه قلَنسوة بشفاشك مُطَيْلس(١) بفوطة ، فجاز علينا وما سلّم . فنظر الشبلى إلى ظهرة وقال : يا أبا بكر أتدرى أىّ شئ لله من الذخائر فى هذا الصبى . ؟

وقال الحسن بن محمد الخلاّل : قال لى أبو الحسين بن سمعون : ما اسمك ؟ فقلت : حسن فقال : قد أعطاك الله الاسم فسلْه أن يعطيك المعنى .

وقال أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن المظفر : سمعت ابن سمعون يقول : رأيت المعاصىَ نذالةً ، فتركتها مروءةً ، فاستحالت ديانـــةً .

وقال أبو الفتح القولس لحقتنى إضاقة فى وقت من الأوقات ، فنظرت فلم أجد فى البيت غير قوسٍ لى وخفّين كنت ألبسهما ، فأصبحت وقد عزمت على بيعهما . وكان يوم مجلس أبى الحسين بن سمعون . فقلت فى نفسى : أحضر المجلس ثم أنصرف فابيع الخفّين والقوس فحضرت فلما أردت الانصراف نادانى أبو الحسين : يا أبا الفتح لا تبع الخفّين ، ولا تبع القوس ، فإن الله سيأتيك برزقٍ من عنده : أو كما قال .

---

(١) ط : مطلس . وقوله (بشفاشك) : كذا فى النسخ ، ولم نعثر عليها .

وعن عليّ بن طلحة المقْرى قال سمعت أبا الحسين بن سمعون يقول : كل من لم ينظر ، بالعلْم ، فيما لله عليـــــه فالعلّم حجة عليه ووبال .

وسمعته يقول : الصادقون الحذّاق هم الذين نظروا إلى ما بذلوا فى جنب ماوجدوا ، فصغُر ذلك عندهم فاعتذروا .

وسمعته يقول : قلّلوا اهتمامكم لـكم ، ووفّروا اهتمامكم بكم وتوسّدوا اوساداً من الشكر ، والبسوا لباساً من الذكر ، والتحفوا لحافاً من الخوف ؛ تفوزوا بمدحة الربالله أن تستهينوا بشيء يوجب الذم دون أن تستهينو بما يوجب العقوبة .

وسمعته يقول : يا هذا ، تظَلَّمْ إلى ربك منك ، واستنصرْهْ عليك ينصرْكَ .

وسمعته يقول : احزنوا على ما فاتـكم ، وأُسَفوا على تقصيركم ، وأحرِزوا بضائعكم من التلف لاتخرج القطّاعُ عليها .

وسمعته يقول : كل داء عرُف دواؤه فهو صغير ، والذى لم يعُرف له دواء . كبير

وسمعته يقول : اجهد يا هذا أن يُسرق منك ولا يُسرق لك .

وسمعته يقول : احذروا الصغائر فإن النُقَط الصغار آثار فى الثوب النقى

وسمعته يقول : احذر أن ترى عَملك[1] لك ، فإن رأيته لك كنت ناظراً إلى ليس لك .

وسمعته يقول : من الوقاحة تمنّيك مع توانيك . استوفْ من نفسك الحقوقَ ثم وفّها الحظوظ حسب مايكفيها لاما يُطغيها ، قِفها بين الجنة والنار تأباك الجنة بكل[2] معنى وتقبلك النار بجملتك .

وسمعته يقول : معنى قوله « لايزالَ عبدى يتحبب إلىّ حتى أحبه » قال : حتى أظهِر له حبّى لأنه لم يزل محباً .

وسمعته يقول : الخير كله فى هذا الزمان تركُ ما الناسُ عليه ، ومّص النوى ، وسفّ الرمل ـ وأنشدَنا :

لو كلُّ جارحةٍ منىّ لها لغةٌ تثنى عليك بما أوليْتَ من حَسَنِ
لكان ما زان شُكرى إذا أشرْتُ به إليك أزْيدَ فى الإحسان والمننِ

وأنشدَنا أيضاً ـ :

حاشاك من أن ترانى محمد يحبّك خوفا
لم يبق منى وفاء إلا وما منك أوفى
أفنيتَنى عن جميعى فصرت أهواك طرفا

قال محفوظ بن أحمد الكلوذانى ، قال لنا الشيخ الصالح أبو على

---

(١) ط : أعمالك .

(٢) ق : لكل .

الحسن بن غالب الحربى سمعت أبا الحسين بن سمعون يقول : ياهذا أكرمتك لمّاعا ملتك وصنتك لما نهيتك فعاملتى لك كرامة ونهى لك صيانة[١] كلفتك الصلاة ولعلمى[٢] بتوانيك لم أجعل لها وقتاً واحداً، جعلتُ لها أولاو آخراً وأنت تقول:الوقت واسع متى ما اتسع الوقت على عاقل؟ أما علمت أن الأوقات على العقلاء أدق من ثقب الإبر تهتم لك كأنى لستُ مولاك ، وتدع الاهتمام بك كأنى استُ مطالبك . أما علمت أنه إذا بدا النهار أطالبك بحق ملكى ، وإذا بدا الليل أطالبك بحق حبى .

قال أبو على وكنا جلوساً عند أبى الحسين بن سمعون فى مجلسه[٣] فجاز قوم معهم كلاب الصيد فنبحت عليها كلاب الدرب فقال:سبحان الله كأن هذه حادثت هذه . فقالت هذه الأهلية لكلاب الصيد : يامساكين رغبتم فى نعيم الملوك فسوجروكم[٤] ولو قنعتم بالمنبوذ مثلنا كنتم مخلّين[٥]. فقالت لها كلاب الصيد:خَفِيَ عليكم حالنا نحن رأو فينا آلة الخدمة فحبسونا على الخدمة وقامو لنا بالكفاية قالت الأهلية فالواحد منكم إذا كبر خلى وصار معنا قالت كلاب الصيد : لأنه قصر عما يجب عليه وكل من قصر فيما يجب عليه طُرد .

(١) صف : للصيانة . (٢) ط : لعلمى، خطأ . (٣) ق : « فى مسجد »، قط : مسجده . (٤) سجره وسوجره : شده بالساجور ، وهو خشبة تعلق فى عنق الكلب . (٥) ق : مخلايين .

قال أبو على وسمعت أبا سعيد أحمد بن المسك بن أحمد البزاز يقول : سمعت عمى محمد بن أحمد يقول : رأيت فى المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جامع الخليفة وإلى جانبه رجل مكتهل . فسألت عنه فقيل : هو عيسى بن مريم روح الله وكلمته ، وهو يقول للنبى صلى الله عليه وسلم : أليس فى أمتى الأحبار ؟ أليس فى أمتى الرهبان ؟ أليس من أمتى أصحاب الصوامع؟ قال :فدخل أبو الحسين بن سمعون فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى أمتك مثل هذا ؟ فسكت وانتبهتُ .

وعن أبى طاهر محمد بن علىّ العلاف قال : حضرت أبا الحسين ابن سمعون يوماً فى مجلس الوعظ،وهو جالس على كرسيه يتكلم وكان أبو الفتح بن القواس جالساً إلى جنب الكرسى فغلبه [1] النعاس فنام فأمسك أبو الحسين عن الكلام ساعةً حتى استيقظ أبو الفتح ورفع رأسه . فقال له أبو الحسين : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومك ؟ قال : نعم . فقال أبو الحسين : لذلك أمسكت عن الكلام خوفاً أن تنزعج وتنقطع عما كنتَ فيه . أو كما قال

وعن أبى بكر البرقانى قال: لأبى الحسين بن سمعون: أيها الشيخ، أنت تدعو الناس إلى الزهد فى الدنيا ، والترك لها ، وتلبس أحسن

---

(١) ق ، قط : فغشيه .

الثياب وتأكل أطيب الطعام، فكيف هذا ؟ فقال: كلّ ما يُصلحك فافعله إذا صلَح حالُك مع الله : بلُبس ليّن الثياب، وأكل طيّب الطعام، فلا يضرّك .

أسند بن سمعون عن خلق كثير يطول ذكرهم، منهم : عبد الله ابن أبى داود السجستانى . وأملى الحديث .

وتوفى يوم النصف من ذى القعدة سنة سبع وثمانين وثلثمائة وكان مولده سنة ثلثمائة ودُفن فى داره، ثم نقل بعد تسع وثلاثين سنة إلى باب حرب وكفَنُه لم يَبْلَ .

قال عبد القادر بن محمد بن يوسف : أخبرنى أبى قال : كنت مع الذين أخرجوا أبا الحسين من داره وقد دُفن فيها أربعين سنة، فأخرج إلى قبر أحمد وأكفانه تتقعقع[1] كما دُفن . رحمه الله .

٣٣١ – عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق

أبو القاسم الواعظ

كان من أهل الزهد والصلاح الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .

عن أحمد بن على بن ثابت قال : حدثنى الضمرى قال : كان عند

---

(١) تقعقعة : صوت عند التحرك .

عبد الصمد جزء عن النجّاد فأخذت من أبى بكر البقّال نسختة[1] ومضيت أنا وأبو يعلى بن المأمون إليه،فسلمنا عليه وسألناه أن يحضرنا فى المسجد لنسمع الجزء منه وسبقناه إلى المسجد .

فدخل وسلم وصلّى ركعتين ثم جاء فجلس بين أيدينا فقلت له : إنما حضرنا لنسمع منك فإن رأيت أن ترتفع إلى صدر المجلس . فقال : هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وأشار إلى ابن المأمون ـ وأنت رجل من أهل العلم ، وما كنت لأرتفع عليكما فى المجلس .

وعن على بن محمد الحسن المالكى قال : جاء رجل إلى عبد الصمد بمائة دينار ليدفعها إليه فقال له : أنا غنى عنها فقال: فرّقها على أصحابك هؤلاء فقال : ضعها على الأرض ففعل . فقال عبد الصمد للجماعة : من احتاج منكم إلى شئ فليأخذ على قدْرِ حاجته فتوزعها الجماعة على صفات مختلفة من القلة والكثرة ولم يمسها هو بيده ثم جاءه ابنه بعد ساعة فطلب منه شيئاً فقال له : اذهب إلى البقال فخذ منه ربع رطل تمراً

وقال التنوخى : كنت يوم الجمعة فى جامع المنصور والخطيب على المنبر وعلى يسارى على بن طلحة المقرى البصرى فمددت عينى فرأيت عبد الصمد بالقرب منى فهممت بالنهوض إليه ، وكان صديقاً لى ، فاحتشمت من القيام فى مثل ذلك الوقت مع قرب قيام الصلاة . فقام

(١) صف : النسخة .

ومشى نحوِى فقمت إليه فقال لى : اجلس أيها القاضى فليس إليك قصدت[١] ولا لك أردت بمجيئى إنما هذا أردت وإليه قصدت يعنى ابن طلحة وذلك أن نفسى تأباه وتكرهه فأردت أن أذِلها بقصده وأخالف إرادتها ، فقصدته . فقام ابن طلحة إليه وقبّل رأسه ، وعاد عبد الصمد إلى موضعه[٢] .

وعن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله السكّرى قال : اجتاز عبد الصمد يوماً بسوق الطعام فرأى غلاماً يقال له عزيز وقد خرج مع العيّارين ، وكانت أيامهم ، والناس مجتمعون عليه ، وأبواه يبكيان ويعذُلانه ويأبى عليهم .

فلما أكثرا عليه قال لهما مثلى يقول شيئاً يرجع عنــه ؟ قد قلت لأصحابى إنّى منكم ، امضيا اطلبـا عزيزاً غيرى ، شاروفتى[٣] فى جيبى .

يقال عبد الصمد : رأيته قد تابع الهوى على الوفاء ، مع علمه بأنه إذا وقع فى الشدائد لايجيره فبايعت ربى[٤] على الوفاء مع علمى بأنى

---

(١) قط : قت .

(٢) صف : مكانه .

(٣) لم نعثر على هذه الكلمة ، على كَثْرة التنقيب .

(٤) كلمة « ربى » ساقطة من ط .

إذا وقعت فى الشدائد يجيرنى . فاجتزت يوماً بباب دَرْب الدَّيزَج ، فشممت روائح طيبة فطالبتْنى نفسى بشىْء منها فقلت : اطلبى عبدَ الصمد غيرى[1] شاروفتى فى جيبى .

قال : وسمعت عبد الصمد يقول : كنت يوماً أمشى فى بعض الطرق وإذا بساعٍ قد أقبل من عدْوه وقد بقى عليه من الطريق بقيّة، والناس يستقبلونه بالتُّحف . فقال له رجل أيْ فلان مُتْ اليومَ حتى تعيش أبداً . فقلت لنفسى : هذا لكِ مُوتى اليوم حتى تعيشى أبداً .

وعن أبى علىّ الحسن بن على بن فهر القلاف ، قال : قال عبد الصمد : يا أبا على رأيت اليوم عجباً : اجتزت ببعض الخرابات فسمعت منها أنيناً فدخلت وإذا برجل قد شدّ حبلاً يريد أن يخنق نفسه فزعقت عليه وقلت له لا يحل لك أن تفعل هـذا . فقال لى : فأعذر[3] . فقلت : وماشأنك والغَدْر ؟ قال : قد قامرتُ فى قتل نفسى فقمرتها[4] وما أرى الغدر . فنحيت الحبل من عنقه وعجبت كيف لم يستجز الغدْر فى هوى الشيطان فكيف يجوز الغدْر فى رضا الرحمن؟

---

(١) أى اطلبى رجلا آخر غيرى يحمل هذا الاسم .

(٢) ق ، قط : « الحسن بن محمد بن فهد الملاف » .

(٣) أى فهل أغدر إذن ؟

(٤) قمرتها : غلبها فى القمار .

وحكى أبو الوفاء بن عقيل قال: هجم عيد على عبد الصمد والبيت فارغ من القُوت ، فجاءه رجل بدراهم فقال: خذ هذه . فقال: يا هذا بالله دعني اليوم أتلذذ [1] بفقري كما يتلذذ الأغنياء بغناهم ،وكان يقول أبداً اوجدهم فى تعذيبه عذوبة . [2]

(قال المؤلف) : بلغني عن عبد الصمد أنه كان فى دعوة فقيل له : انبسط وتَمكّنْ فقال : وما يمكّنني؟ مَن يحتشم ربّه فى الخلوة لا ينبسطُ.

وكان يحرّض أصحابه على الجِدّ ويقول : هيهِ قد فاتتكم الدنيا فلا تفوتنّكم الآخرة .

وقال التنوخى : حدّثنى مَن حضر عبد الصمد وقد احتُضر ، فدخلتْ عليه أم الحسن بنت القاضى أبى أحمد بن الاكفانى، وكانت أحـد من يقوم بأمره ويراعيه . فقالت له : أسألك وأقسم عليك إلا سألتَنى حاجة . فقال لها : نعم كونى لهنيّة ، يعنى ابنته ، بعد موتى كما أنتِ لها فى حياتى . فقالت : أفعل . ثم أمسك ساعة وقال : أستغفر الله ، وكرّرها ، الله لها خيرٌ منكِ .

وحكى ابن عقيل عن بعضَ من حضر عبدالصمد عند الموت قال:

---

(١) ق : أتلذذ اليوم .

(٢) ق : وعذوبة . قط : « يقول إذا أوجدهم أبدا أوجدهم تعذيبه » .

حضرته وهو يقول : يا سيّدى للنوم خبأتك ، ولهذه الساعة اقتنيتُك، حقّقْ حُسن ظنّى بك .

أسند عبد الصمد عن أحمد بن سلمان النجّاد .

وتوفى يوم الثلاثاء لسبعٍ بقين من ذى الحجة . وقيل : فى آخر يومٍ من ذى الحجة سنة سبع وتسعين وثلاث مائة . وقيل : توفى ليلاً وكانت وفاته بدرب شماس ، من نهر الغلابين [1] وقبره اليوم ظاهر يُتبرك به بمقبرة الإمام أحمد .

٢٣٢ – عثمان بن عيسى أبو عمر [2] الباقلاوى

كان يقال له : العابد الصَّموت ، لإمساكه عن الكلام فيما لا يعنيه .

قال أحمد بن على الحافظ : كان عثمان الباقلاّوى أحد الزهاد المتعبّدين ، منقطعاً عن الخلق ، ملازماً للخلوة .

قال : وسمعت بعض الشيوخ الصالحين يقول : سمعت عثمان الباقلاوى يقول : إذا كان وقت غروب الشمس أحسستُ بروحى كأنها تخرج ، يعنى لاشتغاله فى تلك الساعة بالافطار ، عن الذكْر .

---

(١) قط : القلابين ، ق . العلابين .

(٢) ق ، قط . أبو عمرو .

قال : وسمعته يقول : أحب الناس إلىّ من ترك السلام علىّ لأنه يشغلنى بسلامه عن الذكْر .

وقال محمد بن محمد بن عبد العزيز العباسى : حدثنى أبى قال : مضيت يوماً فى صحبة خالى إلى عثمان بن عيسى الباقلاّوى ، فتلقّيناه خارجاً من المسجد إلى داره وهو يسبّح : فقال له خالى : ادْع لى فقال: يا أبا عبد الله شغلْتَنى انظر ما تظنه فىّ فافعلْه وادْع أنت لى فقلت له أنا : بالله ادْعُ لى . فقال لى : رفَق الله بك . فاستزدْتُه . فقال : الزمان يذهب والصحائف تختم .

وعن أبى الحسين محمد بن محمد بن المهتدى أنه قال : هذا الذى أنا فيه من بركة عثمان الباقلاّوى ، وذلك أننى كنت أصلّى به فكان إذا خلا بى مسح يده على صدرى ودعالى ، فأنا أعتقد أن الذى أنا فيه أنمن بركة دعائه .

قال : وكان له مغتَسل وحارة (١) فى المسجد ، فكان يصلّى بينهما وكنت أصلّى به شهرَ رمضان . فقرأت ليلةً سورة الحاقّة حتى أتيت هذه الآية : (فيومَئذٍ وقعتِ الواقعةُ) (٢) فصاح وسقط مغشياً عليه ، فما بقى أحد فى المسجد إلا انتحَب .

وكان عثمان يتعمّم بشاروفة ، وكان يأكل من كسب

(١) الحارة : مستدار من فضاء .
(٢) الحاقة : ١٥

البوازى[1] وكان قد سأله السعيد التركي أن يصل إليه منه شيء، فأبى. فقال له : اذْ أبيت فتأذنُ لى أن نشترى دُهناً نُشعله فى المسجد؟ وكان مأواه المسجد، ما كان يخرج منه إلا إلى الجمعة. فأجاب إلى ذلك. فلما عاد الرسول على أنه يحمل إليه دهناً قال له : لا تجئنى بشْىء آخر فقد أظلم على البيت .

أسند عثمان الباقلاّوى عن إبراهيم بن محمد المطوعى، والحسن بن أبى النجم مؤدّب الطائع لله، وغيرهما وتوفى فى يوم الجمعة لسبع بقين من رمضان سنة اثنتين وأربع مائة ودفن فى مقبرة جامع المنصور .

عن عرس الخباز قال : لما دفن عثمان الباقلاّوى رأيت فى المنام بعضَ مَن هو مدفون فى جوار قبره، فقلت له : كيف فَرحكم بجوار عثمان؟ فقال : وأين عثمان؟ لمّا جىء به سمعنا قائلاً يقول: الفردوس الفردوس. أو كما قال ـ رحمه الله .

٣٣٣ – بكر بن شاذان بن بكر، أبو القاسم

قرأ القرآن على جماعة، وسمع الحديث من جعفر الخلدى، وأبى بكر الشافعى، وغيرهما وكان يقرىء القرآن ويَروى الحديث ويعظ الناس. وكان من قُوّام الليل وأهل التقوى .

---

(١) مفردها البازى وهو طير من الجوارح يصاد به : ويجمع أيضا على بزاة وبيزان .

عن الحسن بن غالب المقرىء أن بكر بن شاذان وأبا الفضل التّميمى جرى بينهما كلام ، فبدر من أبى الفضل كلمة ثقلت على بكر وانصرفا . ثم ندم التميمى فقصد أبا بكر بن يوسف وقال[1] له : قد كلّمتُ بكراً بشىء [قد] خفى عليه[2] وندمت على ذلك ، فأريد أن تجمع بينى وبينه . فقال له ابن يوسف سيخرج لصلاة العصر . فخرج بكر وجاء إلى ابن يوسف والتّميمى عنده ، فقال له التميمى : أسألك أن تَجعلنى فى حلّ . فقال بكر : سبحان الله ما فارقتك حتى أحللتك وانصرف .

قال التّميمى : قال لى والدى : ياعبد الواحد احذر أن تخاصم مَن إذا نمتَ كان منتبهاً .

قال ابن غالب : وكان لبكر وِرْد من الليل لا يُخلّ به .

توفى فى يوم السبت التاسع من شوّال سنة خمس وأربع مائة ، ودفن بمقبرة باب حرب .

٣٣٤ – أبو أحمد عبد الله بن أحمد ابن محمد الفرضي[3]

قال على بن عبد الواحد بن مهدى : اختلفتُ إلى أبى أحمد الفرْضي

---

(١) ط : فقال .

(٢) ق : « بشىء خفى عليه » ، قط : « بشىء خفى على » .

(٣) ق ، قط : « أبو أحمد عبيد الله محمد بن أحمد الفرضى » .

ثلاث عشرة سنة لم أره ضحك فيها ، غير أنه قرأ علينا يوماً كتاب الانبساط فأراد أن يضحك فغطى فمه .

وقال عيسى كان أبو أحمد إذا جاء إلى أبى حامد الاسفرائينى قام أبو حامد من مجلسه ومشى إلى باب مسجده حافياً مستقبلاً له .

قال : وكتب أبو حامد مع رجل خراسانى كتاباً إلى أبى أحمد يشفَع له أن يأخذ عليه القرآن . فظن أبو أحمد أنها مسألة قد استُفتِيَ فيها ، فلما قرأ الكتاب غضب ورماه عن يده وقال : أنا لا أقرِيء القرآن بشفاعة أو كما قال .

وقال أبو القاسم منصور بن عمرو الفقيه : لم أر فى الشيوخ مَن يعلّم العلْم خالصاً لله لا يشوبه شئ من الدنيا غير أبى أحمد الفرْضى، فانه كان يكره أدنى سببٍ حتى المدْح لأجل العلْم .

قال : وكان قد اجتمعتْ فيه أدوات الرياسة : من علم وقرآن وإسناد وحالة متسعة فى الدنيا وغير ذلك ، وكان أورع الخلق ، وكان يبتدىء كل يوم بتدريس القرآن ، ويحضر عند الشيخ الكبير ذو الهيئة فيقدّم عليه الحدَث لأجل سبقه ، فإذا فرغ من إقراء القرآن وَلِيَ قراءة الحديث علينا بنفسه ، فلا يزال كذلك حتى يَستنفد قوّته ، ثم يضع الكتاب من يده وينصرف .

قال : وكنت أطيل القعود معه وهو على حالة واحدة لا يتحرّك

ولا يعبث بشيْء من أعضائه ولا يغيّر شيئاً من هيئته حتى أفارقه .

وقد بلغني أنه كان يجلس مع أهله على هذا الوصف ولم أرَ في الشيوخ مثله .

سمع أبو أحمد من القاضي المحاملي، ويوسف بن يعقوب بن البهلول. وحضر مجلس أبي بكر بن الأنباري .

وتوفي في يوم الثلاثاء للنصف من شوال سنة ست وأربعمائة وقد بلغ اثنتين وثمانين سنة . ودفن في مقبرة جامع المدينة ، رحمه الله .

٣٣٥ – أبو العباس أحمد بن محمد

ابن عبد الرحمن بن سعد[١] الأبيوردي

كان فقيهاً فصيحاً من أصحاب أبي حامد الاسفرائيني . توطن[٢] بغدادْ ولىَ القضاء بها على الجانب الشّرقي ومدينةِ المنصور ، وكان مدّرساً مفْتياً مناظراً ، وكانت له حلْقة بجامع المنصور .

ذكر عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي عمن حدثه : أن القاضي أبا العباس الأبِيوَرْدى كان يصوم الدهر ، وأنّ غالبَ إفطارِه كان على

---

(١) ق ، قط ، سعيد .

(٢) قط ، يقطن .

الخبز والملح . وكان فقيراً يظهر المروءة . قال : ومكث شتوةً لايملك جبّة يلبسها .

وكان يقول لأصحابه : فىّ علّةٌ تمنعنى عن لبس الحشو . فكانوا يظنونه يعنى المرضَ ، وإنما كان يعنى بذلك الفقرَ ولا يظهره تصوّناً ومروءةً .

وقال ابن ثابت : حدثنى الصّورى أنه سأل الأبيوردى عن مولده فقال : سنة سبع وخمسين وثلاثمائة .

ومات يوم السبت السادس من جُمادَى الآخرة سنة خمس وعشرين وأربعمائة ، ودفن فى مقبرة باب حرب ، والله أعلم .

٣٣٦ – أبو الحسن على بن عمر بن محمد

ابن الحسن الحربى المعروف بالقزوينى

وكان من كبار الصالحين ومولده فى محرم سنة ستين وثلاث مائة ببغداد . وأصل أبيه من قزوين وقرأ القرآن بالقراءات على أبى حفص الكنانى وغيره .

وسمع الحديث من ابن كيسان النحوى ، والقاضى الجراحى ، وأبى حفص بن الزيات ، وأبى عمر بن حيْوة ، وأبى الحسين مظفر ، وأبى الحسين بن سمعون، فى جماعة أخرى . وتفقه على أبى القاسم الداركى ، وعلّق النحو على أبى الفتح بن جنى .

وكان منذ كان صبّياً[1] حسن الطريقة ، ملازماً للصمت عما لا يعنيه ، وافر العقل. ثم كان يقرأ القرآن ويَروى الحديث ولايخرج من بيته إلا إلى الصلاة . وله كرامات كثيرة . ولما توفى غسله أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمى .

قال أحمد بن على بن ثابت : كان أبو الحسن القزوينى أحد الزهاد المذكورين ومن عباد الله الصالحين. توفى فى شعبان سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة . وصُلّى عليه فى الصحراء بين الحربية والعتابين ، وحضرتُ الصلاة عليه . وكان الجمع متوفّراً جداً يفوت الاحصاءَ لم أرَ جمعاً على جنازةٍ أعظم منه وغُلّق جميع البلد فى ذلك اليوم .

وقال أبو الفتح[2] بن علوس الدينورى : صلّى الناس على القزوينى حيث[3] توجهوا ، ولم يُحطّ إلى الأرض لكثرة الخلق ، إنما كان على أيدى الرجال حيث اتجه صلّوا عليه .

وقال أبو الوفاء بن عقيل : شهدت جنازته وكان يوماً لم يُرَ فى الاسلام بعد جنازة أحمد بن حنبل مثلُه ، غُلّقت له المكاتب[4]

---

(١) ق ، قط : صبياً

(٢) ق ، قط : على بن الفتح .

(٣) قط : كيف .

(٤) قط : الكتاتيب .

والحمامات ، وبلغت المعبرة[1] بباب الطاق مع كون الجسر ممدوداً ربع دينار ولم يسع الناسَ جامع ولا أمكن أن يصلّى عليه إمام معيّن ، فجعل كلّ قبيل فيه ألوفٌ من الناس يصلّى بهم رجل يَصلح للتقدّم . وكانت الضجة تمنع التبليغ للتكبير فصلى أكثر الناس وُحدانا ، ورأيت عدّة بنانيك ، فيها من المداسات[2] الكثيرة ، ينادى[3] عليها ليأخذها أربابها .

عبد الله بن محمد البردانى قال : انتبه أخى أبو غالب يوسف بن محمد فى الليلة التى مات فيها القزوينى ، وهو يبكى ، وقد أخذته الرّعْدة فسكّنه والدُنا وأمسكه وقرأ عليه وقال له : مالكَ يابنى ؟ قال : رأيت فى المنام كأن أبواب السماء قد فُتحت وابن القزوينى يصعد إليها ، فلما كان فى صبيحة تلك الليله سمعنا المنادى ينادى بموته .

وقال أبو الفرج عبد العزيز بن عبد الله الصائغ : صليت على أبى الحسين القزوينى فهالنى كثرة الخلق الذين حضروا جنازته واستعظمتُهم ، فرأيته تلك الليلة فى المنام وهو يقول لى : استعظمتَ الخلق الذين صلّوا علىّ ؟ قد صلّى علىّ من الملائكة فى السماء أكثر من ذلك .

---

(١) أى العبور ، والمراد أجرة العبور .

(٢) المداس : الحذاء ويريد بالبنانيك صناديق الأحذية . ولم تذكر الكلمة فى المعاجم .

(٣) ط : وينادى .

٣٣٧ - أبو بكر محمد بن عبد الله الدينوري

وكان يسكن الرصافة ببغداد . وكان زاهداً حسن العيش .

وكان أبو الحسن القزويني يقول : عَبر الدّينوَري قنطرةً خلَّفَ مَن بعدَه وراءه .

قال أبو الوفاء بن عقيل الواعظ : كنت شاباً حديث السن أتردد إلى مجلس ابن بشران الواعظ ، وكان يعتاد عيني الرّمد كثيراً . فرآني ذات يوم في المجلس رجل كان يبسط لابن بشْران بساطَ المنبر يقال له : بكار ، فقال لي : أراكَ تدوم على حضور هذا المجلس ؟ فقلت لعلّي استفيد شيئا ينفعني في ديني . فقال لي اجلس حتى ينقضي المجلس فجلست .

فلما انقضى المجلس أخذ بيدي وحملني إلى الرُّصافة وجاء بي إلى بابٍ فطرقَهُ فقال قائل مِن داخل الدار : مَن ؟ فقال : أنا بكار . فقال : يابكار ألست قد كنتَ هاهنا اليوم ؟ فقال : جئت في حاجة مهمّة . ففتح الباب وهو يقول : لاحول ولا قوة الا بالله .

ثم دخلنا واذا بشيخ جالس مستقبل القبلة على رأسه سطح كالطّرحة[1] فسلّمنا عليه فردّ علينا السلام . فقال بكار ياسيّدي هذا

---

(١) ق : « نطع كالطرحة » . والسطح : كل شيء كان مرتفعا وأعلاه مسطاً والطرحة : غطاء للرأس مستطيل (عامية) .

صبيّ يداوم حضور المجلس ويحبّ الخير ، وقد دام مرض عينه فاذْع له . قدعاني ، فأتيته ، فأدخل خِنصَره في فيه ثم مسح عيني به . فبقيت بعد ذلك نحو ستّين سنة لم ترْمد عيني : فلما خرجت سألت عنه فقيل لى : هذا أبو بكر الدّينَورى صاحب ابن سمعون .

توفى الدينورى فى شعبان سنة ثلاثين وأربعمائة .

٣٣٨ – أبو الطيب طاهر بن عبدالله ابن طاهر الطبرى

ولد بآمُل(١) فى سنة ثمان وأربعين وثلاثمائه . وسافر فى طلب العلم . سمع من أبى أحمد الغطريفى ، والدار قطنى ، والمعافَى بن زكريا وغيرهم . وتفقه على أبى الحسن الماسرْجسى وبرّع فى الفقه.(٢) وجمع التقوى إلى العلم . وولىَ القضاء بربع الكرخ بعد أبى عبدالله الصيمرى ، وقد كان رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقال له يا فقيه فكان يفرح ويقول : سمّانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيها .(٣)

(١) آمل : أكبر مدينة فى طبرستان (٢) انظر طبقات الشافعية ٣/١٧٦ وما بعدها.

(٣) من أدلة الوضع فى الحديث ادعاء بعض الصوفية أنه تلقى عن النبى (ص) بطريق الكشف دون أن يكون له بند متصل صحيح ، أو بطريق الرؤيا كذلك إذ أنه من المتفق عليه بين العلماء أن الرؤيا والكشف لا يقرر بهما حقيقة شرعية لما يكتنفهما من التخليط وعدم الضبط . اهـ (الحديث والمحدثون ٤٨٥) .

قال أحمد بن على بن ثابت : أنشدنى أبو الطيّب الطّبرى لنفسه :

ما زلت أطلبُ علم الفقه مصطبراً   على الشدائد حتى أعقب الخيرا
وكان ما كرّ من درسٍ ومن سهرٍ   فى عظم ما نلتُ من عقباه مغتفرا
حفظت مأثوره حفظاً وثقتُ به   وما يقاس على المأثور معتبرا
صنّفت فى كل نوعٍ من مسائله   غرائبَ الكتب مبسوطاً ومختصرا
أقول بالأثرَ المروىّ متّبعاً   وبالقياس إذا لم أعرف الأثرا
إذا انتضيتُ بيانى عن غوامضه   حسرتُ عنها قناع اللّبس فانحسرا
وإن تحرّيتُ طوقَ الحق[1] مجتهداً   وصلتُ منها إلى ما أعجزَ الفكرا
وكنتُ ذا ثروة لمّا عنيت به   فلم أدعْ ظاهراً منها ومدّخرا
وما أبالى اذا ما العلم صاحبنى   ثم التقى فيه أنْ لا أصحب البشرا
ثنتْ عنانىَ عنه همةٌ طمحتْ   الى الهوى فاستطابت عنده الصبرا
أصدىُ فلا أتصدى للئيم[2] ولا   أبيت دون الغنى حزناً منكسرا
إذا أضقتُ سألت الله ، معتذراً ،   كفايتى فأطاب الوِردَ والصّدَرا

وقرأت بخط الشيخ أبى الوفا بن عقيل قال : حكى لى بعض أهل العلم أن القاضى أبا الطيب اصعد من سميرية[3] وقد تم له عشر المائة ، فقفز منها الى الشط ، فقال له بعض من حضر يا سيّدنا لا تفعل هذا

---

(١) قط : وإن نجوت طريق .

(٢) قط : لليسير .

(٣) ق : فى سماريه .

فان أعضاءك تضعف وربما أورث مثلُ هذه الطفرة فتقاً في المِعى .
فقال يا هذا إن هذه أعضاءنا حفظناها من معاصى الله فحفظها الله
علينا .

وقال أبو الحسن محمد بن احمد بن عبد الله الفامىّ : أبتدأ القاضى
أبو الطيّب الطبرى يدرس الفقه ويتعلم العلم وله أربع عشرة سنة ،
فلم يُخلّ به[1] يوماً واحداً إلى أن مات .

قال الخطيب : وتوفّى فى يوم السبت لعشرٍ بقين من ربيع الأول
سنه خمسين وأربعمائة ، ودفن من الغد فى مقبرة باب حرب، وحضرتُ
الصلاة عليه فى المنصور . وكان إمامَنا فى الصلاة عليه أبو الحسين بن
المهتدى ، وبلغ من السن مائة سنة وسنتين، وكان صحيح العقل، ثابت
الفهم ، يقضى ويُفتى إلى حين وفاته . رحمه الله .

٣٣٩ — أبو الحسن البردانى

كان منَ الزهّاد المنقطعين بجامع المنصور .

حدثنى أبو محمد عبد الله بن على المقرىء قال : كان أبو الحسن
البردانى صالحاً مقيما بدار القطّان ، وكان الناس يزورونه فيقول : ترى
أىّ شىء زاد فىّ حتى أُزارُ ؟ أنا كنت أكاراً[2] ولباسى اليومَ لباسى الذى

(١) قط : فلم يخل منه .
(٢) الأكار : الحرّاث .

كان ، وأكلى أكلى الذى كان ، وماتركت شيئاً من الدنيا أحمَد على تركه فلماذا أُزار ؟.

قال أبو محمد : وكان بجامع المنصور رجل يقال له ابن عبد العزيز ، من القراء ، فسمعه البردانى يقول يوما : هؤلاء الحشوية يقولون فى القرآن كذا . فبقى مدة لا يصلى خلفه . فلما شاع هـذا تعصب له جماعة وجاؤوا بتوقيع من السلطان بتقديمه وتمكينه . فجاء ابن عبد العزيزوالناس معهفباتوا بباب البصرة.فقال خادم البردانى له : ياسيدى قد جاء القوم وقد عزموا على تقديمه وتمكينه . فقال : مايجيئون ، وكيف يجيئون .

فقال ابن عبد العزيز فى بعض الليلة : فؤادى يوْجَعُنى (١) . ومات من ليلته .

٣٤٠ – أبو بكر أحمد بن علي العلى

كان يُقرىء القرآن ويؤم الناس ويعمل بيده ولا يقبل من أحد شيئاً ، ويذهب بنفسه فى كل ليلة إلى دجلة فيأخذ فى كوزله ماء يُفطر عليه ويمشى فى حوائج نفسه ولا يستعين بأحد .

وكان إذا حج يزور القبور بمكة ويجىء إلى قبر الفُضيل بن عياض ويخطّ بعصاه ويقول : يارَب ها هنا ، يارَب ها هنا .

---

(١) ق ، قط : يؤلمنى .

فاتفق أنه خرج للحج فى سنة ثلاث وخمس مائة ، فشهد عرفه محرماً ،وتوفى عشية ذلك اليوم فى أرض عرفات فحُمل الى مكة وطيف به حول البيت ، ودفن يوم منحر الى جانب الفضيل بن عياض .

٣٤١ – أبو المعالى الرجل[1] الصالح

ساكن باب الطاق .[2] قال أبو الحسن بن مالان : وكان ثقة . حدثنى أبو المعالى الصالح قال : ضاق بي الأمر فى رمضان حتى أكلت فيه رُبعين باقلى . فعزمت على المضى إلى رجل من ذوى قرابتى أطلبُ منه شيئاً . فنزل طائر فجلس على منكبي وقال : يا أبا المعالى أنا الملك الفلانى ، لاَ تمض إليه ، نحن نأتيك به فبكر الرجل إلىّ .

وحدثنى أبو محمد عبد الله بن على المقرىء قال : كنت عند أبى المعالى الصالح فقيل له : قد جاء سعد الدولة شحنة[3] بغداد فقال : أغلقوا الباب فجاء فطرق الباب وقال : ها أنا قد نزلت عن دابتى وما أبرح حتى تفتح لى . ففتح له فدخل ، فجعل يوبخه على ما هو فيه وسعد الدولة يبكى بكاء كثيراً . فانفرد بعض أصحابه وتاب على يده . وقال لى أبو محمد : كان أبو المعالى لا ينام إلا جالساً ولا يلبس إلا ثوباً واحداً شتاء كان أو صيفاً ، وكان إذا اشتد البرد عليه يشد المئزر بين كتفيه .

---

(١) الرجل : ساقطة من ط .

(٢) ق : سكن .

(٣) شحنة البلد . من أقامهم السلطان لضبطها ، وهم المعروفون بالشرطة .

حدثنى أبو محمد أن رجلاً توفّى وسلّم إلى ابن عقيل مالاً وأمره أن يدفعه إلى أبى المعالى الصالح ليقسمه بعد موته . فلما مات الرجل بعث ابن عقيل إلى أبى المعالى بالمال وأخبره بالقصة . فقال : ما أقبل هذه الوصية فعاوده فأبى . فبينما هم على ذلك جاء ولد الميّت فقال : إن أبى أوصى بما لا يخرج من الثلث . فقال ابن عقيل: والله لقد كُوشف ذاك الرجل،فهو يقبل خمسة أرطال من الخبز ، ولولا أنه كوشف بهذا ماردّه - رحمه الله - .

٣٤٢ - أخو جمادى

كان منقطعاً بباب الطاق ، والناس يزورونه ويتبرّكون به .

حدثنى أبو محمد عبد الله بن على المقرىء عن أخى جمادى قال : خرجتْ فى يدى عيون(١) وانتفختْ فأجمع الأطبّاء على قطعها . فبتّ ليلة على سطح قد رَقِيتُ إليه فتملت فى الليل : ياصاحب هذا المُلْك الذى لا ينبغى لغيره ، هَبْ لى شيئاً بلا شئ ء فنمت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت : يا رسول الله يدى ، انظُرْ إليها . فقال : مُدَّها . فمددْتها فأمرّ يده عليها وأعادها وقال : قم . فقمتُ وانتبهت والخرَق التى شُدّت بها مخانق(٢) .

(١) العيون : دوائر رقيقة على الجلد .

(٢) مفردها مخنقه ، وهى القلادة . ق : « شددت بها مخانق » .

فقمت فى الليل وذهبت[1] إلى باب الأزج إلى قَرابةٍ لى، فطرقت الباب فقالت المرأة لزوجها : قد مات فلان، تَعنينى، وظنّت أن مخبراً قد جاء يخبرها بذلك. فلما فَتحت الباب ورأتْنى تعجّبتْ.

ورجعتُ إلى باب الطاق فرأيت الناس من عند دار السلطان إلى منْزلى خلقاً لا يُحصى، معهم الجِرار والأباريق، فقلت: مالكم؟ فقالوا: قيل لنا إن رجلاً قد رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم هاهنا يتوضأ فى[2] بئر.

فقلت فى نفسى إن مضيت لم يكن لى معهم عيش. فاختفيتُ فى الخرابات طولَ النهار.

٣٤٣ — عبد الوهاب بن المبارك ابن أحمد الأنماطى

ويكنى أبا البركات. سمع الكثير وكتب الكثير. وروى لنا عن أبى محمد الصَّريفينى وابن النقور، وخلقٍ كثير من القدماء.

وما عرفنا من مشايخنا أكثر سماعاً منه، ولا أكثر كتابة للحديث، ولا أصبر على الإقراء، ولا أحسن بشْراً ولقاءً، ولا أسرع دمعة ولا أكثر بكاء.

---

(١) ق، قط : ومضيت.

(٢) ق، قط : من.

ولقد كنت أقرأ عليه الحديث فى زمان الصِّبا ولم أذق بعدُ طعم العلم ، فكان يبكى بكاءً متّصلاً ، وكان ذلك البكاء يَعمل في قلبي وأقول: ما يَبكى هذا هكذا إلا لأمر عظيم . فاستفدت ببكائه ما لم أستفد بروايته .

وكان مجلسه منزّهاً عن غيبة الناس ، وكان رضى الله عنه على طريقة[1] السلف ، وكنا ننتظره [من] يوم الجمعة ليأتى من داره بنهر القلائين[2] إلى جامع المنصور ، فلا يأتى على قنطرة باب البصرة؛ وإنما يمرّ على القنطرة العتيقة . فسألته عن سبب هذا . فقال : كانت تلك دارَ ابن معروفٍ القاضى ، فلما قُبض عليه بُنيت قنطرة .

قال : وحدثنا أبو محمد التميمى عنه أنه أحل من يعبر عليها غير أنى لا أفعل .

وكان مولده فى رجب سنة اثنتين وستين . وتوفّى يوم الخميس الحادى والعشرين من المحرَّم سنة خمس[3] وثلاثين وخمس مائة .

وعُدته فى مرضه وقد بلِىَ وذهب لحمه ، فقال لى : إن الله عز وجل لا يُتّهم فى قضائه[4] .

---

(١) ق : طريق . (٢) ق : العلايين . (٣) ق ، قط : ثمان .

(٤) قط : فضله .

ذكر المصطفين من عباد بغداد المجهولين الأسماء

٣٤٤ – عابد

عن أبي عبد الله أحمد بن يحيى الجلاّء قال : سمعت أبي يقول : كنت عند معروف في مجلسه فدخل عليه رجل فقال : يا أبا محفوظ رأيت في هذه الليلة عجباً . قال : وما رأيت رحمك الله ؟ قال اشتهى عليّ أهلي سمكاً فذهبت إلى السوق فاشتريت لهم سمكة وحملتها مع حمّال ، فمشى معي ، فلما سمعنا أذان الظهر قال الحمال : ياعمّ هل لك أن نصلّي ؟ فكأنه أيقظني من غفلة . فقلت له : نعم نصلّي .

فوضع الطبق والسمكة عليه على مُستراح[1] ودخل المسجد . فقلت في نفسي، الغلام قد جاد بالطبق، أجود أنا أيضاً بالسمكة . فلم يزل يركع حتي أقيمت الصلاة فصلّينا جماعة وركع بعد الصلاة وخرجنا . فاذا الطبق على حاله موضوع فجئت إلى البيت وحدثت أهلي بهذا فقالوا لي : قل له يأكلْ معنا من هذا السمك . فقلت له : تأكل معنا من هذا السمك ؟ فقال : أنا صائم . فقلت له : فأفطر عندنا قال : نعم أروني طريق المسجد : فأريتــــه فدخل المسجد وجلس إلى أن صلّينا المغرب .

---

(١) المستراح : بيت الخلاء . ق : متراح .

فجئت إليه وقلت له : تقوم رحمك الله ؟ فقال : أو نصلى عشاء الآخرة . فقلت فى نفسى هذه ثانية . يريد أن فيه خيراً .

فلما صلّينا جئت به إلى منزلى ولنا ثلاثة أبيات : بيت فيه أنا وأهلى ، وبيت فيه صبيّة مقعدة ولدتْ كذلك ، لها فوق العشرين سنة ، وبيت كان فيه ضيفنا .

فبينا أنا مع أهلى إذ دَقَّ داقٌّ الباب فى آخر الليل ، فقلت : مَن يدقّ الباب ؟ فقالت : أنا فلانة . فقلت : فلانة قطعة لحم مطروحة فى البيت ، كيف يستوى لها أن تمشى ؟ فقالت : أنا هى ، افتحوا لى ففتحنا لها فاذاهىَ . فقلت: أىُّ شىء الخبر ؟ فقالت: سمعتكم تذكرون ضيفنا هذا بخير فوقع فى نفسى أن أتوسل إلى الله عز وجل به فقلت : اللهم بحق ضيفنا هذا وبجاهه عندك إلا أطلقت أسْرى : فاستويتُ وقمت وأنا فى عافية كما ترونى .

فقمت إليه أطلبه فى البيت فاذا البيت خالٍ ليس فيه أحد فجئت إلى الباب فوجدته مغلقاً بحاله فقال معروف : نعم ، فيهم صغار وكبار . يعنى الأولياء .

٣٤٥ — عابد آخر مجذوم

أبو عبدالله البراثى قال : قال خلف البرزالى : أتيت برجل مجذوم ذاهب اليدين والرجلينْ أعمى ، فجعلته مع المجذومين . فغفلت

عنه أياماً ثم ذكرته فقلت : يا هذا إنى غفلت عنك فكيف حالك ؟ فقال لى حبيبي ومن أنا أحبه فقد أحاطت محبّتهَ بأحشائى فلا أجد لما أنا فيه من ألم مع محبته لا يغفل عنى .

فقلت له : إنى نسيت . فقال : إنّ لى من يذكّرنى ، وكيف لا يذكر الحبيب حبيبه وهو نصب عينيه تائه العقل واللب ؟ قلت له : ألا أزوّجك امرأة تنظّفك من هذه الا قذار ؟ قال : فبكى ثم تنفس ورمى ببصره نحو السماء وقال : يا حبيب قلبي . ثم أُغمى عليه .

فأفاق فقلت : ماتقول ؟ فقال : كيف تزوّجنى وأنا مالك [١] الدنيا وعَروسها ؟ قلت : أىّ شيء الذى عندك من مُلك الدنيا وأنت ذاهب اليدين والرجلين ، أعمى ، تأكل كما تأكل البهائم ؟ قال : رَضِيَ [٢] عنى سيدى إذ أبلى جوارحى وأطلق لسانى بذكره .

قال : فوقع منّى بكل موقع [٣] فما لبث إلا يسيراً حتى مات . فأخرجت له كفنا فيه طولٌ ، فقطعت منه . فأُتيت فى منامى فقيل لى : ياخلف بخلتَ على وليّ ومحبّ بكفن [٤] طويل ؟ قد رددْنا عليك كفنك وكفّنّاه [٥] عندنا بالسندس والاستبرق . قال : فصرتُ إلى بيت الأكفان فاذا الكفن مُلقَى .

---

(١) ق ، قط : ملك (٢) ط : رضاى ، غلط . (٣) ق ، قط : منزلة

(٤) صف : « بخلت وجئتنى بكفن .. » (٥) ق : كفناه .

٣٤٦ - عابد آخر

قال إبراهيم الآجرى الكبير : كنت يوماً قاعداً على باب المسجد فى يوم شاتٍ إذ مرّ بى رجل عليه خرْقتان فظننت أنه من هؤلاء الذين يَسألون . فقلت فى نفسى : لو عمل هذا بيده كان خيراً له . قال : ومضى الرجل .

فلما كان الليل أتانى ملَكان فأخذا بضبْعى (١) ثم أدخلانى المسجد الذى كنت على بابه قاعداً ، فاذا رجل نائم عليه خرقتان . فكشف [لى] عن وجهه فاذا هو الذى مرّبى . فقالا لى : كُلْ لحمه . فقلت : ما اغتبتُه . قالا لى : بلى حدثت نفسك بغِيبته ، ومثلك لا يرضى منه بمثل هذا .

قال : فانتبهت فزعاً فمكثت ثلاثين يوماً أقعد على باب المسجد لا أقوم إلا لفرْض ، أنتظر أنْ يمرّبى فأستحلّه .

فلما كان بعد الثلاثين مرّبى على حاله والخرْقتان عليه . فوثبت إليه فغمز وغمزت خلفه ، فلما خفت أن يفوتنى قلت : ياهذا قف أكلمك . قال : فالتفت إلىّ ثم قال : ياإبراهيم وأنت أيضاً ممن يغتاب المؤمنين بقلبه ؟ قال : فسقطت مغشياً علىّ . قال : فأفقت وهو عند رأسى فقال : أتعود ؟ قلت : لا . ثم غاب عن عينى فلم أره بعد ذلك .

---

(١) الضبع : العضد ، أو وسطها .

٣٤٧ – عابد آخر

قال الجنيد : أرقت ليلة فرمتُ السكون فما وجدته ، ثم اجتهدت في قضاء وِرْدٍ كان لى فلم أقدر . ثم حرصت على دراسة شىْء من القرآن فلم أقدر ، فوقع[1] بى انزعاج شديد فأخذت ثوبى على كتفى ثم انصرفت[2] وذاك آخر الليل .

فلما توسطت الدرب عثرت بانسان ملتفّ فى عباء فرفع رأسه وقال: إلى الساعة ؟ فقلت : سيدى عن موعد تقدم؟ فقال: لا ، ولكن سألت محرّك القلوب أن يحرّك لى قلبك . فقلت : قد فعل حاجة ؟ قال : نعم قلت : ماهى ؟ قال يا أبا القاسم متى يكون الداءُ دواءً ؟ فقلت : إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها . قال : فتنفس وقال : قد أجبتها بهذا الجواب الليلة[3] سبع مرات . فقالت : لا أو أسمعه من جنيد ، ها قد سمعت منه . ثم مضى فما رأيته بعدِ ذلك .

٣٤٨ – عابد آخر

عبيد الله بن عبد الله قال : كنت عند الجنيد يوم قدِمَ أبو حفص النيسابورى فوثب إليه الجنيد وعانقه، فقال للجنيد : دعنى من المعانقة ، عندك شىء تطعمنى ؟ فقال له : أىّ شىء تومى ؟ فمّن له على شيء يطبخ

---

(١) ط : وقع . (٢) ق : وخرجت .

(٣) فى حاشية ط : « ههنا انتهى الموجود من النسخة الآصفية » .

فالتفت الجنيد إلى بن زيرى فقال : قد سمعت : فمضى ابن زيرى فغاب ساعة ثم عاد ومعه ما أراد . فقال الجنيد لأبى حفص : قد حضر ما ذكرتَ . فقال : يا أخى قد أحببت أن أوثر به ، أتساعدنى ؟ فقال له : أحب ما تحب . فقـــال الجنيد لابن زيرى : قد سمعت فأنفِذه إلى مستحقّ فأقبل ابن زيرى إلى الحمال فقال :

امش بين يدىّ وحيث أعييتَ فقف . فمشى الحمال ساعة ووقف بين دارين فدقّ ابن زيرى أقرب الدارين إلى الحال فاذا نداء من داخل الدار : ادخُل إن كان معك كذا كذا وإلا فلا ، وَعيَّن(٢) على ما كان مع الحمال . قال: ففتحت الباب فاذا شيخ قاعد وخيش مرسل على باب، فوضعت ما كان مع الحمال بين يدى الشيخ وصرفت الحمّال وقعدت .

فقال لى : وراء هذا الخيش صبيان وبنات يحتاجون الى هذا الطعام. فقلت له : لا أنصرف أو تخبرَنى بالحال. فقال: هؤلاء الصبيان يسألونى هذا الطعام منذ مدّة ولم تسامح نفسى أن أَسأل الله تعالى ، فوجدت البارحة مسامحةً أن أسأل فجعلت علامة إجابة الله إياى وجود المسامحة من السؤال ، فلما دققتَ الباب علمت ما معك .

---

(١) ط : عين .

٣٤٩ – عابد آخر

من بعض قرى بغداد

بلغنا عن جُنيد قال : سمعت السرىّ بن المغلس يقول : إن فى قرى بغداد لأولياءَ لا يعرفهم الخلْق . قال : وكنت أدور فى القرى لعلى أحد منهم واحداً فبينا أنا يوماً فى بعض القرى دخلت مسجداً فرأيت فيه شاباً ساكتاً فتقدّم إلىّ وقال [لى] أتأذن أن أسألك مسألة ؟ فقلت : هات . (فقال : مسألة) فسأل مسألة من أحوال القلب دقيقة فأجبته فقلت له : يقع لك مثل هذه المسألة ؟ فقال : كثير . فقلت : كيف تعمل ؟ قال : أنا إنسان قد لازمت هذا الموضع فإذا وقع لى مثل هـــذه المسألة قيض الله لى ولياً مثلك فيجيبنى . فعلمت صدق قول السرى .

٣٥٠ – عابد آخر

أبو جعفر السقّاء قال : خرجت يوماً من بيتى فى يوم مطير فإذا أسْود مطروح على المزبلة مريض فجررته فأدخلته إلى بيتى . فلما أمسينا دعانى فقال : يا أبا جعفر لا تفســد ما صنعت ، اقعد عندى . قال : وفاح البيت بريح المسك وصار ريح جبتى وكسائى وجرتى وكوزى وكل شىء فى البيت ريح المسك .

قال : فقال اقعد عندى . قال : ثم قال بيده : هــكذا ، لا تضيّق

على جلسائى . قال : فسمعته يقول : (أَنْدَكْ أَنْدَكْ يا بارْخُداه[1] ، ارفُقْ بى يا مولاى) . قال ثم خرجت نفسه .

قال : قلت : أبيع كسائى ، أبيع جبتى فأشترى له كفناً . قال: فطرق بابى قريب من سبعين إنساناً ، كل يقول : يا أبا جعفر مات عندك إنسان يحتاج إلى كفن .

٣٥١ — عابد آخر

عن أبى الحسن بن خيرون صاحب أبى بكر عبد العزيز قال: قال لى أبو بكر عبد العزيز :

كنت مع أستاذى ، يعنى أبا بكر الخلال ، وأنا غلام مشتد . فاجتمع جماعة يتذاكرون بعد عِشاء الآخرة . فقال بعضهم لبعض : أليس مقبل يعنى رجلا أسود كان ناطوراً بباب حرب لنا مدة ما رأيناه؟ فقاموا يقصدونه . وقال لى أستاذى ، يعنى الخلال : لا تبرح ، احفظ الباب .

فتركتهم حتى مضوا وأغلقت الباب وتبعتهم فلما بلغنا بعض الطريق قال أستاذى : هو ذا أرى وراءنا شخصاً آخر ، قِفوا فقالوا

(١) العبارة فارسية ، تقوله : « أندك أندك » معناه : قليلا قليلا ، والمراد : ارفق . وقوله : « يا بار خداه » معناه يا الله ، أو : يامولاى . فـ« بار خدا » : الله جل شأنه ، والسيد ، والمولى .

لى : من أنت ؟ فامسكت فزعاً من أستاذى . فقال أحدهم لأستاذى : بالله عليك إلا تركته فتركنى ، ومضيت معه فدخلنا إلى قَراح فيها باذنجان مملوء[1] والأسود قائم يصلّى فسلموا وجلسوا إلى أن سلّم وأخرج كيسا فيه كِسَر يابسة ومِلْح جَريش[2] . قال : كلوا فأكلوا وتحدثوا وأخذُوا يذكرون كرامات الأولياء وهو ساكت .

فقال واحد من الجماعة : يامقبل قد زرناك فما تحدّثنا بشىء ؟ فقال : أىّ شىء أنا وأىّ شىء عندى أحدّثك ؟ أنا أعرف رجلا لو سأل الله تعالى أن يجعل هذا القراح الباذنجان ذهباً لفعل .

فوالله ما استتم الكلام حتى رأينا القراح يتّقد ذهباً فقال له أستاذى ، يعنى الخلال : يامقبل ، لاحدٍ سبيلٌ أن يأخذ من هذا القَراح أصلا واحداً ؟ فقال له : خذ وكان القراح مُسقّياً . فأخذ أستاذى الاصل فقلعه بعروقه وجميع ما فيه ذهباً . فوقعتْ من الاصل باذنجانة صغيرة وشىْء من الورق ، فأخذتهُ وبقاياه معى إلى يومى .

قال : ثم صلّى ركعتين وسأل الله تعالى فعاد القراح كما كان ، وعاد مكان ذلك الأصل أصل باذنجان آخر .

---

(١) فى النسخ : مملوا . ق : « فيه باذنجان » . والقراح : الأرض لا ماء فيها ولا شجر .

(٢) الجريش ، من الحب والملح ونحوهما : ما طحنته غير ناعم .

٣٥٢ - عابد آخر

محمد بن داود الرقيّ قال : كنت ماراً ببغداد وإذا بعض الفقراء يمرّ فى الطريق وإذا مغنّ يغنّى ويقول :

أمدّ كفىّ بالخضوع إلى الذى جاد بالصنيع

قال فشهق الفقير شهقة خرّ ميتاً .

قال المؤلف : وقد رُويت لنا عن الرقى عن غيره .

الحسين بن محمد قال: سمعت الرقى يقول : سمعت العسقلانى يقول: كنت ماراً ببغداد فإذا أنا ببعض الفقراء ماراً فى الطريق ومغنّ يغنّى ويقول — :

أمدّ كفىّ بالخضوع إلى الذى جاد بالصنيع

قال : فشهق الفقير شهقةً خرّ ميتاً .

٣٥٣ - عابد آخر

بلغنا عن أبى الصّوفى قال : دخلت فى يوم عيد على بعض مشايخنا فرأيت عنده خلاّ وهِنْدَباء [١] فاشتغل قلبى وخرجت فدخلت على بعض أهل الدنيا فأخبرته فدفع إلىّ صرّة فيها دراهم وقال : احملها إليه. فقلت : جئت بها لتستعين بها على وقتك . قال : وما الذى رأيت من

---

(١) الهندبا : نوع من البقول ، يؤكل .

حالى ؟ قلت : له : رأيت عندك خلاً وهندبا فقال : كأنك افتقدت ذلك لو كان فى بيتى أمرأة كنت تفتقدها قم فوالله لا كلّمتك (١) شهراً .

فخرجت فضرب الباب فى وجهى فسال الدم . فأتيت الشبلى فقلت له يا أبا بكر : رجل مشى فى طاعة الله فانفتح وجهه ما سبب هذا ؟ فقال : لعله أراد أن يأتى إلى شئ صاف يكدّره .

٣٥٤ - عابد آخر

عن أبى الحسين بن سمعون قال : اجتزت يوماً على الصّراة (٢) فرأيت امرأة تلتقط ورق البقل الذى يأتى على الماء ، فقلت : لا شك أن هذه امرأة فقيرة . فوقفتُ حتى رجعتْ . فتبعتها ، فأتت إلى دار فدخلتْ فرجعتُ إلى بيتى ، فما استقر بى المنزل حتى أتانى خادم معه دنانير ودراهم فقال : أدفع هذا إلى محتاج .

فأخذته وقمت فأتيت بيت المرأة فطرقت الباب فخرج رجل من خواصّ مجلسى ومن الملازمين لى فلما رآنى قال : مالك هكذا ؟ فقلت : جئتكم بهذه الدنانير تستعينون بها على الوقت . فنظر إلى

---

(١) ط : قال .

(٢) ط : لا أكلمك .

(٣) الصراة نهر ببغداد .

مغضباً وقال : ياشيخ تحذّرنا من الدنيا وتأتينا بها . ثم ردّ الباب فى وجهى ودخل فرجعت منكسراً إلى بيتى .

ثم قلت فى نفسى : لابد أن أعود إليه فأعتذر فأتيته فى اليوم الثانى فطرقت الباب مراراً فلم يجبنى أحد ، وإذا امرأة من الجيران تقول : مالك يارجل ؟ فقلت لها : ما فعل أهل هذه الدار ؟ فقالت : كان فى هذه الدار رجل مع والدته وكنا نتبرك بهم فجاء بالامس شيطان فكلمهم بما كرهوا فانتقلوا عنا .

قال: فعدت وأنا شديد الحزن على مافعلت وجعلت أتفقد مجلسى ولا أرى الرجل .

فلما كان يوم عرفة وأنا أتكلم على الناس رأيته فى أواخرهم . فلما انقضى المجلس مضيت إليه وسلّمت عليه فرد على وقال : لا تُعِدْ ما فات ، ولاتقل شيئاً ، فلولا أنى أعتقد كلامك دواء لقلبى لم أحضر وإنما غبتُ عنك لانا انتقلنا إلى مكان آخر حتى لا نُعرف . فقلت : ما أتيتُ إلا معتذرا وما أعود . ثم فارقته[1] .

---

(١) إلى هنا ينتهى الجزء الثانى من نسخة مكتبة الأوقاف بحلب ، وهى التى نرمز لها بـ(ق) . وجاء فى آخر صفحة منها : « وافق الفراغ من نساخته يوم الخميس الثالث من شهر ذى الحجة من شهور سنة أحد ثمانين وستمائه من الهجرة النبويه صلوات الله على صاحبها واله وسلم تسليماً كثيراً . ويبدأ بعد ذلك الجزء الثالث وهو مجهول التاريخ ، لأنه نقص صفحات من أوله واخره ، كتبها ناسخ متأخر

ذكر المصطفين من عقلاء المجانين ببغداد

٣٥٥ - سعدون المجنون

قال يحيى بن أيوب : خرجت يوماً إلى مقابر باب خراسان ، ثم جلست فى موضع أرى منه مَن يدخل المقابر . فنظرت إلى رجل دخل المقابر مقنّعاً فجعل يجول فى المقابر كلما رأى قبراً محفوراً أو منخسفاً وقف عليه وبكى .

فقمت رجاءأن أنتفع به ، فلماصرت إليه إذا هو سعدون المعتُوه وكان يكون فى كوخ مقابر عبدالله بن مالك . فقلت له : يا سعدون أىّ شىء تصنع ؟ فقال : يا يحيى هل لك فى أن تجلس فنبكى على بِلَى هذه الابدان قبل أن تَبلى فلا يبكى عليها باكٍ ؟ ثم قال : يايحيى البكاء من القدوم على الله عز وجل أولى بنا من البكاء على بِلَى الابدان ثم قال : يا يحيى : « وإذا الصُّحُف نُشِرَت[1] » ثم صاحَ صيحة شديدة وقال : واغوثاه بالله ممايقابلنى في الصحف . قال يحيى : فغشى علّى فأفقت وهو جالس يمسح وجهى بكمّه وهو يقول : يا يحيى من أشرف منك لو مُتّ ـ ؟

قال الفتح بن شخرف: كان سعدون صاحب محبةلله ، صام ستّين

---

(١) التكوير : ١٠

سنة حتى خف [1] دماغه فسماه الناس مجنوناً لتردد قوله فى المحبة فغاب عنا زماناً فبينا أنا قائم على حلقة ذى النون رأيته عليه جبة صوف وعليها مكتوب : لاتباع ولاتشترى [2] فسمع كلام ذى النون فصرخ وأنشأ يقول :

ولاخيرَ فى شكوى إلى غير مشتكى   ولابدّ من سلوى إذا لم يكن صبر

أحمد بن عبد الله بن ميمون قال سمعت ذا النون المصرى يقول : خرج الناس إلى الاستسقاء بالبصرة فخرجت فيمن خرج فبينا أنا مارّ بين الناس إذا بيدين قبضتا على رجلى فقلت من أنت؟ خَلِّ عنى . فقال : أنا سعدون المجنون أين تريد ياأبا الفيض ؟ قلت أريد المصلى أدعو الله تعالى [فقال : بقلب سماوىّ أو بقلب جاف ؟ [1] فقلت] بقلب سماوى . قال : أنظر [ياذا النون] لا تبهرج، فان الناقد بصير .وقال تدعو الله وأؤمن على دعائك أو أدعو الله وتؤمن على دعائى ؟ فقلت . تدعو أنت وأؤمن عليه .

قال : فصفّ قدميه ثم قال إلهى بحق البارحة إلا أمطرتنا قال ذو النون : لقد رأيت الغيوم قد ارتفعت عن اليمين والشمال حتى التقت ،

---

(٣) ق : جف .   (٤) ط : لايباع ولايشترى .

(٣) فى حاشية ط : (ب : خاو . « تنبيه » :جعلنا حرف «ب» علامة للنسخة المحفوظة بدار حكومة الهند بلندرة « برتش ميوزيم ـ لندن »)

(٢) بهرج : عدل عن الصواب إلى غيره .

فجاءنا المطر كأفواه العَزالِى [1] فقلت له : بحق معبودك أىّ شىء كان بينك وبين الله البارحة ؟ فقال لى لاتدخل بينى وبين قُرّة عينى قلت لابد أن تخبرنى فأنشأ يقول :

أنستُ بهِ فلا أبغى سواهُ مخافةَ أن أضلّ فلا أراهُ
فحسبكَ حسرةً وضَنىً وسُقماً بطردِك عن مجالس أولياهُ

قال ذو النون : رأيت سعدونا فى المقبرة فى يوم حارّ ، وهو يناجى ربه عز وجل بصوت عال ويقول أحد أحد فاتّبعته فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له بحق من تناجيه إلا وقفتَ لى وَقفة . فوقف وقال لى قُل وأوجز فقلت : أوصنِى بوصيه أحفظها عنك أو تدعولى بدعوة فقـــال :

ياطالبَ العـــلم ههنا وهنا ومَعدنُ العلم بين جنبيـكا
إن كنت تبغى الجنانَ تدخُلها فأذرِف الدمعَ فوق خـديكا
وقُمْ إذا قام كل مجتهـــد وادْع لـكيما يقول : لبيكا

قال : ثم مضى فقـال : ياغياث المستغيثين أغثنى . قلت له : ارفق بنفسك ، فلعله يلحظك بلحظة فيغفر لك . فنفض يدة من يدى وعَدا يقـول :

---

(١) العزالى : مفردها عزلاء ، وهو مصب الماء من القربة ونحوها . إشارة الى شدة وقع المطر .

أنِستُ به فلا أبغى سواهُ ... مخافةَ أن أضلَّ فـلا أراهُ
فحسبك حسرةً وضنىً وسُقماً ... بطردِكَ عن مجالس أولياهُ

قال الاصمعى : مررت بسعدون المجنون فإذا هو جالس عند رأس شيخ سكران يذبّ عنه . فقلت له : سعدون مالى أراكَ جالساً عند رأس هذا الشيخ ؟ فقال : أنه مجنون فقلت له أنت المجنون أو هو ؟ قال لا بل هو قلت : من أين قلتَ ذلك .؟ قال : لأنى صلّيت الظهر والعصر جماعة وهو لم (١) يصل جماعة ولا فرادى . فقلت له : فهل قلت في ذلك شيئاً فأنشأ يقول:

تركت النبيذ لأهل النبيذِ ... وأصبحتُ أشرب ماء قَراحا
لأن النبيذَ يذلُّ العزيزَ ... ويكسو الوجوهَ النضارَ الصباحا
فإن كان ذا جائزاً للشبابِ ... فما العذْر فيه إذا الشيُب لاحا ؟

فقلت له : صدقت وانصرفت .

قال صالح المرى : قرأت بين يدى سعدون المجنون « كأنهن الياقوُت والمرْجان » (٢) فصرخ ثم قال ملاّح واللهِ . ثم أنشأ يقول.

إن فى الخلد جارية ... هىَ حسنٌ كما هيه
لو تراها على النما ... رق بالغُنج ماشيهْ
لتمنيّت أنهـا ... لك ماعشتَ باقيه

---

(١) ط : لم . والتصويب من ق : ... (٢) الرحمن : ٥٨

كَتبت فى شقائق الخدّ سطراً بغاليه :
أنا للزّاهد الذى عينهُ الدهرَ باكيَهْ

٣٥٦ – بهاول

سَرىّ السقطى قال : اجتزت يوماً بالمقابر فإذا أنا بُبهلول[1] قددلىّ رجليْه فى قبر وهو يلعب بالتراب . فقلت : أنت ههنا ؟ قال: نعم أنا عند قوم لا يؤذونى، وإن غبت عنهم لايغتابونى . فقلت : يابهلول، الخبز قد غلا . فقال : والله ماأبالى ولو حبة بمثقال : إنّ علينا أن نعبده كما أمرَنا وعليه أن يرزقنا كما وَعدنا ثم ولىّ عنى وهو يقول :

يـا مَن تمتَّع بالدّنيا وزينتِها ولاتنامُ عنِ اللذّات عيناهُ
أفنيت عمرَكَ فيما لستَ تُدركه تقول لله ماذا ؟ حين تلقاه

[عن سرى السقطى قال : خرجت يوماً إلى المقابر فرأيتُ بهلولاً قددلىّ رجليه فى قبر وهو يعبث بالتراب ، فقلت له : أىّ شىء تصنع ههنا ؟ فقال : أنا عند قوم لا يؤذونى ، وإن غبتُ عنهم لاَ يغتابونى . فقلت[2]] لاتـكون جائعاً ؟ فولىّ وأنشأ يقول ـ :

نجوعُ فإنالجوعَ من عَلَم التّقىَ وإن طويلَ الجوُع يوماً سيشبعُ

---

(١) تطلق هذه الـكلمه على السيد الجامع لـكل خير . ولـكن ابن الجوزى يريد بها المجنون أو الأبله أو الغبى . والـكلمه بهذا المعنى عامية .

(٢) مابين قوسين ليس فى ق . وفيها بدل : « وفى رواية : قلت له »

[فقلت له : إنّ الخبز قد غلا . فقال : والله ماأبالى ولو بلغت حبةٌ بمثقال ، علينا أن نعبده كما أمرَ وعليه أن يرزقنا كما وعد . ثم ولىّ وهو يقول](١) .

أفٍّ للدنيا فليست لى بدار　　إنما الراحة فى دار القرار
أبتِ الساعاتُ إلاّ سرعةً　　فى بِلىَ جسمى بليلٍ ونهار

عن الفضل بن الربيع قال حججت مع هارون الرشيد، فمررنا بالكوفة فاذا بهلولٌ المجنون يَهذى ، فقلت : اسكت فقد أقبل أمير المؤمنين . فسكت : فلما حاذاه الهودج قال : ياأمير المؤمنين حدّثنى أيمن بن نابل قال : أنبأنا قدامة بن عبد الله العامرى قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم بمنى على جمل وتحته رحْل رثّ فلم يكن ثَمَّ طردٌ ولاضربْ ولا إليك إليك . قلت ياأمير المؤمنين إنه بهلول المجنون . قال: قد عرفته ، قل يابهلول فقال : ياأمير المؤمنين .

هَبْ انّكَ قد ملكت الأرضَ طُراً　　ودانَ لك البلادُ فكان ماذا ؟
أليس غداً مصيرُكَ جوفَ قبرٍ　　ويحثو التُرْبَ هذا ثُمّ هذا ؟

قال : أجدْت يابُهلول ، أفغيره ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين ، مَن

---

(١) مابين قوسين ساقط من ق . وفيها بدله : « وقال أيضاً » .

رزقه الله جمالاً ومالاً فعفّ فى جماله، واتّقى فى ماله، كُتب فى ديوان الابرار .

قال : فظن أنه يريد شيئاً . قال فانا قد أمرنا بقضاء دَيْنك . قال لاتفعل ياأمير المؤمنين، لاتقض ديناً بدَين ، اردُد الحق إلى أهله واقض دَيْن نفسك من نفسك .

قال : انا قد أمرنا أن تُجرى عليك جراية . قال : لاتفعل ياأمير المؤمنين ، لايعطيك وينسانى ، أجرَى علىّ الذى أجرى عليك لا حاجة لى فى جرايتك .

٣٥٧ – مجنون آخر يقال له أبو على (المعتوه)

خلف بن سالم قال : قلت لأبى على [المعتوه ، وكان ينزل فى الُمخَرّم (١) : ياأبا على] ألك مأوى ؟ قال : نعم . قلت : وأين مأواك؟ قال فى دار يستوى فيها العزيز والذليل . قال : قلت له : وأين هذه الدار قال : المقابر . قلت ياأبا علىّ ماتستوحش فى ظُلم الليل ؟ قال : إنى

(١) المخرم (بضم أوله وتشديد الراء المكسورة) : محلة كانت ببغداد ، وفيها كانت الدار التى يسكنها السلاطين البويهيه والسلجوقيه .

أكثر ذكر ظُلمَ اللحد ووحشته ، فهوَّنَ على ظُلَمَ الليل . قلت له: فربما رأيت فى المقابر شيئاً تنكره : قال: ربما ،ولكن فى هول الآخر ما يشغل عن هول المقابر .

قال الأشهلى : قلت لأبى : ياأبة مثل هذا الكلام الجيد الصحيح يتكلم به مجنون ؟ قال : يابنى هؤلاء قوم كان لهم فضل ودِين ومعرفة ، فزالت عقولهم وبقىَ ذلك الفضل ، فلم يختلط فيما اختلط .

٣٥٨ — مجنون آخر

أبو بكر الشبلى قال : رأيت يوم الجمعة معتوهاً عند جامع الرصافة قائماً عُرياناً وهو يقول : أنا مجنونُ الله ، أنا مجنونُ الله . فقلت له : لم لاتدخل الجامع وتتوارى وتصلى ؟ فأنشد :

يقولون زُرنا واقض واجبَ حقّنا ... وقد أسقطت حالى حقُوقَهم عنى
إذا هُمْ رأَوْا حالى ولم يأنفوا لها ... ولم يأنفوا منها أَنِفتُ لهمْ منىَ

٣٥٩ — مجنون آخر

قال لى ابن القصاب الصوفى البغدادى دخلنا جماعة إلى المارستان فرأينا فيه فتى مصاباً شديد الهوَس، فولعنا به ، وزدنا فى الولَع فأتعبناه فصاح وقال : أنظر إلى شعور مطرَّرة وأجسادٍ معطَّرة ، قد جعلوا

الولع بضاعة ، والسخف صناعة ، جانبوا العلم رأساً . فقلنا له تُحسن العلم ؟ نسألك . فقال ، أىْ والله إنى لأحسن علماً جماً فسلونى .

فقلت له : مَن السخىُّ فى الحقيقة ؟ فقال . الذى رزق أمثالكم وأنتم لا تساوون قُوتَ يوم فضحكنا وقلنا : مَن اقل الناس شكراً ؟ قال من عُوفىَ من بَليه فرآها فى غيره فترك العِبرة والشكر إلى الطنز[1] واللهو فكسرَ قلوبنا بذلك .

فقال له آخر : ما الظَّرف ؟ قال : خلافُ ما أنتم عليه . ثم بكى وقال يارَبِّ إن لم تردّ علّى عقلى فَرُدَّ علىَّ يدى لعلّى كنت أصفع واحداً من هؤلاء .

فتركناه وانصرفنا .

---

(١) الطنز : السخرية والاستهزاء .

ذكر المصطفيات من عابدات بغداد

٣٦٠ - جوهرة[١] العابدة البراثية

[نَزَلت بَراثا[٢] مع زوجها أبي عبدالله البَراثي]

حكيم بن جعفر قال : كانت [جوهرةُ امرأة أبي عبدالله البَراثي] جاريةً لبعض الملوك فَعَتَقت[٣] فخلعت الدنيا ولزمت أبا عبدالله البراثي ، فتزوج بها وتعبّدت .

أبو عبدالله البَراثي قال : قالت لي جوهرة يوما : يا أبا عبدالله النساء[٤] يحلين في الجنة إذا دخلنها؟ قلت: نعم . قال : فصاحت صيحة غُشي عليها . فلما أفاقت قلت : ما هذا الذي أصابك ؟ قالت : ذكرت حالي تلك وما كنتُ قد نلت من الدنيا فخشيتُ واللهِ حرمانَ الآخرة .

أبو عبدالله البَراثي قال : رأت جوهرة في منامها خياماً مضروبة فقالت : لمن ضُربت هذه الخيام ؟ فقيل : للمتهجّدين بالقرآن: فكانت بعد ذلك لاتنام.

---

(١) اسمها في تاريخ بغداد ج ١٥ ص ٤٣٦ جوهر ـ بلاهاء ـ ك .

(٢) براثا : محلة في طرف بغداد ، وقد مر شرحها . (٣) عتق العبد : (بفتح العين والتاء) : خرج من الرق والعبودية فهو عتيق . ق : فعشقت .

(٤) ق : قالت لزوجها يوماً : النساء .

عن أبي عبدالله البَرائي قال : كانت [جوهرة] تنبّهني من الليل وتقـــول : يا أبا عبدالله « كاَرْوان رَفت » معناه : قد سارت القافلة[1] .

حكيم بن جعفر قال : كنا نأتي أبا عبدالله بن أبي جعفر الزاهد ، وكان يسكن برَاثا ، وكانت له امرأة متعبّدة يقـال لها جوهرة ، وكان أبـو عبدالله يجلس على جِلّةٍ[2] خوصٍ بحَرانية ، وجوهرة جالسة حذاءه على جلةٍ أخرى مستقبلةً القبلة في بيت واحد .

قال : فأتيناه يوماً وهو جالس على الأرض ليست الجله تحته .

فقلنا : يا أبا عبدالله مافعلت بالجلة التي كنت تقعد عليها ؟ قال : إن جوهرة أيقظتني البارحة فقالت : أليس يقال في الحديث: إن الأرض تقول لابن آدم : تجعل بيني وبينكَ ستْراً وأنت غداً في بطني؟ قال : قلت : نعم . قالت : فأخرجْ هذه الجلال لاحاجةَ لنا فيها . فقمتُ واللهِ فأخرجْتُها.[3]

٣٦١– زوجة أبي شعيب البرائي العابد[4]

الجنيد بن محمد قال : كان أبو شعيب البَرائي أول من سكن

---

(١) كاروان (بالفارسيه) : القافلة . و (رفت) : ارتحلت ، سارت تحركت .

(٢) الجل ، من المتاع : البسط والأكسية ونحوها : والبحرانية : نسبة إلى البحرين .

(٣) هذه الحكاية مختصرة جداً في ق .

(٤) ترجمتها ساقطه من ق .

بَراثا فى كوخٍ يتعبد فيه ، فمرت بكوخه جارية من بنات الكبار من أبناء الدنيا ، كانت رُبيت فى قصور الملوك ، فنظرتْ إلى أبي شعيب فاستحسنتْ حاله ، وما كان عليه ، فصارت كالأسير له ، فعزمت على التجرد من الدنيا والاتصال بأبى شعيب .

فجاءت إليه وقالت : أريد أن أكون خادمة . فقال لها : إن أردتِ ذلك فغيرّى هيئتك ، وتجرّدى عما أنتِ فيه حتى تَصلحى لِما أردتِ . فتجرّدتْ عن كل ما تملكه ولبست لبسةَ النسّاك وحضرته فتزوّجها .

فلما دخلت الكوخ رأت قطعةَ خِصافٍ[1] كانت مجلسَ أبى شعيب ، تقِيه من النّدى، فقالت : ما أنا مقيمة فيه. حتى تُخرج ما تحتك لأنى سمعتك تقول : إن الأرض تقول لابن آدم : تجعل اليومَ بينى وبينك حجاباً وأنت غداً فى بطنى ؟ فما كنتُ لأجعل بينى وبينها حجاباً .

فأخذ أبو شعيب الخِصاف ورمى بها. فمكثتْ معه سنين كثيرة يتعبّدان أحسن عبادة ، وتوفيّا على ذلك متعاونينْ .

قال المؤلف : قد ذكرنا عن جوهرة العابدة مثل هذه الحكاية ، وهذا قد اتفق لهاتين المرأتين ، فلا نظن أن الحكايتين واحدة .

(١) الخصاف : ج خصفه : وتطلق على الثوب الغليظ ، وعلى القفه تعمل من الخوص للتمر ونحوه .

٣٦٢– أخوات بشر الحافى

وهنّ ثلاث مُضْغة ، ومُخّة ، وزبدة بنات الحارث ، وأكبرهن مضغة .

قال السلمى : أخوات بْشر مُخّة وزبدة ومضغة .

وكانتْ زبدة تكنى أم علىّ .

وكانت « مضغة » أخت بشر أكبر منه ، وماتت قبله ، وقيل : لما ماتت مضغة توجّع عليها بشر توجعاً شديداً وبكى بكاء كثيراً . فقيل له فى ذلك فقال قرأت فى بعض الكتب أن العبد إذا قصّر فى خدمة ربه سلبه أنيسه ، وهذه كانت أنيستى من الدنيا .

قال الخطيب : وذكر إبراهيم الحربى أن بْشراً قال : هذا يومُ ماتت أخته مُخّة ، والله أعلم .

أبو عبدالله بن يوسف الجوهرى قال : سمعت بشر بن الحارث يوم ماتت أخته يقول . إن العبد إذا قصر فى طاعة الله عز وجل سلَبه مَن يؤنسه .

أبو عبدالله القحطى قال : كان لبْشر أخت صوّامة قوّامة .

غيلان القصائدى قال : قال بشربن الحارث تعلّمت الورَع من أختى فإنها كانت تجتهد ألا تأكل ما للمخلوق فيه صُنع .

عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كنت مع أبى يوماً من الأيام فى المنزل فَدقّ داقٌ الباب فقال لى : اخرجْ فانظر مَن بالباب ؟ فخرجت فاذا امرأة ، فقالت لى : استأذنْ لى على أبى عبد الله : قال فاستأذنته . قال : أدخِلْها .

قال : فـدخلتْ فسلّمت عليه وقالت له : يا أبا عبد الله أنا امرأة أغزِل بالليل فى السّراجُ فربما طَفِىءَ السراج فأغزل فى القمر فعلىّ أن أبيّن غزُل القمر من غزُل السراج ؟ قال : فقال لها : إن كان عندك بينهما فرْق فعليكِ أن تبيّـنى ذلك . قال : قالت : يا أبا عبد الله أنين المريض شكوى ؟ قال : أرجو ألاّ يـكون ، ولـكنه اشتكاء إلى الله عز وجل .

قال فودعتْه وخرجت . : فقال : يا بُنّي ماسمعت قطّ إنساناً يسأل عن مثل هذا . اتْبع هذه المرأة فانظر أين تدخل ؟ قال : فاتّبعتها فاذا قد دخلت إلى بيت بشْر بن الحارث وإذا هى أخته قال : فرجعت فقلت له ، فقال : مُحال أن تـكون مثلُ هذه إلا أختَ بشْر .

قـال المصنف : قلت هذه المرأة التى سألتْ أحمد هى مُخّةُ وقد نقلت عنها حـكاية سُمّيت فيها تشبه هذه الحـكاية .

عبد الله بن أحمد بن حنبل ببغداد قال جاءت مُخّة أخت بشر بن الحارث إلى أبى فقالت : إنّى امرأة رأسُ مالى دا نِقان ، أشترى القُطن

فأغزله وأبيعه بنصف درهم ، فأتقوّت بدانق من الجمعة ، فمرّ ابن طاهر الطائفُ ومعه مِشعل ، فوقف يكلّم أصحاب المَسالح [1] فاستغنمتُ ضوء المشعل فغزلت طاقاتٍ ، ثم غاب عني المشعل ، فعلمت أنّ لله فيّ مطالَبةً ، فخلّصني خلّصك الله فقال لها تخرجين الدانقين ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوّضك الله خيراً منه .

قال عبد الله : قلت لأبي : يا أبه لو قلت لها لو أخرجت الغزل الذي أدرجت فيه الطاقات ؟ فقال : يا بني سؤالها لا يحتمل هذا التأويل. ثم قال : مَن هـذه ؟ قلت مُخّة أخت بشر بن الحارث . فقال : من ها هنا أُتيت .

قرأت بخط أبي على الراذاني قال : كانت مُخّة من بين أخوات بشر تقصد أحمد بن حنبل وتسأله عن الورع والتقشّف ، وكان أحمد يعجب بمسائلها .

السلمي قال : قالت زبدة أخت بشر : أثقل شيء على العبد الذنوبُ ، وأخفُّه عليه التوبةُ ، فمالَه يَدفع أثقلَ شيء بأخفَّ شيءٍ ؟

٣٦٣ — امرأة عبد الله بن الفرج العابد

أبو بكر محمد بنِ الحسين الاجرى قال : بلغني أن عبد الله بن الفرج لما مات لم تعلم زوجتُه إخوانه بموته ، وهم جلوس بالباب ينتظرون

(١) المسالح : ج مسلحه (بفتح الميم) ، الجماعه والقوم ذوو السلاح .

الدخول عليه فى علته فغسلته وكفنته فى كساء له وأخذت فَرْدَ باب من أبواب بيته وجعلته فوقه وشدّته بشريط ثم قالت لاخوانه . قد مات وقد فرغت من جهازه .

فدخلوا واحتملوه إلى قبره وأغلقت الباب خلفهم .

٣٦٤ – ميمونة أخت ابراهيم ابن احمد الخواص لأمه

كانت تسلك مسلك أخيها إبراهيم فى الزهد والتقلل والورع والتوكل .

أحمد بن سالم قال : دَقَّ داقٌّ باب إبراهيم الخوّاص، فقالت له أخته مَن تطلب ؟ فقال : ابراهيم الخواص . فقالت : قد خرج . فقال : متى يرجع فقالت : مَن روحه بيد غيره مَن يعلم متى يرجع ؟

٣٦٥ – مؤمنة بنت بهلول

عيسى بن إسحاق الانصارى قال سمعت مؤمنة بنت بهلول تقول ماالنعيم إلا فى الأنس بالله ، والموافقة لتدبيره .

٣٦٦ – أم عيسى بنت ابراهيم الحربى

أبو بكر أحمد بن على بن ثابت ذكر لى أن أم عيسى بنت إبراهيم الحربى كانت فاضلة عالمة تفتى فى الفقة ، ودُفنت إلى جنب أبيها إبراهيم والسلام .

٢٦٧ — أمة الواحد بنت القاضى أبى عبد الله الحسين

ابن اسمعيل المحاملى

أبو بكر البرقانى قال : كانت بنت المحاملى تفتى مع أبى على بن أبى هريرة —

أبو الحسن الدار قطنى قال : أمة الواحد بنت الحسين بن اسمعيل ابن محمد القاضى المحاملى سمعت أباها ، واسمعيل بن العباس الورّاق ، وعبد الغافر بن سلامة الحمصى ، وأبا الحسن المصرى ، وحمزة الهاشمى الإمام وغَيرهم .

وحفظتْ القرآن والفقه على مذهب الشافعى ، والفرائض وحسابها والنحو ، وغير ذلك من العلوم وكانت فاضلة فى نفسها ، كثيرةَ الصدقة مسارعةً فى الخيرات ، وحدّثت وكُتب عنها الحديث .

وتوفيت فى رمضان من سنة سبع وسبعين وثلاثمائة .

ذكر المصطفيات من العابدات البغداديات المجهولات الأسماء

٣٦٨ - عابدة

نوحٌ الأسود قال: رأيت امرأة تأتي أبا عبد الله البَراثي فتجلس تسمع كلامه، ولا تكاد تتكلم ولا تسأل عن شيء. فقلت لها ذات يوم: لا أراكِ يرحمك الله تتكلّمين ولا تسألين عن شيْء؟ فقالت: قليل الكلام خير من كثيرة؛ إلا ما كان من ذكر الله، والمنصت أفهم للموعظة، ولن ينصحكَ امرؤ لا ينصح نفسه، وجملة الأمر يا أخي: إنْ أردتَ الله بطاعة أرادكَ الله برحمةٍ، وإن سلكتَ سبيل المُعْرضين فلا تلُم إلا نفسك إذا صرْتَ غداً في زمرة الخاسرين.

قال: ثم استَبْكَت فقامت. وسمعتها تعظ ابنها يوماً وتقول:

ويحك يا بنيّ، إحذر بطالات[1] الليــــل والنّهار، فتنقضي مهلات الأعمار وأنت غيرُ ناظرٍ لنفسك ولا مستعدّ لسفرك، ويحك يا بني، مامن الجنة عِوَضٌ، ولا في ركوب المعاصي ثمنٌ من حلول النار. ويحك يابني، مهّد لنفسك[2] قبل أن يحال بينك وبين ذلك، وجِدّ قبل أن

(١) البطالات (بكسر الباء) ج بطالة: هي التعطل والتفرغ من العمل.
(٢) مهد لنفسه: كسب وعمل.

بجدّ الأمر بك ، واحذر سطوات الدهر وكيد الملعون عند هجوم الدنيا بالفتَن وتقلّبها بالعِبر ، فعند ذلك يهتم التّقيّ كيف ينجو من مصائبها .

ثم قالت : بؤساً لك يا بنىّ إن عصيت الله وقد عرفته وعرفت إحسانه ، وأطعت إبليس وقد عرفتَه وعرفت طغيانه .

٣٦٩ — عابدة أخرى

غيلان صاحب السرىّ قال : كان لسَرىّ تلميذة وكان لها ولد عند المعلّم فى الـكُتّاب . فبعث به المعلّم إلى الرَّحى فنزل الصبى فى الماء فغرق .

فجاء المعلم إلى سرىّ فأخبره بذلك فقال سرىّ : قوموا بنا فمضَوا إلى أمه فجلس عندها وتـكلّم سَرِىّ فى علْم الصّبر إلى حد ما ، ثم تـكلم عليها فى علْم الرضا . فقالت له : يا أُستاذى وأىّ شىء تريد بهذا ؟ فقال لها : إن ابنك قد غرق . فقالت : ابْنى ؟ قال لها : نعم . فقالت : إن ربى عز وجل ما فعل هذا . ثم عاد سرىّ فى كلامه فى الصبر ، فقالت : قوموا بنا .

فقاموا معها حتى انتهوا إلى النهر فقالت : أين غرق؟ فقالوا : ههنا فصاحت : ابنى محمد ! فأجابها : لبيك يا أماه . فنزلت فأخذت بيده ومضت به إلى منزلها .

قال غيلان : فالتفتَ سَرِىّ إلى الجنيد وقال : أىُّ شىء هذا ؟ فقال جنيد : أقول ؟ فقال سَرِىّ قال : إن المرأة مراعية لما لله عز وجل عليها ، وحكم مَن كان مراعياً لما لله عز وجل عليه : ألّا تحدُث حادثةٌ حتى يعلم بذلك ، فلما لم تكن حادثة تعلَمها بذلك فأنكرت[1] وقالت : إن ربىّ [عز وجل] مافعل هذا .

٣٧٠ – عابدة أخرى

أبو الحسن البحَرانى صاحب إبراهيم الخوّاص ، قال : سألتْ امرأة من المتعبدات إبراهيم الخوّاص عن تغيّرٍ وجدتْه فى قلبها وتغيّرٍ وجدتْه فى حالها . فقال لها : عليك بالتفقّد . فقالت : قد تفقّدتِ فما رأيت شيئاً . فأطرق الخوّاص ساعة ثم رفع رأسه وقال : أما تذكرين ليلة المِشْعَل ؟ فقالت : بلى . فقال : هذا التغيّر من ذلك .

فبكتْ وقالت : نعَم كنتُ أغزل فوق السّطح فانقطع خَيطى فمرّ مِشْعلٌ للسلطان فغزلتُ فى ضوئه خيطاً ، ثم أدخلتُ ذلك الخيْط فى غزْلِ ونسجتُ منه قميصاً ولبسته .

ثم قامت إلى ناحية فنزعت القميص وقالت : يا إبراهيم إنْ أنا

---

(١) الصواب حذف الفاء . وفى ق : « فلما لم تكن حادثة لم تعلمها فأنكرت » .

بعته وتصدّقت بثمنه يرجع قلبي إلى الصفاء ؟ فقال : إن شاء الله تعالى ذلك .

٣٧١ – عابدتان بغداديتان

بلغني أنه كان ببغداد رجل بزّاز له ثروة . فبينا هو في حانوته أقبلت إليه صبية فالتمست منه شيئاً تشتريه. فبينما هي تحادثه كشفت وجهها في خلال ذلك . فتحيرّ وقال : قد والله تحيرّت مما رأيت . فقالت : ماجئت لأشتري شيئاً ؛ إنما لى أيام أتردّد إلى السوق ليقع بقلبي رجل أتزوّجه ، وقد وقعتَ أنت بقلبي ولى مال ، فهل لك في التزوّج بي ؟ فقال لها : لى ابنة عم وهي زوجتي ، وقد عاهدتُها ألاّ أغيرّها ، ولى منها ولد . فقالت : قد رضيتُ أن تجيء إلىّ في الأسبوع نوبتين . فرضي ، وقام معها فعقد العَقْد ومضى إلى منزلها فدخل بها .

ثم ذهب إلى منزله فقال لزوجته : إن بعض أصدقائي قد سألني أن أكون الليلة عنده . ومضى فبات عندها . وكان يمضي كلّ يوم بعد الظهر إليها .

فبقي على هذا ثمانية أشهر . فأنكرت ابنة عمه أحواله فقالت لجاريةٍ لها : إذا خرج فانظري أين يمضي ؟ فتبعته الجارية فجاء إلى الدكان فلما جاءت الظُهر قام وتبعته الجارية وهو لايدري ، إلى أن دخل بيت تلك المرأة . فجاءت الجارية إلى الجيران فسألتهم لمن هذه

الدار ؟ فقالوا : لصبية قد تزوّجت برجل تاجرٍ بزاز . فعادت إلى سيدتها فأخبرتْها فقالت لها : إياك أن يعلم بهذا أحد . ولم تُظهر لزوجها شيئاً .

فأقام الرجل تمام السنة ثم مرض ومات وخلّف ثمانية آلاف دينار فعمدت المرأة التي هي ابنة عمه إلى مايستحقّه الولد من التَّرِكة وهو سبعة آلاف دينار فأفردتْها وقسّمت الألف الباقية نصفين وتركت النصف فى كيس وقالت للجارية : خُذى هذا الكيس وإذهبى إلى بيت المرأة وأعلميها أن الرجل مات وقد خلّف ثمانمائة آلاف دينار ، وقد أخذ الابن سبعة آلاف بحقّه ، وبقيتْ ألف فقسمتُها بينى وبينك وهذا حقك . وسلّميه إليها .

فمضت الجاريةُ فطرقتْ عليها الباب ودخلت وأخبرتْها خبرِ الرجل وحدثتْها بموته وأعلمتْها الحال فبكتْ وفتحت صندوقها وأخرجت منه رقعةً وقالت للجارية : عُودى إلى سيدتك وسلمى عليها عنى وأعلميها أن الرجل طلقنى وكتب لى براءه ، ورُدّى عليها هذا المال فأنى ما أستحق فى تركته شيئاً .

فرجعت الجارية فأخبرتْها بهذا الحديث .

انتهى ذكر أهل بغداد .

أنتهى الجزء الثانى من كتاب صفة الصفوة

ويليه الجزء الثالث وأوله : (ذكر من اصطفى من أهل المدائن)

فهرس الجزء الثاني من صفة الصفوة المصطفيات من طبقات الصحابيات رضي الله عنهن

ذكر المصطفين من التابعين ومن بعدهم على طبقاتهم فى بلدانهم

ذكر المصطفين من طبقات أهل المدينة من التابعين ومن بعدهم

فمن الطبقة الأولى